"تُرجمت الرواية إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 50 مليون نسخة حول العالم، مما يجعلها واحدةً من أكثر الكتب مبيعًا على الإطلاق".

ANNE OF GREEN GABLES

NETFLIX ORIGINAL SERIES

آن في المرتفعات الخضراء

لوسي مود مونتغمري

ترجمة: إيناس سمير

عصير الكتب

الكتاب: آن في المرتفعات الخضراء
المؤلف: لوسي مود مونتغمري
ترجمة: إيناس سمير
مراجعة: محمد الجيزاوي
التدقيق اللغوي: نهال جمال
تنسيق داخلي: ضياء فريد
الطبعة الأولى: يناير 2021
رقم الإيداع: 2021/2403
I.S.B.N: 978-977-85810-5-8

المدير العام: محمد شوقي
مدير النشر: علي حمدي

مدير التوزيع: عمر عباس
00201150636428
لمراسلة الدار Email: P.bookjuice@yahoo.com

الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر الكاتب
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الدار

جميع الحقوق محفوظة ©

عصير الكتب للنشر والتوزيع

"تُرجمت الرواية إلى 36 لغة وبيع منها أكثر من 50 مليون نسخة حول العالم، مما يجعلها واحدة من أكثر الكتب مبيعًا على الإطلاق".

ANNE OF GREEN GABLES

في آن

المرتفعات الخضراء

لوسي مود مونتغمري

ترجمة: إيناس سمير

(1)
دهشة السيدة ريتشل ليند

كانت السيدة ريتشل ليند تعيش حيث ينحدر طريق قرية أفونليا[1] الرئيسي نحو غَور صغير؛ تحيطه ا شجار الحرجية[2] والعرائش، ويقطعه جدول ينبع من الغابة التي يقع فيها منزل آل كوثبرت القديم، اشتهر هذا الجدول بأن جريانه من منبعه يتدفق متهورًا في تلك الغابات التي تحتفظ بأسرار المستنقعات والش ت. لكن مع وصوله إلى غَور ليند يتحول إلى غدير صغير وهادئ، فحتى الجدول يستطيع المرور من أمام بيت السيدة ريتشل ليند دونَ أن يأخذ قواعد اللياقة وا دب بعين الحسبان. ولعله عند جريانه أمام بيتها حظَ أن السيدة ريتشل تداوم على الجلوس قرب نافذتها، تراقب بعين حادة كل ما يمر أمامها، بدءًا من ا طفال والجداول إلى ما يتجاوزهم، وفي حال م حظتها لحدث غريب أو أمر غير طبيعي فإنها تعرف طعمًا للراحة إ بعد قيامها بالتحري عن أسباب ما يجري.

هناك الكثير من الناس، سواء من سكان أفونليا أو خارجها، يستطيعون مراقبة شؤون جيرانهم عن كثب في مقابل إهمالهم لشؤونهم الخاصة. لكن السيدة ريتشل ليند كانت واحدة من تلك المخلوقات التي تمتلك مزايا خارقة بتدبر شؤونها الخاصة وشؤون الجيران في آنٍ واحد. كانت ربة منزل بقدرات ماهرة؛ تنجز عملها بإتقان، وتشرف على حلقة تعليم الخياطة، وتساعد في إدارة مدرسة ا حد، وكانت تُعَد هي الدعامة ا ساسية لجمعية معونة الكنيسة وا رسا ت التبشيرية، ومع ذلك كانت السيدة ريتشل تجد المتسع من الوقت لتجلس لساعات أمام نافذة المطبخ تحوك ا غطية القطنية، التي شهدت لها ربات بيوت أفونليا بأنها حاكت منها ستة عشر غطاءً بينما كانت تسلِّط في نفس الوقت عينًا ثاقبة على الطريق الرئيسي الذي يشق الغَور صعودًا إلى ما بعد الهضبة الحمراء. وبما أن أفونليا كانت تقع في شبه جزيرة صغيرة تأخذ شكل المثلث، تشرف على خليج سانت لورانس، ويحيط بها الماء من جانبين فقط، لذلك فإن أي شخص يغادرها أو يقدم إليها، كان لزامًا عليه أن يسلك طريق تلك الهضبة، متبوعًا بنظرات السيدة ريتشل الثاقبة والتي تغفل عن المراقبة.

في عصر يوم من أوائل شهر حزيران، جلست السيدة ريتشل أمام نافذتها، حيث انسابت أشعة الشمس عبرها فتألق بستان الغور الذي يطل عليه المنزل، محتفلًا بعرس براعمه ذات

البياض المورد، وقد تجمعت حولها أفواج من النحل. في تلك ا ثناء، كان توماس لينـد زوج السيدة ريتشل، أو «**الرجل المتواضع**» كما كان يلقبه أهالي أفونليا، يبذر بذور اللفت في الحقل الواقع خلف الحظيرة، وكان من المفترض أن يكون ماثيو كوثبرت أيضًا يبذر بذوره في حقل الجدول ا حمر الكبير، بعيدًا إلى ا على عند المرتفعات الخضراء. كانت السيدة ريتشل تعرف هذا نها في ا مسية السابقة سمعته في مخزن وليام بلير في بلدة كارمودي وهو يختبر عزم بيتر موريسون على بذر بذور اللفت في عصر اليوم التالي. لقد سأله بيتر بالطبع، ن ماثيو كوثبرت لم يتطوع بالبوح عن أي معلومة تخص أي شيء طيلة حياته.

مع ذلك رأت ماثيو كوثبرت في الساعة الثالثة والنصف من عصر يوم حافل بالعمل، يقود عربته برباطة جأش مجتازًا الغور نحو التلة، وما كان فتًا للنظر أنه كان مرتديًا أفضل م بسه، مما يدل بشكل واضح على مغادرته أفونليا، وأكد على ذلك العربة والفرس البنية مما يبرهن على أن وجهته تبعد مسافة جديرة بالوضع في الحسبان عن القرية.

فإلى أين يذهب ماثيو كوثبرت يا ترى؟ ولماذا هو ذاهب إلى هناك؟ لو كان ا مر يتعلق بأي رجل آخر في أفونليا، لتمكنت السيدة ريتشل من وضع ا مور في نصابها، ولربما تحققت من ا مر بشكل ناجح يوصلها إلى التكهن بإجابة السؤالين معًا. لكن ماثيو كان نادرًا ما يغادر المنزل، وهذا دليل واضح على أن ما استدعاه لذلك هو أمر طارئ خارج عن الحسبان.

اتصف ماثيو بالخجل وسط رجال القرية، إذ كان ينفر من وجوده مع الغرباء بمكان واحد، وينفر من أي مكان يضطر فيه إلى الك م، ولذا لم يكن مشهد ظهوره متأنقًا ومعتليًا تلك العربة من المشاهد التي يغلب وقوعها. وما كان بإمكان السيدة ريتشل أن تعثر على جوابٍ ما لهذا ا مر مهما أعملت ذهنها في التفكير. وهكذا، أفسد عليها ما شاهدته متعة ذلك العصر.

أخيرًا توصلت السيدة إلى قرار؛ «**سأصعد المرتفعات الخضراء بعد تناول الشاي وسأعرف من ماريـ إلى أين ذهب ولماذا، إنه على وجه العموم يذهب في هذا الوقت من السنة إلى البلدة و يزور أحدًا، وإذا نفدت منه بذور اللفت فإنه لن يكلف نفسه عناء التأنق بهذا المظهر وقيادة العربة ليجلب المزيد، حتى إن السرعة التي قاد بها العربة لم تكن توحي بأنه على موعد لزيارة طبيب. مع ذلك بد أن أمرًا طارئًا قد حدث الليلة الماضية وأجبره على تلك الرحلة اليوم. أنا أغرق في الحيرة، ولن أحصل على دقيقة واحدة من الس م الفكري أو النفسي قبل أن أعرف السر وراء خروج ماثيو كوثبرت خارج أفونليا اليوم.**» هكذا قالت السيدة ريتشل لنفسها.

وفقًا لقرارها، انطلقت السيدة ريتشل نحو المرتفعات الخضراء بعد تناولها الشاي. لم يكن عليها قطع مسافة كبيرة، فالمنزل الكبير الذي يظلله البستان حيث يقطن آل كوثبرت يبعد بمقدار ربع ميل صعودًا من غور لينـد تقريبًا، لكن شك أن الدرب الطويل المؤدي إليه

جعله يبدو أكثر بعدًا. عندما أسس والد ماثيو كوثبرت ـالذي ورث عنه ابنه الحياء والصمتـ ركيزة البيت، كان يرغب في ا بتعاد عن الناس قدر استطاعته، دون أن ينعزل عن الغابة. وهناك شيد المرتفعات الخضراء عند نهاية حدود أرضه، وما زالت قائمة هناك إلى هذه اللحظة، تستطيع العين رؤيتها بوضوح من الطريق الرئيسية التي تصطف على طولها جميع منازل أفونليا المتجاورة.

«**هو مكان للسكن فقط، إنه كذلك حقًّا.**» هكذا قالت السيدة ريتشل لنفسها أثناء تتبعها للدرب المحاط با عشاب وا زهار البرية. «**وليس هناك عجب أن يكون ماثيو ومارِ غريبَي ا طوار قليلًا، بسبب عيشهما هنا وحدهما، فرفقة ا شجار ليست بالرفقة المثالية، ولو كانت كذلك ف شك أن لديهما الكثير منها. أما أنا فأفضل صحبة الناس. وبشكل ما، شك أنهما يبدوان راضيَين بحياتهما، على الرغم من أني أعتقد أنهما اعتادا هذا الوضع ليس إ ، فكما يقول ا يرلنديون: «المرء قادر على اعتياد أي شيء حتى حبل المشنقة.**» »

تجاوزت السيدة ريتشل الدرب إلى فناء المرتفعات الخضراء الخلفي. كان الفناء نظيفًا ومرتَّبا، تصطف أشجار الصفصاف البهية على أحد جانبيه، بينما على الجانب ا خر اصطفت أشجار الحور الشامخة. يشوبه عود أو حجر وإ كانت رأته السيدة ريتشل التي ظنت أن مارِ كوثبرت تواظب على كنس الفناء كلما همت بكنس بيتها، لدرجة استطاعة المرء تناول وجبة طعامه فوق ا رض مباشرة، دون أن يتلوث بذرة غبار، يمكن أن يضرب بها المثل.

نقرت السيدة ريتشل على باب المطبخ بحذر، وقامت بالدخول عندما سُمح لها. كان مطبخ المرتفعات الخضراء أشبه بنزل سكني مبهج، أو با حرى كان يمكن أن يكون مطبخًا مبهجًا لو لم يكن مزعجًا بنظافته التي أضفت عليه مظهرًا يشبه مظهر ردهة استقبال مهجورة. نوافذه تشرف على جهتي الشرق والغرب، والعباب اللطيف شعة شمس حزيران يتخلل من النافذة الغربية منسابًا على الفناء الخلفي، ومن النافذة الشرقية تستطيع أن تلقي نظرة خاطفة على ريعان أشجار الكرز البيضاء المتمايلة إلى اليسار في البستان، وأزهار البتو [3] الهزيلة والمنسابة نحو الغَور مع جريان الغدير، وقد أضفت أغصان الكروم المتشابكة صبغة من اللون ا خضر على تلك النافذة.

عند هذه النافذة جلست مارِ كوثبرت، والتي تُفضل الجلوس عندها في العادة، نها تثق بأشعة الشمس التي تصفها بأنها عديمة المسؤولية كثيرة التراقص في عالم يجب أخذه على محمل الجد. كانت تحوك، وقد أعدت الطاولة خلفها لطعام العشاء.

قبل أن تغلق السيدة ريتشل ـتمامًاـ الباب من خلفها، كانت قد دوَّنت م حظة ذهنية عن كل شيء فوق الطاولة؛ كان هناك ث ثة أطباق، مما يعني أن ماري كانت في انتظار أحدهم لتناول الشاي مع ماثيو في البيت، لكن ا طباق لم تكن مميزة، مجرد أطباق ا ستعمال اليومي، و يوجد على الطاولة شيء آخر سوى معلبات مربى التفاح ونوع واحد من الكعك، مما يعني أن الرفقة المتوقَّعة ليست بالرفقة المهمة. لكن ماذا عن ياقة قميص ماثيو البيضاء والفرس البنية؟ أُصيبت السيدة ريتشل بالدوار وتشوَّش عقلها إزاء هذا اللغز ا ستثنائي عن المرتفعات الخضراء الخالية من أي دليل غامض.

قالت ماري بنشاط:

- مساء الخير، ريتشل، إنه مساء رائع بحق، أليس كذلك؟ ألن تجلسي؟ كيف حال جميع أقاربك؟

شيء ما قد يُطلَق عليه الصداقة بسبب عدم وجود أي اسم آخر له كان موجودًا دائمًا بين ماري كوثبرت والسيدة ريتشل على الرغم من ـأو ربما بسببـ تباينهما.

كانت ماري امرأة طويلة ونحيفة، منحوتة الجسم لكن بدون قسمات أو تقوسات بارزة، يتخلل شعرها بعض الخصـ ت البيضاء، والذي كان دائمًا معقودًا في عقدة قوية وصغيرة خلف رقبتها، ومُثبَّتًا بواسطة دبوسين ملتصقين به بإحكام. تبدو امرأة محدودة ا فاق، جامدة الروح، وتكاد تكون كذلك فعلًا لو احتفاظ فمها بشبح ابتسامة، ربما لو كانت أكثر بروزًا فصحت عن امتـ كها لروح مرحة.

قالت السيدة ريتشل:

- نحن جميعًا في أفضل حال. لقد انتابني الخوف بعض الشيء حيالك عندما رأيت ماثيو يرتحل اليوم على العربة، لقد ظننت أنه ربما كان ذاهبًا حضار طبيب.

اختلجت شفتا ماري بتعبير يَنمُّ عن رجاحة توقعاتها سباب مجيء السيدة ريتشل إليها، نها علمت أن رؤية ماثيو وهو يرتحل بتلك الصورة سيكون أمرًا غير محتمل لفضول جارتها.

قالت ماري :

- آه، ، أنا بخير. على الرغم من أني كنت أعاني صداعًا شديدًا با مس. ذهب ماثيو لبلدة برايت ريفر، سنحضر طفلًا صغيرًا من ملجأ أيتام في مقاطعة نوفا سكوشيا[4] وسيأتي بالقطار الليلة.

لو كانت ماري أخبرتها بأن ماثيو قد ذهب لبرايت ريفر ليقابل كنغر من أستراليا لكانت ريتشل أقل اندهاشًا وذهولًا من ذلك! كالمطعون بخنجر؛ أُصيبت السيدة ريتشل بالخرس

لمدة خمس ثوانٍ. إنه أمر غير قابل لـ حتمال أن ماريـ تسخر منها، ومع ذلك كانت السيدة ريتشل مجبَرة على أن تفترض ذلك ا حتمال.

- هل أنتِ جادَّة، ماريـ ؟ (**ألحَّت ريتشل عندما عاد صوتها إليها**).

- نعم، بالطبع.

قالت ماريـ ذلك كما لو أن جلب ا و د من م جئ ا يتام في نوفا سكوشيا وتبنيهم كان جزءًا من العمل الربيعي المعتاد في أي مزرعة عادية في أفونليا، وليس ابتكارًا لم يُسبق له مثيل.

شعرت السيدة ريتشل كأنها تعرضت لضربة رأس شديدة. فكرت ـ باديًا عليها ع مات التعجب ـ (**صبي! ماريـ وماثيو كوثبرت من بين كل الناس يتبنيان صبيًّا! من ملجأ أيتام! حسنًا، بد أن العالم بالتأكيد قد انقلب رأسًا على عقب. لن يفاجئها أي شيء بعد هذا أبدًا، شيء**)!

سألت ريتشل باستنكار:

- بحق السماء، ما الذي وضع مثل هذه الفكرة في رأسك؟

(ما دام القيام بذلك ا مر قد تم دون طلب المشورة منها، بد إذًا رغمًا عنها ـ أن ترفض تقبله.)

أجابت ماريـ :

- حسنًا، لقد فكرنا بهذا الموضوع لفترة من الوقت، طيلة فصل الشتاء في الواقع. كانت السيدة أليكسندر سبنسر هنا قبل يوم من عيد الميـ د، وأخبرتنا عن عزمها على تبني فتاة صغيرة من أحد م جئ بلدية هوب تاون[5] في الربيع، حيث يعيش ابن عمها هناك، وقد زارت السيدة سبنسر الملجأ وعرفت كل شيء عنه، لذلك تحدثنا أنا وماثيو منذ ذلك الحين مرارًا وتكرارًا بشأن هذه الفكرة، وفي النهاية قررنا تبني صبي. ماثيو يتقدم في العمر كما تعلمين، لقد بلغ الستين ولم يعد خفيف الحركة كما كان من قبل، با ضافة إلى أن قلبه أصبح يتسبب له في المتاعب كثيرًا، وأنتِ تعرفين مدى صعوبة استئجار من يستطيع مساعدته. يوجد أحد نستطيع الحصول عليه سوى أولئك الصبية الفرنسيين الحمقى والذين لم يكتمل نموهم بعد، وما إن تحصلي على أحدهم وتعلميه شيئًا حتى يخرج عن طوقه ويتركك متجهًا إلى مصانع تعليب السلطعونات أو إلى الو يات! في البداية اقترح ماثيو أن نحضر خادمًا من المستوطنين، ولكني رفضت ذلك ا قتراح بشكل صريح. عيب فيهم، وقد يكونون جيدين؛ أنا أقول إنهم غير ذلك، ولكني أريد مشرَّدي ا زقة في منزلي، لذلك قلت له: أحضر لي

صبيًّا من المواليد المحليين على ا قل. ستكون هناك مجازفة بغض النظر عن الصبي الذي سنحصل عليه. لكني سأشعر بارتياح أكثر، وسأحصل على نوم هادئ في الليل إذا كان الصبي من مواليد كندا، لذلك قررنا طلب مساعدة السيدة سبنسر لتختار لنا صبيًّا عندما تذهب إلى الملجأ لتبني طفلتها الصغيرة. لقد سمعنا ا سبوع الماضي أنها تنوي الذهاب، لذلك أرسلنا لها رسالة شفهية مع أقارب ريتشارد سبنسر في كارمودي لكي تجلب لنا صبيًّا يبدو عليه التمتع بالذكاء، ويتراوح عمره بين العاشرة والحادية عشرة، إذ رأينا أنه العمر المناسب، كبير بما فيه الكفاية ليكون له بعض النفع في القيام با عمال الروتينية بإتقان، وصغير بما فيه الكفاية لكي تتم تربيته بأسلوب م ئم. نحن عازمان على منحه منزلًا وتعليمًا جيدًا. لقد وصلتنا اليوم برقية من السيدة ألكسندر سبنسر، جلبها لنا ساعي البريد من المحطة، تخبرنا فيها بأنهم قادمون على متن قطار الساعة الخامسة والنصف الليلة، لذلك ذهب ماثيو إلى برايت ريفر ليقابلهم، فالسيدة سبنسر ستقوم باصطحاب الصبي إلى هناك، ثم ستتابع طريقها بعد ذلك إلى محطة وايت ساندس.

لطالما افتخرت السيدة ريتشل بنفسها، نها دائمًا ما تفصح عن رأيها. وقد رأت أنها اللحظة المناسبة للبوح بما يجول بخاطرها، بعد أن حددت موقفها من هذا الخبر المذهل.

- حسنًا ماريِ ، سأخبركِ بصراحة بأن ما تنوين فعله حماقة ومجازفة تخلو من الخطر. تجلبين طفلًا غريبًا لمنزلك تملكين معلومة واحدة عنه، تعلمين كيف تكون شخصيته، و حتى تعلمين أي نوع من ا هل كان أهله، و إلى أي شخصية سيتغير فيما بعد. ولِمَ؟ لقد قرأت في الجريدة ا سبوع الماضي عن رجل وزوجته من غرب الجزيرة كانا قد تبنيا صبيًّا من ملجأ ا يتام، فقام الصبي ليلًا بإضرام الحريق في المنزل ـ متعمِّدًا ذلك ـ وكاد الزوجان يحترقان في سريرهما. وأعلم قضية أخرى اعتاد فيها صبي مُتبَنى مص البيض[6] ولم يستطع أهله إيقافه عن تلك العادة. ولو طلبتِ مني النصح فيما يختص بهذا الموضوع ـا مر الذي لم تفعليه يا ماريِ ـ لطلبت منك بدافع الخوف عليكِ أ تقدمي على هذه الخطوة مهما كلَّف ا مر.

يبدو أن محاو تي ستفزازها وردعها عن القيام بذلك لم تؤثر فيها ولم تزعجها، إذ استمرت ماريِ تحوك ما بيدها بهدوء.

- أنكر أن هناك مغزى فيما تقولينه ريتشل. لدي با ساس بعض الهواجس حيال ذلك، لكن ماثيو كان مصممًا تصميمًا مريعًا على هذه الفكرة. كان بإمكاني رؤية

إصراره بوضوح، لذا استسلمت. إنه لنادر جدًّا أن يصرَّ ماثيو على أمر ما، وعندما يفعل ذلك، أشعر دائمًا بواجبي نحو التنازل. وفيما يتعلق بالمخاطر، فإنها تكتنف ا نسان في كل ما يفعله في هذا العالم، بل إن المخاطر تصل إلى ا طفال الذين ينجبهم الناس من صُلبهم، فهم يكبرون ويصبحون دائمًا كما هو مرجوٌّ منهم أن يكونوا، با ضافة إلى ذلك فإن نوفا سكوشيا تقع بالقرب من الجزيرة، وليس ا مر كما لو أننا سنجلب الصبي من إنجلترا، ف أعتقد أنه سيكون مختلفًا عنَّا كثيرًا.

- حسنًا، أتمنى أن تصبح ا مور على ما يرام. (**قالت السيدة ريتشل ذلك بنبرة تشير بوضوح إلى شكوكها المؤلمة**) فقط تقولي إني لم أحذرك عندما يقوم الصبي بإحراق المرتفعات الخضراء، أو يقوم بوضع ا ستركنين[7] في البئر. لقد سمعت عن قضية في نيو برونزويك[8] قام فيها طفل يتيم من ملجأ بفعل ذلك وتُوفيت ا سرة بأكملها بنزعات مبرحة من سكرات الموت، مع فارق أن الطفل في تلك الحادثة كان فتاة.
- حسنًا، بأس. فنحن لسنا بصدد تبني فتاة (**أجابت ماريلا بذلك وكأن تسمم ا بار هو فعل أنثوي بحت، بعيد كل البعد عن أفعال الصِبية**). لم أحلم قط بتبني فتاة وتربيتها. أتعجب أن السيدة سبنسر قامت بذلك، ولكنها هناك، وإن أُعجِبَت بالفكرة لن تتوانى عن تبني ملجأ أيتام بأكمله.

كانت السيدة ريتشل تودُّ البقاء حتى يعود ماثيو مع اليتيم القادم من نوفا سكوشيا، لكن خابت حساباتها، فهناك ساعتان على ا قل قبل وصوله، لذلك قررت أن تغادر وتسلك الطريق صعودًا إلى منزل آل روبرت بيل لتطلعهم على ا خبار والتي من المؤكد أنها ستُحدِث لديهم ضجة كبيرة، وذلك ما تحب ريتشل إحداثه بالفعل من إشاعة ا خبار المثيرة، لذلك أخذت نفسها بعيدًا وغادرت مزيحة بذلك بعض الثقل عن صدر ماريلا ، ن ا خيرة شعرت أن شكوكها ومخاوفها تتجدد تحت تأثير تشاؤم السيدة ريتشل.

- هذا أعجب شيء من بين كل ا شياء التي كانت أو ستكون! (**بهذا هتفت السيدة ريتشل عندما اختلت بنفسها في طريق عودتها**) يبدو ا مر حقًّا كما لو كنت أحلم. أنا حزينة فعلًا لذلك المسكين الصغير، ولست مخطئة. يعرف ماثيو وماريلا أي شيء عن ا طفال وسيتوقعون منه أن يكون أكثر حكمة وثباتًا من جده، هذا إن سبق وكان لديه جد من ا ساس، وهو أمر مشكوك فيه. يبدو التفكير في وجود طفل في المرتفعات الخضراء أمرًا غريبًا وخارقًا للطبيعة بطريقة ما، إذ لم يسبق ووُجد طفل هناك قط، ن ماثيو وماريلا كانا كبيرَين عندما تم تشييد المنزل الجديد، هذا إذا سبق لهما أن كانا طفلين

في يوم ما، ا مر الذي يصعب تصديقه عندما ينظر أحد إليهما. أنا أتمنى مطلقًا أن أحلَّ محل ذلك اليتيم مهما كان الثمن. حقًّا كم أشفق عليه!

هكذا أفضت السيدة ريتشل بما كان يختلج في أعماق قلبها لشجيرات ا زهار البرية من حولها، لكنها لو حدث ورأت الطفل الذي كان ينتظر بصبر في محطة برايت ريفر في تلك اللحظة بالتحديد، فإن إشفاقها كان سيصبح أشد تأثرًا وعمقًا.

قرية خيالية، في جزيرة ا مير إدوارد، كندا.

أشجار من عائلة البتو تنمو في البلدان الشمالية، عادة في ا رض الرطبة.

شجرة صلبة نفضية، تنمو في أجزاء من أوروبا وشمالي آسيا وأمريكا الشمالية، وتنتج (**سنابل حرشفية**) تحتوي على أزهار صغيرة.

إحدى مقاطعات كندا، تقع شرق اليابسة ا مريكية، احتلها الفرنسيون في القرن السابع عشر الميـ دي ثم أخدتها بريطانيا في معاهدة أوترخت منذ عام ١٧١٣.

بلدية محلية في كيبيك تقع في كندا.

تعبير عن الغضب أو ا زدراء أو ا حتقار من أفعال وقحة. سُمِعَ ول مرة في الو يات المتحدة وكندا.

مادة سامة.

مقاطعة في كندا، وهي تعد المقاطعة الكندية الوحيدة التي لغتها الرسمية مزدوجة دستوريًّا (**ا نجليزية والفرنسية**).

(2)
دهشة ماثيو كوثبرت

سار ماثيو كوثبرت متهاديًا بتؤدَة على فرسه البنية على طول الثمانية أميال متجهًا نحو برايت ريفر، سالكًا طريقًا يمتد تارة بين ا بنية الريفية ا نيقة، تتخلله بين الفينة وا خرى أشجار خشب التنوب[9] العطرية، ويمتد تارة أخرى عبر المنحدرات حيث يتدلى الخوخ البري من براعمه الرقيقة. كان الجو لطيفًا يفوح بعبق رائحة بساتين التفاح، وتنحدر المروج بعيدًا نحو ضباب ا فق ذي الشفافية ا رجوانية، بينما «**غرَّدت العصافير الصغيرة كما لو أنه النهار الصيفي الوحيد في ذلك العام.**»

استمتع ماثيو برحلته على طريقته الخاصة، إ في اللحظات التي كان يقابل فيها النساء، إذ كان عليه أن يُومئ برأسه لهنَّ ملقيًا التحية، ففي جزيرة ا مير إدوارد[10] يُفترض منك إلقاء التحية على كل من تصادفه في طريقك بدون استثناء سواء كنت تعرفه أو .

يفزع ماثيو عادةً من رؤية جميع النساء عدا ماريـ والسيدة ريتشل، فقد كان يراوده شعور غير مريح بأن تلك المخلوقات الغامضة تسخر منه في سرِّية. ربما هو على حق في شعوره ذلك، فهو غريب ا طوار، له هيئة أخرق، شعره رمادي طويل يصل إلى منحنى كتفيه، ولحية كثَّة ذات لون بني فاتح، أطلقها منذ كان في العشرين من عمره. في الحقيقة لم يكن مظهره في العشرين يختلف كثيرًا عن مظهره في الستين، باستثناء بعض الشيب الظاهر عليه.

عندما وصل برايت ريفر لم يجد أي ع مة تدل على وصول قطار، فظنَّ أنه وصل مبكرًا عن الموعد، لذلك قام بربط الفرس في ساحة فندق برايت ريفر الصغير وذهب إلى مبنى المحطة. كان الرصيف طويلًا ويبدو مهجورًا؛ المخلوق الوحيد الذي بالكاد استطاع ماثيو م حظة وجوده هناك كانت فتاة تجلس على ركام من الحصى في أقصى نهاية الرصيف، قام بالعبور من جانبها خِفية بأقصى سرعة وبدون أن ينظر إليها، ولو فعلَ لما كان من الصعب أن ي حظ التوتر والترقب البادِيَين على م محها وتعبيراتها الصلبة. كانت تجلس هناك تنتظر شيئًا أو شخصًا ما. ونظرًا ن الجلوس وا نتظار هو الشيء الوحيد الذي بإمكانها فعله في ذلك الوقت، جلست وانتظرت بكل صبرٍ تمتلكه.

صادف ماثيو مسؤول محطة القطار وهو يغلق مكتب التذاكر تمهيدًا لعودته إلى المنزل للعشاء، واستفسر منه عمَّا إذا كان قطار الخامسة والنصف سيصل قريبًا.

أجاب المسؤول مستعجلًا:

- وصل قطار الساعة الخامسة والنصف وغادر منذ نصف ساعة، لكن هناك مسافرًا أُنزِل هنا إلى المحطة من أجلك؛ فتاة صغيرة. ها هي تجلس هناك على الحصى. لقد طلبتُ منها أن تنتقل لغرفة انتظار السيدات لكنها أخبرتني بشكل حذر أنها تفضل البقاء خارجًا، وقالت لي: «**هناك مجال أوسع للخيال**»، إنها حقًّا غريبة ا طوار!

قال ماثيو بطريقة خالية من التعبير:

- لكن أنا لم أكن أنتظر فتاة، لقد أتيتُ إلى هنا من أجل صبي. كان من المتَّفق عليه أن السيدة سبنسر ستجلبه من نوفا سكوشيا إلى هنا من أجلي.

صفَّر مسؤول المحطة، وقال:

- بدَّ أن خطأً ما قد وقع، فالسيدة سبنسر نزلت من القطار مع هذه الفتاة وسلمتها لي، وقالت إنك وشقيقتك ستتبنيانها من ملجأ ا يتام. هذا كل ما أعرفه، وليس لدي أي أيتام آخرين خفيهم عنك.

قال ماثيو بنبرة يائسة متمنيًا لو كانت ماريـ معه ا ن لتتعامل مع الموقف:

- لستُ قادرًا على فهم ما يحدث.

قال مسؤول المحطة بـ اهتمام:

- حسنًا، من ا فضل أن تقوم باستجواب الطفلة، أعتقد أنها ستكون قادرة على شرح ا مر، فهي تمتلك لسانًا وليست بكماء بالتأكيد. وربما قد نفد لدى أصحاب الملجأ النوع الذي طلبته.

غادر المسؤول الجائع المكان سريعًا، تاركًا ماثيو التعيس وحده ليقوم بإنجاز ما هو أصعب من مواجهة أسد في عرينه؛ أن يسير قدمًا نحو فتاة، غريبة، ويتيمة، وأن يقوم بمحاسبتها نها لم تكن صبيًّا. شعر ماثيو بأنين روحه عندما استدار وجرَّ قدميه متثاقلًا بالسير على الرصيف نحوها.

كانت تراقبه منذ مرَّ عليها سابقًا، تصوِّب عينيها عليه، بينما يتجه إليها، لكن ماثيو لم ينظر إليها، ولو فعل لما استطاع أن يستبين كيف تبدو، ومع ذلك فقد كان يستطيع أي إنسان عادي م حظة ا تي: طفلة فيما يقرب الحادية عشرة من العمر، ترتدي فستانًا قبيحًا قصيرًا ضيقًا جدًّا، من قماش الكتان والصوف الرمادي المائل للصفرة، وتعتمر قبعة بحَّار بنية باهتة

اللون، ينسدل من تحتها ضفيرتان من شعر أحمر كثيف للغاية إلى أسفل ظهرها، وجهها صغير ونحيف، بشرتها بيضاء يُزينها النمش، فمها كبير وكذلك عيناها، التي تبدو خضراء حينًا، ورمادية حينًا آخر.

هذا بالنسبة للمُ حِظ العادي، أما إذا كان المُ حِظ ذا بصيرة أبعد، لربما استطاع م حظة تفاصيل أدق؛ الذقن مدبب وواضح جدًّا، العينان الكبيرتان مليئتان بالروح والحيوية، الفم حلو الشفاه ومعبر، والجبهة عريضة وممتلئة. باختصار، ربما استنتج مُ حِظنا ا ستثنائي الفطن أن الروح التي تسكن جسد هذه ا نثى الصغيرة لم تكن مألوفة، تلك التي كان ماثيو كوثبرت الخجول خائفًا للغاية منها إلى حد مثير للسخرية.

لحسن الحظ، نجا ماثيو من محنة التحدث أولًا، نها بمجرد أن استنتجت أنه كان قادمًا إليها، وقفت ممسكة ـبيد هزيلة سمراءـ بمقبض حقيبة قماشية رثَّة قديمة الطراز، بينما مدَّت يدها ا خرى إليه لتصافحه.

قالت مستفهمة بصوت لطيف واضح النبرة:

- أعتقد أنك السيد ماثيو كوثبرت من المرتفعات الخضراء؟ سررت جدًّا برؤيتك، قد تسلل الخوف إلى نفسي عندما ظننت أنك ربما لن تأتي، وجلست أحاول توقُّع ا سباب التي قد تمنعك من المجيء إليَّ، وقررت أنه إذا لم تأتِ من أجلي هذه الليلة، فسأذهب إلى شجرة الكرز البرية الكبيرة عند المنعطف، وأتسلقها قضي الليل فوقها. لن أشعر ولو بذرَّة خوف، من الجميل أن أنام على شجرة كرز برية بيضاء ا زهار تحت ضوء القمر، أ يمكنك حينها أن تتخيل أنك تسكن في قصر قاعاته من الرخام؟ على كل حال كنت متأكدة أنك ستأتي من أجلي في الصباح، إذا لم تفعل ذلك الليلة.

صافح ماثيو اليد الهزيلة الممتدة إليه على نحو مربك، وعندها قرَّر ماذا سيفعل؛ لن يستطيع إخبار تلك الطفلة ذات العينين المتوهجتين أن هناك خطأ قد حدث، لذلك سيأخذها إلى المنزل ويترك لماريـ مهمة فعل ذلك. في كل ا حوال، يصح أن تُترك وحدها في برايت ريفر، وبغض النظر عن ماهية الخطأ الذي حدث، سيُرجِئ التفكير في كل ا سئلة وا ستفسارات التي تراوده إلى أن يعود آمنًا إلى المرتفعات الخضراء.

قال ماثيو بخجل:

- أنا متأسف بشأن تأخري عليكِ. تعالي، اتبعيني، فالفرس في الساحة هناك، هاتي حقيبتك حملها.

ردت الطفلة بمرح:

- أوه، أستطيع حملها وحدي، إنها ليست ثقيلة. حقًّا أنا أحمل داخلها جميع ما أملكه في هذا العالم، لكنها ليست ثقيلة. هي ليست حقيبة بالمعنى الحرفي، ولكنها خُرج بالغ القدم، ومن الممكن أن ينقطع إذا لم يُحمل بطريقة معينة، لذلك من ا فضل أن أحملها أنا ني أعرف كيفية التعامل معها بدقة. أوه، أنا سعيدة جدًّا بقدومك، حتى لو كان من الرائع أن أنام على شجرة كرز برية. علينا أن نقطع مسافةً طويلةً للعودة، أليس كذلك؟ علمت من السيدة سبنسر أنها كانت مسافة ثمانية أميال، وهذا يسعدني ني أحب السفر. أوه، يبدو من الرائع أنني سأعيش معك وأنتمي إليك. أنا لم أنتمِ قط ي شخص انتماءً حقيقيًّا، وكان الملجأ أسوأ مكان ذهبت إليه، على الرغم من أنه لم يمضِ على وجودي فيه سوى أربعة أشهر، فإن هذه المدة تكفيني. بالتأكيد أعتقد أنك كنت في يوم ما يتيمًا في ملجأ، لذلك من الصعب عليك فهم ما أعنيه تمامًا، إنه أسوأ من أي شيء يمكنك تخيله. قالت لي السيدة سبنسر إن ك مي هذا غير ئق، لكني لم أقصد أن أكون سيئة. أ تظن أنه من السهل على المرء أن يكون سيئًا دون أن يشعر؟ أنا في الحقيقة أعني أصحاب الملجأ، نهم كانوا أناسًا طيبين، ولكن الملجأ نفسه يوجد فيه أي متنفس يسمح للخيال با نط ق. كل ما كنت أستطيع فعله هو تخيل أشياء تتعلق با يتام ا خرين. كان من المثير لـ هتمام تخيل أشياء عنهم، لتتخيل أنه ربما الفتاة التي تجلس بجوارك هي بالفعل ابنة إيرل[11] مربوط[12]، سُرقت من والديها في طفولتها بواسطة ممرضة قاسية القلب، تُوفيت قبل أن تعترف بجريمتها. لقد اعتدتُ ا ستيقاظ في الليل وتخيُّل أشياء مثل هذه ني أملك المتسع من الوقت خ ل النهار. وأعتقد لهذا السبب أنا نحيلة، بل هزيلة جدًّا، ألستُ كذلك؟ فعظامي يكسوها اللحم، و شيء يسعدني أكثر من تخيلي لنفسي بأني جميلة وسمينة ولدي غمازات في مرفقيَّ.

هنا توقفت رفيقة ماثيو عن الحديث، نها من ناحية قد انقطع نفسها من الثرثرة، ومن ناحية أخرى، نهما كانا قد وصـ إلى العربة، ولم تنبس ببنت شفة بعد ذلك إلى أن غادرا القرية وانحدرا من تلة عالية شُقَّ منها طريق بعمق شديد في التربة الرخوة، لدرجة أن أشجار الكرز البرية المزهرة والبتو البيضاء التي م ت ضفتي الطريق كانت على بُعد بضعة أقدام من رأسيهما.

مدت الطفلة يدها إلى جانب الطريق وكسرت غصنًا من أغصان شجر الخوخ البري التي احتكت بحافة العربة، ثم سألته:

- أليس هذا المنظر جميلًا؟ بماذا تُوحي لك تلك الشجرة البيضاء الشبكية، والمتكئة من الضفة؟

أجاب ماثيو:

- حسنًا، أعرف.

- عجبًا! تُوحي بعروس بالطبع، عروس يزينها ا بيض من رأسها خمص قدميها، تتشح بوشاح رقيق وجميل. في الحقيقة، لم يسبق لي وأن رأيت عروسًا، لكن يمكنني أن أتخيل كيف تبدو. أتوقع أبدًا أن أكون أنا عروسًا في يوم من ا يام ن شكلي عادي جدًّا ولن أجد من يرغب في الزواج بي، إ إذا كان مبشرًا أجنبيًّا[13]، فأنا أعتقد أن المبشر ا جنبي سيبالي بشكلي كثيرًا. لكني آمل أن أرتدي فستانًا أبيض يومًا ما، هذا هو ما أعدُّه أعلى نموذج للنعيم الدنيوي. أنا فقط أحب الم بس الجميلة، و أذكر أني ارتديت فستانًا جميلًا في حياتي. لكن أ تظن أن التطلع إلى تحقيق هذا الحلم أمر ممكن؟ كما يمكنني أن أتخيل نفسي متى ما شئت بثياب رائعة. عندما غادرت الملجأ هذا الصباح شعرت بالخجل الشديد نني اضطررت إلى ارتداء هذا الفستان القديم البشع، فعلى جميع ا يتام لبس أشياء مثله، أنت تعلم. هناك تاجر في مدينة هوب تاون قد تبرع بث ثمائة ياردة من هذا القماش إلى الملجأ. بعض الناس أشاعوا أنه فعل ذلك بسبب أنه لم يستطع بيعها، لكني أفضِّل تصديق أن إقدامه على فعل ذلك كان نابعًا من طيبة قلبه، أتعتقد كذلك أيضًا؟ عندما ركبت القطار شعرت أن جميع الناس ينظرون إليَّ ويشفقون عليَّ، لكني حلَّقت مع خيالي وتخيَّلت أني أرتدي أجمل فستان من الحرير ا زرق الفاتح، نه عندما تتخيل شيئًا يجب أن تتخيل ما يستحق التخيل. كما تخيلت أني أعتمر قبعة كبيرة تزينها ا زهار والريش المتطاير، وأني ألبس ساعة ذهبية وقفازات وحذاء يليق با طفال، وسرعان ما شعرت با بتهاج واستمتعت برحلتي إلى الجزيرة بكل ما أملك. وعندما استقلَّينا المركب لم أُصَب بالدوار، وكذلك السيدة سبنسر على الرغم من أنها عادة ما تُصاب بدوار البحر، وقالت لي إنها لم تجد متسعًا من الوقت لتُصاب بالدوار وهي تراقبني خشية أن أسقط في الماء، وقالت أيضًا إنها لم ترَ أحدًا يضاهيني في كثرة الحركة، لكن إذا كانت حركتي قد منعتها من أن تُصاب بدوار البحر، أفلم يكن ذلك في صالحها؟ لقد أردتُ أن أرى كل شيء يمكنني رؤيته على متن ذلك القارب، نني أعلم إن كنت سأحظى بفرصة أخرى. أوه، هناك الكثير من أشجار الكرز المزهرة! إن هذه الجزيرة هي أكثر جزيرة متفتحة، لقد أحببتها

بالفعل، وأنا سعيدة ني سأعيش فيها. لطالما سمعت أن جزيرة ا مير إدوارد هي أجمل مكان في العالم، وتخيلت أنني أعيش هنا، لكني لم أتوقع حقًّا أني سأفعل ذلك. إنه لمن دواعي السرور أن يصبح خيالك حقيقة، أليس كذلك؟ لكن تلك الطرق الحمراء مضحكة للغاية. عندما وصل بنا القطار إلى شارلوت تاون وبدأت الطرق الحمراء بالوميض من ورائنا عندما تجاوزناها، سألتُ السيدة سبنسر ما الذي جعلها حمراء؟ فقالت إنها تعرف. ومن المؤسف أنني قررت أ أسألها أي أسئلة أخرى، ف بد أنني قد سألتها آ ف ا سئلة بالفعل. أظن أنني فعلت ذلك حقًّا، ولكن كيف ستكتشف ا شياء إذا لم تطرح أسئلة عنها؟ وما الذي يجعل الطرق حمراء؟

أجاب ماثيو:

- هه، أعرف حقًّا.

- حسنًا، هذه أحد ا شياء التي يجب اكتشافها في وقت ما. أليس من الرائع التفكير في كل ا شياء التي يمكن اكتشاف ماهيتها؟ إن ذلك فقط يجعلني أشعر بالسعادة لكوني على قيد الحياة. إنه عالم مثير لـ هتمام حقًّا، وإذا كنا نعرف كل شيء عن كل شيء فإن أهميته ستتضاءل إلى نصف ما هي عليه ا ن، أ تعتقد ذلك؟ لن يكون هناك مجال للخيال إذن، أليس كذلك؟ لكن هل أتحدث كثيرًا؟ يخبرني الناس دائمًا بأنني أفعل. هل تفضِّل أ أتحدث؟ إذا قلت ذلك سأتوقف. يمكنني التوقف عندما أعقد نيتي، على الرغم من صعوبة ذلك.

كان ماثيو مندهشًا من نفسه ستمتاعه بتلك الرفقة، كان مثل معظم ا شخاص ا نطوائيين؛ يحب ا شخاص الثرثارين عندما يمسكون بدفة الحديث بمفردهم دون أن يتوقعوا منه المشاركة. لكنه لم يتوقع قط أن يستمتع بصحبة فتاة صغيرة، فقد اعتقد دومًا أن النساء سيئات في كل ا حوال، لكن الفتيات الصغيرات أسوأ، فقد كان يكره الطريقة الخجول التي يتجاوزنه بها في الطريق وهنَّ يتتبعنه بنظرات جانبية وكأنهن يخشين أن يلتهمهنَّ في فمه دفعة واحدة إذا تجرأن وتفوهن بكلمة. إنها تسير على نهج فتيات أفونليا المهذبات، لكن تلك الساحرة المنمشة كانت مختلفة تمامًا. وعلى الرغم من أنه وجد صعوبة بالنسبة لذكائه المتدني في مجاراة تدفق أفكار عقلها النشط، فإنه أحبَّ ثرثرتها نوعًا ما، ولذلك قال بخجله المعتاد:

- أوه، تستطيعين التحدث كما تشائين، أنا أمانع.

- أوه، أنا حقًّا سعيدة. لقد علمت أننا سننسجم معًا، إنه فقط لمن دواعي ا رتياح أن يتحدث المرء عندما يرغب في ذلك، وأ يُقال له إن ا طفال فقط يراهم الناس ولكن يسمعونهم، فهذا ما كان يُقال لي م يين المرات إن حدث وتكلمت. الناس يسخرون مني ني أستعمل عبارات كبيرة في حديثي، ولكن إن كانت لديك أفكار كبيرة، أليس من المفترض أن تعبِّر عنها أيضًا بعبارات كبيرة؟
- نعم، يبدو هذا معقولًا.
- أخبرتني السيدة سبنسر بأن لساني بد وأنه عُلِّقَ من المنتصف[14]، لكنه ليس كذلك، إنه مثبت بإحكام من طرف واحد؛ معلق عند نهاية حلقي! أخبرتني أيضًا بأن منزلك يقع في منطقة تُدعى المرتفعات الخضراء. سألتها كل شيء عن هذا المكان، وقالت إنه مُحاط با شجار من جميع جوانبه. لقد سعدت بسماع ذلك أكثر من أي وقت مضى، نني متيَّمة با شجار، ولم يكن هناك أي أشجار في الملجأ باستثناء القليل جدًّا من الشجيرات بالغة الصغر عند مدخل الملجأ من الخارج، والذي أُحيط بسور من قضبان مطلية با بيض الباهت، فتبدو وكأنها هي أيضًا يتيمة، لقد كانت كذلك حقًّا، كانت تجعلني أرغب في البكاء بمجرد النظر إليها، واعتدت أن أرثيها قائلة: «**آه أيتها ا شجار المسكينة الضعيفة، لو كنتِ بالخارج في غابة كبيرة ستأنست با شجار ا خرى من حولك، ولكانت الطحالب وأزهار حزيران تزيدك أنسًا بنموها على جذورك، ولما كان الغدير بعيدًا عنك، و ستمتعتِ بغناء الطيور فوق أغصانك، وكان بإمكانك أن تكبري حينها، أليس كذلك؟ لكن ليس بإمكانك أن تكبري حيثُ أنتِ ا ن، أنا أعرف تمامًا ما تشعرين به أيتها ا شجار الصغيرة.**» لقد شعرت با سف لتركها ورائي هذا الصباح. أ ترى أن المرء يصبح متعلقًا بشدة بأشياء من هذا القبيل؟ هل يوجد جدول في أي مكان بالقرب من المرتفعات الخضراء؟ لقد نسيت أن أسأل السيدة سبنسر عن ذلك.
- نعم، هناك واحد أسفل المنزل مباشرةً.
- رائع! لطالما كان أحد أحـ مي أن أعيش بالقرب من جدول، لم أتوقع قط أنني سأفعل ذلك. ا حـ م تتحقق في كثير من ا حيان، أليس كذلك؟ ألن يكون جميلًا لو تحققت دائمًا؟ لكن ا ن أشعر بسعادة شبه تامة تقريبًا. أستطيع أن أشعر بسعادة تامة ن.. حسنًا، ما اللون الذي يمكن أن تطلقه على هذا؟

أسدلت الفتاة إحدى جديلتيها الطويلتين الـ معتين على كتفها النحيف، وقامت برفعها أمام عيني ماثيو. لم يكن ماثيو معتادًا التفرقة بين ألوان شعر النساء، ولكن في هذه الحالة، يمكن أن يكون هناك مجال كبير للشك. قال ماثيو:

- إنه أحمر، أليس كذلك؟

أفلتت الفتاة الجديلة من يدها وزفرت زفرة بدت وكأنها صادرة من أعمق نقطة فيها، وكأنها أطلقت أحزان العصور جميعها معها.

- نعم، إنه أحمر (**قالت ذلك باستس م**). ا ن بدا جليًّا لك لماذا أستطيع الشعور بسعادة تامة، أحد لديه شعر أحمر يمكن أن يكون كذلك. يمكنني تقبل ا شياء ا خرى كالنمش، وا عين الخضراء، والهزال، ننني أستطيع أن أتخيل نفسي بدون هذه ا شياء بسهولة، ببشرة وردية نقية، وعينين بنفسجيتين حالمتين، لكن أستطيع تخيل نفسي بدون شعر أحمر تمامًا، لقد فعلت ما بوسعي لتخيل ذلك، وكنت أقول لنفسي: «**إن شعري ا ن أسود فاحم، أسود مثل جناح غراب.**» لكني طيلة الوقت أعرف أنه أحمر، وينفطر قلبي حيال ذلك، وسيبقى باستمرار مصدرًا لحزني ا بدي. قرأت مرة في إحدى الروايات عن فتاة شعرت بالحزن طوال حياتها لكنها لم تكن ذات شعر أحمر، كان شعرها ذهبيًّا خالصًا متموجًا على جبينها المرمري. ما هو الجبين المرمري؟ لم أتمكن من معرفة ذلك. هل يمكنك أن تخبرني؟
- أخشى أني أستطيع، ني أعرف.

أجاب بذلك ماثيو الذي بدأ يشعر بدوار طفيف، سبق وأن شعر بمثله ذات مرة في طفولته الطائشة عندما أغواه صبي آخر بركوب أرجوحة دوامة الخيل في إحدى النزهات.

- حسنًا، مهما كان المعنى، بد أنه كان شيئًا لطيفًا نها كانت جميلة بشكل بديع. هل تخيلت يومًا ما يجب أن تشعر به عندما تكون جميلًا بشكل بديع؟
- في الحقيقة، ، لم أفعل (**اعترف ماثيو بشكل صريح**).
- لقد فعلت، في كثير من ا حيان. ما الذي تفضله إذا كان لديك الخيار في أن تكون بديع الجمال أو باهر الذكاء أو م ئكي الخصال؟
- أنا.. أنا أعرف بالضبط.
- و أنا أيضًا، أستطيع أبدًا أن أقرر. لكن هذا يشكِّل فارقًا حقيقيًا، ني على ما يبدو لن أتحلى أبدًا بأي من تلك الصفات. من المؤكد أنني لن أكون م ئكية الخصال. تقول السيدة سبنسر.. أوه سيد كوثبرت! أوه سيد كوثبرت! أوه سيد كوثبرت!

لم يكن هذا ما قالته السيدة سبنسر، ولم تكن الطفلة على وشك الوقوع من العربة، ولم يفعل ماثيو أي شيء مذهل كذلك. لقد قاما ببساطة با نعطاف في الطريق ووجدا نفسيهما أمام طريق أفينيو المشجر.

كان الطريق المشجر، الذي يطلق عليه أهالي قرية نيوبريدج اسم «**أفينيو**»، ممتدًا على طول أربعمائة أو خمسمائة ياردة، ومطوَّقًا بالكامل بأشجار التفاح الضخمة المنتشرة على نطاق واسع، والتي زرعها منذ سنوات مزارع عجوز غريب ا طوار. كانت أغصان ا شجار العالية تتشابك وتتراص مكونة قبَّة ثلجية من البراعم، وقد تشبع الجو أسفلها بظ ل الشفق ا رجوانية، بينما أومضت سماء الغروب عند نهاية الطريق، وكأنها نافذة وردية[15] لكاتدرائية ما، تقع عند نهاية الممر.

أصاب جمال المشهد الطفلة بالخرس، فتراجعت مستندة إلى مقعد العربة وقد تشابكت يداها النحيلتان أمامها، وانتشى وجهها متطلعًا إلى ا على نحو فخامة ا بيض، ولم تتحرك أو تتكلم حتى بعد أن تجاوزا المكان واتجها نزولًا نحو نيوبريدج على طول المنحدر. ظلت تنظر بسكينة إلى غروب الشمس وقد احتشدت أمامهما رُؤى بديعة من خ ل خلفية متوهجة. أخذا يتابعان السير في صمت عبر قرية نيوبريدج، تلك القرية الصغيرة الصاخبة، حيث نباح الك ب وصياح ا طفال، ونظرات الوجوه الفضولية المطلَّة من النوافذ. وبعد أن قطعا ث ثة أميال مغادرين القرية، كانت الطفلة ما زالت متوقفة عن الك م. كان واضحًا أنها تستطيع التزام الصمت بقدر ما تستطيع التحدث.

- أعتقد أنك تشعرين بالتعب والجوع الشديد (**غامر ماثيو بالقول أخيرًا، مفسرًا سبب استغراقها في الصمت بالشيء الوحيد الذي خطر على باله**). لم يتبقَ لنا مسافة طويلة لنقطعها؛ فقط ميل آخر.

استفاقت الطفلة من حالة ا ستغراق في التفكير الحالم وهي تتنهد بعمق، ونظرت إليه بعين روح حالمة كانت تحلِّق بعيدًا بقيادة النجوم.

- أوه، سيد كوثبرت (**همست**). ذلك المكان الذي كنَّا فيه.. ذلك المكان ا بيض، ما هو؟
- حسنًا، بدَّ وأنك تقصدين الطريق المشجر: أفينيو (**أجاب ماثيو بعد عدة لحظات من التفكير العميق**). إنه مكان لطيف نوعًا ما.
- لطيف؟! تبدو كلمة «**لطيف**» هي الكلمة المناسبة،
- و حتى كلمة «**جميل**»، إنهما تصفان المكان بالعمق الكافي. أوه، إنه رائع.. رائع! إنه المكان الوحيد الذي رأيته دون أن يكون للخيال أي إضافةٍ عليه. لقد أشعرني با كتفاء هنا.. (**ووضعت يدها على قلبها**). لقد تسبب لي الشعور في ألم غريب ومع ذلك كان ألمًا لطيفًا. هل سبق لك أن شعرت بألم من هذا القبيل سيد كوثبرت؟

- في الواقع يمكنني تذكر إن كان راودني ذلك ا حساس من قبل.
- لقد شعرت به مرارًا، كلما رأيت شيئًا جميلًا بشكل مَلَكِي، لكن ما كان يجدر بهم تسمية هذا المكان الجميل بأفينيو.
- يوجد معنى في اسم كهذا. كان يجب أن يسموه ـدعني أفكرـ نعم.. درب البهجة ا بيض. أليس هذا اسمًا خياليًّا لطيفًا؟ عندما يعجبني اسم مكان أو شخص ما، أتخيل له اسمًا جديدًا وأفكر فيه دائمًا با سم الجديد. هناك فتاة في الملجأ كانت تُدعى هيبزيبا جنكينز، لكني دائمًا كنت أتخيل اسمها روزاليا ديفير، يمكن للناس أن يطلقوا على ذلك المكان أفينيو أو الطريق المشجر، لكني سأطلق عليه درب البهجة ا بيض. نحن ا ن على مسافة ميل واحد من الوصول للبيت؟ أنا سعيدة جدًّا وآسفة أيضًا، ن هذه الرحلة كانت ممتعة، دائمًا ما أشعر با سف عندما تنتهي ا شياء السعيدة. قد يأتي بعد ذلك شيء آخر تستمر متعته في المستقبل، لكن يمكنك أن تكون واثقًا من ذلك، بل غالبًا ما يكون ا تي أقل إمتاعًا. هذا ما عرفته من تجاربي على أي حال، لكني سعيدة بالتفكير في الوصول للمنزل. كما ترى، لم يكن لدي منزل حقيقي أستطيع تذكره. إن التفكير في العيش في منزل حقيقي يشعرني بذلك ا لم المحبب مرة أخرى. أوه، أليس هذا لطيفًا؟!

وصلت العربة إلى قمة تلَّة، أشرفت على بركة أشبه بنهر طويل متعرِّج. يقطعها عند منتصفها جسر ممتدٌّ فوقها، حيث كان حزام من الت ل الرملية بلون الكهرمان يغلقه ويفصله عن الخليج ا زرق الداكن وراءه. بدا الماء متألقًا بهالة من ظ ل ا لوان العديدة والمتقلبة؛ بالصفرة الغامقة والحمرة الوردية والخضرة ا ثيرية التي تتداخل مع ألوان أخرى لم تُعرف لها أسماء قط من قبل. تمتد البركة بعد الجسر متغلغلة في بساتين التنوب والقيقب، وقد انحنى البرقوق البري من الضفة مثل فتاة ترتدي ثوبًا أبيض وتقف على رؤوس أصابعها لتتأمل انعكاس صورتها في الماء. ومن المستنقع الواقع على رأس البركة، تعالى عزف جوقة الضفادع صافيًا وحزينًا. وعلى المنحدر الخلفي انبسط بستان تفاح يطل عليه منزل رمادي صغير، وعلى الرغم من أن العتمة لم تكن قد حلَّت بعد، فإن ضوءًا كان يتسلل من إحدى نوافذه.

قال ماثيو:

- تلك بركة باري.

- آه، لم أحب هذا ا سم أيضًا، دعني أفكر.. بحيرة المياه الـ معة.. نعم، هذا هو ا سم المناسب لها. أنا أعرف بسبب الرعشة التي شعرت بها، فعندما أصيب الهدف بإيجاد اسم مناسب تمامًا للشيء الذي أريد تسميته أُصاب بهذه الرعشة. هل تسبب لك ا شياء أي شعور با رتعاش؟

حاول ماثيو اجترار أفكاره.

- نعم، أعتقد ذلك. أنا عادة أشعر با رتعاش عندما أرى اليرقات البيضاء القبيحة وهي تتجول في غرسة القثَّاء، وأنا في الحقيقة أكره رؤيتها.
- أوه، أعتقد أن هذا نفس النوع من ا رتعاش الذي أعنيه. هل تعتقد أنه يمكن؟ يبدو أن هناك ارتباطًا كبيرًا بين اليرقات وبحيرات المياه الـ معة، أليس كذلك؟ ولكن لماذا يسميها ا خرون بركة باري؟
- أظن ن مستر باري يعيش هناك في ذلك المنزل، في منطقة تُدعى منحدر البستان. وإذا لم يكن هناك تلك ا جمة الكبيرة خلفه لكنا استطعنا رؤية المرتفعات الخضراء من هنا. علينا أن نعبر الجسر وننعطف مع الطريق، وهذا يعني أننا ما نزال على بعد نصف ميل تقريبًا.
- هل لدى مستر باري فتيات صغيرات؟ حسنًا أعني صغيرات للغاية، لكن في حجمي مثلًا؟
- لديه ابنة في الحادية عشرة من العمر تقريبًا، تُدعى ديانا.
- أوه! (**أخذت نفسًا طويلًا ثم هتفت**) يا له من اسم جميل للغاية!
- هه، أعرف حقًّا. يبدو لي أن هناك شيئًا وثنيًّا مروعًا فيه. بالنسبة لي أفضِّل لو كان اسمها جين أو ماري، أو أي اسم معقول من هذا القبيل. ولكن عندما وُلدت ديانا، كان هناك مدير مدرسة مقيم بالجوار وقاموا بإعطائه حق تسميتها، فدعاها ديانا.
- أتمنى لو كان هناك مدير مدرسة مثله عندما وُلدت. أوه، ها نحن ا ن على الجسر، سأغلق عينيَّ بشدة، ني أخشى دائمًا من عبور الجسور، و يسعني التخيل أنه بمجرد وصولنا لمنتصف الجسر سينهار تمامًا كأنه مطواة في طريقها لـ نغ ق والقضاء علينا. لذلك أغمض عينيَّ، لكن عليَّ دائمًا أن أفتحهما باتساع عندما أعتقد أننا نقترب من المنتصف، نه، كما ترى، إذا انهار الجسر، فإني سأود فعلًا رؤية انهياره. يا لها من قعقعة مرحة التي تصدر عنه! لطالما أحببت هذا الجزء من عبوره. أليس من الرائع أن هناك أشياء كثيرة تعجبك في هذا العالم؟ ها نحن قد عبرنا الجسر أخيرًا. ا ن سأنظر

للخلف. ليلة سعيدة يا بحيرة المياه الـ معة. أقول دائمًا ليلة سعيدة لـ شياء التي أحبها، تمامًا كما أفعل مع الناس. أظن أن هذه ا شياء تحب ذلك، يبدو أن المياه كانت تبتسم لي.

عندما وصلت بهما العربة إلى التلة ا خيرة وانعطف بهما الطريق، قال ماثيو:

- نحن قريبان جدًّا من المنزل ا ن. هذه هي المرتفعات الخضراء عند...

- أوه، .. تخبرني شيئًا (**قاطعته متسارعة ا نفاس، ممسكة ذراعه التي همَّ برفعها جزئيًّا مشيرًا للمرتفعات، ومغمضة عينيها حتى ترى إشارته**) دعني أخمن. أنا متأكدة من أنني سأخمن بشكل صحيح.

فتحت عينيها، وأجالت بنظرها من حولها. كانا على قمة التلة، وكانت الشمس قد غربت منذ بعض الوقت، لكن المشهد كان ما زال محتفظًا بصفائه بعد ذهاب الضوء. وفي الجهة الغربية، ارتفع برج كنيسة مظلم باتجاه السماء المخملية، ورأت أسفل التلة واديًا صغيرًا. ومن ورائه، امتد منحدر صاعد بلطف مع أبنية ريفية دافئة متناثرة على طوله. تنقلت عينا الطفلة من مبنى خر بلهفة وتوق، وأخيرًا، تهاديا في السير، على ضوء الشفق المتغلغل في الغابات المحيطة، وكانا على مسافة واحدة من المنزل إلى اليسار بعيدًا عن الطريق، حيث ظللته ا شجار المزهرة ببياض خافت، ولمعت فوقه عند سماء الجنوب الغربي الفو ذية، نجمة بلورية عظيمة، كأنها مصباح هداية وإشارة.

- ذاك هو المنزل، أليس كذلك؟ (**قالت مشيرة بيدها نحوه**).

ساط ماثيو ظهر فرسه البنية بابتهاج.

- حسنًا، لقد حزرتِ، ولكني أعتقد أن السيدة سبنسر وصفته لكِ، ولذلك تمكنتِ من معرفته.

- ، لم تفعل، حقًّا لم تفعل. كل ما قالته يتعلق تقريبًا بتلك ا ماكن التي مررنا بها. لم تكن لديَّ فكرة فعلية كيف تبدو المرتفعات الخضراء، لكن بمجرد أن رأيتها شعرت أن هذا هو البيت. أوه، يبدو كما لو أنني أحلم. هل تعلم؟ بد وأن ذراعي قد أصبح لونها أزرق داكن من المرفق إلى الساعد، ننني قرصت نفسي عدة مرات اليوم، إذ بين الحين وا خر كان ينتابني شعور مروع ومخيف من أن كل هذا لم يكن سوى حلم، إلى أن خطر لي فجأة أنني حتى لو افترضت أنه مجرد حلم فمن ا فضل لي ا ستمتاع به قدر المستطاع، لذلك توقفت عن قرص ذراعي. ولكن هذا ليس حلمًا، إنه حقيقة، ونحن على وشك الوصول إلى البيت.

تنهدَت بجذل وعادت إلى الصمت. ارتبك ماثيو وشعر بالقلق، وما طمأنه بعض الشيء أن مهمة إخبار تلك الطفلة المنبوذة أن البيت الذي تتوق إليه لن يصبح بيتها في النهاية، ستكون مهمة ماريـ .

تجاوزا غَور لينـد الذي عمه الظ م، لكنه لم يكن مظلمًا للحد الذي يجعل السيدة ريتشل قادرة على رؤيتهما من خ ل نافذتها. اتجها بعد ذلك نحو التلة ثم سلكا الطريق الطويل المؤدي للمرتفعات الخضراء. وبحلول الوقت الذي وصـ فيه إلى المنزل، كان قلب ماثيو مثقلًا بشعور غريب لم يستطع فهمه، ومنقبضًا من المواجهة المنتظرة. لم يكن يفكر بماريـ أو بنفسه أو بالمشكلة التي سيتسبب بها هذا الخطأ لهما، ولكن في خيبة أمل الطفلة. عندما فكر بذلك البريق الناري الذي سيتم إخماده في عينيها، راوده شعور غير مريح بأنه سيساعد في قتل شيءٍ ما، إلى حد كبير نفس الشعور الذي يشعر به عندما يضطر إلى نحر حمل أو عجل أو أي مخلوق صغير بريء آخر.

كان فناء المنزل غارقًا في العتمة عندما ولجا إليه، بينما أوراق شجر الحور تخشخش حوله بلطف.

- انصت إلى ا شجار وهي تتحدث أثناء نومها (**همست الطفلة لماثيو عندما حملها من العربة إلىا رض**). يا لها من أحـ م جميلة التي تحلم بها!

ثم تبعته إلى البيت، قابضة بإحكام على حقيبتها القماشية التي تحتوي على كل ما تمتلك في هذا العالم.

التنوب أو الراتنج جنس شجري يتبع الفصيلة الصنوبرية ويضم ٣٥ نوعًا، أخشابه شائعة ا ستعمال.

مقاطعة (**Prince Edward Island**) في كندا، سُمِّيت على اسم ا مير إدوارد دوق كينت.

من ألقاب النبـ ء في المملكة البريطانية، أدنى من مركيز وأرفع من فيكونت، وبعد الفتح النورماندي، أصبح لقب «**إيرل**» معادلًا للقب «**كونت**».

يشير مصطلح «**إيرل مربوط**» تاريخيًّا إلى حقيقة أنه في إنجلترا حتى القرن السابع عشر، تم منح ا يرل هذا المنصب والمكانة بشكل رمزي بواسطة سيف مربوط حول خصره. وبالتالي، فإن ا يرل المربوط هو إيرل نالت عائلته هذا الشرف منذ زمن بعيد، وبالتالي هم «**أفضل**» أو «**أعلى**» من ا يرل غير المربوطين ا خرين الذين لم يحصلوا على شرفهم بنفس الطريقة.

الشخص الذي يتم إرساله إلى بلد أجنبي للقيام بعمل ديني (**مثل إقناع الناس با نضمام إلى دين أو مساعدةا شخاص المرضى والفقراء، إلخ**).

تعبير يُقال للشخص الذي يتحدث كثيرًا.

غالبًا ما يستخدم «**Rose Window**» كمصطلح عام يطبق على أي نافذة دائرية، ولكن يستخدم بشكل خاص للنوافذ الموجودة في الكاتدرائيات والكنائس القوطية والتي تنقسم إلى أجزاء بواسطة عوارض حجرية وزخرفة.

(3)
دهشة ماريلا كوثبرت

تقدمت ماريـ بحيوية نحو الباب بمجرد أن فتحه ماثيو، لكن سرعان ما توقفت باندهاش عندما وقعت عيناها على هيئة الطفلة الصغيرة، بفستانها القبيح، بجدائلها الحمراء الطويلة، وعينيها المضيئتين بتلهف.

- ماثيو كوثبرت، من هذه؟ (**صاحت ماريـ**) أين الصبي؟
- لم يكن هناك أي صبي (**أجاب ماثيو بشكل يدعو لـ سى**). لم يكن هناك سواها (**وأومأ برأسه نحو الطفلة، متذكرًا أنه لم يسألها حتى عن اسمها**).
- لم يكن هناك صبي؟! ولكن بدَّ من وجود صبي (**أصرَّت ماريـ**). لقد أرسلنا للسيدة سبنسر رسالة شفهية لتجلب لنا صبيًّا.
- حسنًا، هي لم تفعل، بدلًا من ذلك جلبت لنا هذه الفتاة، كما علمت من مسؤول المحطة وكان عليَّ أن أحضرها للمنزل، إذ يمكن تركها وحيدة هناك بغض النظر عن ماهية الخطأ الذي وقع.
- إنه لموقف بالغ التعقيد حقًّا (**صاحت ماريـ**).

بقيت الطفلة صامتة أثناء هذا الحوار. وبينما كانت عيناها تتنقل بين المتحاورَين تتابعهما أخذت م مح الحيوية تختفي من وجهها شيئًا فشيئًا. وفجأة وبعد أن أسقطت حقيبتها القماشية أرضًا ووثبت خطوة لـ مام وشبَّكت يديها، بدت وكأنها أدركت المعنى الكامل لكل ما قيل.

- أنتما تريدانني! (**صاحت الطفلة**) أنتما تريدانني ني لستُ صبيًّا؟! كان يجب أن أتوقع ذلك من البداية. لم يرغب بي أحد من قبل قط، كان يجدر بي أن أعلم أن ما حدث كان أجمل من أن يدوم، كان يجب أن أعرف أنه أحد يريدني فعلًا. أوه، ماذا عليَّ أن أفعل؟ أنا على وشك ا نفجار بالبكاء!

ثم فعلت وانفجرت بالبكاء فعلًا.

جلست على كرسي بجانب الطاولة، مدت ذراعيها ودفنت وجهها فيهما، وشرعت في البكاء باهتياج شديد. نظر ماثيو وماريـ إلى بعضهما بحيرة من فوق الموقد حيث كانا

يقفان. لم يعرف أي منهما ماذا يقول أو يفعل. وأخيرًا، توجهت ماري نحو الطفلة في محاولة مترددة لمعالجة الموقف.

- حسنًا، بأس، ليس هناك داعٍ للبكاء.
- بلى، هناك داعٍ! (**رفعت الطفلة رأسها بسرعة، كاشفة عن وجه ملطخ بالدموع وشفاه ترتجف**) كنتِ ستبكين أيضًا إذا كنتِ يتيمة ووصلتِ إلى مكان كنتِ تعتقدين أنه سيكون منزلك ووجدتِ أنهم يريدونكَ نكِ لستِ صبيًّا. أوه، هذا هو أكثر شيء مأساوي حدث لي على ا ط ق!

شيء مثل ابتسامة مترددة، صدئة نوعًا ما نتيجة إهمال استخدام طويل، ظهرت على م مح ماري القاتمة.

- حسنًا، تبكي بعد ا ن؛ لن نطردك من ا بواب هذه الليلة. سيكون عليكِ البقاء هنا حتى نحقق في هذه القضية. ما هو اسمك؟

ترددت الطفلة للحظة، ثم قالت بلهفة:

- هل يمكنك من فضلك مناداتي بكورديليا؟
- أناديكِ كورديليا؟ أهذا هو اسمك؟
- .. .. ، إنه ليس اسمي بالفعل، ولكني أحب أن أدعى كورديليا. إنه اسم أنيق.
- أنا أعلم بحق السماء ماذا تعنين. إذا لم يكن كورديليا اسمك فما هو اسمك إذن؟
- آن شيرلي (**تلعثمت صاحبة ا سم وهي تنطق اسمها على مضض**) لكن، أوه، من فضلك نادني كورديليا، لن يكون ا مر ذا أهمية بالغة بالنسبة إليك في أن تناديني بأي اسم ما دمت لن أبقى إ مدة قصيرة، أليس كذلك؟ فاسم آن ليس شاعريًّا أبدًا.
- عجبًا، ليس شاعريًّا؟! (**هتفت ماري ب تعاطف**) آن اسم جيد، وسهل، داعي للخجل من ذلك.
- أوه، أنا أخجل منه، أنا فقط أحب كورديليا أكثر. (**وضَّحت آن**) لطالما تخيلت أن اسمي كورديليا.. هذا على ا قل ما فعلته في السنوات ا خيرة. عندما كنت صغيرة اعتدت تخيل جيرالدين كاسم لي، أما ا ن فأنا أحب اسم كورديليا أكثر، ولكن إذا كنتِ تصرين على مناداتي باسم آن، أرجوكِ قومي بمد ا لف وإشباع النون عند لفظه.
- ما الفرق الذي يحدثه ذلك في تهجئته؟

سألت ماري عن ذلك بابتسامة صدئة أخرى وهي تلتقط إبريق الشاي.

- هناك فرق كبير جدًّا، إنه يبدو أجمل بكثير عندما نمدّ ا لف ونشبع النون. عندما يُلفظ أي اسم أمامك أ تتخيلينه في ذهنك؟ أنا أفعل ذلك، واسم آن بدون مد ا لف وإشباع النون سيبدو شنيعًا، أما عندما نقول آن ونمد ا لف ونشبع النون يصبح ا سم مميزًا فعلًا. وسأوافق حينها على عدم مناداتي باسم كورديليا.
- حسنًا إذًا، وا ن.. يا آن، هلَّا أخبرتِنا كيف حدث هذا الخطأ؟ لقد أرسلنا رسالة شفهية للسيدة سبنسر بأن تجلب لنا صبيًّا. ألم يكن هناك صِبية في الملجأ؟
- أوه، بلى، كان هناك الكثير منهم، لكن السيدة سبنسر قالت بوضوح- إنكما تريدان فتاة في عمر الحادية عشرة، وقد رأت المربية المسؤولة أنني مناسبة. أنتِ تعلمين مدى سعادتي حينها، لم أستطع النوم طيلة الليلة الماضية من شدة الفرح.

أجابت الطفلة ثم التفتت نحو ماثيو وأضافت بنبرة تأنيب:

- لماذا لم تخبرني في المحطة أنك تريدني وتركتني هناك؟ إن لم أكن قد شاهدت درب البهجة ا بيض، وبحيرة المياه الـ معة، لكان ا مر أخف وطأة.
- ما الذي تعنيه بحق السماء؟ (**سألت ماريـ ، محدقة إلى ماثيو**).
- إنها.. إنها تشير فقط إلى بعض المحادثات التي أجريناها على الطريق (**أجاب ماثيو على عجل**) سأخرج ربط الفرس في الحظيرة، ماريـ . جهزي الشاي ريثما أعود.
- هل أحضرت السيدة سبنسر أي شخص غيرك؟ (**تابعت ماريـ عندما خرج ماثيو**).
- أحضرت ليلي جونز لنفسها. ليلي تبلغ من العمر خمس سنوات فقط وهي جميلة جدًّا ولها شعر بني بلون البندق. لو كنت جميلة جدًّا وكان شعري بنيًّا كنتِ ستحتفظين بي حينها؟
- . نحن نريد صبيًّا يساعد ماثيو في المزرعة؛ الفتاة لن تكون ذات فائدة لنا. اخلعي قبعتك، سأضعها مع حقيبتك على طاولة الردهة.

خلعت آن قبعتها بخنوع، وبعد أن عاد ماثيو جلسوا لتناول العشاء، لكن آن لم تستطع ا كل، وعبثًا حاولت قضم الخبز بالزبدة، وأخذ لقيمات صغيرة من مربى التفاح المحفوظة في وعاء زجاجي مدور صدفي الحافات، كان بالقرب من طبقها، لكنها لم تحرز أي تقدم على ا ط ق.

- أنتِ تأكلين أي شيء (**قالت ماريـ بحدة، وهي تنظر إليها كما لو كان ذلك عيبًا يُغتفر**).

تنهدت آن، ثم قالت:

- أستطيع، أنا غارقة في أعماق اليأس. هل تستطيعين ا كل وأنتِ غارقة؟

- لم يسبق لي أن غرقت في أعماق اليأس من قبل، لذلك أعلم (**تجاوبت ماري مع الطفلة**).
- لم يسبق لك ذلك؟ حسنًا، أسبق لكِ أن حاولتِ التخيل أنك في أعماق اليأس؟
- ، لم أفعل.
- إذن، أظن أنك ستستطيعين فهم ما أعنيه. إنه شعور غير مريح بالفعل، فعندما تحاولين ا كل تعترض حلقك غصة تمنعك من ابت ع أي شيء، حتى لو كان هذا الشيء هو قطعة شوكو تة بالكراميل. قد تناولت شوكو تة بالكراميل مرة واحدة قبل عامين وكانت لذيذة ببساطة. لطالما حلمت منذ ذلك الحين أن لدي الكثير من هذه الحلوى، لكنني دائمًا ما كنت أستيقظ عندما أهمُّ بتناولها. آمل أ تشعري با هانة ني أستطيع ا كل. الطعام جميل للغاية، لكني عاجزة عن تناول أي شيء منه.
- أعتقد أنها متعبة، من ا فضل أن تضعيها في الفراش، ماري (**قال ماثيو، الذي لم يتحدث منذ عودته من الحظيرة**).

كانت ماري تتساءل أين يجب أن تنام آن، فقد أعدت أريكة في غرفة المطبخ للصبي المرغوب والمتوقَّع قدومه، ولكن على الرغم من أن المكان كان أنيقًا ونظيفًا، فإنه يبدو مناسبًا لفتاة، وبالتأكيد لم تكن غرفة الضيوف ا حتياطية خيارًا واردًا يمكن منحه لتلك الشريدة البائسة، لذلك لم يبقَ سوى غرفة المرتفعات الشرقية. أشعلت ماري شمعة وطلبت من آن أن تتبعها، وهو ما فعلته آن بـ روح، وعندما كانتا تتجاوزان الردهة في طريقهما للسلم، أخذت آن قبعتها وحقيبتها القماشية، و حظت أن الردهة نظيفة بشكل مخيف. وتبدو غرفة المرتفعات الصغيرة التي وجدت نفسها فيها ا ن أكثر نظافة.

وضعت ماري الشمعة على منضدة بث ثة أرجل وث ث زوايا وقلبت أغطية السرير.

- أظن أن لديك ثوب نوم؟ (**تساءلت**).

أومأت آن برأسها.

- نعم لدي ثوبان للنوم، صنعتهما لي المربية المسؤولة في الملجأ. إنهما رثَّان للغاية، إذ يوجد من المال ما يكفي لـ هتمام بكل شيء في الملجأ، لذلك تبقى ا شياء دائمًا رثة. على ا قل في ملجأ فقير مثل ملجئنا. أنا أكره أثواب النوم الرثة، لكن العزاء الوحيد لذلك، أنه يمكن للمرء أن يتخيل نفسه وهو يرفل بأثواب نوم جميلة لها كشكشة حول الرقبة.

- هيَّا، اخلعي م بسك بأسرع ما يمكنك واذهبي إلى النوم. سأعود بعد بضع دقائق خذ الشمعة، فأنا أجرؤ على الوثوق بك طفائها بنفسك؛ قد تشب النار في المكان كله.

عندما ذهبت ماري ، أخذت آن تتفحص الغرفة من حولها بتوق، كانت الجدران المطلية با بيض عارية بشكل مخيف، وشعرت أن تلك الجدران المحدقة بها تتوجع من عريها. كانت ا رضية عارية أيضًا، باستثناء سجادة دائرية مضفرة في المنتصف لم ترَ آن مثلها من قبل. وفي إحدى الزوايا كان هناك سرير، مرتفع قديم الطراز، به أربعة أعمدة قاتمة اللون طفيفة ا نحناء، بينما في الزاوية ا خرى كانت الطاولة ذات الزوايا الث ثة المذكورة آنفًا مزينة بوسادة مخملية حمراء خاصة بغرس الدبابيس، صلبة بما يكفي لدرجة عقف رأس أقوى الدبابيس وأكثرها حدة. وفوق الطاولة عُلِّقت مرآة صغيرة مستطيلة على الحائط، أما النافذة فكانت في منتصف المسافة بين الطاولة والسرير تغطيها ستائر من قماش الموسلين ا بيض المكشكش، وفي الجهة المقابلة لها انتصبت المغسلة. الغرفة بأكملها توحي بقسوة يمكن أن تصفها الكلمات، مما بعث الرعدة في أوصال آن التي تخلصت على عجل من ثيابها، وارتدت ثوب النوم المهترئ وذهبت إلى السرير حيث دفنت وجهها في الوسادة وسحبت الغطاء فوق رأسها.

عندما عادت ماري لتأخذ الشمعة، كانت العديد من الم بس البالية متناثرة بشكل غير مرتب على ا رض، وكان المظهر ا هوج للسرير هو الد لة الوحيدة على وجود شخص بالغرفة.

التقطت بتروٍّ م بسَ آن من على ا رض، ووضعتها بشكل مرتب على كرسي أصفر أنيق، ثم اتجهت نحو السرير وهي تحمل الشمعة.

- ليلة هانئة. (**قالت ذلك ماري بلهجة مرتبكة ولكنها ليست خالية من العطف**).

انبثق وجه آن ا بيض بعينيها الواسعتين من تحت أغطية الفراش على نحو مفزع.

- كيف يمكنك وصفها بأنها ليلة هانئة وأنتِ تعلمين أنها ستكون أسوأ ليلة تمر عليَّ على ا ط ق؟! (**قالت آن ذلك معاتِبة ثم عادت وغاصت تحت الغطاء مُخفية نفسها من جديد**).

نزلت ماري ببطء نحو المطبخ وشرعت في غسل أطباق العشاء. كان ماثيو يدخن، مما يدل بشكل قاطع على تشوش عقله، فهو نادرًا ما كان يدخن، ن ماري عارضته كثيرًا في هذا ا مر مصرَّة على أن التدخين عادة قذرة، لكنه كان يشعر في أوقات معينة برغبة مُلحَّة تدفعه نحو التدخين، وفي مثل هذه ا وقات كانت ماري تتغاضى عن ا مر، مدركة أنه يحق للمرء إيجاد وسيلة للتنفيس عن مشاعره.

- إنها بالتأكيد مشكلة محرجة (**قالت بغضب**). هذا ما يأتي من إرسال الرسائل الشفهية بدلًا من الذهاب بأنفسنا. لقد قام أقارب ريتشارد سبنسر بتحريف تلك الرسالة بشكل ما. سيتعين على أحدنا السفر لرؤية السيدة سبنسر غدًا، هذا مؤكد، يجب إعادة هذه الفتاة إلى الملجأ.
- نعم، أظن ذلك (**قال ماثيو على مضض**).
- تظن ذلك؟! ألست على يقين بأن هذا ما يجب علينا فعله؟
- في الحقيقة إنها طفلة لطيفة ماري ، إنه لمن المؤسف أن نقوم بإعادتها إلى الملجأ في الوقت الذي استعدَّت فيه بكل أح مها للبقاء هنا.
- ماثيو كوثبرت، تقصد أن تقول إنك تعتقد أنه يجب علينا ا حتفاظ بها!

ما كانت دهشة ماري ستبدو أعظم لو أن ماثيو عبر لها عن رغبته في الوقوف على رأسه.

- .. أظن أني أقصد هذا، ليس بالضبط (**تلعثم ماثيو مدفوعًا بشكل غير مريح في زاوية المعنى الدقيق**) أفترض، بالكاد يُتوقَّع منا ا حتفاظ بها.
- يجب أن أقول ، فما النفع الذي ستجلبه لنا؟
- قد نكون نحن نافعَين لها (**أجاب ماثيو بشكل غير متوقع**).
- ماثيو كوثبرت، أعتقد أن هذه الطفلة قد سحرتك بالفعل! أستطيع أن أرى بوضوح أنك تريد ا حتفاظ بها.
- حسنًا، إنها مخلوق صغير مثير لـ هتمام حقًّا (**أصرَّ ماثيو**).
- كان يجب أن تستمعي إلى حديثها أثناء عودتنا من المحطة.
- أوه، يمكنها التحدث بـ انقطاع. قد حظت ذلك، وهذا ليس في صالحها؛ أنا أحب ا طفال الثرثارين، أريد فتاة يتيمة، وإذا فعلت فهي ليست من النمط الذي سأختاره. هناك شيء أفهمه عنها، .. يجب إعادتها مباشرة إلى المكان الذي جُلبت منه.
- يمكنني استئجار صبي فرنسي لمساعدتي (**قال ماثيو**) ويمكن أن نبقيَها لتؤنسك.
- أنا أشكو من الوحدة (**ردت ماري باقتضاب**) ولن أحتفظ بها.

قال ماثيو وهو يضع غليونه بعيدًا:

- حسنًا، كما ترين، بالطبع يا ماري . أنا ذاهب للنوم ا ن.

ذهب ماثيو إلى الفراش، وذهبت ماري أيضًا إلى الفراش عابسة بشدة بعد أن رتبت أواني المطبخ في أماكنها. وهناك، في المرتفع الشرقي، بكت طفلة ـ يتيمة وكسيرة القلب ووحيدة ـ

نفسها، حتى غلبها النوم.

(4)

صباح في المرتفعات الخضراء

كان ضوء النهار ينتشر في ا فق، عندما استيقظت آن وجلست في السرير تحدق بارتباك تجاه النافذة التي يتدفق من خ لها طوفان من أشعة الشمس المبهجة، وقد تطاير خارجها شيء أبيض ريشي يُلمَح تحت السماء الزرقاء.

لوهلة لم تستطع تذكر أين هي، وفي البداية انتابها شعور برجفة مبهجة، كشيء ممتع للغاية، ثم حلَّت عليها الذكرى المروعة، كانت هذه المرتفعات الخضراء صحاب البيت الذين يريدونها نها ليست صبيًّا!

لكنه الصباح، ونعم.. كانت تلك الشجرة التي في كامل إزهارها متسببة في تطاير زهورها البيضاء خارج نافذتها هي شجرة كرز. بقفزة واحدة غادرت السرير متجهة نحو النافذة، دفعت إطار الشباك رافعة إياه، فُتح بصعوبة وقوة، كما لو أنه لم يُستعمل منذ مدة طويلة، وقد كان كذلك فعلًا، وظلَّ محكمًا بَا على لدرجة أنه لم تكن هناك حاجة إلى أي شيء لتثبيته حتى ينزلق.

جلست آن على ركبتيها وحدقت إلى صباح ذلك اليوم من شهر حزيران، وعيناها تلمعان ببهجة. أوه، أليست المرتفعات جميلة؟ أليس هذا المكان رائعًا للغاية؟ ولتفترض أنها لن تعيش هنا، أليس بإمكانها على ا قل تخيُّل أنها ستفعل؟ ففي هذا المكان مجال واسع نط ق الخيال.

كانت شجرة الكرز ضخمة جدًّا وقريبة من نافذتها، لدرجة أن أغصانها تتكئ على جدران المنزل، شجرة غزيرة الحِمل وكثيفة للغاية با زهار، حتى إنه بالكاد يمكن رؤية أوراقها الخضراء. كان هناك بستان يظلل المنزل من جانبيه كليهما، واحد من أشجار التفاح، وا خر من أشجار الكرز تغمره ا زهار البيضاء، وتربة مكسوة بحشيش الهندباء البرية. أما الحديقة التابعة للمنزل، فقد احتلتها أشجار الليلك التي بعثت أزهارها القرمزية الرائحة الشذية التي انسابت عبر النافذة مع رياح الصباح.

عند مستوى منخفض بالنسبة للحديقة، امتد حقل أخضر مليء بالبرسيم، وانحدر نزولًا إلى الغَور حيث يجري الجدول، وقد نمت العديد من أشجار البتو البيضاء معلِنة عن تعاليها

الحيوي في الهواء على الفروة التحتية من السراخس، والطحالب، والشجيرات الخشبية. وعند نهاية الحقل ظهرت تلَّة خضراء، تكسوها أشجار الراتينج والتنوب التي تنفرج عند الوسط كاشفة عن المنزل الرمادي الذي رأته آن مساء اليوم السابق من جهة بحيرة المياه الـ معة.

وفي الناحية الشمالية من البيت، انتصبت الحظائر الكبيرة التي يتلوها حقل متدرج ا نحدار، يتيح للناظر فرصة رؤية زرقة البحر المت لئ.

تأملت عينا آن المُحبَّة للجمال كل هذه المشاهد، محاولِة ا حتفاظ بكل ما رأت بشراهة نظرها. لقد سبق وأن رأت العديد من ا ماكن البشعة في حياتها، تلك الطفلة التعِسة، وكان ما تراه في تلك اللحظة أروع من أي شيء حلمت به من قبل.

جثت هناك، غائبة عن كل شيء آخر عدا ذلك الجمال من حولها، حتى رُوِّعت فجأة بلمسة يد ماريـ على كتفها، والتي دخلت الغرفة بدون أن تشعر بها تلك الحالمة الصغيرة.

- لقد حان الوقت لترتدي م بسك (**قالت ماريـ باقتضاب**).

لم تكن ماريـ تعرف حقًّا كيف تتحدث مع الطفلة، فهي لم تتعمد القسوة والفظاظة، لكنها كانت تجهل ا سلوب المناسب لذلك.

وقفت آن وسحبت نفسًا طويلًا.

- أوه، أليس هذا رائعًا؟ (**قالت وهي تلوح بيدها لكل العالم اللطيف خارج نافذتها**).
- إنها شجرة كبيرة، تزهر بشكل رائع، لكن الفاكهة تنمو إلى حد كبير عليها أبدًا؛ تبقى صغيرة وكثيرة الديدان (**قالت ماريـ**).
- أوه، أنا أعني الشجرة فقط. هي رائعة بالطبع.. نعم، إنها رائعة بشكل متألق، فهي تزهر بطريقة جميلة كما لو أنها تعي ما تفعله. كنت أعني كل شيء؛ الحديقة والبستان والجدول والغابة، العالم الكبير العزيز بأجمعه. ألم تشعري بأنك أحببتِ العالم في صباح كهذا؟ أنا أستطيع سماع صوت قهقهة الجدول وهو يمر من هنا ا ن، هل سبق لك أن حظتِ أن تلك الجداول مرحة؟ إنها تضحك دائمًا، بل إني أستطيع سماعها حتى في أوقاتِ الشتاء التي يغلف فيها الصقيع أسطحها، أنا سعيدة جدًّا بوجود جدول قريب من المرتفعات الخضراء، ربما تعتقدين أن ا مر يُشكِّل فارقًا بالنسبة لي ما دمت تنوين إبقائي هنا، لكنه يعني لي الكثير، ننني سأتذكر دائمًا أنه كان هناك جدولَ بالقرب من المرتفعات الخضراء حتى لو لن أراها مجددًا. وإن لم يكن فيها جدول، لكنت سأنزعج وسيظل يراودني شعور من عدم ا رتياح بأنه يجب أن يكون فيها واحد. على الرغم من يأسي، فإنني لست في أعماقه هذا الصباح، يمكنني أن

أكون كذلك في أي صباح. أليس وجود الصباح في هذا العالم شيئًا رائعًا؟ لكني أشعر بالحزن الشديد، لقد كنت أتخيل للتو أنكما كنتما تريدانني فعلًا وسأبقى هنا لا بد، وكانت فكرة مريحة جدًّا أثناء استغراقي بها، ولكن أسوأ ما في تخيُّل الأشياء هو أنه بد من التوقف عن تخيلها في وقت ما وهذا موجع.

- من الأفضل أن ترتدي ملابسك الآن، وتنزلي الدرج، و تستسلمي لخيالاتك تلك (**قالت ماري بمجرد أن سنحت لها الفرصة للتحدث**).
- طعام الفطار جاهز. قومي بغسل وجهك وتمشيط شعرك، واتركي النافذة مفتوحة كما هي، ورتبي أغطية السرير. كوني منظمة بقدر المستطاع.

بدا من الواضح أن باستطاعة آن تدبر بعض الأمور ببراعة، نها نزلت لأ فطار بعد عشر دقائق، وقد ارتدت ملابسها ومشطت شعرها وسوَّت جدائله وغسلت وجهها، وعلى الرغم من ملامح الارتياح التي بدت على وجهها نها أوفت بجميع متطلبات ماري ، فإنها قد نسيت ترتيب أغطية السرير.

- أنا جائعة للغاية هذا الصباح (**هتفت وهي تجلس على الكرسي الذي وضعته لها ماري**) يبدو العالم وكأنه قفر كما حدث الليلة الماضية. يسعدني حقًّا أن يكون هذا الصباح مشرقًا، على الرغم من أني أحب الصباحات الممطرة أيضًا. أرى أن كل أنواع الصباحات ممتعة، أ تعتقدان ذلك؟ إن المرء في الصباح يعلم ما الذي سيحدث خلال بقية اليوم، وهذا يفسح المجال للتخيل. لكني سعيدة ن الطقس ليس ممطرًا اليوم نه من السهل أن يستقبل المرء يومه مبتهجًا متحملًا ما يواجهه في يومه في الصباحات المشرقة، وأنا ن أشعر أنني أمتلك طاقة كبيرة للتحمل، إنه لمن الممتع أن يقرأ المرء عن الأحزان ويتخيل نفسه يعيش فيها بطريقة بطولية، لكن الأمر ليس بتلك المتعة عندما تجبره الحياة على عيش تلك الأحزان حقًّا، أليس كذلك؟
- ألجمي لسانك، بحق السماء (**هتفت ماري**) أنتِ تتحدثين كثيرًا جدًّا بالنسبة إلى فتاة صغيرة.

عندئذ، ألجمت آن لسانها بطاعة عمياء لدرجة أن استمرار صمتها جعل ماري تشعر بالتوتر إلى حد ما، كما لو أنها في حضرة شيء غير طبيعي. ألجم ماثيو أيضًا لسانه، لكن هذا طبيعي بالنسبة لشخص مثل ماثيو، وهكذا أخذت الوجبة مجراها في صمت مطبق.

أصبحت آن شاردة الذهن أكثر وأكثر، تأكل بطريقة آلية وعيناها الكبيرتان مثبتتان بصورة غير مرئية على السماء خارج النافذة، جعل هذا ماري أكثر عصبية مما سبق، بل وشعرت

بانزعاج شديد حساسها أنه على الرغم من وجود جسم تلك الطفلة غريبة ا طوار في المطبخ معهما، فإن هذا الوجود المادي لم يمنع روحها من التحليق بعيدًا، تحملها أجنحة الخيال نحو أحد عوالم الغيم القصيَّة. ومن يرغب بوجود طفلة مثلها في بيته؟

ومع ذلك تمنى ماثيو أن يحتفظ بها، من بين كل ا مور التي تقع خارج الحسبان! شعرت ماريـ أنه يريدها هذا الصباح تمامًا كما كان في الليلة السابقة، وأنه سيستمر في رغبته تلك. لقد كانت هذه طريقة ماثيو في معالجة ا مور بأخذ نزواته لرأسه والتشبث بها بإصرار مدهش وصامت للغاية؛ إصرار أقوى بعشر مرات وأكثر فعالية مما لو كان أفصح عنه بالكـ م.

خرجت آن من خيا تها، وعادت إلى الواقع عندما انتهى ا فطار، وعرضت على ماريـ جلي الصحون.

- أيمكنك غسلها جيدًا؟ (**سألت ماريـ بارتياب**).
- نعم، أنا أتقن ذلك، على الرغم من أني أكثر مهارة في رعاية ا طفال، ني أملك خبرة واسعة في هذا المجال، ومن المؤسف حقًّا ألَّا يوجد لديكما أطفال رعاهم.
- ينقصني المزيد من ا طفال عتني بهم في الوقت الحالي؛ أنتِ مشكلة بما فيه الكفاية، و أعرف حقًّا ما الذي ينبغي أن أفعله معك، ماثيو هو أكثَر الرجال سخافة على ا ط ق.
- أعتقد أنه شخص رائع (**قالت آن بلهجة عتاب**) فهو عطوف جدًّا، لم يكن يمانع ثرثرتي، وبدا أنه أحبَّ حديثي. شعرتُ أنه توأم لروحي بمجرد أن رأيته.
- ك كما غريب ا طوار بما فيه الكفاية، إذا كان هذا ما تقصدينه بتوأم الروح (**قالت ماريـ**). نعم يمكنك جلي الصحون، استعملي كمية وافرة من الماء الساخن، وتأكدي من تجفيفها جيدًا بعد غسلها. لدي ما يكفيني من المشاغل هذا الصباح ني سأذهب بعد الظهر إلى بلدة وايت ساندس رى السيدة سبنسر، ستأتين معي وسنقرر ما يجب فعله معك. بعد ا نتهاء من ا طباق اصعدي ورتبي سريرك.

غسلت آن الصحون بمهارة كافية، كما حظت ماريـ التي أخذت تراقبها بعين يقظة، ثم ذهبت لترتيب سريرها، لكنها لم تنجح بشكل جيد في تسوية الفراش نها لم يسبق وأن تعلمت فن الصراع مع أكياس الوسائد الريشية، ولكن في النهاية تمت تسويته بطريقة أو بأخرى. ثم اقترحت عليها ماريـ ـلتتخلص منهاـ أن تغادر البيت وتتسلى خارجه حتى يحين موعد الغداء.

طارت آن إلى الباب، بوجه مشع وعينين متوهجتين، لكنها سرعان ما توقفت بمجرد وصولها عتبة الباب، تلفتت حولها ثم استدارت وعادت لتجلس بجوار الطاولة، وقد خبا توهجها كما لو أن أحدهم قام بإطفائها بمطفأة حريق!

- ما ا مر ا ن؟ (**سألت ماريلا**).
- أنا أجرؤ على الخروج (**قالت آن بنبرة شهيد يتنازل عن كل أفراح ا رض**) إذا لم أستطع البقاء هنا فـ فائدة من تعلقي بالمرتفعات الخضراء، وإذا خرجت إلى هناك وتعرفت على كل تلك ا شجار والزهور والبساتين والجداول، فلن يكون ولعي بها مساعدًا لي في تلك الحالة. ا مر صعب بما يكفي ا ن، لذا لن أجعل ا مر أكثر صعوبة. أريد أن أخرج كثيرًا، يبدو أن كل شيء يناديني بالخارج، «آن، آن، تعالي إلينا.. آن، آن.. نريد رفيقة نلعب معها. مع ذلك، من ا فضل أ أجيب تلك النداءات، فـ فائدة من الولع با شياء إن كنت سأُنزَع منها. أليس كذلك؟ وإنه من الصعب جدًّا أن أتوقف عن الولع با شياء التي أراها حولي. لهذا السبب كنت سعيدة جدًّا عندما علمت أنني سأعيش هنا. اعتقدت أنه سيكون لدي الكثير من ا شياء حبها، وأنه شيء سيعيقني عن ذلك. لكن هذا الحلم القصير قد أعلن نهايته، وها أنا قد استسلمت لمصيري ا ن، لذلك لن أخرج خوفًا من أن أثور على هذا المصير مرة أخرى. من فضلك، ما اسم نبتة إبرة الراعي[16] تلك الموجودة على حافة النافذة؟
- إنها إبرة الراعي بعبير التفاح.
- أوه، أنا لم أقصد هذا النوع من ا سماء، إنما عنيت ا سم الذي تطلقينه عليها بنفسك، أ تطلقين عليها أي اسم؟ أيمكنني تسميتها إذًا؟ يمكنني تسميتها.. دعيني أفكر.. حسنًا.. «**بوني**» سيكون اسمًا مناسبًا. من فضلك، اسمحي لي بتسميتها بوني أثناء وجودي هنا.
- يا إلهي، أنا أهتم حقًّا بأي اسم تطلقينه عليها. لكن بحق السماء ما الفائدة من إط ق اسم على نبتة إبرة الراعي؟!
- أوه، أحب أن يكون لـ شياء أسماء حتى لو كانت مجرد نبتة إبرة الراعي، فا سماء تجعل ا شياء أقرب إلى البشر. ومن أين لك أن تعرفي أن تسمية إبرة الراعي بهذا ا سم يضر مشاعرها؟ بالتأكيد لن تحبي أن يطلق عليك الناس اسم امرأة فقط. نعم، سأسميها بوني. لقد سميت شجرة الكرز تلك خارج نافذة غرفة نومي هذا الصباح

أيضًا؛ أسميتها «**ملكة الثلج**» نها كانت بيضاء للغاية. بالطبع لن تكون دائمًا في حالة إزهار، ولكن يمكن للمرء أن يتخيل أنها كذلك.

- لم أسمع ولم أرَ أي مخلوق يشببها طيلة حياتي (**تمتمت ماري وهي تتراجع نحو القبو من أجل جلب بعض البطاطا**). إنها مثيرة لـ هتمام كما يقول ماثيو. وإني تساءل ا ن، بحق السماء، ما الذي تنوين قوله بعد ذلك؟ إنها على وشك رجمي بتعويذة ما، كما فعلت مع ماثيو. وتلك النظرة التي حدجني بها عندما غادر البيت اليوم، عبَّرت بشكل آخر عن كل ما قاله أو لمَّح إليه الليلة الماضية. كنتُ أتمنى لو أنه مثل الرجال ا خرين الذين يستطيعون التحدث عن ا مور، لو كان من هذا النوع لكان بإمكان المرء أن يناقشه بالمنطق. ولكن كيف يمكن التفاهم مع رجل يتكلم فقط بعينيه؟

عندما عادت ماري من القبو، وجدت آن قد سرحت في خيا تها من جديد، واضعة ذقنها بين يديها وعيناها شاخصة باتجاه السماء، وهناك تركتها ماري حتى أصبح الغداء جاهزًا على الطاولة.

- أظن أنه يمكنني الحصول على العربة والفرس هذا المساء ماثيو؟ (**سألته ماري**).

أومأ ماثيو برأسه ونظر بحزن إلى آن. اعترضت ماري النظرة، وقالت بتجاهل:

- سأذهب إلى وايت ساندس لتسوية هذا ا مر. سآخذ آن معي ومن المحتمل أن تتخذ السيدة سبنسر الترتيبات عادتها إلى نوفا سكوشيا في الحال. سأقوم بإعداد الشاي من أجلك وسأكون في المنزل في الوقت المناسب لحلب ا بقار.

لم ينبس ماثيو ببنت شفة، وأحست ماري بأن ما قالته ذهب أدراج الرياح. يوجد شيء أكثر خطورة من رجل يمتنع عن ا جابة، إ المرأة عندما تمتنع عن ذلك.

ربط ماثيو الفرس إلى العربة في الوقت المناسب، وفتح لهما بوابة الفناء التي انطلقت عبرها العربة ببطء، وعندما أوشكت العربة على ا نط ق بماري وآن، قال بدون أن يبدو أنه يوجه حديثه إلى شخص معين:

- جيري بوتي، ذلك الصغير الساحلي، كان هنا هذا الصباح، وأخبرته أنني سأعيِّنه لخدمتي في هذا الصيف.

لم تقدم ماري أي رد، لكنها ساطت ظهر الفرس التعسة بقسوة جعلت الفرس السمينة غير المعتادة على مثل هذه المعاملة تئن، وهبَّت فزِعة على درب المرتفعات الخضراء.

وبينما مضت العربة في طريقها لـ مام، التفتت ماري إلى الوراء ونظرت باتجاه ماثيو الذي كان ينحني مرتكزًا على البوابة، مشيِّعًا العربة بحزن بادٍ على وجهه.

عبارة عن عشبة متميزة تابعة لفصيلة تُعرف باسم الغرنوقيات، ولهذه النبتة أوراق خضراء فاتحة، أما بالنسبة لـ زهار فهي وردية وبنفسجية اللون، ويتميز ساق العشبة بأنّه دقيق ولونه أحمر وهو منتفخ من جهة العقد.

(5)
حكاية آن

- أتعلمين..؟ (**أسرَّت آن لماري**) لقد اتخذت قراري با ستمتاع بهذه السفرية، فخبرتي تؤكد لي أنه بإمكانك ا ستمتاع با شياء إذا اتخذتِ قرارك بحزم. طبعًا، يجب أن تكون النية حازمة، لذلك أنا لن أفكر في أمر عودتي إلى الملجأ أثناء سفرنا، فقط سأفكر في رحلتنا هذه. أوه، انظري! هناك زهرة برية متفتحة قبل أوانها، أليست جميلة؟ أ تعتقدين أنها سعيدة لكونها زهرة؟ أما كان من الرائع لو أن الزهور تستطيع التحدث؟ أنا متأكدة أنها لو فعلت ستطاعت أن تحكي لنا قصصًا لطيفة. أليس اللون الوردي هو اللون ا كثر سحرًا في العالم، أنا أحبه، لكنني أستطيع ارتداءه؛ يمكن لـ شخاص ذوي الشعر ا حمر ارتداء اللون الوردي، و حتى في الخيال. هل سبق لكِ معرفة أي شخص شعره أحمر عندما كان صغيرًا، لكنه تحول إلى أي لون آخر عندما كبر؟
- ، لم يسبق لي أن رأيت شيئًا كهذا (**قالت ماري ب رأفة**). و أظن أنه من المحتمل أن يحدث ذلك في حالتك أيضًا.

تنهدت آن.

- بأس، ها هو أمل آخر يودعني، إن حياتي «**مقبرة مثالية لـ مال المدفونة**»، هذه جملة كنت قد قرأتها في كتاب ذات مرة، ودائمًا ما أقولها عزي نفسي كلما شعرت بخيبة أمل في أي شيء.
- أرى من أين تأتي التعزية في مثل هذه الجملة (**قالت ماري**).
- لماذا؟ إنها تبدو لطيفة وعاطفية جدًّا، تمامًا كما لو كنتِ بطلة في كتاب. كما تعلمين، أنا مغرمة با شياء العاطفية، والمقبرة المليئة با مال المدفونة هي أفضل صورة عاطفية يمكن للمرء أن يتخيلها. أنا سعيدة ننني أمتلك واحدة. هل سنمر اليوم ببحيرة المياه الـ معة؟
- لن نمر ببركة باري، إذا كان هذا ما تعنينه ببحيرة المياه الـ معة الخاصة بك. سنسلك طريق الشاطئ.

- يبدو اسم طريق الشاطئ جميلًا (**قالت آن بلهجة حالمة**). هل هو جميل مثل جمال اسمه؟ لقد رأيت صورته في ذهني سريعًا بمجرد أن لفظتِ اسمه، وأرى أن اسم بلدة وايت ساندس جيد أيضًا، لكني أحبه بمقدار حبي سم بلدة أفونليا؛ أفونليا اسم جميل، له وقع موسيقي. كم تبعد وايت ساندس عنَّا؟
- إنها على مسافة خمسة أميال، وبما أنك عازمة بشكل واضح على التحدث، فقد تجعلين حديثك مفيدًا أيضًا بإخباري بما تعرفينه عن نفسك.
- أوه، ما أعرفه عن نفسي يستحق أن أقوله حقًّا (**قالت آن بحماس**). إذا سمحتِ لي فقط أن أخبرك بما أتخيله عن نفسي، فأعتقد أن ذلك سيكون أكثر إثارة لـ هتمام.
- ، أريد أيًّا من تخي تك، أريد منك ا لتزام فقط بالحقائق المجردة. ابدئي من البداية. أين ولدتِ وكم عمركِ؟
- كنت في الحادية عشرة من عمري في مارس الماضي (**قالت آن مستسلمة للحقائق المجردة بقليل من التنهد**). ولدت في بولينغبروك، نوفا سكوشيا. كان اسم والدي والتر شيرلي، وكان مدرسًا في مدرسة بولينغبروك الثانوية. اسم والدتي هو بيرثا شيرلي. أليس والتر وبيرثا اسمَين جميلين؟ أنا سعيدة جدًّا ن والديَّ كان لديهما أسماء لطيفة. سيكون عارًا حقيقيًّا إن كان اسم أبي مثلًا.. حسنًا، نقول جيداديا، أليس كذلك؟
- أعتقد أنه يهم ما هو اسم الشخص ما دام قد كان حسن الخلق (**علَّقت ماريـ التي شعرت أن الموقف يتطلب منها غرس فضيلة جيدة ومفيدة في نفس آن**).
- حسنًا، أعرف. (**قالت آن مستغرقة في التفكير**). قرأت في كتاب ذات مرة أن رائحة الوردة بأي اسم آخر تظل زكية، لكنني لم أستطع قط تصديق ذلك. أعتقد أن الوردة ستكون لطيفة إذا كانت تسمى شوكًا أو ملفوف الظربان[17]. بالتأكيد والدي كان سيبقى رجلًا صالحًا حتى لو كان يُدعى جيداديا، لكني في نفس الوقت أعتقد أن هذا ا سم مصيبة. حسنًا، كانت والدتي معلمة في المدرسة الثانوية أيضًا، لكن عندما تزوجت بوالدي تخلت عن مهنة التدريس بالطبع، فالزواجِ وحده مسؤولية كافية. أخبرتني السيدة توماس إن والديَّ كانا طفلين فقيرين ومعدَمين مثل فئران الكنيسة. ذهبا للعيش في منزل أصفر صغير الحجم في بولينغبروك. لم أرَ هذا المنزل من قبل، لكني تخيلته آ ف المرات. أعتقد أن نافذة الردهة كانت تطل على شجيرات زهر العسل، وأن الفناء ا مامي كان مزينًا بزهور الليلك وزنابق الوادي العطرية، نعم، وستائر موسلين تغطي جميع نوافذ المنزل، فستائر الموسلين تضفي جوًّا خاصًّا على البيوت.

لقد وُلدت في ذلك المنزل، أخبرتني السيدة توماس أنني كنت أكثر طفلة قبيحة رأتها على ا ط ق، فقد كنت هزيلة جدًّا وكل جزء مني بالغ الصغر عدا عينيَّ، لكن أمي كانت ترى أنني جميلة تمامًا. أ ترين أن ا م قاضٍ أفضل ط ق ا حكام من امرأة مسكينة أتت من أجل تنظيف المنزل؟ على كل حال، أنا سعيدة نها كانت راضية بي، وكنت سأشعر بالحزن البالغ لو علمت أنني تسببت بخيبة أمل لها، فهي لم تعش طويلًا بعد ذلك وماتت من الحمى عندما كان عمري ث ثة أشهر فقط، تمنيت لو عاشت طويلًا بما يكفي ستطيع تذكر لحظات مناداتي لها بأمي. أ تظنين أنه من الرائع أن ينادي المرء أمه متلفظًا ماما؟ وبعد ذلك، أصيب أبي بالحمى أيضًا، وتُوفي بعدها بث ثة أيام. وهكذا أصبحت يتيمة واحتار الناس في أمري، ولم يعرفوا ماذا يفعلون بي. فكما ترين، أحد أرادني منذ لك الوقت، يبدو أنه قدري. أبي وأمي قد أتيا من مناطق قاصية، وكان من المعروف أنهما ليس لديهما أي أقارب على وجه الحياة، وفي النهاية قررت السيدة توماس أن تأخذني، على الرغم من أنها فقيرة ولديها زوج سكير، وربتني بيديها كما اعتادت أن تقول. هل تعرفين ما إذا كان هناك شيء في التربية اليدوية يجعل الناس الذين تربوا بهذه الطريقة أفضل من ا خرين؟ ننني كلما أسأت التصرف، كانت تقول لي بلهجة عتاب كيف أكون فتاة سيئة بمثل هذا السلوك وقد ربتني بيديها! وبعد ذلك، انتقل السيد والسيدة توماس من بولينغبروك إلى ماريسفيل، وعشت معهما حتى بلغت سن الثامنة، وخ ل تلك الفترة كنت قد ساعدت في رعاية أطفال آل توماس الذين بلغ عددهم أربعة أطفال في عمر أصغر مني، وأستطيع أن أخبرك حقًّا أنهم تطلبوا الكثير من الرعاية. ثم قُتل السيد توماس مدهوسًا أسفل عج ت قطار، وحينها عرضت أمه على السيدة توماس أن تعتني بها هي وأو دها، لكنها لم ترغب في وجودي. كانت السيدة توماس في قمة حيرتها، كما قالت، ولم تدرِ ماذا تفعل معي، ثم جاءت السيدة هاموند التي تسكن أعلى النهر وعرضت أن تأخذني، وبخاصة وبعد أن سمعت عن مهاراتي في رعاية ا طفال، وذهبت معها إلى السكن في الضفة العليا من النهر في مكان صغير مصنوع من جذوع ا شجار، كان موحشًا للغاية. وأنا متأكدة أنني لو لم أكن ذات خيال خصب، لما استطعت العيش هناك. كانت السيدة هاموند تعمل في منشرة للخشب صغيرة هناك، وكان لديها ثمانية أطفال، فقد أنجبت توائم ث ث مرات متتالية! أنا أحب ا طفال لكن بشكل معتدل، فإنجاب توائم لث ث مرات متتالية هو شيء يفوق ا حتمال، هذا ما أخبرت السيدة هاموند به بحزم

شديد عندما أنجبت التوأم ا خير، فكم كنت أشعر بالتعب الشديد جرَّاء ا عتناء بهم! عشت في أعالي النهر مع السيدة هاموند ما يزيد على العامين، وبعد ذلك تُوفي السيد هاموند، فهجرت السيدة هاموند بيتها، وقامت بتقسيم أبنائها وتوزيعهم على أقاربها، وغادرت إلى الو يات. وكان عليَّ أن أذهب إلى الملجأ حينها، ن أحدًا لم يُرِدني، ولم يريدوني في الملجأ أيضًا؛ قالوا إن المكان مكتظ للغاية، و ينقصه المزيد، غير أنهم أُجبِروا على إيوائي، وبقيت هناك لمدة أربعة أشهر إلى أن جاءت السيدة سبنسر.

أنهت آن حكايتها وتنهدت بارتياح هذه المرة. من الواضح أنها لم تكن تحب الحديث عن تجاربها في عالم لم يكن يريدها.

- هل سبق لك ارتياد المدرسة؟ (**سألتها ماري ، وهي تنعطف بالفرس البنية نزولًا نحو طريق الشاطئ**).
- ليس كثيرًا، ذهبت قليلًا في السنة ا خيرة التي قضيتها مع السيدة توماس، ولكن عندما انتقلت للضفة العليا من النهر، كنا نبعد كثيرًا عن المدرسة، لذلك لم أستطع الذهاب إليها مشيًا في الشتاء، و في الصيف نه فترة ا جازة، لذلك كنت أستطيع الذهاب فقط في فصلَي الربيع والخريف. لكن بالطبع كنت أذهب للمدرسة أثناء إقامتي في الملجأ، وأستطيع القراءة بشكل جيد وأحفظ الكثير من المقطوعات الشعرية عن ظهر غيب، مثل: معركة هوهنليندن وإدنبرة بعد الطوفان، وبينجن من نهر الراين، والعديد من مقطوعات سيدة البحيرة، ومعظم مقطوعات كتاب: الفصول بقلم جيمس طومسون. أ تحبين الشعر الذي يمنحك شعورًا بالقشعريرة؟ هناك قطعة في كتاب الصف الخامس عنوانها: سقوط بولندا، مليئة با ثارة، بالطبع أنا لم أكن في الصف الخامس، بل الرابع، لكن الفتيات الكبيرات كن يعرنني كتبهن قرأها.
- هل كانت المرأتان.. أعني السيدة توماس والسيدة هاموند طيبتين معك؟
- أوه.. (**تلعثمت آن واحمر وجهها الصغير الحساس فجأة مصطبغًا باللون القرمزي وظهر الحرج على جبينها**) أوه، لقد قصدتا أن تكونا كذلك، أعلم أنهما قصدتا أن تكونا طيبتين ولطيفتين قدر ا مكان. وعندما ينوي الناس معاملتك بطيبة، فإنك لن تهتمي كثيرًا إذا لم يتصرفوا دائمًا حسب نياتهم، فقد كان لديهما الكثير من ا مور التي تقلقان من أجلها، فكما أخبرتك؛ إنه من المرهق جدًّا أن يكون لديك زوج سكير، ومن ا كثر صعوبة أن تنجبي توائم لث ث مرات متتالية، أليس كذلك؟ ولكني متأكدة من أنهما كانتا تقصدان معاملتي معاملة طيبة.

لم تطرح ماريه المزيد من ا سئلة. سلمت آن نفسها إلى نشوة من الصمت على طريق الشاطئ ووجهت ماريه الفرس كأن شيئًا لم يكن، بينما كانت تفكر بعمق، وقد بدأ شعور الشفقة يطرق قلبها حيال الطفلة، يا لها من حياة تعسة وكريهة تلكَ التي عاشتها هذه الطفلة! حياة الكدح والفقر وا همال، فقد كانت ماريه امرأة فطنة بما يكفي لتستطيع قراءة ما هو متوارٍ بين السطور في حكاية آن لتستشف الحقيقة منها، وتيقنت أنه عجب أنها كانت مسرورة للغاية مكانية الحصول على منزل حقيقي. كان من المؤسف أن تضطر حقًّا عادتها إلى الملجأ، ماذا لو تساهلت ماريه وتنازلت أمام نزوة ماثيو غير المنطقية وتركتها تبقى؟ لقد كان ماثيو مصرًّا على ذلك، كما أن الطفلة تبدو لطيفة وقابلة للتوجيه.

فكرت ماريه : «**لديها الكثير لتقوله، مع ذلك يمكن توجيهها ا ق ع عن تلك العادة، با ضافة إلى أن ألفاظها ليست وقحة أو شعبية، إنها مهذبة، ومن المرجح أن ذويها كانوا أناسًا طيبين.**»

كان طريق الشاطئ غابيًّا، ومقفرًا، وموحشًا. نَمَت على يمينه أشجار التنوب، والتي لم تنقطع أرواحها على الرغم من سنوات الصراع الطويلة مع رياح الخليج. وعلى شِماله امتدت منحدرات جرف الصخر الرملي ا حمر الذي يقترب كثيرًا من بعض المناطق في الطريق. وفي ا سفل عند قاعدة الجرف امتد البحر مت لئًا بزرقته الجاذبة للنوارس التي لمعت أجنحتها كالفضة تحت ضوء الشمس للتحليق فوقه.

- أليس البحر بديعًا؟ (**تساءلت آن مستفيقة من شرودها الطويل**). عندما كنت أعيش في ماريسفيل، استأجر السيد توماس عربة نقل سريعة وأخذنا جميعًا لقضاء اليوم على شاطئ يبعد عنَّا مسافة عشرة أميال. لقد استمتعت بكل لحظة في ذلك اليوم، على الرغم من أنني كنت مضطرة لرعاية ا طفال طيلة الوقت. وظللت أعيش هذا اليوم لعدة سنوات متتاليات في أح مي مرارًا وتكرارًا، لكن هذا الشاطئ أجمل من شاطئ ماريسفيل. أليست تلك النوارس رائعة؟ هل تحبين أن تكوني نورسًا؟ أعتقد أنني سأحب ذلك، هذا إذا لم أستطع أن أكون فتاة بشرية. أ ترين أنه من اللطيف أن يستيقظ المرء مع شروق الشمس، ثم ينقض على الماء، ثم يحلِّق بعيدًا في تلك السماء الزرقاء الجميلة طيلة النهار، ثم يعود ليلًا لعشِّه؟ أوه، إنني أستطيع تخيل نفسي أقوم بذلك. ما ذاك البيت الذي يلوح أمامنا، من فضلك؟
- ذاك هو فندق وايت ساندس، الذي يديره السيد كيرك، لكن الموسم لم يبدأ بعد، فالعديد من ا مريكيين يقصدونه في الصيف، فهم يعتقدون أن هذا الشاطئ مناسب تمامًا لقضاء عطلتهم.

- كنت أخشى أن يكون بيت السيدة سبنسر (**قالت آن بحزن**)، أريد الوصول إلى هناك. بطريقة ما، سيبدو ا مر وكأنه نهاية كل شيء.

ويسمى أيضًا الملفوف النتن؛ نبات ينمو في المستنقعات والجداول الضحلة، وتنبعث منه رائحة كريهة جدًا.

(6)

قرار ماريلا

على الرغم من خشية آن من الوصول، فإنهما وصلتا إلى هناك في ا وان المحدد لمنزل السيدة سبنسر الكبير المطلي باللون ا صفر والذي يقع عند الخليج الصغير لبلدة وايت ساندس. ومع قدومهما توجهت السيدة سبنسر إلى الباب بع مات من الدهشة والترحيب المختلطة على محياها الحسن.

- عزيزتي، عزيزتي (**هتفت**)، أنتِ آخر شخص كنت أتوقع قدومه اليوم، لكني حقًّا سعيدة لرؤيتك، أترغبين بإراحة فرسك في الحظيرة؟ وكيف حالك آن؟
- أنا بأفضل حال من الممكن أن أكون عليه، شكرًا لك (**قالت آن بـ ابتسامة، وكأنَّ مصيبة ما قد نزلت عليها**).
- أظن أننا سنبقى قليلًا لحين إراحة الفرس، ننى وعدت ماثيو أن أعود إلى المنزل مبكرًا. في الحقيقة قد وقع خطأ ما بيننا سيدة سبنسر، وأنا هنا ستوضح عن السبب. لقد أرسلنا لكِ أنا وماثيو رسالة شفهية لكي تحضري لنا صبيًّا من الملجأ. طلبنا من أخيكِ السيد روبرت أن يخبرك بأننا نريد تبني صبيًّا في العاشرة أو الحادية عشرة من العمر.
- أوه.. تقولي هذا يا ماريـ كوثبرت! (**قالت السيدة سبنسر بانزعاج**). لقد أرسل روبرت لي رسالة شفهية مع ابنته نانسي وأخبرتني أنكما تريدان فتاة، أليس هذا ما قالته يا فلورا جين؟ (**ناشدت السيدة سبنسر ابنتها التي كانت قد وصلت إلى عتبة الدرج**).
- هذا ما قالته تمامًا يا آنسة كوثبرت (**أكَّدت فلورا جين حديث أمها بجدية**).
- أنا آسفة حقًّا (**قالت السيدة سبنسر**)، إنه خطأ شائن جدًّا، لكنه بالتأكيد لم يكن خطئي، فكما ترين، لقد بذلت قصارى جهدي وكنت أعتقد أنني اتبعت تعليماتك. نانسي فتاة فظيعة وطائشة، ودائمًا ما تضطرني لتوبيخها بسبب إهمالها.
- لقد كان ذلك خطأنا (**قالت ماريـ باستـ م**)؛ كان يجب أن نأتي إليكم بأنفسنا وأ نترك رسالة مهمة كتلك يتم نقلها شفهيًّا بهذه الطريقة. على أي حال، لقد وقع الخطأ والشيء

الوحيد الذي يجب فعله هو تصحيحه. هل يمكننا إعادة الطفلة إلى الملجأ؟ أظن أنهم لن يرفضوا استعادتها، أليس كذلك؟

- أظن ذلك (**أجابت السيدة سبنسر بتمعن**). لكني أرى أنه من الضروري إعادتها، كانت السيدة بيتر بلويت هنا با مس، وأبدت لي أسفها نها لم تطلب مني أن أحضر لها فتاة صغيرة لتساعدها، فهي لديها عائلة كبيرة، كما تعلمين، وتجد صعوبة في الحصول على من يساعدها. ستكون آن الفتاة المناسبة لها، إن ما حدث أسميه تدبيرًا إلهيًّا.

لم يبدُ على ماري ا قتناع بأن للتدبير ا لهي ء قة كبيرة بالموضوع، وعلى الرغم من أنها كانت فرصة جيدة بشكل غير متوقع للتخلص من هذه اليتيمة غير المرحَّب بها، لكنها لم تشعر حتى بالشكر لتلك الفكرة.

لم تكن ماري تعرف السيدة بيتر بلويت إ من مظهرها الخارجي، فقد كانت امرأة ذات وجه صغير سليط، من غير أي أونصة لحم زائد تكسو عظامها. لكنها سمعت عنها الكثير، فقد كان يقال عنها إنها عاملة وحُوذية فظيعة، با ضافة إلى الحكايات المخيفة التي حكتها الخادمات المسرَّحات بعد خدمتهن عن مزاجها السيئ وبخلها الشديد، وعائلتها التي تتكون من أطفال مشاكسين ووقحين. شعرت ماري بتأنيب الضمير بمجرد التفكير في تسليم آن ووضعها تحت رحمة السيدة بلويت.

- حسنًا، سأدخل لنتحدث عن الموضوع وننهي هذا ا مر (**قالت ماري**).
- ولكن، يا إلهي! ها هي السيدة بلويت في نهاية الدرب تتجه إلينا في تلك اللحظة المباركة! (**هتفت السيدة سبنسر وهي ترشد ضيفتيها عبر الردهة نحو قاعة ا ستقبال، إذ أصابتهما قشعريرة كبيرة بمجرد دخولهما جرَّاء موجة برد قارس نُفثت في وجوههما، كما لو أن الهواء ضُغط هناك لفترة طويلة خلف الستائر الخضراء السميكة المسدلة بإحكام، لدرجة أنه فقد كل ذرة دفء يمكن أن يحتويها**). إنه لحظ سعيد حقًّا، نه يمكننا تسوية ا مر على الفور. تفضلي واجلسي على ا ريكة يا آنسة كوثبرت، واجلسي أنتِ يا آن على ذلك المتكأ العثماني و تتهزهزي. دعوني آخذ قبعاتكم، وأنتِ يا فلورا، اذهبي وضعي غ ية الماء على النار. مساء الخير سيدة بلويت، كنا نقول إن قدومك في تلك اللحظة هو من حسن حظ الجميع. اسمحا لي أن أعرفكما على بعضكما أيتها السيدتان: السيدة بلويت، ا نسة كوثبرت. أرجوكما اعذراني لدقيقة، نسيت أن أطلب من فلورا جين إخراج الكعك من الفرن.

اندفعت السيدة سبنسر خارج القاعة بعد أن رفعت الستائر. جلست آن صامتة على المتكأ العثماني، مشبكة يديها بإحكام في حضنها، ومحدقة إلى السيدة بلويت بذهول. هل يجب أن

تُعطى لهذه المرأة صارمة الوجه حادة العينين؟ شعرت بغصَّة في حلقها وبحرقة في عينيها، وشعرت بالخوف من عدم قدرتها على حبس دموعها عندما عادت السيدة سبنسر متوردة ومتألقة، وقادرة كعادتها دائمًا على أخذ أي صعوبات أو مشكـ ت بعين الحسبان وتسويتها بمهارة، سواء كانت مشكـ ت جسدية، أو فكرية، أو معنوية.

- يبدو أنه وقع خطأ ما بخصوص تلك الطفلة الصغيرة، سيدة بلويت (**قالت السيدة سبنسر**). كنت أحسب أن السيد وا نسة كوثبرت يريدان تبني فتاة صغيرة، أنا متأكدة أن هذا ما تم إعـ مي به، لكن اتضح أنهما كانا يريدان صبيًّا، لذلك لو كنتِ ما زلتِ على نفس تفكيرك با مس، أعتقد أن تلك الفتاة ستكون مـ ئمة لكِ.

صوَّبت السيدة بلويت عينيها نحو آن وتفحصتها من رأسها حتى أخمص قدميها.

- كم عمرك؟ وما اسمك؟ (**سألتها**).
- آن شيرلي (**تلعثمت منكمشة على نفسها، ولم تتجرأ على وضع أي شروط بخصوص تهجئة اسمها**)، وأنا أبلغ من العمر أحد عشر عامًا.
- هه! يبدو عمر الحادية عشرة كثيرًا عليكِ، فأنتِ نحيلة، أعلم.. ولكن الفتيات النحيـ ت أفضل من غيرهن دائمًا. حسنًا، إذا أخذتكِ يجب أن تكوني فتاة مطيعة، أعني مطيعة، وسريعة البديهة، ومحترمة. ستكسبين قوتكِ من عرق جبينك، وـ عيب في ذلك، نعم، أعتقد أنني سأخلصك منها آنسة كوثبرت. لدي طفل فظيع ومشاكس وأنا أُرهقت جدًّا من اـ عتناء به، وإذا شئتِ، يمكنني أخذها إلى المنزل اـ ن.

نظرت ماريـ إلى آن وضعفت أمام وجه الطفلة الشاحب بمظهره البائس الصامت؛ بؤس مخلوق صغير عاجز يجد نفسه مرة أخرى عالقًا في الفخ الذي هرب منه. شعرت ماريـ بأنها إذا تجاهلت تلك النظرة المستعطفة، فستطاردها حتى يوم موتها. عـ وة على ذلك، لم تكن تستلطف السيدة بلويت، ولم تشعر أنه من العدل تسليم طفلة حساسة ـشديدة التوترـ لمثل هذه المرأة! ، تستطيع تحمل مسؤولية ذلك!

- حسنًا، أعلم (**قالت بتروٍّ**). لم أقل إن ماثيو وأنا قد قررنا بشكل قاطع أننا لن نحتفظ بها. في الحقيقة يمكنني القول إن ماثيو مستعد لـ حتفاظ بها. لقد جئت للتو لمعرفة كيف حدث الخطأ. أعتقد أنه من اـ فضل أن آخذها إلى المنزل مرة أخرى وأتحدث عنها مع ماثيو. أشعر أنني يجب أن أتخذ قرارًا بشأن أي شيء دون استشارته، فإذا قررنا عدم اـ حتفاظ بها، فسنحضرها إليكِ أو نرسلها إليكِ ليلة الغد، وإذا لم نفعل ذلك، فاعلمي أنها ستبقى معنا. هل يناسبكِ هذا يا سيدة بلويت؟

- أفترض أنه سيتعين عليَّ ذلك (**أجابت بلويت بفظاظة**).

أثناء حديث ماريـ ، كان شروق الشمس ينعكس على وجه آن، وقد تـ شت نظرة اليأس، وتدفق من عينيها شعاع خافت من ا مل، فسطعت على إثره بعمق وإشراق مثل نجوم الفجر، وهكذا انقلب حال الطفلة رأسًا على عقب، وعندما خرجت السيدة سبنسر والسيدة بلويت بحثًا عن وصفة طعام، كانت ا خيرة قد أتت ستعارتها، وثبت آن وطارت عبر القاعة نحو ماريـ .

- أوه آنسة كوثبرت، هل قلت حقًّا إنك ربما تسمحين لي بالبقاء في المرتفعات الخضراء؟ (**قالت بصوت خافت متقطع ا نفاس، كما لو أن التحدث بصوت عالٍ قد يحطم هذا ا حتمال الرائع**) هل قلت ذلك حقًّا أم أنني تخيلت أنك فعلتِ ذلك فقط؟
- أعتقد أنه من ا فضل أَن تتعلمي التحكم في مخيلتك يا آنَ، ما دمتِ غير قادرة على التمييز بين ما هو حقيقي وما هو ليس كذلك (**قالت ماريـ بنبرة جافة**). نعم، لقد سمعتِني أقول ذلك فقط و شيء أكثر. لم يتقرر ا مر بعد وربما ننتهي بالسماح للسيدة بلويت بأخذك بعد كل شيء، فهي بكل تأكيد بحاجة إليك أكثر منَّا.
- أفضِّل العودة إلى الملجأ على الذهاب للعيش معها (**قالت آن بانفعال عاطفي**). إنها تشبه.. تشبه المثقاب.

ابتسمت ماريـ بخلسة تحت وطأة الواجب الذي يقتضي توبيخ آن على ما تفوهت به.

- فتاة صغيرة مثلك يجب أن تخجل من الحديث عن سيدة غريبة بمثل هذا الكـ م (**قالت بحدة**). عودي واجلسي بهدوء وامسكي لسانك وتصرفي كما ينبغي للفتاة المؤدبة.
- سأحاول أن أفعل أي شيء تطلبينه مني، فقط أبقيني عندك (**قالت آن، وهي عائدة بخنوع إلى المتكأ العثماني**).

عندما عادتا إلى المرتفعات الخضراء في ذلك المساء، التقى ماثيو بهما في الدرب. لمحته ماريـ من بعيد وهو يتجول على طوله، مخمنة دوافعه، بل كانت تتوقع مـ مح ا رتياح التي قرأتها على وجهه عندما رأى أنها على ا قل أعادت آن معها. لكنها لم تقل له شيئًا فيما يتعلق بالقضية، حتى خرجا في الفناء خلف الحظيرة لحلب ا بقار، ثم أخبرته بإيجاز بتاريخ آن وما أسفرت عنه المقابلة مع السيدة سبنسر.

- فلو كان لدي كلب أحبه لما أعطيته لمثل تلك السيدة بلويت. (**قال ماثيو بهمَّة غير عادية**).

- أنا أيضًا أستسيغ أسلوبها (**اعترفت ماريه**)، لكن إما هي وإما أن نحتفظ بالطفلة نحن يا ماثيو، وبما أنك تريدها، أظنني أنا أيضًا سأرغب في هذا، أو سأقبل به كأمر واقع. لقد كنت أفكر في ا مر حتى اعتدتها نوعًا ما. ا مر يبدو أشبه بالواجب. لم يسبق لي أن ربيت طفلًا، فما بالك إن كان الطفل فتاة، من المؤكد أنني سأرتكب أخطاء كثيرة في تربيتها، لكني سأبذل قصارى جهدي، وبقدر ما أشعر بالقلق يا ماثيو، أنا موافقة على إبقائها.

ابتهج وجه ماثيو الخجول وانشرحَ.

- حسنًا، لقد تيقنت من أنك سترين ا مر من هذه الزاوية يا ماريه (**قال ماثيو**). إنها مخلوق صغير مشوِّق للغاية.
- يمكنني أن أكون أكثر تفهمًا إذا كان بإمكانك القول إنها ستكون مخلوقًا صغيرًا مفيدًا لنا (**علَّقت ماريه**)، لكني سأعمل على أن تكون كذلك. ضع في حسبانك يا ماثيو أنك يجب أ تتدخل في ا ساليب التي سأتبعها في تربية الطفلة. قد تقول إن عانسًا مثلي تعرف الكثير عن تربية ا طفال، لكني أعتقد أنها تعرف أكثر بكثير من أعزب عجوز مثلك، لذلك دعني أتدبر أمور الطفلة بنفسي، وعندما أفشل سيحين الوقت لتضع مجدافك في القارب.
- هيا، هيا ماريه ، يمكنك اتباع أساليبك الخاصة (**قال ماثيو مطمْئنًا إياها**)، فقط كوني جيدة ولطيفة معها قدر ا مكان دون إفسادها بالد ل. أعتقد أنها من النوع الذي يمكنك توجيهه كما تشائين إذا جعلتِها تحبك.

زفرت ماريه ، معبرة عن ازدرائها لرأي ماثيو فيما يتعلق بهذا الموضوع الخاص بالنساء، ومشت نحو الملبنة وهي تحمل الد ء.

«**لن أخبرها الليلة أنها تستطيع البقاء**»، فكرت ماريه بينما كانت تصفي الحليب في المقشدة.

«**ستتحمس للغاية لدرجة أنها لن تنام طرفة عين. آه يا ماريه كوثبرت، هل أنت مستعدة لذلك؟ هل تخيلتِ من قبل أنك ستعيشين لتري اليوم الذي ستتبنين فيه فتاة يتيمة؟ يا للعجب! ومع ذلك فليس هناك أعجب من أمر ماثيو الذي كان وراء كل ما نحن فيه ا ن. وهو الذي بدا دائمًا أن لديه رهبة مميتة من الفتيات الصغيرات. على كل حال، قد قررنا خوض التجربة، والله وحده يعلم ما ستؤول إليه ا مور بعد ذلك.**»

(7)
آن تتلو صلاتها

بينما كانت ماريـ تصطحب آن للنوم با على، قالت لها بحزم:

- حسنًا آن، لقد حظت أنك الليلة الماضية تركتِ م بسك ملقاة على ا رض بعد خلعها عنك، وهذه عادة غير منظمة تمامًا، ولن أسمح بها أبدًا. بمجرد أن تخلعي أي قطعة من م بسك، قومي بطيِّها بعناية وضعيها على الكرسي، فأنا لست بحاجة إلى فتيات غير مرتبات.
- لقد كان عقلي مسلوبًا مني تمامًا الليلة الماضية لدرجة أنني لم أفكر في م بسي على ا ط ق (**قالت آن**). سأطويهم بعناية هذه الليلة، لقد كانوا يجعلوننا نفعل ذلك دائمًا في الملجأ، لكني كنت أنسى في معظم ا حيان أن أتم المهمة، إذ أكون على عجلة من أمري لكي أذهب إلى السرير طلبًا للهدوء والراحة والشروع في تخيـ تي.
- عليكِ أن تتذكري ذلك بشكل أفضل إذا قُدِّر لكِ البقاء هنا (**حذرتها ماريـ**)، وا ن قومي بتـ وة صـ تك، واخلدي إلى النوم.
- لم يسبق لي أن تلوت صـ ة في حياتي (**قالت آن**).

بدت ماريـ مندهشة مذعورة.

- لماذا آن؟! ما الذي تقصدينه بذلك؟ ألم تتعلمي قط كيف تصلين؟ يريد الله دائمًا الفتيات الصغيرات أن يصلين له. أ تعرفين من هو الله يا آن؟
- الله هو الروح، المطلق، ا بدي، الكامل الذي يتغير، الحكيم، القوي، القدوس، العدل، اللطيف، الحق (**أجابت آن على الفور بط قة، وبدت ماريـ مرتاحة إلى حد ما**).
- إذن أنتِ تعرفين شيئًا، الحمد لله! إنك لست وثنية على ا قل، أين تعلمتِ ذلك؟
- أوه، لقد تعلمت ذلك في مدرسة ا حد في الملجأ، لقد جعلونا ندرس كتاب الكاتيكزم[18] بأكمله. لقد أحببت هذا الكتاب كثيرًا، ففي كلماته شيء مميز، مثل المطلق وا بدي والكامل الذي يتغير. أليست هذه الكلمات عظيمة؟ لديها تموجات خاصة بها كما لو أنها ألحان صادرة من أورغ كبير، وأظن أننا نستطيع تسميتها شعرًا، لكنها تشبه وقع الشعر كثيرًا. أ توافقينني في ذلك؟

- نحن نتحدث عن الشعر آن، نحن نتحدث عن ت وة صـ تك. أ تعلمين أنه أمر شرير ورهيب أ تصلي كل ليلة؟ أخشى أنك فتاة صغيرة غير صالحة.
- لو كنتِ في مكاني، لوجدتِ أنه من ا سهل أن تكوني سيئة على أن تكوني حسنة الخلق، إذا كان شعرك أحمر (**قالت آن معاتبة**). يعرف ا شخاص الذين ليسوا ذوي شعر أحمر حجم مصيبة هذا الشعر. أخبرتني السيدة توماس بأن الله خلق شعري أحمر من أجل غاية محددة، ولم أعد أكترث مره من وقتها. وعلى أي حال، كان دائمًا يحلُّ الليل عليَّ وأنا متعبة بشدة. يُتوقع من ا شخاص الذين يتعين عليهم رعاية التوائم أن يقوموا بت وة أي صـ ة. هل تعتقدين بصدق أنهم يستطيعون ذلك؟

قررت ماريـ أن تربية آن الدينية يجب أن تبدأ في الحال. من الواضح أنه لم يكن هناك وقت لتضييعه.

- يجب أن تصلي آن ما دمتِ تحت سقف بيتي.
- بالطبع، سأصلي إذا كنت تريدين مني فعل ذلك (**قالت آن بمرح**)، سأفعل أي شيء من أجل إرضائك، لكن عليكِ أن تخبريني هذه المرة فقط ما الذي عليَّ قوله في ت وتي. وبعد إيوائي للفراش سأتخيل صـ ة رائعة تلوها دائمًا. وا ن بعد التفكير في ا مر، أعتقد أنه سيكون ممتعًا للغاية.
- يجب أن تركعي على ركبتيك (**قالت ماريـ بارتباك**).

ركعت آن بحيث أصبح وجهها مقابلًا لركبتي ماريـ ، ورفعت بصرها بخشوع.

- لماذا يتوجب على الناس الركوع في الصـ ة؟ سأخبرك بما سأفعله عندما أرغب حقًّا في الصـ ة. كنت سأخرج إلى حقل كبير، أو أمضي في أعماق الغابة، وكنت سأرفع بصري نحو السماء، على، على، على.. نحو تلك السماء الزرقاء الجميلة التي تبدو وكأنها نهاية لزرقتها، وبعد ذلك ستدفعني مشاعري وحدها للصـ ة. حسنًا، أنا جاهزة. ماذا عساي أن أقول؟

شعرت ماريـ بالحرج أكثر من أي وقت مضى. كانت تنوي تعليم آن بعض الصلوات الكـ سيكية الخاصة با طفال، مثل: «**ا ن أستلقي نام**»[19]، لكنها كما قلت سابقًا؛ كانت تمتلك بصيصًا من حس الدعابة، وهو ببساطة ليس سوى اسم آخر لحس مـ ئمة ا شياء، إذ خطر ببالها فجأة أن تلك الصـ ة البسيطة المكرسة لـ طفال الذين يرفلون بأردية بيضاء، ويلثغون عند ركب أمهاتهم لم تكن مناسبة تمامًا لهذه الساحرة المنمشة التي تعرف شيئًا عن محبة الله ولم تهتم لتعرف، ن تلك المحبة لم تُترجم لها قط من خـ ل المحبة البشرية.

- إنك تبلغين من العمر ما يكفي للصـ ة وحدك، آن (**قالت ماريـ أخيرًا**)، فقط اشكري الله على نعمه واسأليه بتواضع ليمنحك ا شياء التي تريدينها.
- حسنًا، سأبذل قصارى جهدي (**وعدت آن وهي تدفن وجهها في حضن ماريـ**). أبانا الذي في السموات.. هذه هي الطريقة التي يستهل بها القساوسة صـ تهم في الكنيسة، لذلك أفترض أنه بأس أن أستخدمها في الصـ ة الخاصة، أليس كذلك؟ (**تساءلت آن رافعة رأسها للحظة**). «أبانا الذي في السموات، أشكرك على درب البهجة ا بيض وعلى بحيرة المياه الـ معة وعلى بوني وعلى ملكة الثلج. أنا شاكرة للغاية لتلك النعم، وهذه هي فقط كل النعم التي يمكنني تذكرها ا ن شكرك عليها. بالنسبة لـ شياء التي أريدها، فهي كثيرة جدًّا لدرجة أن ا مر سيستغرق وقتًا طويـ ً حصائها، لذلك سأذكر فقط أهم شيئين؛ من فضلك دعني أبقى في المرتفعات الخضراء، ومن فضلك اجعلني أبدو جميلة عندما أكبر. مع خالص احترامي، آن شيرلي.
- هل فعلتُ ذلك بشكل جيد؟ (**سألت آن بحماس، وهي تنهض**) كان بإمكاني جعل ا مر منمقًا أكثر إذا كان لدي المزيد من الوقت للتفكير في ا مر.

لم يمنع أي شيء ماريـ المسكينة من ا نهيار التام إ يقينها من أن ما قالته الطفلة لم يكن استهتارًا، وأن شيء جعلها تتلو تلك الصـ ة غير الـ ئقة إ عفويتها الناجمة عن جهلها با مور الدينية. دسَّت الطفلة في السرير، وتعهدت أنه يجب تعليمها الصـ ة في اليوم التالي، وبينما كانت تغادر الغرفة حاملة الشمعة نادتها آن.

- لقد فكرت في ا مر ا ن. كان يجب أن أقول آمين كما يفعل القساوسة بدلًا من «مع **خالص احترامي**» أليس كذلك؟ لقد غابت الكلمة عن ذهني، لكني شعرت أن الصـ ة يجب أن تُنهى بطريقة ما، لذلك أضفت الكلمة ا خرى، هل تظنين أن هذا سيحدث أي فرق؟
- .. أظن أن هذا سيحدث فرقًا (**قالت ماريـ**). اذهبي للنوم ا ن كما ينبغي أن يفعل ا طفال المطيعون، طابت ليلتك.
- يمكنني الليلة أن أقول لكِ طابت ليلتك أنتِ أيضًا بضمير مرتاح (**قالت آن وهي تعانق وسائدها بترف**).

عادت ماريـ إلى المطبخ، وثبتت الشمعة بحزم على الطاولة، وحدقت إلى ماثيو.

- ماثيو كوثبرت، لقد حان الوقت لتبني تلك الطفلة وتعليمها شيئًا ما. إنها على حافة الوثنية. هل تصدق أنها لم تتلُ صـ ة في حياتها حتى الليلة؟ سأرسلها إلى منزل القس

غدًا ستعير لها سلسلة The Peep of Day[20]. هذا ما ينبغي أن أفعله. وسأجعلها تذهب إلى مدرسة ا حد بمجرد أن أحصل على بعض الم بس المفصلة والمناسبة لها. وإني تنبأ بأن يدي ستظل منشغلة بالكثير من ا عمال ا يام القادمة. عجبًا، عجبًا، يمكننا تجاوز هذا العالم دون استيفاء نصيبنا من المتاعب. لقد عشت حياة سهلة للغاية حتى ا ن، لكن وقتي قد حان أخيرًا وأعتقد أنه سيتعين عليَّ بذل الجهد لتحقيق أقصى استفادة منها.

كتاب التعاليم الكنسية الخاصة بالكنيسة الكاثوليكية، التي قام بجمعها ونشرها البابا يوحنا بولس الثاني.

هي ص ة مسيحية يتلوها ا طفال بشكل أساسي وتكون عادةً قصيرة وذات نغمة تُنسى. عادة ما تتلى قبل النوم، لتقديم الشكر على الوجبة. والعديد من هذه الصلوات إما اقتباسات من الكتاب المقدس، أو مجموعة نصوص تقليدية.

من أقدم الس سل التعليمية للدين المسيحي التي يمكن لعقل الطفل تلقيها، مع آيات توضيحية للموضوعات. من تأليف فافيل لي مورتيمر.

(8)
الشروع في تربية آن

كانت لماري أسبابها الواضحة بالنسبة لها على ا قل، والتي جعلتها تؤجل إخبار آن بقرار إبقائها في المرتفعات الخضراء حتى مساء اليوم التالي. خ ل فترة الضحى من النهار شغلت ماري آن بمهام مختلفة، وراقبتها بعين حريصة أثناء تأديتها لتلك المهام. وبحلول منتصف النهار كانت قد استنتجت أنَّ آن ذكية، ومطيعة، ومستعدة داء المهمات، وسريعة التعلم، وبدا من الواضح أن أخطر عيوبها هو الميل إلى الوقوع في أح م اليقظة في منتصف مهمة ما ونسيان كل شيء عنها، و تعود للواقع حتى يحين الوقت الذي تُستدعى فيه وتُوبَّخ أو تقع كارثة ما.

بعد انتهاء آن من غسل أطباق الغداء، باغتت ماري بتعبير شخص عازم على معرفة أسوأ ما يمكن أن يحدث له. وقفت وجسدها النحيل يرتجف من رأسها وحتى أخمص قدميها، وقد اصطبغ وجهها بالحمرة، واتسعت عيناها حتى غلب عليهما السواد، وشبكت يداها بإحكام، وقالت بتوسل:

- أوه، من فضلك يا آنسة كوثبرت، ألن تخبريني ما إذا كنتِ ستتخلين عني أم ؟ لقد حاولت التحلي بالصبر طيلة الصباح، لكنني أطيق ا نتظار بعد ا ن، إنه شعور مروع. أرجوك أخبريني.
- لم تقومي بتعقيم فوطة تجفيف الصحون بغليها في الماء النظيف كما أخبرتك (**قالت ماري بـ حراك**). فقط اذهبي وافعلي ذلك قبل أن تطرحي المزيد من ا سئلة يا آن.

ذهبت آن وأنجزت المهمة، ثم عادت إلى ماري وثبتت عينيها على وجهها بتوسل أخير.

- حسنًا (**قالت ماري غير قادرة على العثور على أي عذر لتأجيل تفسيرها لفترة أطول**)، أظن أنني سأخبرك ا ن، لقد قررنا أنا وماثيو ا حتفاظ بك. هذا إذا بذلتِ جهدك لتكوني فتاة مهذبة وأظهرت شكرك لهذا. لكن.. ما بكِ أيتها الطفلة؟ ما المشكلة ا ن؟
- أبكي (**أجابت آن بارتباك**). أستطيع معرفة السبب، أنا سعيدة بكل ما تعنيه الكلمة. أوه، تبدو سعيدة كلمة مناسبة على ا ط ق، كنت سعيدة عندما رأيت درب البهجة ا بيض، وبراعم الكرز، لكن هذا! أوه، إنه شعور يفوق السعادة، أنا سعيدة للغاية،

سأبذل جهدي كون فتاة صالحة. ربما ستكون محاولة شاقة، ن السيدة توماس كثيرًا ما أخبرتني أنني فتاة سيئة جدًّا، ومع ذلك سأفعل ما بوسعي. لكن هل يمكنك أن توضحي لي سبب بكائي ا ن؟

- أعتقد أن السبب في ذلك هو شعورك بالكثير من الحماس وا ثارة (**قالت ماري مستنكرة**). اجلسي على هذا الكرسي، وحاولي تهدئة نفسك. أخشى أنك من النوع الذي يضحك ويبكي على حد سواء بسهولة. يمكنك البقاء هنا، وسنحاول أن نربيك تربية صالحة. يجب أن تذهبي إلى المدرسة، ولكن لم يتبق على العطلة الصيفية سوى أسبوعين، لذلك يستحق الوقت المتبقي أن تذهبي قبل أن تعيد المدرسة فتح أبوابها من جديد في شهر أيلول القادم.
- بماذا ينبغي أن أدعوكِ؟ (**سألت آن**) هل أناديك دائمًا با نسة كوثبرت؟ هل يمكنني مناداتك بالخالة ماري ؟
- ، ناديني فقط ماري ، بدون أي إضافات. لست معتادة لقب ا نسة كوثبرت، هذا سيجعلني عصبية المزاج.
- ولكن، يبدو من عدم التهذيب أن أقول ماري فقط (**احتجَّت آن**).
- أعتقد أنه لن يكون هناك شيء غير مهذب ما دمتِ تحرصين على التحدث باحترام. الجميع ـصغارًا وكبارًاـ في أفونليا ينادونني بماري باستثناء القس؛ يقول ا نسة كوثبرت عندما يفكر في مخاطبتي.
- أودُّ مناداتك بالخالة ماري (**قالت آن بحزن**). لم يكن لدي خالة أو أي أقارب على ا ط ق، و حتى جدة. سيجعلني هذا أشعر كما لو أنني أنتمي لك حقًّا. أ يمكنني مناداتك بالخالة ماري ؟
- ، أنا لست خالتك و أؤمن بتسمية ا شخاص بأسماء تخصهم.
- لكننا نستطيع أن نتخيل أنك خالتي.
- أستطيع (**قالت ماري بتجاهل**).
- أ تتخيلين أبدًا ا شياء على غير ما هي عليه حقًّا؟ (**سألتها آن وقد فتحت عينيها على وسعهما**).
- .
- أوه! (**أخذت آن نفسًا طويلًا**). آنسة ماري ، إنكِ تفوِّتين الكثير على نفسك!

- أحب تخيل ا شياء على ما هي ليست عليه بالفعل (**ردت ماري بحسم**)، فعندما يضعنا الرب في ظروف معينة، يفعل ذلك من أجل أن نتخيل عدم وجود تلك الظروف، وهذا يذكرني بما أريده منك، اذهبي إلى غرفة الجلوس آن، وتأكدي أن قدميك نظيفتان، و تسمحي للذباب بالدخول، وأحضري البطاقة المزخرفة الموجودة على الرف. تحتوي تلك البطاقة على نص الصـ ة، عليكِ أن تخصصي وقت فراغك بعد ظهر هذا اليوم لحفظها عن ظهر قلب. لن يكون هناك المزيد من الصلوات التي سمعتُها منك الليلة الماضية.
- أظنني تصرفت بشكل أخرق (**قالت آن معتذرة**)، ولكن كما تعلمين؛ لم تكن لدي أي خبرة سابقة، و أظن أنكِ كنتِ تتوقعين من فتاة مثلي أن تصلي بإتقان من محاولتها ا ولى. ولكني كما وعدتكِ، فكَرت في صـ ة رائعة بعد أن أويت إلى الفراش. كانت طويلة، تقريبًا بطول صـ ة القس، وشاعرية للغاية. لكن هل تصدقين أنني لم أستطع تذكر كلمة واحدة منها عندما استيقظت هذا الصباح؟ وأخشى أنني لن أتمكن أبدًا من التفكير في صـ ة ثانية رائعة مثلها. بطريقة ما، تبقى ا شياء التي يفكر فيها المرء للمرة ا ولى بنفس درجة جمالها عند محاولة استرجاعها والتفكير فيها مرة ثانية، هل حظتِ ذلك من قبل؟
- إليكِ ما يتوجب عليكِ مـ حظته آن: عندما أخبرك أن تفعلي شيئًا ما، أريدك أن تطيعيني في الحال وأ تقفي مكتوفة ا يدي وتتحدثي عنه. فقط اذهبي وافعلي ما طلبته منك.

غادرت آن على الفور متجهةً إلى غرفة الجلوس عبر الردهة، لكنها تأخرت عن العودة، وبعد انتظار دام عشر دقائق، وضعت ماري ما كانت تحوكه جانبًا، وذهبت باحثة عنها وهي مقطبة الجبين. وجدت آن واقفة بـ حراك أمام لوحة معلَّقة على الحائط بين النافذتين، وفي عينيها نجمتا أحـ م، بينما أغار النور ا بيض المتسلل من الخارج على جسمها الصغير إغارة شبه خارقة للطبيعة وهو يتماوج بالخضرة التي عكستها أشجار التفاح وعناقيد الكروم.

- آن، ما الذي تفكرين به بحق السماء؟ (**سألتها ماري بانفعال**).

عادت آن إلى أرض الواقع مجفلة.

- تلك (**قالت مشيرة إلى اللوحة التي كانت تشع با لوان الحية، والتي تجسد صورة المسيح وهو يبارك ا طفال**). تخيلت أني واحدة منهم، أني تلك الفتاة الصغيرة ذات الفستان ا زرق التي تقف في الزاوية وحدها، كما لو أنها تنتمي إلى أي شخص مثلي. أ تظنين أنها

تبدو وحيدة وحزينة؟ أعتقد أنها كانت بـ أب أو أم، لكنها أرادت الحصول على مباركة المسيح مثل بقية ا طفال، لذا فقد تسللت بخجل خلف الحشد، على أمل أ يـ حظها أحد إ هو. أنا متأكدة من أنني أعرف شعورها في تلك اللحظة.

بد أن قلبها خفق وأن يديها أصابتهما البرودة، مثلما حدث لي عندما سألتك إذا كان بإمكاني البقاء. كانت تخشى أ يـ حظها، لكن من المحتمل أنه فعل، أ تعتقدين ذلك؟ لقد كنت أحاول تخيلها وهي تحاول ا قتراب منه قليلًا طيلة الوقت إلى أن أصبحت قريبة جدًّا منه، فوضع يده على رأسها و.. أوه.. سرَت رعشة من السعادة في جسمها! لكني كنت أتمنى لو لم يرسمه الفنان الذي رسم هذه اللوحة بهذا الحزن. وإذا حظت، فجميع الرسوم التي تصوره تبدو بهذا الحزن أيضًا، لكنني أصدق أنه كان حزينًا لتلك الدرجة أو أن ا طفال كانوا يخافون منه.

- آن (**قالت ماريـ متعجبة من نفسها لماذا لم تتدخل وتقطع هذا الخطاب الطويل قبل ذلك**)، يجب عليك أن تتكلمي بهذه الطريقة؛ هذه قلة احترام، بل منتهى قلة ا حترام.

اتسعت عينا آن بدهشة.

- لماذا؟ لقد شعرت أنني أتكلم بخشوع لم يسبق لي ا حساس به من قبل، أنا واثقة بأني لم أكن أقصد التكلم بقلة احترام.
- حسنًا، أظن أنك كنت تقصدين ذلك، ولكن يبدو من الصواب أن تتحدثي بدون تحفظ عن مثل هذه ا شياء. وشيء آخر؛ عندما أرسلك لتحضري شيئًا عليكِ إحضاره فورًا، أن تسبحي في عالم آخر أمام اللوحات. تذكري ذلك، خذي هذه البطاقة وتعالي مباشرة إلى المطبخ. وا ن، اجلسي عند الزاوية واحفظي تلك الصـ ة عن ظهر قلب.

وضعت آن البطاقة بالقرب من جرَّة كانت قد وضعت فيها أزهار تفاح جلبتها من البستان لتزين بها طاولة العشاء. وقد راقبت ماريـ عملية التزيين تلك بارتباك، لكنها لم تقل شيئًا، ثم أسندت ذقنها بيديها وانغمست في حفظ الصـ ة باهتمام استغرق عدة دقائق من الصمت.

- تعجبني هذه الصـ ة (**هتفت آن أخيرًا قاطعة فترة الصمت**). لقد سمعتها من قبل؛ سمعت مدير مدرسة ا حد في الملجأ يتلوها ذات مرة، ولكنها لم تعجبني حينها، فقد كان صوته متصدعًا ويتلوها متفجعًا، وهذا جعلني أشعر حقًّا أنه يعد الصـ ة واجبًا قسريًّا. هذا ليس شعرًا، لكنه يجعلني أحس نفس الشعور الذي يتركه الشعر في نفسي. أبانا

الذي في السموات، ليتقدَّس اسمك.. هذا مثل سطر من الموسيقى. أوه، أنا سعيدة للغاية نك فكرتِ في تعليمي هذه الص ة آنسة ماري .

- حسنًا، هيا لتتعلميها إذن. والجمي لسانك (**قالت ماري باقتضاب**).

أمالت آن جرة أزهار التفاح بالقرب منها لتستطيع أن تطبع قبلة حانية على برعم وردي اللون، ولكنها بعد ذلك انكبت على حفظ الص ة لعدة دقائق أطول من سابقاتها، ثم عادت ووجهت سؤالًا لماري .

- هل تعتقدين أنني سأحظى بصديقة حميمة في أفونليا؟
- أي.. أي نوع من ا صدقاء تقصدين؟
- صديقة حميمة، أنا أعني صديقة مُقرَّبة لي، توأم حقيقي لروحي، أستطيع أن آتَمِنُها وأبوح لها بأعمق أسراري. لقد حلمت بلقائها طيلة حياتي. وما توقعت قط لقاءها، لكن الكثير من أجمل أح مي قد تحققت كلها مرة واحدة وربما ينضم إليها هذا الحلم أيضًا. هل تظنين أنه سيتحقق؟
- هناك فتاة تُدعى ديانا باري تعيش في منحدر البستان، وهي تقاربك في العمر. إنها فتاة صغيرة لطيفة للغاية، وربما ستشاركك اللعب عندما تعود إلى المنزل؛ إنها تزور عمتها في كارمودي ا ن. ومع ذلك يجب أن تكوني حريصة في سلوكك، فالسيدة باري امرأة حازمة جدًّا ولن تدع ديانا تلعب مع أي فتاة ليست لطيفة ومؤدبة.

نظرَت إلى ماري من خ ل أزهار التفاح، و توهجت عيناها باهتمام.

- كيف تبدو ديانا؟ شعرها ليس أحمر، أليس كذلك؟ أوه، أتمنى ذلك. إنه أمر سيئ بما يكفي أن يكون لديَّ شعر أحمر، و ينقصني أن أتحمل ذات ا مر في توأم روحي.
- ديانا فتاة جميلة جدًّا، سوداء الشعر والعينين، متوردة الوجنتين، وهي مؤدبة وذكية، وهذا أفضل من أن تكون جميلة.

كانت ماري مغرمة با خ ق مثل الدوقة في ب د العجائب، مقتنعة تمامًا بأنه يجب غرس الفضائل أثناء توجيه الم حظات إلى الطفل الذي يُربَّى.

لكن آن نحَّت ا خ ق جانبًا ب اكتراث، واستغلت فقط ا حتما ت المبهجة أمامها وتابعت حديثها.

- أوه، أنا سعيدة للغاية نها جميلة، فبجانب أن يكون المرء نفسه جميلًا ـ وهذا مستحيل في حالتيـ سيكون من ا فضل أن يكون لديه صديق حميم جميل. عندما كنت أعيش مع السيدة توماس كان لديها خزانة كتب في غرفة الجلوس بأبواب

زجاجية، لكن لم يكن فيها أي كتب، احتفظت فيها السيدة توماس بأفضل ما تملكه من أواني الخزف الصيني والمعلبات، وذلك عندما يكون لديها أي معلبات لتحفظها هناك. أحد ا بواب كان محطمًا؛ حطمه السيد توماس ذات ليلة عندما كان مخمورًا قليلًا، لكن ا خر كان بهيئة سليمة وكنت أتخيل أن انعكاسي عليه لفتاة صغيرة أخرى تعيش فيه، كنت أدعوها كاتي موريس، وكنا صديقتين حميمتين للغاية، أتحدث معها لساعات، وبخاصة يوم ا حد، وأخبرها بكل شيء، كانت كاتي هي الراحة والعزاء في حياتي. اعتدنا التظاهر بأن خزانة الكتب مسحورة وأنه إذا كنت أعرف فقط التعويذة، يمكنني فتح الباب والدخول إلى الغرفة التي تعيش فيها كاتي موريس، بدلًا من أرفف خزانات السيدة توماس وا واني الخزفية، وحينها تأخذني كاتي موريس من يدي وتقودني إلى عالمها الخاص حيث جميع أنواع الزهور وأشعة الشمس والجنيات، لنعيش هناك سعداء إلى ا بد. عندما ذهبت للعيش مع السيدة هاموند، تحطم قلبي نني سأترك كاتي موريس، ولقد شعرت أن قلبها تحطم كذلك، نها كانت تبكي عندما قبَّلتني مودعةً إياي عبر باب خزانة الكتب. لم يكن هناك خزانة كتب في منزل السيدة هاموند، ولكن في أعلى النهر بعيدًا قليلًا عن المنزل، كان هناك وادٍ صغير أخضر طويل، يتردد فيه أجمل رجع للصدى، كل كلمة أنطقها يتردد صداها هناك، حتى لو لم أتحدث بصوت عالٍ، لذلك تخيلت أن ذلك الصدى هو فتاة صغيرة تُدعى فيوليتا وكنا صديقتين رائعتين وأحببتها تقريبًا مثلما أحببت كاتي موريس ـليس تمامًاـ كما تعلمين. في الليلة التي سبقت ذهابي إلى الملجأ، ودَّعت فيوليتا، وعاد لي وداعها بنبرة حزينة جدًّا. قد ارتبطتُ بها لدرجة أنني لم أجرؤ على تخيل صديقة حميمة أخرى في الملجأ، حتى لو كان هناك أي مجال للتخيل هناك.

- أعتقد أنه من حسن الحظ أنه لم يكن هناك مجال للتخيل (**قالت ماري بنبرة جافة**). أنا أوافق على مثل هذه ا مور، ويبدو أنك على وشك تصديق خيا تك تلك، سيكون من الجيد أن يكون لديك صديقة حقيقية لتُخرجي مثل هذا الهراء من رأسك، لكن تدعي السيدة باري تسمع حديثك عن خرافاتك تلك الخاصة بكاتي موريس وفيوليتا وإ ستعتقد أنك تهذين.
- أوه، لن أفعل. لم أستطع التحدث عنهما مع الجميع، فذكرياتهما مقدسة جدًّا بالنسبة لي، لكنني أحببت أن أطلعك عليها. أوه، انظري، ها هي نحلة كبيرة خرجت للتو وطارت من قلب أزهار التفاح. أليس من الرائع التفكير في العيش في مكان جميل

كهذا؛ في قلب زهرة تفاح؟! تخيلي نفسك نائمة فيه بينما تهزه الرياح. لو لم أكن فتاة بشرية، أعتقد أني سأود أن أكون نحلة وأعيش بين الزهور.

- با مس أردتِ أن تكوني نورسًا بحريًّا! (**تأففت ماريِ**). أعتقد أنكِ متقلبة التفكير للغاية. طلبت منك أن تتعلمي تلك الصـ ة و تطيلي الحديث، لكَن يبدو أنه من المستحيل لك التوقف عن الحديث إذا كان لديك أي شخص يستمع إليك، لذا اصعدي إلى غرفتك واحفظيها.
- أوه، أنا على وشك ا نتهاء من حفظها ا ن، ينقصني فقط السطر ا خير.
- حسنًا دعكِ من الحديث، وافعلي ما طلبته منك. اذهبي إلى غرفتك وانتهي من حفظها جيدًا، وابقيَ هناك حتى أناديكِ لمساعدتي في تجهيز الشاي.
- هل يمكنني اصطحاب أزهار التفاح معي لتؤنسني؟ (**توسلت آن**).
- ؛ أظن أنك ترغبين في إحداث الفوضى في غرفتك وتكديسها بالزهور. وكان عليك في المقام ا ول أن تتركي تلك الزهور على أغصانها.
- لقد شعرت بهذا نوعًا ما (**قالت آن**)، شعرت أنه ينبغي تقصير حياتها الجميلة بالقطف، فأنا لن أحب أن يتم قطفي إذا كنت زهرة تفاح، لكني لم أستطع مواجهة ا غراء. ماذا تفعلين عندما تواجهين إغراءً يقاوم؟
- آن، ألم تسمعي طلبي بالذهاب إلى غرفتك؟

تنهدت آن واتجهت إلى غرفة المرتفعات الشرقية، وجلست على كرسي بجوار النافذة.

- أنهيت حفظ هذه الصـ ة، حفظت السطر ا خير أثناء صعودي الدرج، لذلك سأذهب ا ن وأتخيل وجود أشياء في هذه الغرفة بحيث تبقى دائمًا فيها. سأغطي ا رضية بسجادة بيضاء مخملية مزينة بأزهار وردية اللون، وسأُجمِّل النوافذ بستائر حريرية وردية اللون أيضًا، وسأعلق على الجدران بسطًا من نسيج الديباج المُطعَّم بالخيوط الذهبية والفضية. سأجعل ا ثاث من خشب الماهوجني. لم أرَ قط هذا النوع من ا خشاب في حياتي، لكن وقع اسمه يبدو فاخرًا للغاية. وها هي أريكة ممتلئة بوسائد حريرية رائعة، باللون الوردي وا زرق والقرمزي والذهبي، وأنا أتكئ عليها برشاقة. أستطيع أن أرى انعكاسي في تلك المرآة الكبيرة الرائعة المعلقة على الحائط. أنا طويلة وأشبه ا ميرات، أرتدي ثوبًا من الدانتيل ا بيض، مع صليب لؤلؤي على صدري و لئ تزين شعري. لون شعري حالك السواد كالليل في منتصفه، وبشرتي صافية كالعاج النقي،

واسمي السيدة كورديليا فيتزجيرالد. ، ا مر ليس كذلك، يمكنني ا قتناع أن ذلك يبدو حقيقيًّا.

رقصت آن أمام المرآة الصغيرة وأمعنت النظر فيها، فأطلَّ وجهها المنمش والدقيق وعيناها الرماديتان الجادتان نحوها.

- أنتِ آن فقط، آن في المرتفعات الخضراء (**قالت بجدية**)، فكلما حاولت أن أتخيل أنني سيدة كورديليا، أراك كما أنت ا ن. إنه من ا جمل بمليون مرة أن أكون آن في المرتفعات الخضراء أكثر من أن أكون آن التي تنتمي إلى أي مكان بالتحديد، أليس كذلك؟

انحنت إلى ا مام، وقبَّلت انعكاسها في المرآة بمودة، وتوجهت إلى النافذة المفتوحة.

- عزيزتي ملكة الثلج، عمتِ مساءً، وعمتنَّ مساءً أيضًا أيتها ا شجار ـ البتو ـ العزيزات هناك عند الغور، وعمتَ مساءً عزيزي البيت الرمادي أعلى التل. أتساءل ما إذا كانت ديانا ستصبح صديقتي الحميمة، أتمنى أن تفعل ذلك، وسأحبها كثيرًا، لكن يجب أ أنسى أبدًا كاتي موريس وفيوليتا، ستشعران با ذى الشديد إن نسيتهما وأنا أكره إيذاء مشاعر أي شخص، حتى لو كانت خزانة كتب صغيرة أو فتاة صدى صغيرة. يجب أن أكون حريصة على تذكرهما وإرسال القب ت لهما كل يوم.

أرسلت آن بضع قب ت على أطراف أناملها، ونفختها في الهواء نحو أزهار الكرز، ثم انجرفت ـ مسندة ذقنها بيديها ـ في بحر من أح م اليقظة.

(9)
هلع السيدة ريتشل لايند

كان قد مضى على وجود آن في المرتفعات الخضراء أسبوعان قبل وصول السيدة ريتشل لتتفحصها. وإحقاقًا للحق فإن السيدة ريتشل لم تكن ملومة على هذا التأخير، فقد أدى هجوم شديد في غير موسمه لفيروس ا نفلونزا إلى حبس تلك السيدة الطيبة في منزلها منذ زيارتها ا خيرة للمرتفعات الخضراء.

نادرًا ما كانت السيدة ريتشل تتعرض للمرض، بل وكانت ذات رأي واضح في ازدراء ا شخاص الذين يمرضون، لكنها أكدت أن ا نفلونزا الحادة لم تكن تشبه أي مرض آخر على وجه ا رض و يمكن تفسير ا صابة به إ أنه أحد ا بت ءات ا لهية الخاصة. وبمجرد أن سمح لها الطبيب بوضع قدميها خارج أبواب المنزل، سارعت قاصدة المرتفعات الخضراء وكادت تنفجر من الفضول لرؤية يتيمة ماثيو ومارير ، تلك التي أُشيع عنها في أفونليا شتى أنواع القصص والحكايات.

حاولت آن تحقيق ا ستفادة القصوى من كل لحظة من لحظات صحوها خ ل ا سبوعين الماضيين. أصبحت على دراية بكل شجرة وشجيرة حول المكان، واكتشفت دربًا يبدأ عند أسفل بستان التفاح ويمتد صعودًا نحو نطاق الغابات الحرشية، قامت باستكشافه إلى أبعد نقطة فيه، وتعرفت على جميع تضاريسه المشوقة، ابتداءً من الجدول إلى الجسر، مرورًا بأَيْك التنوب، وقناطير الكرز البري، وانتهاءً بالزوايا المكتظة بالسراخس والمزدحمة بأغصان أشجار القيقب والرماد الجبلي.

قامت بتكوين صداقة مع النبع عند الغور؛ ذلك النبع العميق، الصافي، البارد ماؤه، والمرصعة جوانبه بأحجار رملية حمراء ناعمة، والمحاطة حافاته بأجمات من السرخس المائي التي تشبه راحة اليد، وينتهي عند الجدول الذي يقطعه جسر خشبي بدائي مصنوع من جذع شجرة.

أرشد هذا الجسر أقدام آن الراقصة إلى أعلى تلَّة حرجية نائية، حيث يسود الشفق بشكل دائم تحت أشجار الراتينج والتنوب كثيفة النمو. وكان هناك عدد يحصى من نوع واحد من ا زهار؛ أزهار أجراس حزيران الرقيقة، تلك ا كثر خجلًا وجمالًا من جميع أزهار الغابة،

والتي تناثر حولها عدد قليل من ا زهار النجمية الباهتة، والتي بدت وكأنها أرواح براعم السنة الماضية. وبين ظ ل ا شجار لمعت شبكة عنكبوت كأن خيوطها من الفضة، وتدلت الشُرَّابات من فروع أغصان التنوب وكأنها على وشك التفوه بحديث ودي.

النزهات ا ستكشافية هذه كانت تتم في المرات غير الدائمة من أنصاف الساعات التي كان يُسمح فيها ن باللعب، ودومًا تقصُّ على ماثيو الصامت وعلى ماري المتظاهرة بعدم السمع استكشافاتها. لم يشكُ قط ماثيو منها، بل كان يستمع إلى كل أحاديثها بابتسامة صامتة. أما ماري فكانت تدع الثرثرة تأخذ مجراها إلى أن تجد نفسها مهتمة بسماع المزيد، حينها تأمر آن بفظاظة لتلجم لسانها.

عندما وصلت السيدة ريتشل إلى البستان كانت آن في البستان تتجول فيه على هواها بين الحشائش الغضة المتمايلة التي تناثرت عليها أشعة شمس المساء الحمراء، وهكذا أُتيحت للسيدة الطيبة فرصة ممتازة للتحدث عن تفاصيل مرضها، وعندما بدأت تصف كل وجع انتابها وكل خفقة نبض شعرت بها باستمتاع واضح، تبادر إلى ذهن ماري أن ا نفلونزا كانت مرضًا يجلب مع أوجاعه تعويضاته عن هذه ا وجاع. وعندما استنفدت جميع تفاصيل مرضها، أعلنت السبب الرئيسي لزيارتها.

- بلغني عنكِ وماثيو أخبار أثارت دهشتي.
- أظن أنكَ أكثر دهشة مني (**قالت ماري**)، على الرغم من أنني بدأت تجاوز هذا الشعور ا ن.
- إنه لمن السيئ للغاية وقوع مثل هذا الخطأ (**قالت السيدة ريتشل بتعاطف**). ألم تستطيعا إعادتها إلى الملجأ؟
- أظن أننا كنا نستطيع، لكننا قررنا عدم القيام بذلك. لقد شعر ماثيو بالميل إليها، ويجب أن أقول إني أحبها أيضًا، على الرغم من عيوبها. يبدو المنزل بوجودها مكانًا مختلفًا بالفعل، إنها حقًّا مخلوق صغير مشرق.

شعرت ماري أنها قالت أكثر مما يجب قوله عندما بدأت الحديث، نها قرأت عدم الموافقة على تعابير وجه السيدة ريتشل.

- إنها مسؤولية كبيرة جدًّا تلكَ التي أخذتِها على عاتقك (**قالت السيدة ريتشل متجهمة**)، سيما أنه ليس لديك أي خبرة مع ا طفال، أنتِ تعرفين الكثير عن سلوكها الحقيقي على ما أعتقد، وليس هناك مجال للتخمين لمعرفة ما ستؤول إليه تربية تلك الطفلة، أقول هذا لكني أقصد إحباطك ماري .

- شيء يحبطني (**ردت ماريِ بنبرة جافة**). عندما أحسم أمري، ف شيء يستطيع إحباطي. أظن أنك ترغبين في رؤية آن، سأناديها لتأتي.

جاءت آن راكضة في الحال، ووجهها يت ببهجة جو تها البستانية، ولكن خبت البهجة من وجهها عندما وجدت نفسها في حضور شخص غريب غير متوقع، وتوقفت في حيرة عند مدخل الباب. بدت مخلوقًا صغيرًا غريب المظهر في الفستان القصير الضيق الذي كانت ترتديه من الملجأ، والذي أظهر ساقيها النحيلتين الطويلتين بشكل غير م ئم. كان نمشها أكثر عددًا وظهورًا من أي وقت مضى، وكانت الريح قد عبثت بشعرها الذي لم تكن تغطيه قبعة وبعثرته في جميع ا تجاهات ولم يكن يبدو أكثر احمرارًا مما كان عليه في تلك اللحظة.

- حسنًا، بالتأكيد أنهم لم يختاروكِ لمظهرك، هذا حتمي. (**علقت السيدة ليند بنبرة مشددة. كانت السيدة ريتشل واحدة من هؤ ء ا شخاص المبهجين والشعبيين الذين يفتخرون بالتعبير عن آرائهم دون خوف أو محاباة**) إنها نحيفة للغاية وبشعة يا ماريِ . تعالي هنا يا طفلتي ودعيني ألقي نظرة عليكِ. يا إلهي! هل رأى أحد مثل هذا النمش من قبل؟ وهذا الشعر ا حمر مثل الجزر! قلت لكِ تعالي إلى هنا يافتاة.

ذهبت آن إليها، ولكن ليس كما كانت تتوقع السيدة ريتشل، فقد عبرت أرضية المطبخ مكتوفة، ووقفت أمام السيدة ريتشل، وقد اصطبغ وجهها بالقرمزي من الغضب وارتعدت شفتاها، وارتجف جسدها من رأسها إلى أخمص قدميها.

- أنا أكرهك (**صرخت الطفلة بصوت خانق، وهي تركل ا رض بقدميها**) أكرهك، أكرهك، أكرهك (**ومع كل تأكيد على الكراهية كانت تركل ا رض بقوة أكبر**). كيف تجرئين على نعتي بالنحيفة والقبيحة؟ كيف تجرئين على القول إني منمشة وحمراء الشعر؟ أنتِ امرأة وقحة وغير مهذبة وعديمة الشعور!

- آن! (**صاحت ماريِ مذعورة**).

لكن آن استمرت في مواجهة السيدة ريتشل بـ هوادة، وقد انتصب رأسها عاليًا وقدحت عيناها بالشرر، وأحكمت قبضتي يدها بينما تصاعد زفير انفعالها الساخط كهالة تحيط بالجميع.

- كيف تجرئين على قول مثل هذه ا شياء عني؟ (**كررت آن بشدة**). أتحبين أن تُقال مثل هذه ا شياء عنك؟ أتريدين أن يقال لكِ إنك سمينة وخرقاء وربما تمتلكين ولو شرارة من الخيال؟ يهمني إذا جرحت مشاعرك بقولي ذلك! آمل أن أوذيها حقًّا. لقد

آذيت مشاعري كما لم يفعل أحد من قبل، حتى من قِبل زوج السيدة توماس السكير. ولن أسامحك أبدًا، أبدًا، أبدًا!

أخذت آن تركل ا رض من جديد!

- هل سبق حد أن رأى مثل هذا الطبع الحاد في حياته؟! (**هتفت السيدة ريتشل بهلع**).

- آن، اذهبي إلى غرفتك، وابقي هناك حتى آتي إليكِ (**أمرتها ماريـ ، وهي تستعيد قدرتها على النطق بصعوبة**).

انفجرت آن بالبكاء، واندفعت نحو باب القاعة، وصفقته خلفها بعنف حتى قعقعت علب الصفيح المعلقة على جدار الشرفة بالخارج تعاطفًا مع الموقف، ثم تابعت اندفاعها وصعدت الدرج كالزوبعة، وعندما تعالى صوت آخر أبعد مسافة، كان هذا دليلًا على تأثر باب غرفة المرتفعات الشرقية وانصفاقه أيضًا بقوة مماثلة.

- حسنًا، إني أحسدك على مهمتك في تربية هذا المخلوق يا ماريـ (**قالت السيدة ريتشل بوقار شديد**).

فتحت ماريـ فمها لتقول إنها عاجزة عن إيجاد عذر أو مبرر للموقف، لكن ما نطقه لسانها كان مفاجأة لها هي نفسها في ذلك الوقت وما تـ ه من أوقات.

- ما كان يجب أن تسخري من هيئتها ريتشل.

- ماريـ كوثبرت، أتقصدين القول إنك تدعمينها في مثل هذا ا ستعراض الرهيب من الغضب الذي رأيناه للتو؟ (**تساءلت السيدة ريتشل بسخط**).

- (**قالت ماريـ ببطء**)، أنا أحاول خلق ا عذار لها، كانت قليلة ا حترام للغاية، وسأضطر للتحدث معها حول هذا الموضوع وتوبيخها، لكن يجب أن نعذر تصرفها، فهي لم تتعلم ما هو الصواب من قبل، كما أنك كنت شديدة القسوة عليها يا ريتشل.

لم تستطع ماريـ منع نفسها من إضافة جملتها ا خيرة، على الرغم من أنها دُهشت من نفسها لفعل ذلك مرة أخرى. نهضت السيدة ريتشل وهي تشعر أن كرامتها قد أُهينت.

- حسنًا، أرى أنه يفترض بي أن أكون حذرة للغاية فيما ينبغي لي قوله بعد ذلك يا ماريـ ، ما دامت مشاعر ا يتام الرقيقة ـ والذين يَعرف أصلهم و فصلهم إ الله ـ يجب أن تُؤخذ بعين الحسبان قبل أي شيء آخر. أوه، ، أنا لست منزعجة، تقلقي حيال ما حدث. أشعر بالشفقة عليكِ، فسيكون لديك متاعبك الخاصة مع تربية تلك الطفلة، لكن إن كنتِ ستأخذين بنصيحتي ـ والتي أَعلم أنك لن تُلقي لها بالًا من ا ن ـ فقد ربيتُ عشرة أطفال، ودفنت اثنين منهم، لذلك أنصحك بأن تضيفي عصا

من الخيزران إلى كلمات التوبيخ التي ستؤدبين بها تلك الطفلة، فهذه اللغة حسب ما تمليه عليَّ خبرتي هي أكثر فعالية مع هذا النوع من ا طفال، فإن طبعها الحاد يماثل لون شعرها، كما رأيتِ. وا ن تصبحين على خير يا ماريِ ، آمل أن تأتي لرؤيتي وزيارتي كالمعتاد، لكنِ تتوقعي مني أن أزورك هنا مرة أخرى قريبًا، فالتعرض لـ هانة بتلك الطريقة، هو أمر لم يسبق لي أن جربته من قبل.

بينما هرولت السيدة ريتشل خارج البيت، هذا إذا كان يمكن استعمال كلمة الهرولة لوصف مشية امرأة سمينة خطواتها متبخترة متهادية. تحاملت ماريِ على نفسها واتجهت بوجه متجهم نحو الغرفة الشرقية.

في طريقها نحو الطابق العلوي، فكرت مليًّا أثناء ارتقائها الدرج فيما يجب عليها فعله، فلم يكن حجم شعورها بالفزع بقليل أمام ذلك المشهد الذي استُعرِض منذ لحظات. كم هو سوء طالع أن تظهر آن بمثل هذا الطبع أمام السيدة ريتشل؛ ريتشل لِيند، من بين كل الناس! تملكها فجأة شعور بعدم ا رتياح وتأنيب الضمير، نها علقت أهمية بالغة على شعورها با ذ ل خوفًا من ذيوع ا مر أكثر من أسفها على اكتشاف مثل هذا العيب الخطير في شخصية آن. ولكن كيف يجدر بها معاقبتها؟ فا قتراح الودي الذي اقترحته السيدة ريتشل باستخدام عصا خيزران كوسيلة فعالة للتأديب، لم يجد قبولًا في نفس ماريِ . لم تصدق أنها تستطيع جلد طفل.

، يجب العثور على طريقة أخرى للعقاب تجعل آن تدرك بشكل صحيح فداحة جريمتها.

وجدت ماريِ آن وقد انبطحت على السرير دافنة وجهها فيه، تبكي بمرارة، وغافلة تمامًا عن حذائها الموحل والمستقر على اللحاف النظيف.

- آن (**قالت ماريِ بصوت لم يكن خاليًا من الرقة**).

جواب.

- آن (**قالت بحزم أكبر**)، انهضي عن السرير حالًا، واستمعي إلى ما يجب أن أقوله لك.

نهضت آن عن السرير وجلست بصـ بة على كرسي بجانبه، ووجهها متورم وملطخ بالدموع وعيناها مثبتتان بعناد على ا رض.

- يا لهذا التصرف المهذب الذي بدر منكِ يا آن! ألم تخجلي من نفسك؟

- لم يكن لديها أي حق في نعتي بالقبيحة وحمراء الشعر (**ردت آن مراوغة ومتحدية**).

- ولم يكن لديك الحق في التهجم عليها بتلك الحدة والغضب، و التحدث بالطريقة التي قمتِ بها يا آن. لقد جعلتني أشعر بالخزي؛ بالخزي الشديد. كنت أريدك أن تتصرفي بلطف مع السيدة ليند، وبدلًا من ذلك فقد جعلتني أخجل منك. و أعرف ما الذي جعلك تفقدين السيطرة على أعصابك بهذا الشكل، فوصف السيدة ليند بأنك حمراء الشعر وغير جميلة ليس جديدًا عليكِ، أنت تقولين هذه ا شياء عن نفسك كثيرًا.
- أوه، لكن هناك فرقًا كبيرًا بين ما يقوله المرء عن نفسه وبين سماعه للناس يقولون عنه ذلك (**انتحبت آن**). قد تعرفين فيما بينك وبين نفسك أن هناك شيئًا ما كذلك، لكن يمكنك تقبل أن يعرف ا خرون ما تعرفينه عن نفسك. أعلم أنك تعتقدين ا ن أني سيئة الطباع، لكني لم أستطع كبح غضبي، فعندما قالت هذه ا شياء، انتفض شيء ما بداخلي وخنقني، وما كان أمامي إ أن أندفع في وجهها.
- حسنًا، يجب أن أقول إنك قمتِ باستعراض جيد لنفسك، سيكون لدى السيدة ليند قصة جميلة لترويها عنك في كل مكان، وتأكدي أنها سترويها. لقد كان أمرًا مروعًا أن تفقدي السيطرة على أعصابك هكذا آن.
- فقط تخيلي كيف سيكون شعورك إذا أخبرك شخص ما بأنك نحيفة وبشعة (**حاولت آن التماس العذر لنفسها باكية**).

حت فجأة ذكرى قديمة أمام ماريـ ، لقد كانت طفلة صغيرة جدًّا عندما سمعت إحدى عماتها تقول عنها خرى: «**يا ا سف، إنها سمراء وبشعة.**» ومنذ ذلك الحين عاشت ماريـ كل يوم من أيام سنين عمرها الخمسيني وهي تعاني لدغة تلك الذكرى.

- أقول إني أعتقد أن السيدة ليند كانت محقة تمامًا فيما قالته لك يا آن (**اعترفت بنبرة أكثر هدوءًا**). ريتشل صريحة جدًّا، لكن هذا ليس عذرًا لمثل هذا السلوك من جانبك. لقد كانت امرأة غريبة بالنسبة لك، ومسنة، وضيفتي، وهذه ا سباب الوجيهة الث ث كانت كافية لجعلك تحترمينها. لقد كنتِ وقحة وبذيئة. (**استلهمت ماريـ فجأةً أثناء حديثها نوع العقاب الذي سينقذ الموقف وأفصحت عنه في الحال، قائلة:**) يجب أن تذهبي إليها وتخبريها بأنك آسفة جدًّا على تصرفك السيئ، وتطلبي منها السماح.
- يمكنني فعل ذلك أبدًا (**قالت آن بحزم ووجه قاتم**). يمكنك معاقبتي بأي طريقة تريدينها يا ماريـ . يمكنك حبسي في قبو مظلم ورطب تسكنه الثعابين والضفادع

وإطعامي فقط بالخبز والماء ولن أشكو، لكن يمكنني أن أطلب من السيدة ليند أن تسامحني.

- لسنا معتادين حبس الناس في أقبية مظلمة رطبة (**قالت ماريل بجفاف**)، وبخاصة أنها نادرة في أفونليا. لكن اعتذارك للسيدة ليند واجب عليكِ، وستفعلين، وستبقين هنا في غرفتك حتى تخبريني أنك على استعداد للقيام بذلك.
- يجب أن أبقى هنا إلى ا بد إذن (**قالت آن بحزن**)، ني أستطيع تقديم ا عتذار للسيدة ليند عما قلته لها. كيف يمكنني؟ أنا لست آسفة بالفعل. أنا آسفة فقط ني أزعجتك، لكني سعيدة ننى أخبرتها بما فعلته. لقد منحني هذا ارتياحًا كبيرًا. أيمكنني أن أقول لها إني آسفة وأنا لست آسفة؟
- أستطيع حتى الشعور با سف في خيالي.
- ربما سيعمل خيالك بطريقة أفضل بحلول الصباح (**قالت ماريل وهي تنهض لتغادر**). سيكون لديك ليلة للتفكير في سلوكك وإعمال ذهنك للتوصل إلى حل أفضل. لقد وعدتِني سابقًا أنك ستحاولين أن تكوني فتاة مطيعة إذا أبقيناكِ في المرتفعات الخضراء، لكن يجب أن أقول إن ا مر لم يبدُ مثل ما وعدتِ كثيرًا هذا المساء.

غادرت ماريل الغرفة بعد أن رشقت آن بذلك السهم ا خير ليعتمل في صدرها العاصف، ونزلت إلى المطبخ وقد اضطربت بشدة من انزعاجها الفكري وتكدرها النفسي، بل كانت غاضبة من نفسها أكثر مما شعرت به من غضب على آن، نها كلما تذكرت م مح الهلع التي بدت على وجه السيدة ريتشل غالبت شفتيها لتمنعهما من ا بتسام، وشعرت بالخزي من رغبتها الجامحة بالضحك.

(10)
اعتذار آن

لم تخبر ماريه ماثيو عما حدث في ذلك المساء، لكن عندما استمرت آن في إظهار عنادها في الصباح التالي، كان بد من وجود تفسير سباب غيابها عن طاولة ا فطار. وعندها قصَّت ماريه القصة بأكملها على ماثيو، وبذلت جهدًا لتترك في نفسه انطباعًا يوحي بضرورة الشعور بفداحة سلوك آن.

- إن ريتشل ليند تستحق التوبيخ الذي حصلت عليه؛ إنها عجوز ثرثارة وفضولية (**جاء رد ماثيو مواسيًا**).
- ماثيو كوثبرت، أنا منذهلة مما تقول، أنت تعلم أن سلوك آن كان شنيعًا، ومع ذلك تقف في صفها! أفترض أنه ينقصك إ أن تقول إنه ينبغي لنا معاقبتها على ا ط ق.
- حسنًا، .. ليس تمامًا (**أجاب ماثيو بصعوبة**). أعتقد أنها يجب أن تعاقَب قليلًا، لكن تقسي عليها يا ماريه وتذكري أنها لم يسبق أن كان لديها أي شخص يعلمها السلوك الصحيح. و.. ألن.. ألن تعطيها شيئًا لتأكله؟
- هل بلغك عني أني أترك الناس يتضورون جوعًا حتى يتحسن سلوكهم؟ (**تساءلت ماريه بسخط**) ستحصل على وجباتها بانتظام، وسأحملها لها بنفسي، لكنها ستبقى هناك حتى تكون على استعداد لـ عتذار للسيدة ليند، وهذا قرار نهائي يا ماثيو.

ظلَّت آن على عنادها، وهكذا تتالت وجبات ا فطار، الغداء، والعشاء صامتة للغاية. بعد كل وجبة كانت ماريه تحمل صينية مملوءة بالطعام بشكل جيد، وتصعد بها نحو المرتفعات الشرقية حيث غرفة آن، ثم تعود حقًا لتأخذها عائدة بها إلى المطبخ دون نقص ملحوظ فيها، بينما كان ماثيو يعاين الصينية المسترجعة بعينين قلقتين:

- هل أكلت آن أي شيء على ا ط ق؟

في مساء ذلك اليوم، وعندما خرجت ماريه من البيت لتسوق ا بقار من المرعى الخلفي، تسلل ماثيو ـ الذي كان يتجول حول مخازن الحبوب ويراقب المكان ـ إلى المنزل بخفة لص وصعد سريعًا إلى الطابق العلوي. بشكل عام، كانت تنق ت ماثيو في البيت تنحصر بين

المطبخ وغرفة نومه الصغيرة عند نهاية الردهة، وعندما يغامر با نتقال إلى مكان آخر يكون ذلك المكان إما غرفة ا ستقبال أو غرفة الجلوس عندما يزورهم القس من أجل تناول الشاي، لكنه لم يصعد س لم منزله منذ الربيع الذي ساعد فيه ماري على تشميع غرفة الضيوف ا حتياطية، وكان ذلك قبل أربع سنوات.

سار ماثيو على أطراف أصابعه على طول الردهة ووقف لعدة دقائق خارج باب المرتفعات الشرقية مستجمعًا شجاعته للنقر بأصابعه قبل أن يفتحه ليختلس النظر.

كانت آن تجلس على الكرسي ا صفر بجوار النافذة تنظر بحزن إلى الحديقة. بدت صغيرة جدًّا وغير سعيدة. تعذب قلب ماثيو جرَّاء هذا المشهد الذي بدت عليه، فأغلق الباب بهدوء وتوجه نحوها.

- آن (**همس كما لو كان خائفًا من أن يُسمع**)، كيف حالك يا آن؟

ابتسمت بخفوت.

- بأس بحالي، أنا أحلق مع خيالي كثيرًا، وهذا يساعدني على تمضية الوقت. طبعًا أنا أشعر بنوع من الوحدة، لكني سأعتاد الوضع بعد ذلك.

ابتسمت آن مرة أخرى، وكأنها تواجه بشجاعة سنوات طويلة من السجن ا نفرادي أمامها.

تذكر ماثيو أنه يجب عليه البوح بما يريد قوله لها، دون إضاعة وقت، خشية عودة ماري قبل ا وان.

- حسنًا، وا ن أ تعتقدين أنه من ا فضل أن تفعلي ما طلبته ماري وتنهي ا مر؟ (**همس**). يجب أن يتم ذلك عاجلًا أم آجلًا، فكما تعلمين؛ ماري امرأة حازمة ومصممة بشكل رهيب يا آن، لذلك أقترح عليك وضع حد لتلك المسألة، وا نتهاء منها بأسرع ما يمكن.
- أتعني ا عتذار للسيدة ليند؟
- نعم، نعم، ا عتذار. هذه هي الكلمة المناسبة (**قال ماثيو بحماس**)، فقط قومي بتلطيف ا جواء إذا جاز التعبير. هذا ما أحاول قوله لك.
- أظن أنني أستطيع فعل ذلك فقط رضائك (**قالت آن بتمعن**). سيكون من الصحيح أن أقول إني آسفة، ني آسفة ا ن فعلًا. لم أكن أشعر بأي أسف الليلة الماضية، فقد كنت غاضبة تمامًا، وبقيت في حالة من الحنق طوال الليل. أعرف هذا ني استيقظت ث ث مرات أثناء الليل، وأنا أنفجر غيظًا، لكن في الصباح انتهى كل شيء، فلم يعد مزاجي سيئًا على ا ط ق، بل إن زوال غضبي ترك في نفسي نوعًا مروعًا من الفراغ، سرعان

ما م ته بشعور الخجل من تصرفي. لكني لم أستطع تقبل أمر الذهاب وتقديم ا عتذار للسيدة ليند على ما بدر مني. سيكون ا مر مهينًا جدًّا، لذلك قررت أن أبقى صامتة هنا إلى ا بد بدلًا من فعل ذلك، ولكني على استعداد أن أفعل أي شيء من أجلك إذا كنت حقًّا تريد مني ا عتذار.

- حسنًا ا ن، بالطبع أريدك أن تعتذري لها. إن الطابق السفلي موحش جدًّا بدونك. فقط اذهبي واجعلي ا مور سلسة. ها هي فتاتي الطيبة.
- كما تشاء (**قالت آن باستسـ م**). سأخبر ماريـ ما إن تأتي أني قد أعلنت ندمي.
- هذا تصرف صحيح، تصرف صحيح جدًّا يا آن، لكن تخبري ماريـ عما جرى بيننا من حديث؛ ستظن أني أحاول إدارة القارب بمجدافي، وقد وعدتها أ أفعل.
- لن أبوح بالسر حتى لو أجبرتني الخيول المتوحشة على فعل ذلك (**وعدَت آن بشكل رسمي**). كيف يمكن للخيول المتوحشة أن تسحب سرًّا من شخص على أي حال؟

لكن ماثيو كان قد ذهب، وهو يكاد يصدق نجاحه في إقناع آن. هرب على عجل خارج البيت إلى أبعد ركن في مرعى الخيول خشية أن تشك ماريـ فيما فعله، وعند عودتها إلى المنزل، فوجئت ماريـ بسماع صوت حزين ينادي «**ماريـ**» فوق درابزين الدرج.

- ماذا هناك؟ (**أجابت وهي تتجه نحو الردهة**).
- أنا آسفة ني فقدت أعصابي وقلت أشياء فظة، وأنا على استعداد للذهاب وا عتذار للسيدة ليند.
- عظيم (**قالت ماريـ بدون أن تفصح عن مشاعر ارتياحها، إذ كانت تعمل فكرها جاهدة بحثًا عن أحد تلك الحلول البديلة المتوفرة تحت قبة السماء، إن حدث ورفضت آن ا ستسـ م**). سآخذك إليها بعد حلب ا بقار.

وهكذا، بعد ا نتهاء من حلب ا بقار، ها هما ماريـ وآن تسلكان الدرب نزولًا إلى الغور، ا ولى منتصبة القامة ومنتصرة، وا خيرة مطأطئة الرأس مغتمة. ولكن في منتصف الطريق اختفى الغمُّ عن آن كما لو كان بفعل السحر. رفعت رأسها وخطت برفق، وعيناها مثبتتان على سماء غروب الشمس والبهجة تضيء محياها. عاينت ماريـ التغيُّر باستنكار، ن ما بدت عليه آن لم يكن يمت بأي صلة إلى الندم الخانع الذي ينبغي إظهاره في حضور السيدة ليند مُهانة الكرامة.

- بماذا تفكرين يا آن؟ (**سألتها ماريـ محتدة**).
- أنا أتخيل ما يجب أن أقوله للسيدة ليند (**أجابت آن حالمة**).

كان هذا الجواب مُرضيًّا، أو كان ينبغي أن يكون كذلك، لكن ماريـ لم تستطع التخلص من فكرة أن شيئًا ما في نتائج ذلك العقاب لم يكن يسير وفق مخططاتها، إذ ليس من المفترض أن تبدو آن بعد كل ما حدث مفعمة بالحيوية وا شراق.

حافظت آن السابحة في عالم آخر على حيويتها وإشراقها حتى وصـ إلى السيدة ليند التي كانت جالسة بجوار نافذة مطبخها تحوك. حينها تـ شى إشراق آن، وظهر الندم على كل قسمة من قسمات وجهها، وقبل أن تنبس ببنت شفة، ركعت على ركبتيها فجأة أمام دهشة السيدة ريتشل، وفتحت يديها بطريقة توسل.

- أوه سيدة ليند، أنا آسفة للغاية (**قالت بصوت مرتعش**)، ولن أستطيع التعبير أبدًا عن فداحة ندمي، .. حتى وإن استخدمت جميع ما في المعجم من كلمات، ولكن يمكن أن تتخيلي هذا، لقد تصرفت معك بوقاحة، وقد ألحقت العار با عزاء ماثيو وماريـ ، اللذَين سمحا لي بالبقاء في المرتفعات الخضراء على الرغم من أنني لست صبيًّا. أنا فتاة عاقة وسيئة وأستحق العقاب والنفي بعيدًا عن الناس المحترمين إلى ا بد. كان عدم احترام مني أن أواجهك بمثل نوبة الغضب تلك نك قلت لي الحقيقة، فأنا حمراء الشعر ومنمشة وهزيلة وبشعة. ما قلته لك كان حقيقة أيضًا، لكن ما كان يجب أن أقول ذلك. أوه يا سيدة ليند أرجوك، أرجوك سامحيني، وإذا رفضتِ مسامحتي ستسببين لفتاة مسكينة يتيمة مثلي حزنًا أبديًّا. أيرضيكِ هذا حتى لو كانَت هذه الفتاة سيئة الطباع؟ أنا متأكدة من أنك ترغبين في هذا. أرجوك قولي إنك تسامحينني يا سيدة ليند.

شبكت آن يديها معًا، وطأطأت رأسها، وانتظرت صدور كلمة الحكم النهائي.

لم يكن هناك أي شك في صدقها، نها تنفست الصدق مع كل نبرة من نبراتها كما حظت ماريـ والسيدة ليند، وصوتها يوحي أن تضرعها صادر من أعماقها، إ أن ماريـ انتابها الهلع إزاء إحساسها أن آن كانت تستمتع بعرضها المذل. فأين هو العقاب الصحي الذي تباهت به؟ لقد حولته آن بغمضة عين إلى نوعٍ من المتع ا يجابية.

أما السيدة ليند الطيبة، التي لم تكن تثقل كاهلَها بأعباء ا دراك، لم ترَ ما رأته ماريـ ، لقد أدركت فقط أن آن قدمت اعتذارًا شاملًا للغاية، وأن كل مشاعر ا ستياء اختفت من قلبها الذي يتميز برقته حتى وإن كان قلبًا فضوليًّا.

- هيا، هيا، انهضي يا طفلتي (**قالت بحنان**). بالطبع أنا أسامحك. على أي حال، أعتقد أني كنت فظة قليلًا معك، لكني شخص صريح للغاية، عليكِ فقط أ تهتمي بكـ مي، هذا

ما عليكِ فعله. يمكن إنكار أن شعرك أحمر فاقع، لكني عرفت ذات مرة فتاة كانت رفيقتي في المدرسة في الواقع، كان شعرها أحمر مثل شعرك عندما كانت صغيرة، ولكن عندما كبرَت، أصبح لونه داكنًا مائلًا إلى اللون الكستنائي الرائع. ولن أشعر بمثقال ذرة من الدهشة إذا اكتسب شعرك هذا اللون أيضًا.. و بمثقال ذرة.

- أوه يا سيدة ليند! (**أخذت آن نفسًا طويلًا وهي تنهض على قدميها**) لقد أعطيتني أملًا، ولن أنسى ما حييت أنك محسنة وفاعلة خير. أوه، يمكنني أن أتحمل أي شيء إذا عرفت أن شعري سيصبح ذا لون كستنائي جميل عندما أكبر. أ تظنين أنه سيصبح من السهل على المرء أن يكون إنسانًا طيبًا إذا كان شعره كستنائي اللون؟ وا ن، أتسمحين لي بالخروج إلى حديقتك والجلوس على ذلك المقعد تحت أشجار التفاح بينما تتجاذبان أطراف الحديث أنت وماريلا ؟ فهناك مجال أكبر بكثير للخيال في الخارج.
- بالطبع أسمح لكِ. اذهبي يا طفلتي وبإمكانك قطف باقة من زنابق يونيو البيضاء عند زاوية الحديقة إذا شئتِ.

عندما أُغلق الباب خلف آن، نهضت السيدة ليند بسرعة لتضيء المصباح.

- إنها مخلوقة صغيرة غريبة ا طوار فعلًا. خذي هذا الكرسي يا ماريلا ، إنه أفضل من الكرسي الذي تجلسين عليه، فأنا أضع هذا ا خير للفتى الذي أستأجر خدماته ليجلس عليه. نعم، إنها بالتأكيد طفلة غريبة ا طوار، لكني أشعر أن هناك شيئًا مثيرًا في عملية تربيتها في النهاية. وما عدت أشعر بالتعجب منك ومن ماثيو نكما قررتما ا حتفاظ بها، ولست حزينة من أجلك أيضًا. من المرجح أنها ستصبح فتاة جيدة. أنكر أن لديها طريقة غريبة للتعبير عن نفسها، طريقة هي أفضل مما ينبغي أن تكون عليه بالنسبة إلى طفلة مثلها، با ضافة إلى أنها طريقة انفعالية أكثر من الا زم، لكنها ستتغلب على ذلك على ا رجح ا ن، وبخاصة بعد أن تسنت لها الفرصة للعيش بين الناس المتحضرين. ومع أنها تفقد السيطرة على أعصابها بسرعة على ما أعتقد، فإن لذلك جانبًا إيجابيًّا وحيدًا وهو أن الطفل ا نفعالي ما يكاد ينفجر حتى يعود ويهدأ فورًا، وهذا أفضل بكثير من النوع الخبيث أو المخادع، فـ يمكن تحمل الطفل الخبيث تمامًا يا ماريلا . على العموم، أشعر أني أحب هذه الطفلة نوعًا ما.

عندما غادرت ماريلا لتعود إلى بيتها، أسرعت إليها آن، خارجة من شفق البستان المعطر وحزمة من النرجس ا بيض بيدها.

- لقد اعتذرت بطريقة ئقة، أليس كذلك؟ (**قالت بفخر بينما تسيران في الدرب**) فكرت أنه ما دمت أنوي ا عتذار، يجب أن أعتذر بأسلوب جيد.
- نعم، لقد فعلت ذلك جيدًا، جيدًا بما فيه الكفاية.

هكذا علقت ماري التي تتنازعها الحيرة بين الرغبة في الضحك على الذكريات، وبين ذلك الشعور غير المريح الذي يلحُّ عليها بضرورة توبيخ آن نها بالغت كثيرًا في اعتذارها، ولكن أليس هذا الشعور سخيفًا؟ وهكذا عملت على تسوية خ فها مع ضميرها وقالت بعد جهد:

- آمل أ تتاح لك الفرصة لتقديم المزيد من هذه ا عتذارات. آمل أن تحاولي السيطرة على أعصابك من ا ن فصاعدًا يا آن.
- لن يكون ذلك صعبًا إذا لم يضايقني الناس بشأن مظهري (**قالت آن متنهدة**). أنا أغضب من أشياء أخرى، لكني مللت من استهزاء الناس من لون شعري، وهذا يجعلني أغلي غليانًا. أتظنين حقًّا أن شعري سيصبح ذا لون كستنائي جميل عندما أكبر؟
- يجب أن تفكري كثيرًا في مظهرك يا آن. أخشى أنك فتاة صغيرة مختالة جدًّا بنفسها.
- كيف يمكنني أن أكون مختالة بنفسي وأنا أعرف أني لست جميلة؟ (**احتجَّت آن**) أنا أحب ا شياء الجميلة وأكره أن أنظر إلى المرآة وأرى فيها شيئًا قبيحًا. إن هذا يجعلني أشعر بالحزن الشديد، وهذا الشعور مماثل تمامًا لما أشعر به عندما أنظر إلى أي شيء قبيح وأشفق عليه نه ليس جميلًا.
- الجمال هو جمال ا فعال، وليس المظهر (**ردت ماري مقتبسة إحدى الحكم**).
- قيل لي هذا الك م من قبل، ولكن لدي شكوكي الخاصة التي تساورني بشأنه (**علَّقت آن وهي تشم زهورها**). أوه، أليست هذه ا زهار جميلة؟! كان لطيفًا من السيدة لينـد إعطائي إياها. لم يعد لدي أي مشاعر قاسية ضد السيدة لينـد ا ن. أ يجعلك قبول ا عتذار تشعرين بشعور جيد ومريح؟ أليست النجوم متوهجة هذه الليلة؟ إذا كنتِ تستطيعين العيش على نجمة، فأي نجمة تختارين؟ أنا سأختار تلك النجمة الكبيرة الصافية الجميلة التي تسطع بعيدًا هناك فوق ذلك التل المظلم.
- آن، الجمي لسانك (**قالت ماري منهكة تمامًا وهي تحاول متابعة تقلبات أفكار آن**).

لم تقل آن أكثر من ذلك حتى وصلتا درب المرتفعات الخضراء، حيث هبت نسائم صغيرة من ريحٍ غجرية عطرة ستقبالهما، محملة بعبق السراخس التي تساقطت عليها قطرات الندى

النقية. بعيدًا في الظل، سطع ضوء مبهج من خ ل ا شجار من مطبخ المرتفعات الخضراء. اقتربت آن فجأة من ماري والتصقت بها، ودست يدها في راحة كفها القاسية الكبيرة.

- من الرائع أن يعود المرء إلى البيت، وهو يعرف أنه بيته (**قالت آن**). أنا أحب المرتفعات الخضراء بالفعل، ولم أحب أي مكان من قبل، إذ لم يشعرني أي مكان أنه بيتي. أوه يا ماري ! أنا سعيدة جدًّا لدرجة أني أستطيع أن أصلي ا ن و أجد صعوبة في ذلك.

شيء ما دافئ وعذب تدفق في قلب ماري بلمسة من تلك اليد الصغيرة النحيلة، ربما شيء أشبه بنبضة ا مومة التي فاتتها، وشعرت بالحرج من لطف ذلك ا حساس وغرابته، فسارعت باستعادة رزانة مشاعرها المعتادة، ووجدت مخرجًا بترديد واحدة من عبرها ا خ قية:

- إذا حرصتِ على أن تكوني فتاة طيبة يا آن، فستشعرين بالسعادة دومًا، ويجب أ تجدي صعوبة في ت وة ص تك أبدًا.
- ت وة الص ة ليست مثل الص ة تمامًا (**قالت آن متأملة**). أما ا ن فسأتخيل أني الريح التي تهب هناك على قمم ا شجار. وعندما أملُّ من ا شجار سأتخيل أني ألوح هنا برفق بين السراخس، ثم سأطير إلى حديقة السيدة ليند وأجعل الزهور ترقص فيها، ثم سأتوجه بوثبة واحدة صغيرة نحو حقل البرسيم، ثم سأنفخ على بحيرة المياه الـ معة جعلها تترقرق با مواج المت لئة. أوه، هناك مجال كبير للخيال في مهب الريح! لذلك لن أتحدث أكثر يا ماري .
- شكرًا لله على ذلك (**تنفست ماري بارتياح شديد**).

(11)

انطباع آن عن مدرسة الأحد

- حسنًا، ما رأيك بها؟ (**قالت ماريه**).

كانت آن تقف في غرفة المرتفعات الشرقية، تنظر في مشهد احتفالي إلى ثـ ثة فساتين جديدة وُضعت على السرير بشكل استعراضي. أحدها مصنوع من قماش قطني بني اللون، كانت ماريه قد أُغريت لشرائه من قبل بائع متجول في الصيف الماضي، نه بدا وكأنه غير صالح لـ ستعمال، وا خر ذو مربعات بيضاء وسوداء من قماش الساتان والذي التقطته ماريه في فصل الشتاء من على طاولة تخفيضات في أحد المتاجر، أما الثالث فكان من القماش الخشن الملون بظ ل زرقاء قبيحة، اشترته في ذلك ا سبوع من مخزن كارمودي.

صنعتهم ماريه بنفسها، وخاطت جميع الفساتين على شاكلة تصميم واحد؛ تنورة واسعة عادية يفصلها عن الجزء العلوي من الفستان تحديد طفيف للخصر، مع أكمام بسيطة كبساطة تنورة الفستان وخصره، وضيقة بقدر ما يمكن أن يكون عليه الكمُّ من ضيق.

- سأتخيل أنها أعجبتني (**قالت آن وهي تحاول إبداء القناعة**).
- أنا أريدك أن تتخيلي ذلك (**قالت ماريه مستاءة**). أوه، أستطيع أن أرى بوضوح أن الفساتين لم تعجبك! ما العيب فيها؟ أليست جميعها أنيقة ونظيفة وجديدة؟
- نعم.
- إذن ما الذي لم يعجبك فيها؟
- إنها.. إنها.. ليست جميلة (**قالت آن على مضض**).
- جميلة! (**زفرت ماريه**) أنا لن أجعل كل همي ينصب على التفكير بجلب فساتين جميلة لك، و أومن بإشباع الرغبات بالتفاخر الزائف يا آن، وعليكِ أن تستمعي جيدًا لما سأقوله لكِ ا ن: هذه الفساتين هي فساتين جيدة ومعقولة وعملية، بدون أي زخارف أو كشكشةَ، وهي كل ما ستحصلين عليه هذا الصيف. القماش القطني البني والفستان ا زرق سيناسبانك في المدرسة عندما تبدئين في الذهاب إليها. وفستان الساتان للكنيسة ومدرسة ا حد. طبعًا أتوقع منك أن تحافظي على نظافتها وأ تمزقيها. وسأقنع

نفسي بأنك شاكرة للحصول على أي شيء بعد تلك ا سمال البالية والمهترئة التي كنتِ ترتدينها.

- أوه، أنا شاكرة حقًّا (**احتجت آن**)، لكن كنت سأصبح أكثر شكرًا لو.. لو صنعتِ واحدًا منهم فقط بأكمام منفوخة. ا كمام المنفوخة دارجة جدًّا هذه ا يام، ومطابقة للموضة، ومجرد ارتدائي لفستان بأكمام منفوخة سيجعل رعشة السرور تسري في جسدي يا ماريـ .
- حسنًا، سيتعين عليك ا ستغناء عن رعشة سرورك تلك، لم يكن لدي أي قماش أهدره على ا كمام المنفوخة، با ضافة إلى أني أعتقد أنها تصاميم سخيفة على أي حال. أنا أفضِّل التصاميم العادية والعملية.
- لكني أفضل أن أبدو سخيفة عندما يفعل الجميع ذلك بدلًا من أن أبدو عادية وعملية بمفردي (**أصرت آن بحزن**).
- كنتُ واثقة من رأيك! وا ن علقي تلك الفساتين بعناية في خزانتك، ثم اجلسي وتعلمي درس مدرسة ا حد. لقد جلبت لك كتاب هذا الفصل من السيد بيل، وستذهبين إلى مدرسة ا حد غدًا (**قالت ماريـ وهي تغادر نازلة الس لم بامتعاض كبير**).

شابكت آن يديها ونظرت إلى الفساتين.

- كنت أتمنى أن يكون هناك واحد أبيض اللون بأكمام منفوخة (**همست بهدوء**)، فقد صليت من أجل واحد، لكني لم أتوقع كثيرًا أن تُستجاب صـ تي؛ لم أفترض أن الله سيكون لديه وقت ليهتم بفستان فتاة يتيمة صغيرة. كنت أعلم أنني سأضطر إلى ا عتماد على ماريـ في ذلك. حسنًا، لحسن الحظ أنه يمكنني تخيُّل أحدها من الموسلين ا بيض الثلجي مع زخرفة جميلة من الدانتيل وأكمام منفوخة بثـ ثة أضعاف حجمها.

في صباح اليوم التالي، لم تستطع ماريـ مرافقة آن إلى مدرسة ا حد، بسبب ما انتابها من أعراض الصداع.

- سيكون عليكِ الذهاب وحدك إلى منزل السيدة ليند يا آن، لتصحبك معها (**قالت ماريـ**)، ستدلكِ على الفصل المناسب لك، ضعي في حسبانك أن تتصرفي بشكل ئق، ابقي لسماع موعظة ا حد بعد الدرس، واطلبي من السيدة ليند إرشادك إلى مقعدنا في الكنيسة. وهذا سِنت من أجل جمع التبرعات. تحدقي إلى الناس و تتململي في

مكانك، وسأتوقع منك أن تعيدي على مسامعي النص الذي سيتلوه القس عندما تعودين إلى البيت.

غادرت آن البيت بهيئةٍ غبار عليها، مرتدية فستان الساتان ذي المربعات السوداء والبيضاء، والذي كان محتشم الطول، أما تصميمه الضيق الذي أبرز كل زاوية وناحية من تفاصيل جسمها النحيل، فلم يكن بكل تأكيد عُرضة لوصمه بتهمة البخل أو التقتير بالقماش عليه. كانت تعتمر قبعة بحارة جديدة، صغيرة، ومسطحة، و معة، لكن بساطتها التي بلغت أقصى الحدود خيبت آمال آن كثيرًا، وجعلتها تسمح لنفسها ببعض الرؤى الخفية بتزويد تلك القبعة بشرائط وزهور وهمية، وسرعان ما تحولت تلك ا زهار الوهمية إلى حقيقة، إذ واجهت آن في منتصف طريقها نزولًا على الدرب هيجانًا ذهبيًا بفعل تحريك الرياح زهار عشب الحوذان الصفراء ذات البريق الذهبي، وشموخًا وبهاءً للورود البرية، فقامت بإعطاء نفسها الحرية المطلقة لتزيين قبعتها بإكليل سميك منها. وعلى الرغم من أنه قد يكون للناس رأي آخر بما فعلته، فإنها أحست بالرضا، وتابعت خطاها حثيثًا بابتهاج على الدرب، ممسكة بقبعتها ـالمزينة باللونين الوردي وا صفرـ على رأسها ا حمر، بفخر شديد.

عندما وصلت إلى منزل السيدة ليند، لم تجدها، إ أن ذلك لم يثبط من همتها، فتابعت السير وحدها وتقدمت في طريقها نحو الكنيسة، وفي الرواق التقت بحشد كبير من الفتيات الصغيرات الـ تي كن يرتدين الفساتين البيضاء، والزرقاء، والوردية، ويحدقن بأعين فضولية إلى تلك الغريبة التي تتوسطهن بزينة رأسها ا ستثنائية. قد سبق لفتيات أفونليا الصغيرات أن سمعن بالفعل قصصًا غريبة عن آن، فقد قالت عنها السيدة ليند أنها ذات طبع سيئ، وقال جيري بوتي الصبي ا جير في المرتفعات الخضراء، إنها تتحدث طيلة الوقت مع نفسها أو إلى ا شجار والزهور مثل فتاة مجنونة. وهكذا أخذن يتفحصنها ويتهامسن عنها سرًّا من وراء كتبهن الفصلية، ولم تقم إحداهن بأي مبادرة ودية تجاهها في ذلك الحين، أو حقًا عندما انتهت الطقوس ا فتتاحية ووجدت آن نفسها في فصل ا نسة روجرسون.

كانت ا نسة روجرسون امرأة في منتصف العمر، داومت على تدريس فصل في مدرسة ا حد لمدة عشرين عامًا، طريقتها في التدريس تتمثل في طرح ا سئلة المطبوعة في الكتب الفصلية والنظر بصرامة من فوق حافة الكتاب إلى الفتاة المحددة التي تنتقيها لـ جابة عن السؤال، وفي ذلك اليوم نظرت كثيرًا نحو آن، التي كانت تجيبها على الفور بفضل تدريبات ماريـ ، على الرغم من أن استيعاب آن لـ سئلة أو لـ جوبة كان مدعاة للشك.

لم تستلطف آن ا نسة روجرسون، وشعرت ببؤس شديد ن كل الفتيات في الفصل كنَّ يرتدين فساتين منفوخة ا كمام، وتيقنت أن الحياة تستحق حقًّا العيش بدون أكمام منفوخة.

- وا ن أخبريني، كيف وجدتِ مدرسة ا حد؟

أرادت ماريـ أن تعرف عندما عادت إلى البيت، بعد أن تـ شى إكليل الزهور عن القبعة والذي رمته آن في الطريق بعد ذبوله، وبالتالي أُعفيت ماريـ من معرفة حكاية ذلك ا كليل لبعض الوقت.

- لم أحبها قيد أنملة، كانت بغيضة.

- آن شيرلي! (**صاحت ماريـ بتوبيخ**).

جلست آن على الكرسي الهزاز وهي تتنهد طويلًا، وقبلت إحدى أوراق بوني، ولوحت بيدها إلى شجيرة فوشية مزهرة.

- ربما شعروا بالوحدة في غيابي (**فسرت آن تصرفها للتو**). وا ن، بالنسبة لمدرسة ا حد، لقد تصرفت بشكل جيد كما أمرتِني، وعندما وصلت إلى منزل السيدة ليند لم أجدها، لكني أكملت طريقي وقصدت الكنيسة وحدي، ودخلتها مع العديد من الفتيات الصغيرات، جلست على طرف مقعد قرب النافذة بينما كانت طقوس ا فتتاح مستمرة. صلى السيد بيل صـ ة طويلة للغاية، ولحسن الحظ أني كنت أجلس بجوار تلك النافذة، والتي لو ها لكنت شعرت بالضجر قبل أن ينتهي من تـ وة صـ ته، فقد كانت النافذة تطل بشكل مباشر على بحيرة المياه الـ معة، لذلك حدَّقت إليها، وتخيلت جميع أنواع الحكايات الرائعة.
- لم يكن عليكِ فعل أي شيء من هذا القبيل. كان يجب أن تستمعي إلى السيد بيل.
- لكنه لم يكن يخاطبني (**احتجت آن**)، لقد كان يتحدث إلى الله ويبدو أنه لم يكن مهتمًا كثيرًا بما كان يقوله أيضًا. بدا لي أنه يظن أن الله بعيد جدًّا لدرجة أنه لم يكلف نفسه عناء بذل أي جهد لجعل صـ ته مشوقة. على كل حال، لقد قمت بتـ وة صـ ة صغيرة بنفسي، ففي الخارج رأيت منظرًا بديعًا، إذ اصطفت أشجار البتو البيضاء المُخيِّمة على البحيرة واخترقتها أشعة الشمس، هابطة.. وهابطة.. لتستقر في أعماق الماء. أوه، ماريـ ، لقد كان ذلك مثل حلم جميل! لقد شعرت برعشة ابتهاج عظيمة ووجدتني تلقائيًّا أقول: «**شكرًا لك على هذا الجمال يا رب**»، وكررتها مرتين أو ثـ ث مرات.
- ليس بصوت عالٍ، على ما أرجو (**قالت ماريـ بقلق**).

- أوه، ، فقط همست بذلك. حسنًا، لقد انتهى السيد بيل أخيرًا، وطلبوا مني الذهاب إلى قاعة فصل ا نسة روجرسون. كان في القاعة تسع فتيات أخريات، وكنَّ يرتدين جميعهن فساتين بأكمام منفوخة، حاولت أن أتخيل أن أكمامي منفوخة أيضًا، لكني عجزت. لماذا لم أستطع؟ كان من السهل أن أتخيل ذلك عندما كنت وحدي في غرفتي، ولكن كان ا مر صعبًا للغاية هناك بين بقية الفتيات الـ تي يرتدين أكمامًا منفوخة حقيقية.
- يُفترض أن تفكري في أكمامك في مدرسة ا حد. كان ينبغي لك ا نتباه إلى الدرس، وأرجو أن تكوني قد استوعبتِه جيدًا.
- نعم بالتأكيد، وأجبت عن الكثير من ا سئلة، وقد سألت ا نسة روجرسون الكثير منها. أعتقد أنه كان من العدل أن تنفرد هي بطرح جميع ا سئلة، كان لدي الكثير من التساؤ ت التي رغبت في طرحها، لكني لم أفعل، ني لم أشعر أن روح ا نسة روجرسون توأم لروحي. بعد ذلك قامت فتيات الصف ا خريات بإلقاء مقاطع دينية يحفظنها. وعندما سألتني إذا كنت أحفظ إحداها، أخبرتها بأني أحفظ أي مقطع ديني، ولكني أستطيع إلقاء مقطوعة «**الكلب عند قبر سيده**» إذا شاءت، وهذه المقطوعة موجودة في كتاب القراءة للصف الثالث، وهي في الحقيقة ليست دينية، بقدر كونها حزينة جدًّا وكئيبة ويمكنها أن تفي بالغرض، لكن ا نسة روجرسون أخبرتني بأنها غير مناسبة، وطلبت مني حفظ المقطع التاسع عشر قوم بتسميعه يوم ا حد القادم، ولقد قرأته في الكنيسة ووجدته رائعًا. هناك سطران على وجه الخصوص يعجبانني:

سريعًا، خرُّوا كضحايا السَّريَّة

في مذبحة مَديَن الملعونة[21]

- أنا أعرف ماذا تعني السَّريّة و مَديَن أيضًا، لكن يبدو وقع هذه الكلمات مأساويًّا جدًّا. أستطيع ا نتظار حتى يوم ا حد المقبل سمِّع تلك المقطوعة، سأتدرب عليها طيلة ا سبوع.

بعد انتهاء مدرسة ا حد، طلبت من ا نسة روجرسون ـ ن السيدة ليند كانت بعيدة جدًّا عني ـ أن تدلني على مقعدكم في الكنيسة. جلست ساكنة قدر استطاعتي وكان المقطع الذي اختاره القس من سفر الرؤيا، ا صحاح الثالث، ا يات الثانية والثالثة، مقطعًا طويلًا جدًّا. لو كنت القس، خترت المقاطع القصيرة السريعة. وكانت الموعظة طويلة جدًّا أيضًا. أظن أن القس كان مجبرًا على إطالتها لتتناسب مع طول المقطع. لم أشعر أنه كان مهتمًّا بما قاله. يبدو

أن المشكلة تكمن في افتقاره إلى الخيال، لذلك لم أستمع إليه كثيرًا، فتركت أفكاري تتدفق وفكرت في أكثر ا شياء إثارة للدهشة.

شعرت ماري التي حول لها و قوة بأن كل ما قالته آن يجب أن تُوبَّخ عليه بصرامة، لكن أعاقتها الحقيقة التي يمكن إنكارها، وهي أن بعض ا شياء التي قالتها آن، سيما حول موعظة القس وصلوات السيد بيل، كانت هي ا مور نفسها التي تعتمل في صدرها لسنوات طويلة، لكنها لم تعبِّر عنها قط. وبدا لها فجأة أن تلك ا فكار ا نتقادية، الخفية، غير المنطوقة، قد اتخذت شكلًا مرئيًّا ومضمونًا اتهاميًّا بواسطة هذه المخلوقة الصغيرة المنبوذة.

سفر المزامير ا سكتلندي: R19. Isaiah 9:2-8: The race that long in darkness pined.

(12)
قَسَم مقدس وتعهد

لم تسمع ماري بحكاية القبعة المزينة بإكليل الزهور إ يوم الجمعة التالي. عادت إلى المنزل من عند السيدة ليند واستدعت آن للمساءلة.

- آن، تقول السيدة ريتشل إنك ذهبتِ إلى الكنيسة يوم ا حد الماضي وقبعتك مزيَّنة بالحوذان وا زهار البرية. بحق السماء، ما الذي دفعك لتتصرفي تصرفًا كهذا؟ بد أنك كنتِ مدعاةً للسخرية!
- أوه، أعرفَ أن اللونين الوردي وا صفر غير م ئمين لي (**بدأت آن حديثها**).
- م ئمان.. هراء! المشكلة في المقام ا ول هي في وضع تلك ا زهار على قبعتك، بغض النظر عن لونها. كان هذا تصرفًا أحمقَ منك. إنك أشد ا طفال إزعاجًا!
- أفهم كيف يكون تزيين قبعة بالزهور أكثر حمقًا من تزيين فستان بها (**احتجت آن**). هناك الكثير من باقات الورود المثبتة على فساتين الكثير من الفتيات الصغيرات، فما الفرق؟

لم تكن ماري على استعداد ن تُسحب من مناقشة الوقائع الموثوق بها إلى مسارات ا حاديث المجردة المشكوك فيها.

- تردي عليَّ بهذه الطريقة مرة أخرى يا آن. من السخف أن تفعلي شيئًا كهذا، و تدعيني أضبطك متلبسة في مثل هذه الحيلة مرة أخرى. تقول السيدة ريتشل إنها ودَّت لو انشقت ا رض وبلعتها عندما رأتك تدخلين بتلك الهيئة، ولم تستطع ا قتراب منك لتطلب منك نزع الورود إ بعد فوات ا وان. وتقول إن الناس تحدثوا عنك بشكل مروع، وبالتأكيد سيظنون أني أملك أي حس بالمسؤولية سمح لك بالذهاب وأنت على هذا المنظر.
- أوه، أنا آسفة (**قالت آن والدموع تنهمر من عينيها**). لم أظن أنك ستمانعين قط. كانت تلك ا زهار لطيفة وجميلة للغاية، وارتأيت أنها ستبدو جميلة على قبعتي، فقد كان لدى الكثير من الفتيات الصغيرات ورود اصطناعية على قبعاتهن. أخشى أني سأكون بليَّة مروعة لكِ. ربما من ا فضل أن تعيديني إلى الملجأ، سيكون ذلك فظيعًا و أعتقد أني

أستطيع تحمل ذلك، وعلى ا رجح سأَصاب بالسل؛ بما إني هزيلة جدًّا كما ترين، لكن هذا سيكون أفضل من أن أكون محنة وبـ ءً لك.

- هراء (**قالت منزعجة من نفسها نها جعلت الطفلة تبكي**). أنا متأكدة من أني أريد إعادتك إلى الملجأ، كل ما أريده هو أن تتصرفي مثل بقية الفتيات وأ تجعلي نفسك سخيفة.

تبكي بعد ا ن، لدي بعض ا خبار لك. عادت ديانا باري إلى المنزل بعد ظهر اليوم، وأنا أنوي زيارة السيدة باري رى ما إذا كان بإمكاني استعارة تصميم تنورة منها، وإذا شئتِ يمكنك القدوم معي والتعرف على ديانا.

كانت الدموع ما تزال تت على خديها، عندما هبت آن واقفة على قدميها، مشابكة راحتيها، ومفلتة فوطة تجفيف ا واني التي تعتصرها بيديها، فسقطت أرضًا بدون قصد منها.

- أوه، أنا خائفة يا ماريـ ، وا ن وقد حان الوقت أشعر بالخوف أكثر. ماذا لو لم تستلطفني؟! ستكون أكثر خيبة أمل مأساوية في حياتي.
- هيًّا، تُربكي نفسك و تهتاجي ا ن. وأتمنى لو تتوقفي عن استخدام مثل هذه الكلمات الكبيرة في حديثك، إنها تبدو مضحكة جدًّا عندما تخرج من فم طفلة صغيرة. تخافي، أظن أن ديانا ستستلطفك بما يكفي. والدتها هي التي عليك أن تحسبي لها حسابًا، فإذا لم تستلطفك، فلن يكون ستلطاف ديانا لكِ أي أهمية، وإذا كانت قد سمعت عن حكاية انفجارك في وجه السيدة ليند أو عن ذهابك إلى الكنيسة بقبعة مكللة بأعشاب الحوذان، فأنا أعرف ما الفكرة التي ستكوِّنها عنك. يجب أن تكوني مهذبة وحسنة التصرف، و تسترسلي في الحديث أو تلقي أيًّا من خطاباتك المذهلة، ولكن.. بحق السماء.. إن الطفلة ترتجف!

كانت آن ترتجف فعلًا، وبدا وجهها شاحبًا ومتشنجًا.

- أوه، ماريـ ، لو كنتِ في مكاني فستشعرين أنتِ أيضًا با رتباك، إذا كنتِ على وشك مقابلة فتاة حلمتِ أنها ستكون رفيقتك الحميمة، وفي نفس الوقت تَخشين أ تستلطفك أمها (**قالت آن وهي تسرع للحصول على قبعتها**).

ذهبت ماريـ وآن إلى منحدر البستان عن طريق الدرب المختصَر عبر الجدول ثم صعودًا نحو تلَّة أَيْكات التنوب. جاءت السيدة باري إلى باب المطبخ لتجيب على طرق ماريـ . كانت امرأة طويلة، سوداء العينين والشعر، وفمها شديد الحزم. اشتهرت بأنها صارمة للغاية مع أطفالها.

- كيف حالك يا ماريـ ؟ (**قالت بحرارة**). تفضلي، و بدَّ أن هذه هي الفتاة الصغيرة التي قمتِ بتبنيها، أليس كذلك؟
- **نعم، هذه آن شيرلي (أجابت ماريـ)**.
- مع مدِّ ا لف وإشباع النون (**قالت آن التي على الرغم من ارتجافها وارتباكها، فإنها كانت مصممة على أنه ينبغي أن يكون هناك سوء تفاهم بشأن هذه النقطة المهمة**).

لكن السيدة باري التي لم يظهر عليها أنها سمعت أو فهمت، صافحتها وقالت لها بلطف:

- كيف حالك؟
- أنا بخير جسديًّا، على الرغم من أن مشاعري ليست على ما يرام، شكرًا لسؤالك سيدتي (**أجابتها آن بأدب، ثم قالت لماريـ بهمس مسموع(:** لم يكن هناك ما يبعث على النفور فيما قلته، أليس كذلك يا ماريـ ؟

كانت ديانا تجلس على ا ريكة تقرأ كتابًا وسرعان ما وضعته جانبًا عند دخول الزائرتين. طفلة صغيرة جميلة جدًّا، ورثت عن أمها عينيها السوداوين وشعرها الفاحم، ووجنتيها المتوردتين، بينما ورثت عن أبيها الم مح المرحة.

- هذه ابنتي الصغيرة ديانا (**قالت السيدة باري**).ديانا، يمكنك أن تصحبي آن إلى الحديقة لتريها أزهارك، سيكون ذلك أفضل من إرهاق عينيك في قراءة ذلك الكتاب.

عندما خرجت الفتاتان، قالت السيدة باري موجهة الحديث لماريـ :

- إنها تقرأ كثيرًا، وأنا أستطيع منعها ن والدها يساعدها ويدعمها. دائمًا تمسك بكتاب تطالعه، يسرني حقًّا أن تحظى برفيقة تلعب معها، ولعل هذا سيشجعها على مغادرة البيت أكثر من قبل.

في الحديقة، التي اصطبغت بضوء غروب الشمس الخفيف المتدفق من الغرب عبر أشجار التنوب الداكنة العتيدة، وقفت آن وديانا، تسترقان النظر بخجل إلى بعضهما بعضًا فوق أجمة من زنابق النمر[22] البرية الرائعة.

كانت حديقة آل باري عبارة عن تعريشة مليئة با زهار، والتي كان من شأنها أن تُفرح قلب آن في أي وقت غير ذلك الوقت المشحون بتحديد المصير. كانت التعريشة مُطوَّقة بأشجار الصفصاف الضخمة والعتيقة، وأشجار التنوب فارعة الطول، والتي هامت ا زهار عشقًا بظ لها فازدهرت تحتها. أما ممراتها فقد كانت أنيقة ذات زوايا قائمة، حددتها ا حواض الصدفية بدقة قاطعة إيَّاها كأنها أوشحة حمراء نديَّة، وقد انتشرت فيها الحياة المستهترة المتحررة لـ زهار بين ا خرى المتزمتة والمحتشمة منها، إذ انبثقت هناك براعم

أزهار القلب النازف الحمراء[23]، وأزهار الفاوانيا[24] القرمزية الرائعة، وعَبِقَ الجو برائحة النرجس ا بيض، بجانب بعض الورود ا سكتلندية الشائكة مثل ا نقولية[25] التي تتنوع ألوانها بين الوردي وا زرق وا بيض، وأزهار عشبة الصابونية المخزنية[26] ا رجوانية. واحتشدت أجمات من شجيرات الشيح، والخرفار القصبي[27]، والنَّعْنَع. وانتشرت عدة شت ت من أزهار آدم وحواء[28] ا رجوانية، والنرجس البري ا صفر على مقربة من البرسيم ذي ا غصان البيضاء الهشة العبقة. وأطلق البرق القرمزي رماحه النارية على أزهار المسك البيضاء المتزمتة، تعريشة تلكأت عندها الشمس، وهمهم فوقها النحل، وتسكعت فيها الريح بقرقرة وخشخشة.

- أوه، ديانا (**قالت آن أخيرًا بعد أن شابكت يديها وتكلَّمت بصوت أقرب إلى الهمس**)، أتظنين أني سأعجبك قليلًا؟ قليلًا بما يكفي فقط لتكوني رفيقتي الحميمة؟

ضحكت ديانا، كان من عادة ديانا أن تضحك دائمًا قبل أن تتحدث.

- لكن لماذا هذا السؤال؟ نعم، أظن أني سأستلطفك (**أجابت ديانا بشكل واضح**). أنا سعيدة للغاية نك أتيتِ للعيش في المرتفعات الخضراء، سيكون من الممتع أن يكون لديَّ شخص ما للعب معه، إذ توجد أي فتاة أخرى تعيش بالقرب منَّا لعب معها، وليس لدي شقيقات تقارب أعمارهن عمري.
- هل تنذرين على أن تبقي صديقتي إلى ا بد؟ (**سألتها آن بحماس**).

بدت ديانا مصدومة.

- لماذا تطلبين هذا؟! إنه من الشائن أن أنذرك (**وبختها ديانا**).
- أوه، ، ليس هذا المعنى الذي قصدت، لقد قصدت كلمة النذر التي تعني التعهد. فكما تعلمين؛ الكلمة تحتمل معنيين.
- لم أسمع قط إ بمعنى واحد لهذه الكلمة (**قالت ديانا بارتياب**).
- هناك حقًّا معنى آخر. أوه، إنه ليس شريرًا على ا ط ق. إنه يعني فقط أن نقسم با لتزام بتعهد مقدس.
- حسنًا، أمانع في فعل ذلك (**وافقت ديانا وقد ارتاحت أساريرها**). كيف نقوم بذلك؟
- يجب أن نمسك أيدي بعضنا، هكذا (**قالت آن بجدية**). يجب أن يتم ذلك فوق مياه جارية.. سنتخيل فقط أن هذا المسار عبارة عن مياه جارية. سأتلو القسم أولًا: أقسم رسميًّا أن أكون مخلصة لرفيقة روحي ديانا باري ما دامت الشمس والقمر فوق هذه ا رض. وا ن كرري ما قلته ولكن اذكري اسمي.

كررت ديانا «**القسم**» ضاحكة قبل تكراره. ثم قالت:

- أنت فتاة غريبة ا طوار يا آن. لقد سمعت من قبل أنك كذلك، لكني أعتقد أني سأحبك حقًّا.

عندما عادت ماريـ وآن إلى البيت، رافقتهما ديانا حتى جسر جذع الشجرة، سارت الفتاتان الصغيرتان متعانقتين، وعند الجدول، افترقتا مع الكثير من الوعود لتمضية عصر اليوم التالي معًا.

- حسنًا، هل وجدتِ في ديانا روحًا رفيقة لروحك؟ (**سألت ماريـ بينما كانتا تتجاوزان حديقة المرتفعات الخضراء**).
- أوه، نعم (**تنهدت آن، وهي غير مدركة ي سخرية من جانب ماريـ**). أنا أسعد فتاة في جزيرة ا مير إدوارد في هذه اللحظة بالذات يا ماريـ ، أؤكد لكِ أني سأتلو ص تي بقلبٍ صاف الليلة. سأقوم أنا وديانا ببناء مسرح للعب عند بستان أشجار البتو للسيد ويليام بيل غدًا. هل يمكنني الحصول على تلك القطع المكسورة من الخزف الموجودة في سقيفة الخشب؟ عيد مي د ديانا في شهر شباط وعيد مي دي في شهر آذار، أ تظنين أنها مصادفة غريبة جدًّا؟ ستعيرني ديانا كتابًا قرأه، تقول إنه رائع ومثير للغاية، وستصطحبني إلى مكانٍ في الغابة حيث تنمو زنابق ا رز. أ تعتقدين أن عيني ديانا شاعريتان؟ أتمنى لو كانت عيناي شاعريتين. ستعلمني ديانا أن أغني أغنية تسمى: نيللي في وادي أشجار البندق[29]، وستعطيني لوحة علِّقها في غرفتي، إنها لوحة جميلة جدًّا، تقول ديانا إنها عبارة عن سيدة جميلة ترتدي ثوبًا أزرق فاتحًا من الحرير، قد أعطاها وكيل آ ت الخياطة إياها. أتمنى لو كان لدي شيء قدمه لها أنا أيضًا. أنا أطول من ديانا بمقدار بوصة واحدة، لكنها أكثر بدانة مني بالطبع، أخبرتني أنها تود أن تكون نحيفة لتصبح أكثر رشاقة، لكني أخشى أنها قالت ذلك فقط حتى تحرج مشاعري. سنذهب إلى الشاطئ يومًا ما لجمع ا صداف. لقد اتفقنا على تسمية النبع أسفل جسر جذع الشجرة بنبع فقاعة الحوريَّة. أليس هذا اسمًا أنيقًا تمامًا؟ قرأت قصة ذات مرة عن نبع يسمى ذلك، والحورية هي نوع من الجنيات البالغة، على ما أعتقد.
- إن كل ما أتمناه هو ألَّا تبالغي بكثرة الثرثرة مع ديانا (**قالت ماريـ**)، وتذكري ما سأقوله لك يا آن أثناء إعدادك لمخططاتك: أنتِ لن تلعبي كل الوقت وليس معظمه، سيكون لديك عملك الذي يجب عليك إنجازه وهذا يأتي في المقام ا ول.

كانت كأس سعادة آن قد امت ت حتى آخر قطرة فيها، وبعودة ماثيو للبيت فاضت الكأس، وصل لتوِّه من رحلة إلى المخزن في كارمودي، وبارتباك أخرج حزمة صغيرة من جيبه وسلمها إلى آن، مع نظرة استنكارية إلى ماريِ .

- سمعتك تقولين إنك تحبين الشوكو تة، لذلك أحضرت لك القليل منها (**قال ماثيو**).
- أفٍ منكَ (**زفرت ماريِ**). إنها ستفسد أسنانها ومعدتها. انتظري.. انتظري يا طفلتي، تحزنِي ا ن، يمكنك أكلها ما دام ماثيو قد ذهب في رحلة للمخزن خصيصًا ليجلبها لك. كان من ا فضل لو أنه أحضر حلوى النعناع نها صحية. انتبهي لئ تمرِضي نفسك بأكل كل هذه الشوكو تة دفعة واحدة.
- ، طبعًا لن أفعل (**أجابت آن بحماس**). لن آكل إ قطعة واحدة الليلة يا ماريِ ، وإذا سمحتِ سأعطي نصفهم لديانا، سيكون طعم النصف أشهى لي بكثير إذا أعطيت ديانا النصف ا خر. إنه من الرائع أن يكون لدي ما أعطيه لها.
- سأقرُّ بذلك عن الطفلة (**قالت ماريِ بعد صعود آن إلى غرفتها**). إنها ليست بخيلة، وهذا يسعدني كثيرًا، فمن بين كل العيوب التي أبغضها في ا طفال، أبغض أكثر من البخل. ربَّاه، مرت ث ثة أسابيع فقط على قدومها، ويبدو كما لو أنها كانت هنا دائمًا، بل أصبحتُ أستطيع تخيل المكان بدونها. تنظر إليَّ ا ن تلك النظرة ماثيو، لقد أخبرتك مرارًا أنه سلوك مزعج بما فيه الكفاية إذا صدر عن امرأة، ولكنه يُطاق عندما يصدر عن رجل. أنا على استعداد كامل لـ عتراف بأني سعيدة لموافقتي على ا حتفاظ بالطفلة وأني أصبحت مغرمة بها، ولكن يا ماثيو كوثبرت تستمر في تذكيري بهذا كلما وقع نظرك عليَّ.

نوع من الزنبق، يُزرع على نطاق واسع كنبات للزينة بسبب تميز أزهاره باللون البرتقالي أو ا صفر الزاهي مع بقع داكنة بارزة على الجانب الداخلي من البت ت، وجاءت تسميته نتيجة هذا التلوين المماثل للنمور.

اكتسبت هذا ا سم من شكلها الشبيه بقلب تتساقط منه نقاط بلون الدم، وهي من نباتات الزينة المعمرة، طول الواحدة منها يساوي تقريبًا من ٣-٥ سم.

نباتٌ عشبيٌّ حوليٌّ أو مُعمِّرٌ شبه متخشبٍ، أزهاره ذات خصائص جمالية وتتنوع ألوانها بين القرمزي، وا بيض، والزهري.

ا نقولية أو الحوضية أو زهرة الحوض هي جنس من النباتات يتبع فصيلة الحوذانية.

نبات بري وزراعي معمر من فصيلة القرنفليات يعلو حتى ١٠٠ سم، أزهاره عطرة.

نوع نباتي يتبع جنس الخرفار من فصيلة النجيلية. وينتشر في المناطق الرطبة في آسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية.

نوع من ا وركيد موطنه شرق الو يات المتحدة وكندا.

«**The Hazel Dell**» أول أغنية شعبية للملحن والشاعر ا مريكي جورج فريدريك روت.

(13)
مسرَّات الترقب

- لقد حان الوقت الذي يجب أن تعود فيه آن لتتدرب على الخياطة (**قالت ماري لنفسها وهي تنظر إلى الساعة، ثم إلى الخارج نحو ا صيل الذهبي لشهر آب، حيث غفا كل شيء تحت وطأة حرارة الشمس الشديدة**). بقيت تلعب مع ديانا نصف ساعة أكثر مما حددته لها من وقت، وا ن ها هي جاثمة هناك فوق كومة خشب تتحدث بسرعة ودون توقف إلى ماثيو، وهي تعلم تمامًا أنها يجب أن تكون ا ن منكبَّة على عملها، وبالطبع هو يستمع إليها مفتونًا كالمغفل المثالي. لم أرَ في حياتي رجلًا بلغ به ا فتتان هذا الحد. كلما تحدثت أكثر وكلما كانت ا شياء التي تتحدث عنها أكثر غرابة، كان أكثر سعادة بشكل واضح. آن شيرلي، تعالي هنا حالًا، هل تسمعينني؟!

كانت عدة طَرَقَات متقطعة على النافذة الغربية كفيلة بتنبيه آن، فطارت عبر الفناء بعينين مضيئتين، ووجنتين متوردتين بخفوت، وشعر منسدل غير مَجْدول تطاير خلفها بتيار جارف من ا شراق.

- أوه، ماري (**هتفت هثة**)، ستكون هناك نزهة مدرسية يوم ا حد ا سبوع المقبل في حقل السيد هارمون أندروز، بالقرب من بحيرة المياه الـ معة. وستقوم المشرفات؛ السيدة بيل والسيدة ريتشل ليند، بصنع المثلجات، فكري في ا مر يا ماري .. مثلجات! هل ستسمحين لي بالمشاركة في تلك النزهة يا ماري ؟
- انظري فقط إلى الساعة، إذا تكرمتِ آن. في أي وقت أخبرتك أن تعودي للمنزل؟
- الساعة الثانية. لكن أليست النزهة حدثًا رائعًا يا ماري ؟ من فضلك هل يمكنني الذهاب؟ أوه، لم يسبق لي أن ذهبت إلى نزهات، لقد حلمت كثيرًا بالنزهات، لكني لم...
- نعم، لقد أخبرتك أن تعودي في الساعة الثانية، والساعة ا ن هي الثالثة إ ربع. أود أن أعرف لماذا لم تطيعي أمري.
- كان في نيتي أن أطيعك يا ماري بأقصى قدر ممكن، لكن ليس لديك أي فكرة عن مدى روعة فردوس ا ح م. با ضافة إلى ذلك كان عليَّ أن أخبر ماثيو عن النزهة،

ماثيو مستمع متعاطف كما تعلمين. من فضلك هل يمكنني الذهاب؟

- عليكِ أن تتعلمي مقاومة سحر فردوس الـ... الذي أعرف ما هو. عندما أطلب منك العودةَ إلى المنزل في وقت معين فأنا أعني عودتك في ذلك الوقت، وليس بعد نصف ساعة منه. و تحتاجين إلى التوقف للحديث مع مستمعين متعاطفين في طريقك أيضًا. أما بالنسبة للنزهة، بالطبع يمكنك الذهاب؛ أنتِ طالبة في مدرسة يوم ا حد، وليس من المحتمل أن أرفض السماح لك بالذهاب بينما تذهب جميع الفتيات الصغيرات ا خريات.
- لكن.. ولكن (**تعثرت آن**)، قالت ديانا إنه يجب على كل شخص أن يأخذ سلة من الطعام معه، وكما تعلمين يا ماريـ أنا أجيد الطبخ، و.. أمانع كثيرًا أن أذهب إلى النزهة بدون أكمام منفوخة، لكني سأشعر با هانة الشديدة إذا اضطررت إلى الذهاب بدون سلة. لقد وقع ذهني فريسة هذا الهاجس منذ أن أخبرتني ديانا.
- حسنًا، لست بحاجة ن يظل ذهنك فريسة هذا الهاجس أكثر من ذلك، سأخبز لك ما تأخذينه في السلة.
- أوه، عزيزتي ماريـ . أوه، أنتِ لطيفة جدًّا معي. أوه، أنا شاكرة جدًّا لك.

بعد أن استنفدت آن كل التأوهاتِ التي عبرت بها عن سعادتها، ألقت بنفسها بين ذراعي ماريـ وطبعت على خدها الشاحب قبلة جذلة. في حياة ماريـ كلها كانت هذه هي المرة ا ولى التي تـ مس فيها شفاه طفولية وجهها طواعية. ومرة أخرى، تدفق داخلها ذاك ا حساس المفاجئ بالعذوبة المجفلة الذي يتسبب في رعشتها. ولعل شعورها الخفي بالسعادة الكبيرة جرَّاء مداعبة آن الطائشة، هو ما جعلها تتصنع الصرامة وتقول:

- هيَّا، هيَّا، دعكِ من التقبيل وهذا الهراء، وسأرى كيف أجعلك تطيعين ا وامر بدقة. أما بالنسبة للطبخ، فأنا عازمة على البدء بإعطائك دروسًا في أصوله في ا يام المقبلة، لكنك طائشة وخفيفة العقل يا آن، لذلك سأتريث قليلًا حتى تصبحي أكثر رصانة، وتتعلمي أن تكوني أكثر اتزانًا قبل أن أبدأ بإعطائك دروس الطبخ، ففي المطبخ ينبغي لذهنك أن يظل يقظًا بشكل مستمر، وأ تتوقفي في منتصف خطوة ما لتتركي خيا تك وأوهامك تنتشر في جميع أنحاء الكون. ا ن، أحضري القماشة المُرَقَّعَة التي تتمرنين عليها، وقومي بخياطة مربع جديد فيها، قبل أن يحين وقت تناول الشاي.
- أنا أحب عمل الترقيع هذا (**قالت آن بكآبة، ثم تنهدت وهي تتناول سلة الخياطة وتجلس أمام كومة من القماش ا حمر وا بيض**). أعتقد أن بعض أنواع الخياطة ستكون لطيفة، ولكن

ليس هناك أي مجال للخيال في عملية الترقيع تلك. إنها مجرد غرزة صغيرة تلو ا خرى دون أن يؤدي بك ا مر في النهاية إلى أي شيء. لكني بالطبع أفضل أن أكون آن في المرتفعات الخضراء التي تخيط مُرَقَّعَة، على أن أكون آن في أي مكان آخر ليس لديها ما تفعله سوى اللعب. أتمنى أن يمر الوقت أثناء تمرني على الخياطة بنفس سرعة مروره عندما ألعب مع ديانا. أوه، لقد قضينا وقتًا رائعًا أنا وديانا اليوم يا ماريِ ، كان طبعًا تزويد معظم ا مور بالتخي ت من مهمتي، لكني قادرة على فعل ذلك بشكل جيد. أما ديانا ببساطة تكاد تكون مثالية في كل ا مور ا خرى. أتعرفين قطعة ا رض الصغيرة التي تقع على الجانب ا خر من الجدول الذي يمتد بين مزرعتنا ومزرعة السيد باري؟ إنها ملك السيد ويليام بيل، وهناك عند المنعطف تمامًا توجد حلقة صغيرة من أشجار البتو البيضاء، إنها أكثر البقع شاعرية يا ماريِ . لقد بنينا أنا وديانا مسرحًا لنلعب فيه هناك، وأطلقنا عليه فردوس ا ح م. أليس هذا ا سم شاعريًّا؟ أؤكد لكِ أن ا مر استغرق مني بعض الوقت فكر فيه. بقيت مستيقظة طيلة الليل تقريبًا قبلَ أن أبتكره، وعندما غلبني النعاس، جاءني مثل ا لهام. ابتهجت ديانا عندما سمعت هذا ا سم، قد شيدنا مسرح اللعب بشكل أنيق، بد أن تأتي لتشاهديه ماريِ . صنعنا مقاعده من ا حجار الضخمة المغطاة بالطحالب، وصنعنا الرفوف من ألواح خشبية ثبتناها بين شجرة وأخرى، ووضعنا عليها كل أدواتنا المنزلية. بالطبع جميعها أوانٍ مكسورة، ولكن يوجد شيء في هذا العالم أسهل من تخيلها سليمة، وبينها طبق مميز برسوم على شكل اللب ب ا حمر وا صفر، وهي جميلة بشكل خاص. نحن نحتفظ به في قاعة ا ستقبال، ولدينا بلورة سحرية في قاعة ا ستقبال أيضًا، وهذه البلورة السحرية جميلة كالحلم، وجدتها ديانا في الغابة خلف حظيرة الدجاج لديهم، تشع بألوان قوس قزح صغير لم يكبر بعد. قد عرفت ديانا من أمها أنها انكسرت من مصباح متدلٍ، كانوا يملكونه ذات يوم، ولكن يروق لنا أن نتخيل أن الجنيات فقدنها أثناء حفلة من حف تهن الراقصة، ولذلك أطلقنا عليها اسم البلورة السحرية. وسيصنع لنا ماثيو طاولة. أوه، لقد أطلقنا على تلك البركة الصغيرة المستديرة في حقل السيد باري بركة الصفصاف، لقد حصلت على هذا ا سم من الكتاب الذي أعارته لي ديانا. كان كتابًا مثيرًا يا ماريِ ، لدى بطلته خمسة عشاق، أما أنا فإني أكتفي بعاشق واحد، أ تكتفين بعاشق واحد يا ماريِ ؟ البطلة جميلة جدًّا ومرت بمحن عظيمة في حياتها، وتصاب با غماء بمنتهى السهولة. أتمنى لو أني أستطيع أنا أيضًا أن أصاب با غماء،

أ تتمنين هذا يا ماريـ ؟ فهو شيء شاعري جدًّا، لكن يبدو أني بصحة جيدة حقًّا على الرغم من هزالي الشديد، مع ذلك أظن أني أصبحت أكثر بدانة من قبل، أ تعتقدين هذا؟ أنظرُ إلى مرفقي كل صباح عندما أستيقظ رى ما إذا كانت هناك غمازات قادمة. ستحصل ديانا على ثوب جديد له أكمام تصل إلى مرفقيها، وسترتديه في النزهة. أوه، آمل أن يكون الطقس معتدلًا يوم ا ربعاء المقبل. أشعر أنني يمكن أن أتحمل خيبة ا مل إذا حدث أي شيء ومنعني من الذهاب إلى النزهة. من المؤكد أني سأتجاوز ا مر، لكني واثقة بأنه سيكون حزنًا أبديًّا لي، ولن يهم حتى لو ذهبت إلى مئات النزهات في ا عوام القادمة، نها لن تعوضني عن فقدان هذه. سيكون هناك قوارب في بحيرة المياه الـ معة، والمثلجات كما أخبرتك. لم أتذوق المثلجات من قبل، وعلى الرغم من محاو ت ديانا لتفسر لي كيف يبدو مذاقها، فإني أعتقد أن المثلجات هي أحد تلك ا شياء التي تفوق حدود الخيال.

- آن، لقد تحدثتِ حسب ما تشير إليه الساعة، لمدة عشر دقائق متتالية (**قالت ماريـ**).

وا ن، بداعي الفضول فقط، دعينا نرى إذا كان بإمكانك لجم لسانك المدة نفسها.

لجمت آن لسانها كما طُلب منها، ولكنها ظلت طيلة ا سبوع تتحدث عن النزهة، وتفكر بالنزهة، وتحلم بالنزهة. وبحلول يوم السبت، أمطرت السماء، انزعجت آن ودخلت في حالة هياج شديد خشية أن يستمر هطول المطر حتى يوم ا ربعاء، فدفع ذلك ماريـ ن تطلب منها الجلوس وخياطة مربعًا إضافيًّا في المُرَقَّعَة كوسيلة لتهدئة أعصابها.

في يوم ا حد، أسرَّت آن لماريـ وهي في طريق عودتها من الكنيسة أنها عندما سمعت القس يعلن عن النزهة من فوق المنبر، أحسَّت ببرودة ا ثارة تسري في جميع أوصالها.

- كانت رعشة غريبة تلك التي سرت من أعلى ظهري إلى أسفله يا ماريـ ! وحتى تلك اللحظة، لم أكن أصدِّق قبلها أنه سيكون هناك نزهة، ولم أستطع مقاومة خوفي من أن ما سمعته كان تخيلًا وحسب، لكنك عندما تسمعين القس وهو يعلن خبرًا ما أثناء وقوفه على منبر الوعظ، يبقى أمامك سوى التصديق.
- إنك تبالغين كثيرًا في تعليق آمال قلبك على ا شياء (**قالت ماريـ وهي تتنهد**)، وأخشى أن هناك الكثير من الخيبات التي ما زالت تنتظرك في هذه الحياة.
- أوه ماريـ ، إن ترقب الحصول على ا شياء يعادل نصف سعادة الحصول عليها (**هتفت آن**). قد تحصلين دائمًا على ا شياء التي ترغبين فيها، لكن شيء يمنعك من ا ستمتاع بلحظات ترقب الحصول عليها. تقول السيدة ليند: طوبى لمن يتوقعون

شيئًا نهم لن يتعرضوا للخيبة. لكني أرى عدم ترقب المرء لما يود الحصول عليه أسوأ من تعرضه لخيبة ا مل.

ركَّبت ماريه مشبكها الجمشت[30] المزخرف على م بسها في ذلك اليوم كالمعتاد، فقد اعتادت التحلِّي بذلك المشبك كلما قصدت الكنيسة، وتعتقد أن عدم تحلِّيها به هو أمر أشبه بتدنيس المعتقدات، وأن نسيانه يعادل نسيانها نجيلها أو للعشرة سنتات الخاصة بالتبرعات. كان ذلك المشبك هدية من خالها البحار مها، التي أورثته بدورها لماريه ، يتميز بشكله البيضاوي ذي الطراز القديم، وكان يحتوي على خصلة من شعر أمها، أحيطت بإطار بالغ الدقة من الجمشت. لم تكن ماريه تعرف الكثير عن ا حجار الكريمة لتدرك أن هناك إطارًا من الجمشت يزين مشبكها، وتشعر بالسعادة عندما تت انعكاسات بريقه البنفسجي على حَلَقِها مداعبة إياها وهو يزيِّن صدر فستانها الساتان البني ا نيق، على الرغم من أنها لم تستطع رؤيته.

وقفت آن مشدوهة بجمال مشبك الزينة عندما رأته ول مرة.

- أوه يا ماريه ، إنه مشبك أنيق تمامًا. أعرف كيف يمكنك ا نتباه إلى الموعظة أو الصـ ة وأنتِ تتحلين به. أنا أعرف أني لن أستطيع ذلك لو كنت مكانك. أعتقد أن الجمشت حجر جميل جدًّا، كنت في السابق أظنه ا لماس، فمنذ وقت بعيد، وقبل أن أرى ماسة، قرأت عن ا لماس وحاولت تخيُّله، وظننت أنه حجر جميل مت لئ أرجواني اللون، لكن عندما رأيت ماسة حقيقية في خاتم سيدة ذات يوم، شعرت بخيبة أمل شديدة لدرجة أني بكيت. بالطبع كانت جميلة جدًّا، لكن لم تكن تلك هي فكرتي عن ا لماس. هل تسمحين لي بحمل المشبك لدقيقة واحدة يا ماريه ؟ أتظنين أن الجمشت يمكن أن يكون روح البنفسج الطيب؟

يقصد بالمشبك: البروش في ا ونة الحالية، والجمشت: حجر كريم من الكوارتز، بنفسجي اللون، ويستخدم عادة في صناعة المجوهرات. كان جزءًا من ا حجار الكريمة الخمسة الرئيسية ا كثر قيمة، حيث ا لماس، والزمرد، والياقوت والزفير هم ا ربعة ا خرون.

(14)
اعتراف آن

مساء يوم ا ثنين قبل النزهة، نزلت ماريـ من غرفتها بوجه مضطرب.

- آن (**قالت لتلك المخلوقة الصغيرة، التي كانت تقشِّر الباز ء على طاولة نظيفة وتغني أغنية «نيللي في وادي أشجار البندق» بقوة وتعبيرات يعود فضلها إلى تعاليم ديانا**)، هل رأيتِ مشبك الجمشت الخاص بي؟ ظننت أني وضعته في وسادة الدبابيس عندما عدتَ إلى المنزل من الكنيسة مساء أمس، لكني لم أجده في أي مكان.
- لقد.. لقد رأيته عصر اليوم عندما كنتِ بالخارج، في جمعية معونة الكنيسة (**قالت آن ببطء**). كنت أعبر أمام باب غرفتك عندما رأيته على وسادة الدبابيس، لذلك دخلت لقي نظرة عليه.
- هل لمسته؟ (**سألتها ماريـ بصرامة**).
- نعـــم (**اعترفت آن**)، لقد أخذته وقمت بتثبيته على صدري فقط رى كيف سيبدو.
- ليس من حقك أن تتصرفي تصرفًا من هذا القبيل، من الخطأ أن تتطفل فتاة صغيرة على خصوصيات غيرها، ما كان يجب عليكِ في المقام ا ول أن تدخلي غرفتي، وما كان يجب عليكِ في المقام الثاني أن تلمسي مشبكًا يخصك. أين وضعته؟
- أوه، أعدته إلى المنضدة، ولم أحمله كثر من دقيقة.

لم أقصد التطفل حقًّا يا ماريـ . لم أفكر في البداية أنه من الخطأ الدخول وتجربة المشبك، لكني أرى ا ن أنه كان كذلك ولن أفعل هذا مرة أخرى. هذا شيء من مميزاتي، فأنا أفعل نفس السلوك السيئ مرتين.

- لم تعيديه (**قالت ماريـ**). لم أجد المشبك في أي مكان على المنضدة، لقد أخذته خارج الغرفة يا آن أو شيء من هذا القبيل.
- ك ، أعدته إلى مكانه (**أجابت آن بسرعة، ربما بشيء من الوقاحة كما شعرت ماريـ**). أنا فقط أتذكر إن كنت غرزته في مخدة الدبابيس، أم وضعته في صينية الخزف الصيني، ولكني متأكدة تمامًا أني قد أعدته.

- سأذهب وألقي نظرة أخرى (**قالت ماري التي عزمت على أن تكون عادلة**). إذا كنتِ قد أعدتِ ذلك المشبك حقًّا، فبالتأكيد ما يزال هناك، وإذا لم أجده، فسأعلم أنك لم تعيديه، هذا كل شيء!

ذهبت ماري إلى غرفتها وأجرت بحثًا شاملًا، ليس فقط على المنضدة ولكن في كل مكان آخر قد يكون المشبك فيه، لكن رحلة بحثها تلك لم تسفر عن أي نتيجة، وعادت إلى المطبخ.

- آن، لقد اختفى المشبك، وباعترافك، كنتِ أنتِ آخر شخص لمسه. وا ن، أخبريني ماذا فعلت به، قولي لي الحقيقة في الحال. هل أخذته خارج البيت وفقدته؟
- ، لم أفعل (**قالت آن بشكل رسمي، وهي تواجه نظرة ماري الغاضبة**)، لم أخرج المشبك قط من غرفتك وهذه هي الحقيقة، حتى وإن كانت ستأخذني تلك الحقيقة إلى المقصلة، على الرغم من أني أعرف بالضبط ما تعنيه كلمة المقصلة. هذا ما لدي قوله يا ماري .

كان الهدف من استخدام آن لجملتها ا خيرة فقط التأكيد على نفيها، لكن ماري عدَّته كتحدٍّ واضح.

- أعتقد أنك تكذبين يا آن (**قالت محتدَّة**). بل أعرف أنك تكذبين. وا ن، تنبسي ببنت شفة حتى تكوني مستعدة لقول الحقيقة كاملة، اذهبي إلى غرفتك وابقِي هناك إلى أن تقرري ا عتراف.
- هل آخذ الباز ء معي؟ (**قالت آن بخنوع**).
- ، سأنهي تقشيرها بنفسي، افعلي ما أمرتك به.

بعد صعود آن لغرفتها، تابعت ماري أداء مهامها المسائية في حالة ذهنية مضطربة للغاية. كانت قلقة بشأن مشبكها النفيس. ماذا لو أضاعته آن؟ وكم هو خبيث أن تنكر أخذها له حقًّا، في الوقت الذي يسهل فيه التأكد من أن المشبك معها! مع مثل هذا الوجه البريء الذي أظهرته أيضًا!

- أعلم ما الذي سأكتشفه قريبًا بشأن ا مر (**قالت ماري بعصبية وهي تتابع تقشير الباز ء**). بالطبع أنا أعتقد أنها قصدت سرقته أو أي شيء من هذا القبيل، لقد أخذته لتلعب به أو تثري به خيا تها تلك. بد أنها أخذته، هذا واضح، نه على حسب ما روته هي بنفسها، لم يدخل الغرفة أحد سواها، قبل أن أدخلها أنا هذا المساء. والمشبك قد اختفى، و شيء مؤكد أكثر من هذه الحقيقة. أعتقد أنها أضاعته ولكنها خائفة من

ا عتراف خشية العقاب. إنه مر مروع أن أكتشف أنها كاذبة، بل وأسوأ بكثير من اكتشافي لنوبات مزاجها الحادة. إنها مسؤولية مخيفة أن يكون لديك طفل تحت سقف بيتك يمكنك الوثوق به. وإن ما أظهرته آن منذ لحظات هو الخداع والكذب، وهذا يزعجني أكثر من انزعاجي على فقد المشبك، لو أخبرتني بالحقيقة، لما تضايقت إلى هذا الحد.

ترددت ماريـ على غرفتها طيلة المساء عدة مرات على أمل العثور على المشبك، لكن أملها كان يخيب في كل مرة، ولم تسفر زيارتها ما قبل النوم إلى المرتفعات الشرقية عن نتيجة، إذ استمرت آن في إنكار أنها تعرف أي شيء عن المشبك، لكن هذا ا نكار جعل ماريـ أكثر اقتناعًا بأنها فعلت ذلك.

وفي صباح اليوم التالي، روت ماريـ ما حدث على مسامع ماثيو الذي أصيب بالحيرة وا رتباك، فهو لن يفقد ثقته بآن بهذه البساطة، ولكن عليه أن يعترف بأن الظروف كانت ضدها.

- هل أنتِ متأكدة أنه لم يسقط خلف المنضدة؟ (**كان هذا هو ا قتراح الوحيد الذي استطاع عرضه**).
- لقد أزحت المنضدة وقمت بإخراج ا دراج ونظرت في كل شق وركن (**جاء رد ماريـ الحاسم**). لقد اختفى المشبك، وتلك الطفلة أخذته وكذبت بشأنه. هذه هي الحقيقة الصريحة البشعة يا ماثيو كوثبرت، وعلينا مواجهتها بأعين مفتوحة.
- حسنًا، وا ن ما الذي تنوين فعله حيال ذلك؟ (**سأل ماثيو بصوت يائس، وشعر بالشُّكر سرًّا لماريـ نها من ستعالج ا مر وليس هو؛ لم يشعر بأي رغبة في وضع مجدافه في هذا الوقت**).
- ستبقى في غرفتها حتى تعترف (**قالت ماريـ بتجاهل، متذكِّرة نجاح هذه الطريقة في الحالة السابقة**)، ثم سنرى، ربما سنتمكن من العثور على المشبك إذا أخبرتنا إلى أين أخذته، ولكن على أي حال سيتعين عليها أن تُعاقب بشدة يا ماثيو.
- حسنًا، في كل ا حوال أنتِ من سيعاقبها (**قال ماثيو وهو يتناول قبعته**)؛ ليس لدي ما أفعله، تذكري أنك مَن طلب عدم تدخلي.

شعرت ماريـ بأنها هُجرت من قبل الجميع، لم تستطع حتى الذهاب إلى السيدة ليند للحصول على المشورة. صعدت إلى غرفة المرتفعات الشرقية بوجه متجهم للغاية وغادرتها بوجه أكثر تجهمًا. رفضت آن بثبات ا عتراف، بل أصرت بعناد على التأكيد بأنها لم تأخذ

المشبك. كان من الواضح أن الطفلة تبكي، وما إن شعرت ماري بألم الشفقة عليها، حتى سارعت بقمع شعورها بحزم. وكما عبَّرت هي عن ا مر بنفسها؛ لقد غُلبت على أمرها.

- ست زمين غرفتك حتى تعترفي يا آن (**قالت بحزم**). يمكنك اتخاذ قرارك بشأن ذلك.
- لكن النزهة غدًا يا ماري (**أجابت آن باكية**). لن تمنعيني من الذهاب إليها، أليس كذلك؟ ستدعيني أخرج في فترة ما بعد الظهيرة فقط، ألن تفعلي؟ بعد ذلك سأبقى هنا المدة التي تشائين، ولكن بد من ذهابي إلى تلك النزهة.
- لن تذهبي إلى أي نزهة و إلى أي مكان آخر حتى تعترفي يا آن.
- أوه، ماري (**شهقت آن**).

لكن ماري كانت قد غادرت وأغلقت الباب خلفها.

بدا صباح ا ربعاء مشرقًا وصافيًا كما لو أنه صُنع خصيصًا من أجل النزهة، غردت الطيور حول المرتفعات الخضراء، وانبعثت رائحة العطر من زنابق العذراء من الحديقة والتي تسللت مع أجنحة الرياح غير المرئية من خ ل كل باب وكل نافذة، وتجولت في القاعات والغرف كأنها أرواح مباركة. ولوحت أشجار البتو عند الغور بأيادٍ مرحة كما لو كانت تراقب تحية آن المعتادة في الصباح من المرتفعات الشرقية. لكن آنً لم تكن عند نافذتها. وعندما أحضرت ماري وجبة ا فطار، وجدتها جالسة منكمشة على سريرها، م محها شاحبة وعازمة على أمر ما، بشفتين مطبقتين وعينين مشعتين.

- ماري ، أنا جاهزة ل عتراف.
- آه! (**وضعت ماري الصينية جانبًا. ها هي طريقتها تنجح مرة أخرى، لكن طعم هذا النجاح كان مريرًا**). دعيني أسمع ما لديك يا آن.
- أخذت مشبك الجمشت (**قالت آن، وكأنها تعيد درسًا حفظته**)، لقد أخذته تمامًا كما قلت. لم أكن أقصد أن آخذه عندما دخلت غرفتك، ولكنه كان يبدو جميلًا جدًّا يا ماري ، وعندما قمت بتثبيته على صدري كنت تحت سيطرة إغراء يقاوم، وتخيلت كم سيكون ا مر مثيرًا للغاية أن آخذه إلى فردوس ا ح م وألعب دور السيدة كورديليا فيتزجيرالد، فسيكون من ا سهل بكثير تخيل أنني كنت سيدة كورديليا إذا كان لدي مشبك جمشت حقيقي. أنا وديانا نصنع ق ئد من زهر التوت، ولكن ما هو زهر التوت مقارنة بالجمشت؟ لذلك أخذت المشبك، وظننت أني سأكون قادرة على إعادته قبل أن تعودي إلى المنزل. قصدت الطريق العادية طيل الوقت، وعندما كنت أعبر جسر بحيرة المياه الـ معة نزعت المشبك لقي عليه نظرة جديدة. أوه، ليتك رأيت كيف

تألق ولمع في ضوء الشمس. وبعد ذلك، عندما كنت أنحني فوق الجسر، انزلق من بين أصابعي.. وهكذا أخذ يسقط ويسقط ويسقط وهو يرسل وميضًا بنفسجيًّا، ثم غرق إلى ا بد في بحيرة المياه الـ معة. وهذا أفضل ما يمكنني فعله في ا عتراف يا ماريـ .

شعرت ماريـ بفورة غضب تتصاعد في قلبها مرة أخرى. أخذت هذه الطفلة مشبكها الجمشت الثمين وفقدته، وها هي تجلس ا ن تروي التفاصيل بمنتهى الهدوء وبدون أدنى شعور بالندم أو وخز الضمير.

- آن، هذا فظيع! (**قالت وهي تحاول التحدث بهدوء**) أنت أسوأ فتاة رأيتها في حياتي.
- نعم، أعتقد أني كذلك (**وافقت آن بهدوء**). وأنا أعلم أنه يجب أن أعاقَب، سيكون من واجبك أن تعاقبيني يا ماريـ . أ يمكنك أن تنهي ا مر فورًا ني أرغب في الذهاب إلى النزهة دون أن أفكر بأي شيء؟
- نزهة؟ حقًّا؟! لن تذهبي إلى أي نزهة اليوم يا آن شيرلي. هذا سيكون عقابك. وهو يعدل نصف ما تستحقينه من عقاب على ما اقترفته!
- لن أذهب إلى النزهة؟! (**شبَّت آن على قدميها وتشبثت بيدي ماريـ**) لكنك وعدتني أن أذهب! أوه يا ماريـ ، يجب أن أذهب إلى النزهة ولهذا اعترفت. عاقبيني بأي طريقة تريدينها غير تلك. أوه يا ماريـ ، من فضلك دعيني أذهب إلى النزهة. فكري في المثلجات! فمن بين جميع ا شياء التي يمكن أن تخطر ببالك قد تتاح لي الفرصة أبدًا لتذوق المثلجات مرة أخرى.

حررت ماريـ بنفور يديها من يدي آن المتشبثتين بها بقوة.

- وفري توس تك يا آن، لن تذهبي إلى النزهة وهذا نهائي. ، أريد سماع أي كلمة.

أدركت آن أن ماريـ لن تغير موقفها، فشابكت يديها، وأطلقت صرخة ثاقبة، ثم ألقت نفسها على السرير ودفنت وجهها فيه، وهي تبكي وتتلوى بمطلق الحرية للتعبير عن خيبة أملها ويأسها.

- بحق السماء! (**شهقت ماريـ ، وهي تغادر الغرفة مسرعة**). أعتقد أن تلك الطفلة مجنونة؛ لن تتصرف أي طفلة في رشدها كما تفعل. إذا لم تكن كذلك فهي سيئة للغاية. رباه، أخشى أن ريتشل كانت على حق منذ البداية. لكني وضعت يدي على المحراث ولن أنظر إلى الوراء.

كان ذلك الصباح كئيبًا، شغلت فيه ماريـ نفسها بضراوة، وغسلت أرضية الرواق ورفوف ا لبان عندما لم تجد شيئًا آخر تفعله، ولم تكن الرفوف أو الرواق بحاجة إلى التنظيف، لكن

ماريـ كانت بحاجة إلى ما يشغلها، ثم خرجت ونظفت الفناء.

عندما جهز طعام الغداء اتجهت نحو السـ لم ونادت آن، فأطلَّ عليها وجه ملطخ بالدموع، ينظر إليها بشكل مأساوي من فوق الدرابزين.

- تعالي من أجل تناول الغداء يا آن.
- أريد أي غداء يا ماريـ (**قالت آن وهي تبكي**)، لن أستطيع أكل أي شيء وقلبي مكسور، وستشعرين بتأنيب الضمير يومًا ما ـكما أتوقعـ على كسره يا ماريـ ، لكني أسامحك. وتذكري عندما يأتي ذلك اليوم أني سامحتك، لكن من فضلك تطلبي مني أن آكل أي شيء ا ن، وبخاصة لحم الخنزير المسلوق بالخضار. لحم الخنزير بالخضار غير شاعري أبدًا عندما يكون المرء في بـ ء.

عادت ماريـ غاضبة إلى المطبخ وسكبت ويـ تها على ماثيو، الذي كان بين إحساسه بالعدالة وتعاطفه غير الشرعي مع آن، رجلًا بائسًا.

- حسنًا ا ن، لم يكن عليها أخذ المشبك يا ماريـ ، أو اختـ ق ا كاذيب بشأنه (**اعترف بكآبة وهو يعبث بمحتويات طبقه المليء بلحم الخنزير والخضروات كما لو كان يوافق آن على أن نوعية هذا الطعام غير مناسب في أزمات المشاعر**)، لكنها مخلوقة صغيرة، مخلوقة صغيرة مثيرة لـ هتمام. أ تعتقدين أنه من القسوة عدم السماح لها بالذهاب إلى النزهة عندما تكون قد علقت جميع آمالها على الذهاب إليها؟
- ماثيو كوثبرت، أنا مندهشة منك! أعتقد أني قد تساهلت معها كثيرًا. و يبدو أنها تدرك مدى سوء أفعالها، وهذا أكثر ما يقلقني. إن كانت تشعر با سف حقًّا، فلن يكون ا مر بمثل هذا السوء. و يبدو أنك تدرك ذلك مثلها، فيمكنني رؤيتك وأنت تختلق ا عذار لها طيلة الوقت.
- حسنًا، إنها مخلوقة صغيرة مثيرة لـ هتمام (**كرر ماثيو بضعف**)، ويجب أن نخلق لها ا عذار يا ماريـ ، فأنتِ تعرفين أنها لم تتلقَ توجيهات التربية الصحيحة من قبل.
- حسنًا، ستتلقاها ا ن (**ردت عليه بالمثل**).

لم يقنع الرد ماثيو، ولكنه جعله يلتزم بالصمت. كانت وجبة الغداء كئيبة للغاية، الشيء الوحيد المبهج فيها هو جيري بوتي، الصبي ا جير، حتى إن ماريـ استاءت من مرحه وكأنه إهانة شخصية لها.

بعد أن جلت ماريـ صحونها، وأعدت عجينة خبزها، وأطعمت دجاجاتها، تذكرت أنها حظت مِزقًا صغيرًا في شالها ا سود الشبكي المفضل لها عندما خلعته في أمسية يوم ا ثنين

بعد عودتها من جمعية المعونة، فقررت إصـ حه.

كان الشال في علبة داخل صندوق حاجياتها، وما إن رفعته ماريـ حتى سقط نور الشمس متخللًا عرائش الكروم المتجمعة بكثافة حول النافذة على شيء عالق بالشال، شيء ومض وتـ في أوجه من الضوء البنفسجي. انتزعته ماريـ شاهقة، كان مشبك الجمشت عالقًا بخيط من خيوط الشال الشبكي!

- يا إلهي! (**على نحو خالٍ من التعبير**). ماذا يعني هذا؟ ها هو مشبكي بأمان وبحالة جيدة، وأنا التي ظننت أنه في قعر بركة باري. ما الذي قصدته تلك الفتاة بقولها إنها أخذته وأضاعته؟ أعترف أنني أعتقد أن المرتفعات الخضراء مسحورة. أتذكر ا ـ ن أني عندما خلعت الشال عني مساء يوم ا ـ ثنين، وضعته على المنضدة لمدة دقيقة، وأظن أن دبوس المشبك علق به بطريقة ما، هكذا إذن.

توجهت ماريـ نحو غرفة آن، وهي تحمل المشبك بيدها. كانت آن قد استنفدت طاقتها على البكاء وهي تجلس حزينة عند النافذة.

- آن شيرلي (**قالت ماريـ بهدوء**)، لقد وجدت للتو المشبك معلقًا على شالي ا ـ سود الشبكي. وا ـ ن أريد أن أعرف ما الذي يعنيه ذاك الهراء الذي أخبرتني به هذا الصباح.
- لقد قلتِ إنك ستجعلينني أ ـ زم الغرفة إلى أن أعترف (**ردَّت آن بإعياء**)، ولذلك قررت أن أعترف ـ نني كنت أتحرق شوقًا للذهاب إلى النزهة. فكرت في تأليف اعتراف الليلة الماضية بعد أن ذهبت إلى الفراش وجعلته مشوقًا بقدر ما أستطيع، وحفظته مرارًا وتكرارًا حتى أنساه، لكنك لم تسمحي لي بالذهاب إلى النزهة بعد كل شيء، لذلك ذهب تعبي هباءً.

اضطرت ماريـ إلى الضحك على الرغم منها، وعلى الرغم من توبيخ ضميرها لها.

- آن، إنك قادرة على إلحاق الهزيمة بالجميع! لكني كنت مخطئة، وأنا أعترف بهذا ا ـ ن. ما كان يحق لي الشك بصدقك وأنا لم أعرف عنك الكذب من قبل. لم يكن من الصواب أن تعترفي بشيء لم تفعليه وكان من الخطأ جدًّا القيام بذلك، لكني كنت أنا من دفعك لذلك، لذا إذا سامحتني يا آن فسأسامحك أنا أيضًا، وسنبدأ من جديد متعادلتين. وا ـ ن، جهزي نفسك للنزهة.

طارت آن كالصاروخ.

- أوه يا ماريـ ، ألم يفت ا ـ وان؟

- ، إنها الساعة الثانية فقط، ولن يكونوا إ في طريقهم للتجمع ا ن، وسيستغرق ا مر ساعة قبل أن يتناولوا الشاي. اغسلي وجهك ومشطي شعرك وارتدي الفستان القطني. سأعدُّ سلة لك، فهناك الكثير من المخبوزات في المنزل، وسأطلب من جيري أن يربط الفرس إلى العربة ويقودك إلى أرض النزهة.
- أوه يا ماري (**هتفت آن، وهي تطير نحو المغسلة**)، قبل خمس دقائق فقط كنت بائسة للغاية وكنت أتمنى لو لم أولد قط، أما ا ن فأنا لن أستبدل بمكاني مكان م ك!

في تلك الليلة، عادت آن سعيدة تمامًا ومرهقة تمامًا إلى المرتفعات الخضراء في حالة تطويب[31] يمكن وصفها.

- أوه يا ماري ، لقد قضيت وقتًا هنيئًا للغاية. هنيئًا: كلمة جديدة تعلمتها اليوم. سمعت ماري أليس بيل تقولها. أليست معبرة جدًّا؟ كل شيء كان جميلًا. احتسينا شايًا رائعًا، ثم أخذنا السيد هارمون أندروز على دفعات في نزهة بالقارب في بحيرة المياه الـ معة؛ ستة منا في كل مرة، وكادت جين أندروز أن تسقط في الماء، كانت تنحني لتقطف زنابق الماء، ولو لم يمسكها السيد أندروز من حزامها في اللحظة ا خيرة لسقطت، وعلى ا رجح غرقت. كم تمنيت لو كنت مكانها، ن التعرض للغرق تجربة عاطفية مثيرة، وقصة مشوقة رويها، وتناولنا المثلجات يا ماري ، إن الكلمات تعجز عن وصف مذاقها، لكني أؤكد لك أنها كانت شيئًا رفيعًا.

في ذلك المساء، روت ماري القصة كاملة لماثيو فوق سلة جواربها.

- أنا مستعدة لـ عتراف بخطئي (**اختتمت حديثها بنزاهة**)، لكني تعلمت درسًا مهمًّا. عندما أفكر في اعتراف آن أشعر برغبة ملحة في الضحك، على الرغم من أني يجدر بي التعامل مع ما حدث بسخرية ن ا عتراف كان كذبة، لكن ا مر يبدو سيئًا بمثل سوء الحكاية ا خرى، بطريقة ما. وعلى أي حال أعتقد أني المسؤولة عما حدث. يصعب فهم هذه الطفلة في بعض النواحي، لكني واثقة أنها ستصبح بنتًا جيدة. وهناك شيء واحد مؤكد، لن يكون هناك منزل ممل أبدًا إذا كانت هي فيه.

التطويب هي المرحلة الثالثة من الخطوات ا ربعة لعملية تقديس شخص متوفى، يتم اختياره من قبل البابا باسم الكنيسة الكاثوليكية. ويعني المصطلح هنا: حالة سعادة مقدسة خالصة.

(15)

زوبعة في إبريق شاي المدرسة

- يا له من يوم بديع! (**قالت آن وهي تسحب نفسًا طويلًا**). أليس من الجيد أن يكون المرء على قيد الحياة في يوم كهذا؟ أشفق على ا شخاص الذين لم يولدوا بعد لحرمانهم منه. قد يعيشون أيامًا جيدة بالطبع، لكنهم لن يعيشوا أبدًا يومًا مثله. وما يزيد جماله هو هذا الدرب اللطيف الذي نسلكه إلى المدرسة. أ توافقينني الرأي يا ديانا؟

- إنه أفضل بكثير من سلوك الطريق الرئيسي حيث القيظ والغبار.

قالت ديانا ذلك بأسلوب عملي، وهي تختلس النظر إلى سلة طعامها المحتوية على ث ث فطائر توت شهية ودسمة، وتُجري في ذهنها عملية حسابية لترى كم عدد القضمات التي يمكن أن تحصل عليها كل فتاة، عندما تقسِّم تلك الفطائر على عشر فتيات.

اعتادت فتيات مدرسة أفونليا الصغيرات مشاركة الطعام، وإذا أكلت بنت واحدة ث ث فطائر توت، أو تقاسمتها مع أعز رفيقة لديها فقط، كان ذلك كفيلًا بوصم تلك البنت بعار البخل إلى ا بد، ومع ذلك كان من المؤكد أن تقاسم تلك الفطائر مع عشر فتيات لن يتيح للمرء إ لذة التذوق ثم عذاب الحرمان.

كان الطريق الذي سلكته آن وديانا إلى المدرسة طريقًا خلَّابًا، وعدَّت آن أن هذه الرح ت مع ديانا من وإلى المدرسة مسيرات رائعة، يعجز الخيال عن إبداع ما هو أفضل منها، وترى أن تتبع الطريق الرئيسي يفتقر إلى الشاعرية، ولكن تتبع درب العشاق حيث بركة الصفصاف، ووادي البنفسج، وممر البتو فهذا ما يمكن أن يُسمى شاعريًّا إن كان في هذا العالم أي شيء آخر يمكن أن يوصَف بالشاعرية.

يشق درب العشاق بستان المرتفعات الخضراء، ويمتد صعودًا خ ل الغابات حتى نهاية مزرعة آل كوثبرت، يُستخدَم هذا الطريق في ا ساس لنقل ا بقار إلى المراعي الخلفية حيث حظائرها الخشبية الشتوية. أطلقت عليه آن اسم درب العشاق، قبل أن يمضي شهر على وجودها في المرتفعات الخضراء.

- ليس هذا ن العشاق يمرون من هناك حقًّا (**أوضحت آن لمارلا**)، لكن أنا وديانا نقرأ كتابًا عظيمًا جدًّا، وقرأنا فيه عن وجود درب للعشاق، لذلك أردنا أن يكون لدينا واحد

أيضًا. أ تعتقدين أن اسمه رائع؟ بل عاطفي جدًّا! ويمكننا ـ كما تعلمين ـ تخيل العشاق يسلكونه، أحب هذا الممر نه يمكنك التفكير بصوت عالٍ هناك دون أن يصفك الناس بالجنون.

غادرت آن البيت وحدها في الصباح، وسلكت درب العشاق حتى وصلت إلى الجدول، حيث نقطة التقائها بديانا، ومن ثم سلكت الصغيرتان الدرب صعودًا، مرَّتا تحت قناطر أغصان شجر القيقب المورقة.

- إن أشجار القيقب أشجار اجتماعية (**قالت آن**)، فهي دائمًا ما تهمس مصدِرة حفيفًا.

وبوصولهما إلى ذلك الجسر البدائي، تركتا الدرب، وتابعتا طريقهما عبر حقل السيد باري مرورًا ببركة الصفصاف حيث يقبع خلفها وادي البنفسج، ذلك الفجُّ الصغير الواقع بين ظ ل حرج السيد آندروز بيل الشاسع. «**بالطبع يوجد بنفسج فيه ا ن**» أخبرت آن ماريـ بذلك ذات مرة. «**لكن ديانا تقول إن هناك الم يين منه في الربيع. أوه يا ماريـ ، أيمكنك تخيله؟ إنه مشهد يسلب أنفاسي. وعندما أطلقت عليه اسم وادي البنفسج، أخبرتني ديانا بأنها لم ترَ قط أحدًا ينافسني في إيجاد أسماء خيالية ل ماكن. من الجيد أن أكون ذكية في شيء ما، أليس كذلك؟ لكن ديانا هي التي اخترعت اسم ممر البتو . كانت راغبة في ذلك، فتركتها تفعل، لكني متأكدة أنه كان بإمكاني ابتكار اسم أكثر شاعرية من ممر البتو العادي؛ يمكن ي شخص أن يفكر في اسم كهذا. لكن على كل حال أنا أعتقد أن ممر البتو هو واحد من أجمل ا ماكن في العالم يا ماريـ .**»

إنه كان كذلك بالفعل، فقد اعتقد أشخاص آخرون با ضافة إلى آن أنه من أجمل ا ماكن بمجرد عثورهم عليه. كان لممر البتو مسار ضيق ومتعرج، يلتف نزولًا على طول تلة السيد بيل، حيث يغمره النور الذي غربلته ظ ل زمردية عديدة يشبه صفاؤها قلب ماسة، تحفه أشجار البتو اليافعة الممشوقة؛ ذات الجذوع البيضاء، وا غصان المرنة، وقد نمت السراخس وا زهار النجمية الربيعية وزنابق الوادي البرية وعناقيد التوت بكثافة على طوله، ودائمًا ما كان الهواء هناك يفوح بعبير منعش، يؤنسه غناء العصافير وهمهمة الريح وضحكها فوق رؤوس الشجر. وبين الحين وا خر قد ترى أرنبًا يقفز عبر الطريق إذا كنت هادئًا، وهو ما حدث مع آن وديانا مرة عند كل قمر أزرق[32]. وعندما يبلغ الممر أسفل الوادي يصل إلى الطريق الرئيسي ثم إلى تلة الصنوبر التي يقع بعدها مبنى المدرسة.

مدرسة أفونليا عبارة عن مبنى مطلي باللون ا بيض، منخفض ا فاريز، وواسع النوافذ، مؤثث من الداخل بمقاعد مريحة، قديمة الطراز، وضخمة، يمكن فتحها وإغ قها، ونُقِشت أسطحها الخشبية بالنقوش الهيروغليفية وأحرف ا سماء ا ولى لث ثة أجيال من ت ميذ

المدرسة، مبنى ناءٍ عن الطريق الرئيسي، يحده من الخلف غابة من أشجار التنوب الظليلة، وغدير يضع فيه ا طفال قوارير اللبن في الصباح لحفظها باردة وطازجة حتى وقت الغداء.

عندما باشرت آن الذهاب إلى المدرسة في اليوم ا ول من شهر أيلول، راقبتها ماري مع العديد من هواجسها السرية. آن طفلة غريبة ا طوار، فكيف يمكنها التعامل مع ا طفال ا خرين؟ وكيف بحق السماء ستتمكن من إلجام لسانها خ ل ساعات الدراسة؟

سارت ا مور بشكل أفضل مما كانت تخشى ماري . عادت آن إلى المنزل في ذلك المساء في حالة معنوية عالية.

- أعتقد أني سأحب المدرسة هنا (**أعلنت**)، على الرغم من أني أتوقع الكثير من المعلِّم؛ إنه طيلة الوقت يفتل شاربيه ويرمق بريسي أندروز بنظرات ذات مغزى. بريسي فتاة يافعة ـ كما تعلمين ـ تبلغ من العمر ستة عشر عامًا، وهي تدرس متحان القبول في معهد كوين في شارلوت تاون العام المقبل، تزعم تيلي بولتر أن المعلم يهيم بها عشقًا، لديها بشرة جميلة، وشعر بني مجعد، تصفِّفه بأناقة شديدة، وتجلس في المقعد الطويل في الخلف، وهو يجلس هناك أيضًا معظم الوقت ليشرح لها دروسها، كما يقول، لكن روبي جيليس تقول إنها رأته يكتب شيئًا ما على لوحها وعندما قرأته بريسي احمرت خجلًا كالشمندر وقهقهت، وتقول روبي جيليس أيضًا إنها تعتقد أن ما كتبه لها المعلم له ع قة بالدرس.
- آن شيرلي، إياكِ أن أسمعك تتحدثين عن معلمك بهذه الطريقة مرة أخرى (**قالت ماري محتدة**). أنت تذهبين إلى المدرسة لتنتقدي المعلم. أعتقد أنه يستطيع أن يعلمك شيئًا ما، ومهمتك هي التعلم، وأريدك أن تفهمي على الفور أنك لن تعودي إلى المنزل لتحكي حكايات عنه، هذا شيء لن أشجعه. أتمنى أنك كنتِ فتاة مهذبة اليوم.
- لقد كنت كذلك (**قالت آن بأسارير مرتاحة**). لم يكن ا مر على تلك الدرجة من الصعوبة التي قد تكونين تصورتِها. أجلس بجوار ديانا، ويقع مقعدنا بجوار النافذة مباشرة ويمكننا أن ننظر إلى أسفل نحو بحيرة المياه الـ معة، هناك الكثير من الفتيات اللطيفات في المدرسة وقد استمتعنا باللعب في وقت الغداء. من الرائع أن يكون لديك الكثير من الفتيات الصغيرات للعب معهن. لكن بالطبع أحب ديانا أكثر وسأفعل ذلك دائمًا، فأنا أعشق ديانا. ما يزعجني هو أني متأخرة في المستوى العلمي عن البقية، فمعظمهم يدرسون كتاب الصف الخامس، وأنا ما زلت أدرس في كتاب الصف الرابع، وهذا يتسبب لي في الشعور بالعار. ولكن ما يعزيني أنه ليس هناك أحد منهم

لديه مثل هذا الخيال الذي لدي، وسرعان ما اكتشفت ذلك. درسنا اليوم حصصًا من القراءة والجغرافيا والتاريخ الكندي وا م ء. قال السيد فيليبس إن تهجئتي كانت مخزية، وقام برفع اللوح الخاص بي حتى يتمكن الجميع من رؤيته، وقد كان مليئًا بالتصويبات. شعرت بجرح كبير لمشاعري يا ماريـ ، ووددت لو أنه كان أكثر تهذيبًا مع غريبة مثلي. أعطتني روبي جيليس تفاحة، وأعطتني صوفيا سلون بطاقة وردية جميلة كُتب عليها: هل يمكنني رؤيتك في المنزل؟ وعليَّ أن أعيدها لها غدًا، وسمحت لي تيلي بولتر بارتداء خاتمها الخرزي طوال فترة ما بعد الظهيرة، هل يمكنني الحصول على بعض خرزات اللؤلؤ تلك من وسادة الدبابيس القديمة في العليَّة صنع لنفسي خاتمًا؟ و.. أوه يا ماريـ ، أخبرتني جين أندروز بأن ميني ماكفيرسون أخبرتها أنها سمعت بريسي أندروز تخبر سارة جيليس بأن أنفي جميل جدًّا، هذه أول مجاملة تلقيتها في حياتي يا ماريـ ، و يمكنك تخيل الشعور الغريب الذي انتابني. ماريـ ، هل لدي أنف جميل حقًّا؟ أثق أنك ستقولين لي الحقيقة.

- بأس بأنفك (**قالت ماريـ باقتضاب، والتي كانت تعتقد سرًّا أن أنف آن كان جميلًا بشكل ملحوظ، لكنها لم تكن تنوي إخبارها بذلك**).

جرت تلك ا حداث قبل ث ثة أسابيع، واستمر كل شيء يسير بس سة حتى صباح أيلول النضر هذا، الذي انطلقت فيه آن وديانا بمرح على طول ممر البتو ، وهما من أسعد الفتيات الصغيرات في أفونليا.

- أعتقد أن جيلبرت بليث سيكون في المدرسة اليوم (**قالت ديانا**)، لقد كان يزور أبناء عمومته في نيو برونزويك طيلة الصيف، ولم يعد إلى المنزل إ مساء السبت. إنه وسيم جدًّا يا آن، وهو يسبب العذاب الرهيب للفتيات، بل إنه يمزق حياتنا تمزيقًا.

أفصحت لهجة ديانا عن استساغتها لتُمزق حياتها على أن تظل غير ممزقة.

- جيلبرت بليث؟ (**قالت آن**) أليس هو ا سم المكتوب على جدار الرواق إلى جانب اسم جوليا بيل مع م حظة: (**خذوا علمًا**) فوقهما؟
- نعم (**قالت ديانا وهي تهز رأسها**). لكني متأكدة من أنه يحب جوليا بيل كثيرًا. لقد سمعته ذات مرة يقول إنه حفظ جدول الضرب بمساعدة نمش وجهها.
- أوه، تتحدثي عن النمش (**توسلت آن**). ليس في هذا مراعاة لشعوري عندما أكون أنا أيضًا منمشة. أما بالنسبة إلى م حظة «**خذوا علمًا**» التي تُكتب على جدار الرواق بخصوص الصبية والفتيات، فأنا أراها من أسخف التصرفات على ا ط ق. أود فقط

أن أرى أي شخص يجرؤ على كتابة اسمي مع صبي. (**ثم أضافت مسرعة**) بالطبع أعني أن أحدًا سيفعل هذا.

تنهدت آن. هي بالطبع لم تكن ترغب في رؤية اسمها مكتوبًا، لكن كان من المهين قليلًا تأكدها بأن خطر عليها من حدوث ذلك.

- هذا هراء (**قالت ديانا، التي تسببت عيناها السوداوان وشعرها الـ مع في إحداث فوضى في قلوب تـ ميذ مدرسة أفونليا لدرجة أن اسمها ظهر على جدران الشرفة في نصف دزينة من الـ حظات**). يقصد من هذه الكتابة إ الدعابة، و تكوني واثقة تمامًا أن اسمك لن يُكتب هناك أبدًا، فالصبي تشارلي سلون متيَّم بك، ولقد أخبر أمه.. انتبهي إلى كلمة أمه، أنك أذكى فتاة في المدرسة، وهذا أفضل من جمال المظهر.
- ، ليس أفضل (**قالت آن بلهجة أنثوية حتى النخاع**). أفضِّل أن أكون جميلة على أن أكون ذكية. وأنا أكره تشارلي سلون، أستطيع أن أتحمل صبيًّا بعينين جاحظتين. إذا كتب أي شخص اسمي بجانب اسمه، فلن أتجاوز هذه الحادثة أبدًا يا ديانا باري. لكن من الجيد أن تكوني ا ولى على صفك.
- اعلمي إذن أن جيلبرت سيكون في نفس صفك منذ ا ن (**قالت ديانا**)، وقد اعتاد أن يكون ا ول على فصله، وعلى الرغم من أنه يكاد يبلغ الرابعة عشرة من العمر، فإنه ما يزال في الصف الرابع، فمنذ أربع سنوات، كان والده مريضًا واضطر للذهاب إلى مقاطعة ألبرتا لـ ستشفاء، وذهب جيلبرت معه، مكثا هناك ثـ ث سنوات، لم يحصِّل فيها جيلبرت شيئًا يذكر من العلم، إلى أن عادا، ومنذ ا ن لن تجدي أنه من السهل عليكِ البقاء ا ولى على صفك يا آن.
- يسعدني هذا (**قالت آن بسرعة**)؛ ما كنت أشعر بالفخر حقًّا وأنا أحرز التفوق إ على مجموعة من الصبية والفتيات يتجاوزون التاسعة أو العاشرة من العمر. عندما نهضت با مس قوم بتهجئة كلمة: فوران، رأيت جوزي باي، انتبهي؛ جوزي باي التي كانت ا ولى على الصف، وهي تسترق النظر إلى كتابها، لم يرها السيد فيليبس الذي كان منشغلًا بالنظر إلى بريسي أندروز، لكني فعلت، وحدجتها في لحظتها بنظرة ازدراء حتى احمر وجهها كالشمندر، وفي النهاية أخطأت في تهجئة الكلمة.
- فتيات عائلة باي يغشون في كل مكان (**قالت ديانا بسخط، بينما كانتا تتسلقان السياج المؤدي للطريق الرئيسي**). تخيلي أن جيرتي باي قامت بوضع قارورة حليبها في مكان قارورتي في الغدير أمس. أيمكنك تصديق هذا؟ أنا أتحدث معها ا ن.

عندما كان السيد فيليبس في مؤخرة قاعة الصف يستمع إلى محفوظات بريسي أندروز من الـ تينية، استغلت ديانا الفرصة وهمست ـن:

- ذاك هو جيلبرت بليث، يجلس تمامًا على طرفك الثاني في المقعد الموازي يا آن. فقط انظري إليه وأخبريني إذا لم يكن وسيمًا حقًّا.

نظرت آن بناءً على رغبة ديانا، وكانت لديها فرصة جيدة للقيام بذلك، ـن جيلبرت بليث المذكور كان مستغرقًا خلسة في تثبيت جديلة روبي جيليس الذهبية الطويلة بظهر مقعدها الواقع أمام مقعده بواسطة دبوس. كان صبيًّا طويل القامة، بشعر بني مجعد، وعينين عسليتين لعوبتين، وفم يفصح عن ابتسامة ماكرة. وفي تلك اللحظة، نهضت روبي جيليس لتعرض مسألتها الحسابية على المعلم، لكنها تهاوت في مقعدها وهي تطلق صرخة مكبوتة، معتقدة أن شعرها قد اقتُلع من جذوره. نظر إليها الجميع وتفحصها السيد فيليبس بنظرة صارمة لدرجة أن روبي بدأت في البكاء. نزع جيلبرت الدبوس بعيدًا عن ا نظار، وانكب يطالع في كتاب التاريخ بأكثر وجه وديع في العالم، ولكن عندما خمدت الفوضى، نظر إلى آن وغمزها بطريقة هزلية تُوصف.

- أعتقد أن جيلبرت بليث هذا وسيم (**أسرت آن لديانا**)، لكني أعتقد أنه جريء جدًّا، فليس من حسن الخلق أن يغمز فتاة غريبة.

لكن ا مور لم تبدأ بالتأزُّم فعلًا إ بعد ظهر ذلك اليوم.

عاد السيد فيليبس إلى مؤخرة القاعة يشرح لبريسي أندروز مسألة في علم الجبر، فاغتنم التـ ميذ الفرصة وأخذوا يفعلون ما يحلو لهم، فتناولوا التفاح ا خضر، وتهامسوا، ورسموا الصور على ألواحهم، وأرجحوا كرات الكريكت الموصولة بالخيطان صعودًا وهبوطًا فوق الممرات بين مقاعدهم. كان جيلبرت بليث يحاول جعل آن شيرلي تنظر إليه وفشل تمامًا، ن آن كانت في تلك اللحظة غافلة تمامًا، ليس فقط عن وجود جيلبرت بليث، بل عن وجود أي تلميذ آخر في أفونليا، بل عن مدرسة أفونليا نفسها. بذقنها المسند على يديها وعينيها المثبتتين على الوميض ا زرق لبحيرة المياه الـ معة التي أطلت عليها النافذة الغربية، كانت بعيدة في أرض ا حـ م الخلَّابة، تسمع و ترى شيئًا إ رؤاها الرائعة.

لم يكن جيلبرت بليث معتادًا مـ قاة جهوده من أجل لفت نظر أي فتاة بالفشل. يجب عليها أن تنظر إليه، تلك الفتاة شيرلي ذات الشعر ا حمر والذقن الصغير المدبب والعينين الكبيرتين اللتين تشبهان عيني أي فتاة أخرى في مدرسة أفونليا.

تجاوز جيلبرت الممر الفاصل بين مقعده ومقعد آن بمسافة صغيرة، والتقط طرف جديلة آن الحمراء الطويلة، ورفعها على طول ذراعه وقال في همسة خارقة:

- جزر! جزر!

عندها شزرته آن بنظرة انتقامية!

بل قامت بما هو أكثر من النظر؛ هبت واقفة على قدميها، وقد انهارت خيا تها المشرقة انهيارًا غير قابل للترميم، وألقت نظرة غاضبة على جيلبرت بعينين سرعان ما تحول الغضب المتأجج فيهما إلى دموع يماثل سخطها سخط العينين.

- أيها الصبي الكريه! (**صاحت بانفعال**) كيف تجرؤ؟!

ثم.. طاخ! لقد رفعت «**آن**» اللوح الخاص بها وهوت به على رأس جيلبرت وكسرته؛ كسرت اللوح وليس الرأس من منتصفه.

لطالما استمتعت مدرسة أفونليا بالمشاهد ا نفعالية، لكن كان هذا المشهد ممتعًا بشكل خاص. هتف الجميع «**أوه**» في ابتهاج مثيل له، وشهقت ديانا، بينما بدأت روبي جيليس المشهورة بنوباتها العصبية في البكاء. أما تومي سلون فقد أفلت كراته كلها، محدقًا بفم فاغر إلى المشهد.

تقدم السيد فيليبس نحو آن، ووضع يده بثقل على كتفها.

- آن شيرلي، ماذا يعني هذا؟ (**قال بغضب**).

لم ترد آن بأي إجابة؛ لقد كان أمرًا يفوق احتمال طاقتها البشرية أن تُرغم على البوح أمام تـ ميذ المدرسة بأكملها بأنها دُعيت جزرًا، وكان جيلبرت هو الذي ردَّ بجرأة.

- لقد كان خطئي يا سيد فيليبس. أنا من ضايقتها.

لم يعر السيد فيليبس أي انتباه لجيلبرت.

- يؤسفني أن أرى تلميذًا من تـ ميذي يظهر بمثل هذا الطبع والروح ا نتقامية (**قال بنبرة خطابية، وكأن مجرد كون المرء تلميذًا من تـ ميذه، يحتِّم عليه استئصال جميع النزعات الشريرة من قلبه، تلك النزعات التي تعتمل في قلوب الصغار غير الكاملين والمعرضين للفناء**). آن، اذهبي وقفي عند المنصة أمام السبورة لبقية فترة ما بعد الظهر.

كانت آن تفضل الجلد على هذه العقوبة التي بموجبها ارتعشت فرائصها كما لو أنها كانت فعلًا تحت تأثير الجَلد، غير أنها أطاعت ا مر بوجه شاحب متشنج، بينما تناول السيد فيليبس طبشورة وكتب على السبورة فوق رأسها: «**آن شيرلي لديها طبع سيئ للغاية. يجب أن تتعلم آن**

شيرلي التحكم في أعصابها»، ثم قرأها بصوت عالٍ حتى يتمكن تـ ميذ الصف التمهيدي الذين لم يتمكنوا من القراءة بعد، فهم ما كتب.

وقفت آن هناك بقية فترة ما بعد الظهر، مع تلك الحكمة المكتوبة فوقها. لم تبكِ ولم تحنِ رأسها، كان الغضب الذي ما يزال مشتعلًا في قلبها، يساعدها على الصمود وسط كل عذابات إحساسها بالمهانة، وبعينين ممتعضتين ووجنتين صبغهما ا نفعال با حمر، واجهت على حد سواء نظرة ديانا المتعاطفة، وإيماءات تشارلي سلون الساخطة، وابتسامات جوزي باي الخبيثة. أما جيلبرت بليث، فلم تكن حتى تنظر إليه. لن تنظر إليه مرة أخرى! ولن تتحدث معه أبدًا!

عندما انتهى اليوم الدراسي، خرجت آن ورأسها ا حمر مرفوعًا، وحاول جيلبرت بليث اعتراضها عند باب الرواق.

- أنا آسف للغاية ني سخرت من شعرك يا آن (**همس نادمًا**). صدقًا، أنا آسف، فـ تظلي غاضبة مني إلى ا بد.

تجاوزته بازدراء، دون نظرة أو ء مة على سماعها له.

- أوه، كيف استطعت فعل ذلك يا آن؟ (**قالت ديانا هثة عندما وصلتا إلى الطريق، بنصف تأنيب، ونصف إعجاب، إذ شعرت أنها تملك القدرة أبدًا على مقاومة استعطاف جيلبرت**).
- لن أسامح جيلبرت بليث أبدًا (**قالت آن بحزم**)، كما أن السيد فيليبس تهجى اسمي بدون مد ا لف وإشباع النون أيضًا. لقد أصبح قلبي صلدًا كالحديد يا ديانا.

لم يكن لدى ديانا أدنى فكرة عما تعنيه آن لكنها فهمت أنه كان شيئًا فظيعًا.

- ينبغي لك أن تنزعجي من سخرية جيلبرت من شعرك (**قالت ديانا محاوِلة تلطيف ا جواء**)، إنه يسخر من كل الفتيات، بل ويسخر من شعري نه شديد السواد. لقد دعاني غرابًا عشرات المرات، ولم أسمعه يعتذر قط عن أي شيء من قبل أيضًا.
- هناك قدر كبير من ا ختـ ف بين أن تُنعتي بالغراب وبين أن تُنعتي بالجزر (**قالت آن بكبرياء**). جيلبرت بليث قد جرح مشاعري بشكل صادم يا ديانا.

كان من الممكن أن تنتهي المسألة بدون المزيد من ا لم، لو لم يحدث شيء آخر، لكن ا حداث ما إن تبدأ بالحصول حتى تستمر.

غالبًا ما يقضي تـ ميذ أفونليا ساعة الغداء في التقاط الصمغ من بستان الصنوبر الخاص بالسيد بيل الواقع فوق التلة بعد حقل المراعي الشاسع، ومن هناك يمكنهم مراقبة منزل إبين رايت، حيث يقيم السيد فيليبس، وما إن يروه يخرج من هناك حتى يباشروا الركض باتجاه

مبنى المدرسة، لكن المسافة بينهم وبين المدرسة كانت أطول بث ث مرات من المسافة التي بينهم وبين منزل السيد رايت، لذلك كانوا يبذلون جهودًا كبيرة للوصول إلى هناك، وكانوا بالعادة يصلون بعد فوات ا وان بنحو ث ث دقائق هثين.

في اليوم التالي، وقع السيد فيليبس في إحدى نوباته ا ص حية المتقطعة، وأعلن قبل العودة إلى المنزل لتناول الغداء، أنه يتوقع وجود جميع التـ ميذ في مقاعدهم عند عودته، ومن يتأخر منهم سيعاقَب.

ذهب جميع الصبية وبعض الفتيات إلى بستان صنوبر السيد بيل كالمعتاد، عازمين تمامًا على البقاء لفترة قصيرة فقط، كافية للحصول على مضغة من الصمغ، لكن كان بستان الصنوبر مغريًا، والجوز الصمغي ا صفر مضللًا، فالتقطوا ما التقطوه، وتسكعوا في المكان، وضلوا. وكالعادة، كان أول من يذكِّرهم بإحساس هروب الوقت هو جيمي جلوفر وهو يصرخ من أعلى شجرة التنوب ا بوية القديمة «**المعلم قادم**».

بدأت الفتيات اللواتي كن على ا رض ولم يتسلقن ا شجار كالصبية بالركض، دون هدر ثانية واحدة، ونجحن في الوصول إلى المدرسة في الوقت المناسب، وتـ هم الصبية في الركض، والذين اضطروا إلى التملص من ا شجار على عجل، أما آن، التي لم تكن تلتقط الصمغ على ا ط ق ولكنها تتجول بسعادة عند نهاية حدود البستان، غارقة إلى وسطها بين شتول السراخس، تغني لنفسها بهدوء، مع إكليل من زنابق ا رز على شعرها كما لو كانت إلهة برية من آلهة العوالم الخفية، فكانت آخر من باشر الركض، ومع ذلك كان بإمكانها أن تركض برشاقة الغز ن؛ ركضت كما أن عفريتًا يستحثها حتى تمكنت من اللحاق بالصبية عند الباب، واجتاحت مبنى المدرسة بينهم، ووصلوا تمامًا عندما كان السيد فيليبس يعلِّق قبعته.

انتهت نوبة ا ص ح القصيرة التي اعترت السيد فيليبس؛ لم يكن يريد تكليف نفسه عناء معاقبة عشرات التـ ميذ، ولكن من الضروري أن يفعل شيئًا لتنفيذ كلمته، لذلك بحث عن كبش فداء ووجده في آن، التي هوت على مقعدها هثة تحاول التقاط أنفاسها، بينما تدلى إكليل الزنبق الذي نسيت أمره على إحدى أذنيها، مضفيًا عليها مظهرًا فظيعًا وأشعث.

- آن شيرلي، نظرًا نك تبدين مولعة جدًّا برفقة الصبيان، فسنشبع لك هذه الرغبة اليوم (**قال ساخرًا**). انزعي تلك الزهور من شعرك، واجلسي إلى جانب جيلبرت بليث.

ضحك بقية الصبية ضحكات مكبوتة، بينما شحب وجه ديانا شفقة على رفيقتها، فبادرت وانتزعت إكليل الزهور من شعر آن وضغطت يدها عليها مواسية، أما آن فبقيت جامدة تحدِّق

إلى المعلم كما لو تحولت إلى حجر.

- هل سمعتِ ما قلته يا آن؟ (**سأل السيد فيليبس بصرامة**).
- نعم سيدي (**أجابت آن ببطء**) لكني لم أفترض أنك كنت تعني ذلك حقًّا.
- أؤكد لك أني أعني ذلك تمامًا (**أجابها بلهجة ساخرة، استفزت موضعًا حساسًا في نفوس ا طفال، فكرهوها جميعًا وبخاصة آن**). نفذي ما أمرتك به حالًا.

بدت آن للحظة وكأنها تنوي العصيان، بعد ذلك أدركت أنه فائدة من ذلك، نهضت بغطرسة، وخطت عبر الممر، وجلست بجانب جيلبرت بليث، ودفنت وجهها بين ذراعيها على المنضدة. روبي جيليس؛ التي استطاعت لمح ذلك الوجه بينما كان ينحني، أخبرت ا خرين أثناء طريق العودة من المدرسة إلى البيت أنها لم يسبق لها أن رأت شيئًا في حياتها مشابهًا لما رأته، فقد كان وجهها ممتقعًا وملطخًا ببقع حمراء صغيرة ومخيفة.

بالنسبة إلى آن، كان ما حدث لها كأنه نهاية كل شيء. كان سيئًا بما يكفي ليتم إخضاعها للعقاب من بين العشرات من المذنبين على قدم المساواة، وكان من ا سوأ أن يتم إرسالها للجلوس مع صبي، لكن أن يكون هذا الصبي هو جيلبرت بليث، فهذه إهانة تُغتفر، وأذى يمكن تحمله على ا ط ق. شعرت بأنها تستطيع تحمل ذلك، ولن تكون هناك جدوى من محاولة النسيان، فقد اهتز كيانها بأكمله بمشاعر العار، والغضب، والمهانة.

في البداية نظر التـ ميذ صوبها وتهامسوا وقهقهوا وتـ مزوا، لكن آن لم ترفع رأسها قط، وعندما انكبَّ جيلبرت على حل كسوره الحسابية، وكأن روحه كلها منهمكة بالكسور وحدها، التفت التـ ميذ إلى واجباتهم ونسوا أمر آن، وعندما نادى السيد فيليبس صف التاريخ، كان يجب أن تنهض آن، لكنها لم تتحرك، ولم يفتقدها السيد فيليبس، الذي كان يكتب بعض ا بيات الشعرية «**إلى بريسيـ**» قبل مناداته صف التاريخ، حيث كان يفكر في قافية استعصت عليه. وفي مرة من المرات، عندما لم يكن أحد ينظر هناك، أخذ جيلبرت من درج مقعده قلبًا صغيرًا من الحلوى الوردية عليه شعار ذهبي «**أنت لطيفة**»، ووضعها تحت منحنى ذراع آن الملتف حول رأسها، عندئذ نهضت آن، وأخذت القلب الوردي بحذر شديد بين أطراف أصابعها، وأسقطته على ا رض، وطحنته إلى بودرة تحت كعبها، واستأنفت وضعها دون أن تتنازل لقاء نظرة واحدة على جيلبرت.

بعد انتهاء اليوم الدراسي، توجهت إلى مقعدها بتباهٍ، وأفرغت درجه مما كان فيه، من الكتب ولوح الكتابة والقلم والحبر والحاسبة وا نجيل، وحزمتها بدقة على لوحها المكسور.

- لماذا تأخذين كل هذه ا شياء إلى المنزل يا آن؟ (**أرادت ديانا أن تعرف، بمجرد خروجهما إلى الطريق، إذ لم تجرؤ على طرح هذا السؤال قبل ذلك**).
- لن أعود إلى المدرسة بعد اليوم (**قالت آن**).

شهقت ديانا وحدقت إلى آن لترى إذا كانت تعني ما تقوله.

- وهل ستدعك ماريـ تبقين في البيت؟ (**سألتها**).
- سيتعين عليها ذلك (**أجابت آن**). لن أعود إلى المدرسة بعد اليوم واجه ذلك الرجل من جديد.
- أوه يا آن! (**بدت ديانا وكأنها مستعدة للبكاء**) أعتقد أنك لئيمة. ماذا سأفعل بدونك؟ سيجعلني السيد فيليبس أجلس مع تلك الفتاة البغيضة جيرتي باي، أعلم أنه سيفعل ذلك، نها تجلس بمفردها، تراجعي عن قرارك يا آن.
- أنا على استعداد للقيام بأي شيء في العالم من أجلك يا ديانا (**قالت آن بحزن**). سأقبل أن تمزَّق أوصالي إربًا إربًا إذا كان ذلك يسعدك، لكني أستطيع تلبية طلبك ا ن، لذا من فضلك تطلبيه مني، إنك تخنقين روحي.
- فكري فقط في كل المتعة التي ستفوتينها (**انتحبت ديانا**). سنبني أجمل منزل رأته العين أسفل الغدير، وسنلعب الكرة ا سبوع المقبل، وأنتِ لم تلعبي الكرة قط يا آن، إنها لعبة مثيرة جدًّا، وسنتعلم أغنية جديدة تتدرب عليها جين أندروز ا ن، وستحضِر أليس أندروز كتابًا جديدًا ا سبوع المقبل وسنقرؤه جميعًا بصوت عالٍ، ما يقارب الفصل هناك عند الجدول، وأنت تعلمين أنك مغرمة جدًّا بالقراءة بصوت عالٍ يا آن.

ما استطاع أي شيء مما ذكرت ديانا أن يؤثر في آن بالنهاية، قد عزمت على أنها لن تعود إلى المدرسة لتواجه السيد فيليبس مرة ثانية، وأخبرت ماريـ بذلك عندما وصلت إلى المنزل.

- هراء (**قالت ماريـ**).
- هذا ليس هراء على ا ط ق (**قالت آن، وهي تحدق إلى ماريـ بعينين عاتبتين لكن ثابتتان**). أ تفهمين ما حدث يا ماريـ ؟ لقد تعرضت لـ هانة.
- إهانة.. هراء! ستذهبين إلى المدرسة غدًا كالعادة.
- أوه، (**هزت آن رأسها برفق**). لن أعود يا ماريـ ، سأتعلم دروسي في المنزل وسأكون جيدة بقدر ما أستطيع، وسألجم لساني طيلة الوقت إذا كان ذلك ممكنًا، لكني لن أعود إلى المدرسة، أؤكد لك.

حظت ماري ذلك العناد الذي ينضب وهو يطل من وجه آن الصغير، وفهمت أنها ستواجه صعوبة في التغلب على الوضع، لكنها عقدت العزم على عدم قول أي شيء في ذلك الوقت.

- سأذهب رى ريتشل بشأن هذا الموضوع هذا المساء (**فكَّرت**). فائدة من الجدال مع آن ا ن، فهي هائجة جدًّا، ويتملكني الشعور أنها إذا صممت على رأيها فبإمكانها أن تكون عنيدة إلى أبعد حد، ومما استطعت استنباطه من حديثها، أعتقد أن السيد فيليبس كان مستبدًّا في طريقة معالجته لـ مور، ولكن إخبارها بهذا لن يساعد أبدًا على حل ا زمة. سأناقش ا مر مع ريتشل، إنها ترسل عشرة أطفال إلى المدرسة، ومن المؤكد أنها عرفت شيئًا عن القصة، بل ستكون قد سمعت القصة بأكملها بحلول هذا الوقت.

وجدت ماري السيدة ليند تحوك ا لْحِفَة بجد وبهجة كالعادة.

- أفترض أنك تعرفين ما جئت جله (**قالت بخجل قليلًا**).

أومأت السيدة ريتشل.

- بشأن الضجة التي أحدثتها آن في المدرسة، أعتقد (**أجابت**). مرت تيلي بولتر من هنا في طريقها إلى المنزل من المدرسة وأخبرتني عن ذلك.
- أعرف كيف ينبغي التصرف معها (**قالت ماري**)، فهي تعلن أنها لن تعود إلى المدرسة. لم أرَ طفلًا قط بلغ به ا هتياج هذا الحد، لقد كنت أتوقع حدوث المشكـ ت منذ أن باشرت الذهاب إلى المدرسة، وكنت أعلم أن ا مور تسير على نحو سلس للغاية بحيث يمكن أن تدوم. إنها منفعلة جدًّا ا ن، بماذا تنصحينني يا ريتشل؟
- حسنًا، بما أنك طلبت نصيحتي يا ماري (**قالت السيدة ليند بشكل ودي، فقد كانت تحب بشدة أن تُسأل عن النصيحة**)، سأقوم بالتراخي معها قليلًا في البداية، هذا ما كنت سأفعله. أعتقد أن السيد فيليبس كان على خطأ. بالطبع، ليس من المناسب قول ذلك لـ طفال، كما تعلمين، وبالطبع فعل الصواب في معاقبتها با مس نها لم تستطع التحكم في انفعا تها، لكن اليوم كان ا مر مختلفًا تمامًا، كان يجب معاقبة ا خرين الذين تأخروا مثل آن، هذا ما كان يجب أن يحدث، و أحبذ العقاب الذي يتضمن جلوس الفتيات بجانب الصبيان، إنه ليس محتشمًا. كانت تيلي بولتر ساخطة جدًّا، وهي تناصر

آن وقالت إن جميع التـ ميذ يناصرون آن أيضًا. يبدو أنَّ آن تحظى بشعبية حقيقية بينهم، وبطريقة ما كنت أظن أنها لن تتأقلم معهم بشكل جيد.

- إذن أنتِ تعتقدين حقًّا أنه من ا فضل أن أتركها تبقى في البيت! (**قالت ماريـ بذهول**).
- نعم، وما كنت سأقول أمامها كلمة مدرسة مجددًا حتى تقولها هي بنفسها. اعتمدي على هذا يا ماريـ ، ستهدأ في غضون أسبوع أو نحو ذلك وستكون مستعدة بما يكفي للعودة من تلقاء نفسها، ثقي فيما أقوله لك. وفي رأيي أنه كلما قلت الضجة كان ذلك أفضل، فهي لن تفوت على نفسها الكثير إذا لم تذهب إلى المدرسة، إذا كان هذا ما تخشينه، فالسيد فيليبس ليس جيدًا على ا ط ق كمعلم، وسيرته تفوح بالفضائح المخزية، هذه هي الحقيقة يا ماريـ ، وهو يهمل هؤ ء الصغار، ويكرِّس كل وقته لـ هتمام بأولئك البالغين الذين يستعدون لدخول معهد كوين. وبصراحة أقول لكِ إنه لم يكن ليحصل على المدرسة لمدة عام آخر إذا لم يكن عمه وصيًّا، أو با حرى الوصي، نه يسيطر على ا وصياء ا خرين الموجودين في المنطقة سيطرة تامة. و أخفيك سرًّا، فأنا أعرف إلى ماذا سيؤول التعليم في هذه الجزيرة.

هزت السيدة ريتشل رأسها عدة مرات، وكأنها تقول إنها لو كانت فقط على رأس النظام التعليمي للمقاطعة لكانت ا مور ستُدار بشكل أفضل.

أخذت ماريـ بنصيحة السيدة ريتشل، ولم تقل ن كلمة أخرى عن العودة إلى المدرسة. تعلمت آن دروسها في البيت، وقامت بأعمالها المنزلية الروتينية، ولعبت مع ديانا في شفق الخريف ا رجواني البارد، وعندما كانت تقابل جيلبرت بليث في الطريق أو في مدرسة ا حد، كانت تتجاوزه بازدراء جليدي، لم تتمكن رغبته الواضحة في إرضائها من إذابته، حتى جهود ديانا كرسول سـ م كانت بـ جدوى. كان من الواضح أنَّ آن قد قررت أن تكره جيلبرت بليث حتى نهاية حياتها.

وبقدر ما كرهت جيلبرت، أحبَّت ديانا، بكل ذرة حب يمتلكها قلبها الصغير الشغوف، المبالغ في محبته وكراهيته على حد سواء. وذات مساء، عادت ماريـ من البستان ومعها سلة من التفاح، ووجدت آن جالسة بجانب النافذة الشرقية في الشفق، وهي تبكي بمرارة.

- ما ا مر ا ن بحق السماء يا آن؟ (**سألتها**).
- ا مر يتعلق بديانا (**بكت آن بسخاء**). أنا أحب ديانا جدًّا يا ماريـ ، أستطيع العيش بدونها، لكني أعلم جيدًا أننا عندما نكبر ستتزوج ديانا وتذهب وتتركني. و.. أوه، ماذا سأفعل حينها؟ أكره زوجها، أنا أكرهه بشدة. لقد كنت أتخيل كل شيء؛ الزفاف وكل

شيء، كانت ديانا ترتدي ثوبًا ناصع البياض وتضع وشاحًا، وتبدو بجمال وفخامة الملكة، وكنت أنا إشبينة[33] العروس، أرتدي فستانًا جميلًا أيضًا بأكمام منفوخة، لكن بقلب منكسر يختبئ تحت وجهي المبتسم، ثم أقول لديانا إلى اللقـــــــاء

(وهنا انهارت آن تمامًا، وبكت بحرقة متناهية).

استدارت ماري بسرعة خفاء وجهها المتقلص الذي كان يحاول مقاومة رغبتها بالضحك، لكن محاولتها لم تنفع، فانهارت على أقرب كرسي وانفجرت في مثل هذا الضحك المجلجل والمنبعث من أعماقها، لدرجة أن ماثيو الذي كان يعبر الفناء في تلك اللحظة توقف في دهشة. متى سمع ماري تضحك هكذا من قبل؟!

- حسنًا يا آن شيرلي (**قالت ماري بمجرد أن وجدت الفرصة للتحدث**)، إذا كان بد أن تختلقي المصائب لتبكي عليها، بحق السماء اختلقي مصيبة نستطيع معالجتها في البيت. أنا أقرُّ أنك صاحبة خيال خصب مثيل له.

تعبير «**Once in a Blue Moon**»، يعني: نادرًا ما يحدث. وهو مستوحى من ظاهرة القمر ا زرق: ظاهرة حسابية وليست فلكية بالمعنى المفهوم، تحدث عندما يتكرر القمر البدر مرتين داخل نفس الشهر الميـ دي، هنا نسمي القمر البدر الثاني: قمر أزرق وهي ظاهرة تأتي مرة واحدة كل سنتين أو ٣ سنوات.

هي إحدى صديقات العروس المقربات أو أختها، ويتم اختيارها من بين فتيات غير متزوجات وفي سن الزواج، ودورها ينحصر في مساعدة العروس في تحضيرات الزفاف ويوم العرس.

(16)

دعوة ديانا إلى الشاي، ونتائج تراجيدية

كان شهر تشرين ا ول شهرًا لطيفًا في المرتفعات الخضراء، تحولت أوراق أشجار البتو عند الغور إلى أوراق ذهبية مثل أشعة الشمس، واكتست أشجار القيقب خلف البستان بلون قرمزي ملكي، واصطبغت أشجار الكرز البري على طول الممر بأجمل ظ ل من ا حمر الداكن وا خضر البرونزي، بينما أخذت الحقول تشمِّس نفسها بعد جزِّ أعشابها.

استمتعت آن بعالم ا لوان الذي يحيط بها.

- أوه يا ماريـ (**هتفت آن ذات صباح أحد أيام السبت، وهي تدخل للبيت راقصة وذراعاها تضمان حزمة من ا غصان الرائعة**)، يسرُّني أني أعيش في عالم يوجد فيه شهور مثل شهر تشرين ا ول. سيكون ا مر فظيعًا حقًّا إذا تخطينا شهر تشرين ا ول، وانتقلنا لشهر تشرين الثاني مباشرة، أليس كذلك؟ انظري إلى فروع القيقب هذه، أ تمنحك الشعور بنشوة السعادة؟ بل العديد من نشوات السعادة؟ سأقوم بتزيين غرفتي بها.
- فوضى! (**قالت ماريـ التي لم يتطور حسها الجمالي بشكل ملحوظ**). أنتِ تحدثين الفوضى في غرفتك كثيرًا با شياء التي تجلبينها من خارج ا بواب يا آن، فغرف النوم مخصصة لينام فيها المرء.
- أوه، ومخصصة ليحلم فيها المرء أيضًا يا ماريـ . وأنت تعلمين أنه يمكن للمرء أن يحلم بشكل أفضل في غرفة بها أشياء جميلة. سأضع هذه ا غصان في ا بريق ا زرق القديم وسأزين بها طاولتي.
- انتبهي إذن حتى تسقطي أوراق الشجر على طول الس لم. أنا ذاهبة إلى اجتماع جمعية المعونة في كارمودي بعد ظهر اليوم يا آن، ولن أكون على ا رجح في المنزل قبل حلول الظ م، سيتعين عليك تحضير العشاء لماثيو وجيري، لذلك ضعي في حسبانك أ تنسي إعداد الشاي قبل أن تجلسي إلى الطاولة، كما فعلت في المرة السابقة.
- كان أمرًا فظيعًا مني أن أنسى (**قالت آن معتذرة**)، لكن هذا حدث مساء اليوم الذي كنت أحاول فيه ابتكار اسم لوادي البنفسج، وطغت هذه الفكرة على كل شيء سواها. لقد

كان ماثيو طيبًا جدًّا، ولم يوبخني قط، وقام بإعداد الشاي بنفسه، وقال إنه بأس أن ننتظر قليلًا، وحكيت له قصة خرافية جميلة بينما كنا ننتظر، فلم يشعر بثقل الوقت على ا ط ق، كانت قصة خرافية جميلة يا ماريـ ، وقد نسيت نهايتها، لذلك قمت بتأليف نهاية لها بنفسي وقال ماثيو إنه لم يستطع اكتشاف المقطع الذي بدأت عنده إضافتي على الحكاية ا صلية.

- إن ماثيو يعتقد أن كل شيء على ما يرام ويبدو طبيعيًّا يا آن، حتى إذا عرف أنك عزمت على النهوض في منتصف الليل لتأكلي. وضعي ما سأقوله هذه المرة نصب عينيك، و.. أعرف حقًّا إذا كان ما سأفعله صحيحًا، فمن الممكن أن يربك ذلك عقلك أكثر من أي وقت مضى.. لكن يمكنك دعوة ديانا لتمضي ا مسية معك ولتتناول الشاي هنا.
- حقًّا يا ماريـ ؟! (**شابكت آن يديها**) كم هو رائع! إنك قادرة على تخيل ا شياء على الرغم من كل شيء، وإ فلن تفهمي أبدًا كيف كنت أتوق لهذا ا مر بالذات. أروع ما في ا مر أني سأتعامل كراشدة، ولن يكون هناك خوف من نسياني عداد الشاي ما دام معي رفقة. أوه يا ماريـ ، هل يمكنني استخدام طقم الشاي المزخرف برسوم براعم الورد؟
- طبعًا ! طقم شاي براعم الورد! حسنًا، ما الذي ينتظرني بعد؟ أنتِ تعلمين أنني أستخدمه أبدًا إ في حضور القس أو جمعية المعونة. ستستخدمين طَقم الشاي البني القديم. ولكن يمكنك فتح الجرة الصغيرة الصفراء التي تحتوي على مربى الكرز، فقد حان الوقت ستهـ كها على أي حال، وإني ظنها على وشك الفساد، ويمكنك قطع بعض كعك الفاكهة مع بعض البسكويت والرقائق.
- يمكنني أن أتخيل نفسي جالسة على رأس الطاولة وأسكب الشاي (**قالت آن وهي تغمض عينيها بنشوة**)، ثم أسأل ديانا إذا كانت تريد السكر مع الشاي! أعلم أنها تفعل ذلك، ولكني بالطبع سأسألها كما لو كنت أعرف، ثم ألحُّ عليها لتأخذ قطعة أخرى من كعك الفاكهة ومزيدًا من المربى. أوه يا ماريـ ، إنه إحساس رائع لمجرد التفكير فيه. هل يمكنني اصطحابها إلى غرفة الضيوف ا حتياطية لتضع قبعتها عندما تأتي؟ ثم إلى الردهة لتجلس فيها؟
- ، غرفة الجلوس مناسبة لك ولضيفتك. ولكن هناك نصف زجاجة م نة بشراب التوت تبقت من اجتماع الكنيسة في ليلة سابقة، إنه على الرف الثاني لخزانة غرفة الجلوس، يمكنك تناول بعضه أنت وديانا إذا أردتِ، وتناول بعض البسكويت مع

الشراب خ ل ا مسية، فقد يتأخر ماثيو في القدوم لتناول الشاي، نه ينوي نقل البطاطا إلى سفينة نقل البضائع.

هرولت آن إلى الغور، متجاوزة نبع فقاعة الحورية متجهة نحو منحدر البستان بعد عبورها لبستان الراتينج، لتدعو ديانا إلى تناول الشاي. وهكذا، بعد أن غادرت ماريـ مباشرة إلى كارمودي، جاءت ديانا مرتديةً ثاني أفضل فستان لديها، وبدت تمامًا كما يجدر بها أن تبدو عندما تُدعى إلى تناول الشاي. في ا وقات العادية، كانت معتادة دخول البيت من المطبخ دون أن تقرع الباب، لكنها في ذلك اليوم قرعت الباب الرئيسي باحتشام، وعندما فتحت لها آن الباب باحتشام مماثل، كانت هي أيضًا ترتدي ثاني أفضل فستان لديها. تصافحت الفتاتان كلتاهما بوقار كما لو أنهما لم تلتقيا من قبل. استمرت هذه ا حتفا ت غير الطبيعية حتى بعد أن صحبت آن ديانا إلى المرتفعات الشرقية لتخلع قبعتها، ثم إلى غرفة الجلوس حيث جلستا عشر دقائق، وأقدامهما تتخذ وضعية محتشمة في مكانها.

- كيف حال والدتك؟ (**استفسرت آن بأدب، تمامًا كما لو أنها لم تكن قد رأت السيدة باري تقطف التفاح في ذلك الصباح بصحة ومعنويات ممتازة**).
- إنها بأفضل حال، شكرًا لسؤالك. أظن أن السيد كوثبرت سينقل البطاطا هذه ا مسية إلى شاطئ الزنابق، أليس كذلك؟ (**قالت ديانا، التي ذهبت في ذلك الصباح إلى منزل السيد هارمون أندروز بعربة ماثيو**).
- نعم، محصول البطاطا لدينا وافر جدًّا هذا العام. آمل أن يكون محصول والدك جيدًا أيضًا.
- إنه جيد إلى حد ما، شكرًا هتمامك. هل قطفتم الكثير من تفاحكم حتى ا ن؟
- أوه، أكثر مما تتصوري (**قفزت آن ناهضة من مكانها بسرعة، بعد أن ردَّت على ديانا بلهجة تخلت فيها عن كل وقارها**). دعينا نخرج إلى البستان ونحصل على بعض من تلك الفاكهة الحمراء اللذيذة يا ديانا. فقد سمحت لنا ماريـ باقتطاف كل ما تبقى على الشجرة، فماريـ امرأة كريمة جدًّا، قالت إنه يمكننا تناول كعك الفواكه ومربى الكرز مع الشاي، ولكن أظن أنه ليس من الـ ئق أن تخبري ضيفتك عمَّا تنوين تقديمه لها، لذلك لن أخبرك بما سمحت لنا بشربه. أستطيع التلميح لك فقط أنه يبدأ بحرف الشين وحرف التاء، ولونه فاقع الحمرة. أنا أحب المشروبات ذات اللون ا حمر الفاقع، أتحبينها أنتِ كذلك؟ إن مذاقها أفضل مرتين من مذاق أي لون آخر.

كان البستان الذي تدلت أغصانه العظيمة وانحنت باتجاه ا رض مُحمَّلة بالفاكهة، ممتعًا للغاية لدرجة أن الفتاتين الصغيرتين قضيتا معظم ا مسية فيه، تجلسان في ركن عشبي نجت خضرته من الجليد، وتلكأت عنده شمس الخريف الدافئة، تأكـ ن التفاح وتتباد ن أحاديثَ نهاية لها. كان لدى ديانا الكثير لتخبر به آن عما حدث في المدرسة، فقد كان عليها أن تجلس بجانب جيرتي باي وهي تكره ذلك؛ كانت جيرتي تصدر صريرًا بقلمها الرصاص طيلة الوقت وهذا يجعل الدم يتجمد في عروقها، أي في عروق ديانا، وتخلصت روبي جيليس من كل ثآليلها[34] بطريقة سحرية، بعد أن أعطتها العجوز ماري جو التي تعيش عند الخَور حصاة سحرية: عليكِ أن تفركي الثآليل بالحصاة ثم ترميها بعيدًا من فوق كتفك ا يسر في وقت بزوغ القمر الجديد وستزول الثآليل كلها. كما كُتب اسم تشارلي سلون مع اسم إيم وايت على جدار الرواق، وكانت إيم منزعجة جدًّا من ا مر، وقام سام بولتر بالرد بوقاحة على السيد فيليبس في الفصل، وجلده السيد فيليبس نتيجة لذلك، فجاء والد سام إلى المدرسة وحذر السيد فيليبس من أن يضع يده على أحد أطفاله مرة أخرى. أما ماتي أندروز فقد حصلت على قبعة حمراء جديدة مع بُرْنُس[35] أزرق له شُرَّابات[36]. وليزي رايت تتحدث مع مامي ويلسون، ن أخت مامي ويلسون الكبيرة تسببت في قطع العـ قة بين أخت ليزي رايت الكبيرة وبين حبيبها، والجميع يفتقد آن كثيرًا، ويتمنون لو أنها تعود إلى المدرسة مرة أخرى، وجيلبرت بليث...

لم تشأ آن أن تسمع شيئًا عن جيلبرت بليث، فنهضت على عجل وعرضت على ديانا أن تدخـ البيت لتناول شيء من شراب التوت.

بحثت آن عن قنينة الشراب على الرف الثاني من الخزانة، ولكنها لم تجد هناك أيًّا منها، وأسفر بحثها في النهاية عن وجود تلك القنينة في مؤخرة الرف العلوي، فحملتها آن على صينية ووضعتها على الطاولة مع قَدح للشرب.

- أرجوك تفضلي يا ديانا (**قالت بأدب**). أعتقد أنني سأشرب أي شيء ا ن. أشعر بالرغبة في تناول أي شيء بعد كل ما أكلته من تفاح.

سكبت ديانا لنفسها ملء قَدح، ونظرت إلى لونه ا حمر الفاقع بإعجاب، ثم ارتشفته بلطف.

- نكهة التوت لذيذة جدًّا يا آن. لم أكن أعرف أن شراب التوت بمثل هذا المذاق الطيب.

- أنا سعيدة حقًّا نه أعجبك، اشربي قدر ما ترغبين. سأذهب ضرم النار. هناك الكثير من المسؤوليات التي تقع على عاتق المرء في البيت عندما يكون مسؤولًا عن إدارته، أليس كذلك؟

عندما عادت آن من المطبخ، كانت ديانا تشرب كأسها الثانية من الشراب، وبعد إلحاح آن عليها، لم تقدم أي اعتراض على شرب الثالثة. كان قدح الشراب كبيرًا وسخيًّا، وكان شراب التوت بالتأكيد لذيذًا للغاية.

- إنه ألذ شراب تذوقته على ا ط ق (**قالت ديانا**). إنه أفضل بكثير من شراب السيدة ليند، على الرغم من أنها تتفاخر كثيرًا بالشراب الذي تصنعه، لكن مذاقه يضاهي مذاق هذا الشراب بتاتًا.
- يجب أن أعتقد أن شراب التوت الذي تعده ماريـ أفضل بكثير من شراب السيدة ليند (**قالت آن بصدق**). ماريـ طاهية مشهورة. إنها تحاول تعليمي الطبخ، لكني أؤكد لك يا ديانا أنه عمل شاق. هناك مجال ضئيل للغاية للخيال في فن الطبخ، عليكِ فقط اتباع القواعد. آخر مرة صنعت فيها كعكة نسيت أن أضع الطحين فيها. كنتَ أفكر في أجمل قصة يمكنك تخيلها يا ديانا عنك وعني. تخيلت أنك مريضة بشدة بالجدري وهجرك الجميع، لكنني ذهبت بجرأة و زمت فراش مرضك واعتنيت بك إلى أن استعدتِ عافيتك، ثم انتقلت عدوى الجدري إليَّ ومتُّ ودُفنت تحت أشجار الحور في المقبرة، وقمتِ بزرع أجمة ورد على قبري، وسقيتها بدموعك، ولم تنسَي قط رفيقة طفولتك التي ضحت بحياتها من أجلك. أوه، لقد كانت حكاية مثيرة للشجن يا ديانا. أمطرت الدموع على خدي بينما كنت أخلط مكونات الكعكة، لكني نسيت إضافة الطحين، وفشلت الكعكة فش ً ذريعًا. الطحين ضروري جدًّا للكعك، كما تعلمين، و عجب من استياء ماريـ مني يومها. أنا كارثة وابت ء لها يا ديانا. لقد شعرت با حراج الشديد بسبب صلصة كعك الفواكه المجففة ا سبوع الماضي، كان لدينا كعكة فواكه مجففة على العشاء يوم الث ثاء، لم نأكل إ نصفها وتبقى نصفها ا خر مع دورق من الصلصة، قالت ماريـ إن هناك ما يكفي لعشاء آخر وطلبت مني أن أضع الدورق على رف المؤن بعد تغطيته. كنت عازمة على تغطيته، لكن عندما حملته إلى خزانة المؤن، تخيلت أني راهبة تؤدي طقوس الرهبنة عن طريق دفن قلبها المكلوم في عزلتها ا نفرادية، بالطبع أنا بروتستانتية لكنني تخيلت أنني كاثوليكية، وهكذا نسيت تمامًا أمر تغطية دورق الصلصة، ولم أتذكر إ صباح اليوم التالي، فهرعت إلى خزانة

المؤن يا ديانا، وحاولي تخيل مدى الفزع الذي انتابني عندما عثرت على فأرة غارقة في دورق الصلصة! رفعت الفأرة بملعقة ورميتها في الفناء ثم غسلت الملعقة بالمياه ثـ ث مرات. كانت ماري تحلب ا بقار بالخارج، وكنت أنوي تمامًا أن أسألها عندما تعود للبيت إذا كنت سأعطي الصلصة للخنازير، ولكن عندما عادت، كنت أتخيل أنني جنية صقيع تتجول في الغابة، وتحوِّل ألوان ا شجار إلى ا حمر وا صفر، أيًّا كان اللون الذي تطلبه الشجرة، لذلك لم أفكر مطلقًا في الصلصة مرة أخرى وأرسلتني ماري قطف التفاح، وفي ذلك الصباح، أتى كلٌّ من السيد والسيدة تشيستر روس من سبنسرفيل إلى هنا لزيارتنا، فكما تعلمين، إنهما أنيقان للغاية، وبخاصة السيدة تشيستر روس، وعندما نادتني ماري ، كان كل الطعام جاهزًا وكان الجميع يجلسون حول الطاولة. حاولت أن أتصرف بأدب واحتشام قدر ا مكان، ني أردت أن تأخذ السيدة تشيستر روس عني انطباعًا أني فتاة صغيرة مهذبة حتى لو لم أكن جميلة. سارت ا مور على ما يرام حتى رأيت ماري تأتي مع كعكعة الفواكه المجففة في يد ودورق الصلصة الذي قامت بتسخينه في اليد ا خرى. كانت تلك لحظة مروعة يا ديانا. تذكرت عندها كل شيء وانتفضت في مكاني وصرخت «**ماري ، يجب أن تستخدمي تلك الصلصة؛ لقد غرقت فيها فأرة، ونسيت إخبارك من قبل.**» أوه يا ديانا، لن أنسى أبدًا تلك اللحظة الفظيعة ولو عشتُ مائة عام. اكتفت السيدة تشيستر روس بتحديجي بنظرة، وشعرت أن ا رض على وشك ابت عي مما انتابني من إحساس با هانة. إنها مدبرة منزل مثالية، لذا فلتتخيلي الظنون التي ظنتها بنا. امتقع وجه ماري واستشاط بحمرة الغضب، لكنها لم تنبس ببنت شفة واكتفت بالتخلص من دورق الصلصة والكعكة، وأحضرت بدلًا من ذلك مربى الفراولة، حتى إنها قدمت لي البعض منها، لكني لم أستطع ابت ع لقمة واحدة، كان ا مر أشبه بتأجج كومة من الجمر المشتعل في رأسي. وبعد أن غادرت السيدة تشيستر روس، وجهت لي ماري توبيخًا مروعًا.. لكن، ما ا مر يا ديانا؟!

وقفت ديانا مترنحة، ثم جلست مرة أخرى واضعة يديها على رأسها.

- أنا.. أنا مريضة للغاية (**قالت بصوت متراخٍ**). أنا.. أنا.. يجب أن أعود إلى البيت حالًا.
- أوه، تحلمي بالعودة إلى البيت قبل تناول العشاء (**صاحت آن بانفعال**). سأحضره في الحال.. سأذهب وأعدُّ الشاي فورًا.
- يجب أن أعود إلى البيت (**كررت ديانا بنبرة بلهاء مقررة**).

- دعيني على ا قل أحضر لك ما تأكلينه (**توسلت آن**)، دعيني أقدم لك القليل من كعك الفاكهة ومربى الكرز. استلقي على ا ريكة قليلًا وستصبحين أفضل. أين تشعرين با لم؟
- يجب أن أعود إلى البيت (**ردت ديانا، وكان هذا كل ما لديها لتقوله. ولم تُجدِ توس ت آن نفعًا**).
- لم أسمع قط عن ضيوف يغادرون قبل تناول الشاي (**قالت آن بلوعة**). أوه يا ديانا، أيعقل أنك أصبت بالجدري حقًّا؟ إذا صحَّ هذا، يمكنك ا عتماد عليَّ، ني سأتولى ا عتناء بك، ولن أتخلى عنك أبدًا. لكني أتمنى لو بقيتِ حتى تناول الشاي. أين تشعرين با لم؟
- أشعر بدوار شديد (**قالت ديانا**).

وبالفعل، مشت وهي تترنح. صعدت آن وجلبت قبعة ديانا ودموع خيبة ا مل في عينيها، وذهبت معها حتى حدود سياج فناء السيد باري، ثم بكت طوال الطريق وهي عائدة إلى المرتفعات الخضراء، ثم أعادت بحزن ما تبقى من شراب التوت في خزانة المؤن، وأعدت الشاي لماثيو وجيري، بأداء خالٍ من أي حماس.

كان اليوم التالي يوم ا حد، وهطل المطر سيولًا من الفجر حتى الغسق، فلم تغادر آن المرتفعات الخضراء. بعد ظهر يوم ا ثنين أرسلتها ماريـ إلى السيدة ليند في مهمة، وسرعان ما عادت وهي تثب على الدرب وثبًا والدموع تنهمر على خديها، ثم اقتحمت باب المطبخ، وتهاوت على ا ريكة وهي تبكي بحسرة.

- ما الذي حدث ا ن بحق السماء يا آن؟ (**تساءلت ماريـ في شك وفزع**) أرجو أ تكوني قد أسأتِ للسيدة ليند مرة أخرى.

لم يأتِ الجواب إ بمزيد من الدموع والتشنج العاصف!

- آن شيرلي، عندما أطرح عليكِ سؤالًا أريد إجابتك على الفور. اعتدلي في جلستك حالًا، وأخبريني لماذا تبكي.

اعتدلت آن في جلستها، في تراجيديا مجسدة.

- كانت السيدة ليند في زيارة للسيدة باري اليوم، وأخبرتني بأن السيدة باري في حالة مروعة جدًّا (**انتحبت**). تقول إني أثملت ديانا يوم السبت وأرسلتها إلى بيتها في حالة شائنة، وتقول إني بد وأن أكون بنتًا شريرة وسيئة النيات، ولن تسمح أبدًا لديانا باللعب معي مرة أخرى. أوه يا ماريـ ، لقد غُلبت على أمري في تلك المصيبة.

حدقت ماريـ إليها بذهول صامت.

- أثملتِ ديانا؟! (**قالت عندما استطاعت النطق**) آن، إما أن تكوني مجنونة أو السيدة باري مجنونة. ماذا سقيتها بحق السماء؟
- شيء سوى شراب التوت (**أجابت باكية**). لم أكن أعتقد أبدًا أن شراب التوت يمكن أن يضع الناس في حالة سُكر يا ماريـ ، حتى وإن شربوا ثـ ثة أقداح كبيرة كما فعلت ديانا. أوه، إن هذا يذكرني بزوج السيدة توماس! لكني لم أقصد إسكارها.
- عبث ما تقولين!

قالت ماريـ ذلك وهي تتجه نحو خزانة المؤن في غرفة الجلوس. كان هناك على الرف قنينة تعرفت عليها على الفور، كانت القنينة تحتوي على نبيذ الكِشْمِش[37] المصنوع منزليًّا منذ ثـ ث سنوات والذي نالت عليه شهرة واسعة في أفونليا. لكن بعضًا من أهالي أفونليا المتعصبين، ومن بينهم السيدة باري، اعترضوا على هذا النبيذ بحدة. وسرعان ما تذكرت ماريـ أنها وضعت قنينة شراب التوت في القبو وليس في خزانة المؤن، كما أخبرت آن.

عادت إلى المطبخ وفي يدها قنينة النبيذ، وكان وجهها يرتعش رغمًا عنها.

- آن، شك أنك موهوبة في الوقوع في المصائب. لقد سقيتِ ديانا نبيذ الكِشْمِش بدلًا من شراب التوت. ألم تستطيعي التفرقة بين مذاق ا ثنين؟
- أنا لم أذقه قط (**أجابت آن**). ظننت أنه شراب التوت، وأردت أن أكون مضيفة سخيَّة، مرضت ديانا بشدة واضطرت إلى العودة إلى البيت. وقالت السيدة باري للسيدة لينـ إنها كانت ثملة جدًّا. لقد ضحكت بب هة عندما سألتها أمها ما ا مر، وذهبت إلى النوم لعدة لساعات. وعرفت السيدة باري أنها كانت في حالة سكر عندما شمَّت رائحة أنفاسها. كانت تعاني صداعًا مخيفًا طيلة اليوم با مس. إن السيدة باري ساخطة جدًّا، ولن تصدق أبدًا أن ما فعلته لم يكن عن قصد ونية خبيثة.
- أعتقد أنه من ا فضل لها معاقبة ديانا نها كانت جشعة جدًّا لدرجة أن تشرب ثـ ثة أقداح من أي شيء (**قالت ماريـ**). رباه، إن شرب ثـ ثة أقداح كبيرة حتمًا كانت ستمرضها وإن كان الشراب توتًا. ستكون هذه القصة ألعوبة سهلة بيد أولئك ا شخاص الذين انتقدوني كثيرًا على صنع نبيذ الكِشْمِش، على الرغم من أني لم أصنع المزيد منه منذ ثـ ث سنوات، عندما عرفت أن القس لم يوافق على صنعي له. أنا فقط احتفظت بالقنينة لحا ت المرض الطارئة. هيَّا، هيَّا يا طفلتي، تبكي. أستطيع أن أرى أنك المـ مة وأنا آسفة لحدوث ذلك.

- يجب أن أبكي (**قالت آن**)؛ قلبي مكسور، حتى النجوم في أف كها تحاربني يا ماري .
افترقنا أنا وديانا إلى ا بد. أوه يا ماري ، قليلًا ما فكرت بهذا ا مر عندما أقسمنا على عهود صداقتنا.
- تكوني حمقاء يا آن، ستعيد السيدة باري التفكير في ا مر بشكل أفضل عندما تكتشف أنك لستِ الملومة. بد أنها تظن أنك فعلت ذلك لمزحة سخيفة أو شيء من هذا القبيل. من ا فضل أن تذهبي إليها هذا المساء وتخبريها الحكاية كلها.
- ستخذلني شجاعتي أثناء مواجهتي لوالدة ديانا الغاضبة (**تنهدت آن**). أتمنى أن تذهبي أنت يا ماري ، فأنت أكثر وقارًا مما أنا عليه ا ن. و شك أنها ستصغي إليك أكثر مما يمكن أن تصغي لي.
- حسنًا، سأفعل (**قالت ماري التي رأت أن هذا المسار سيكون أكثر حكمة**). تسترسلي في البكاء يا آن، سيكون كل شيء على ما يرام.

غيرت ماري رأيها بشأن سير كل شيء على ما يرام، بحلول الوقت الذي عادت فيه من منحدر البستان. كانت آن تترقب مجيئها واندفعت نحو باب الرواق لم قاتها.

- أوه يا ماري ، أعرف من وجهك أن محاولتك لم تسفر عن أي فائدة (**قالت بحزن**). ألن تغفر لي السيدة باري؟
- السيدة باري حقًّا! (**قالت ماري محدثة صريرًا بأسنانها**). من بين كل النساء غير المنطقيات اللواتي رأيتهن في حياتي هي ا سوأ. أخبرتها أن ا مر برمته كان خطأ وأنك لست ملومة، لكنها ببساطة لم تصدقني، واغتنمت الفرصة لتنتقد نبيذي وكيف أني قلت دائمًا إن تأثيره على الناس ليس بالتأثير الذي يستحق الذكر. فأجبتها بصراحة أن نبيذ الكِشْمِش لم يُصنع ليُشرب منه ث ثة أقداح كبيرة في المرة الواحدة، وأني لو كنت وليَّة أمر طفلة جشعة إلى هذا الحد، لكنت أدبتها بالضرب الصحيح.

أسرعت ماري نحو المطبخ، وهي منزعجة للغاية، مُخلِّفة وراءها روحًا صغيرة مشتتة في الرواق. وفي الحال حسمت آن أمرها وغادرت البيت في ذلك الغسق الخريفي البارد، وشقت طريقها عبر حقل البرسيم الذابل، ثم جسر جذع الشجرة، ثم بستان التنوب، بينما شعَّ قمر صغير شاحب يتدلى منخفضًا فوق الغابة الغربية.

جاءت السيدة باري إلى الباب مستجيبة لطرقات خجول عليه، ووجدت أمام عتبة بيتها سائلة شاحبة الوجه متوسلة العينين، فتصلبت تعابير وجهها في الحال.

كانت السيدة باري من أولئك ا شخاص ذوي ا حكام المتعنتة المسبقة، وكان غضبها من النوع القاسي الحاقد، الذي يصعب التغلب عليه دائمًا، ولكن ما ينصفها فيما حدث هو إيمانها الجازم أن آن أسكرت ديانا بدافع ونية خبيثة، وقد كانت حريصة بشدة لتحمي ابنتها الصغيرة من العدوى بسوء الخلق، نتيجة تزايد ع قتها الحميمة مع طفلة خبيثة مثل آن.

- ماذا تريدين؟ (**قالت بجفاء**).

شابكت آن يديها.

- أوه يا سيدة باري، أرجوك سامحيني. لم أقصد أن أسكِر ديانا. وكيف يمكنني ذلك؟ فقط تخيلي لو كنتِ أنتِ الفتاة الصغيرة اليتيمة المسكينة التي تبناها أناس طيبون، وكان لديك صديقة حميمة واحدة في هذا العالم. هل تعتقدين أنك ستسممينها عن قصد؟ حسبت أن ذلك الشراب هو شراب التوت، بل كنت متأكدة تمامًا أنه كان شراب التوت. أوه، من فضلك تقولي إنك لن تدعي ديانا تلعب معي أبدًا بعد ا ن. إذا قمتِ بذلك فستغطين حياتي بسحابة داكنة من الويل.

هذا الخطاب الذي كان من شأنه أن يلين قلب السيدة ليند الطيب في غمضة عين، لم يكن له أي تأثير على السيدة باري إ أنه أزعجها أكثر. انتابها الشك من كلمات آن الكبيرة وإيماءاتها الدرامية، وتخيلت أن الطفلة كانت تسخر منها. فقالت ببرود وقسوة:

- أعتقد أنك فتاة مناسبة لصحبة ديانا. من ا فضل أن تعودي إلى البيت وتؤدبي نفسك.

ارتعدت شفتا آن.

- ألن تسمحي لي برؤية ديانا ولو لمرة واحدة فقط قول لها وداعًا؟ (**التمست**).

- ديانا ذهبت إلى كارمودي مع والدها (**قالت السيدة باري، ودخلت البيت مغلقة الباب وراءها**).

عادت آن إلى المرتفعات الخضراء ساكنة، ويائسة.

- ضاع أملي ا خير (**قالت لماريلا**). ذهبت ورأيت السيدة باري بنفسي وعاملتني بإهانة شديدة. أعتقد أنها امرأة أصيلة المعدن يا ماريلا. وا ن، يوجد شيء آخر أفعله سوى الصـ ة، وليس لدي الكثير من ا مل في أن ذلك سيفيد كثيرًا، ني أعتقد أن الله نفسه يمكنه فعل الكثير مع شخص عنيد مثل السيدة باري يا ماريلا.

- آن، ينبغي أن تقولي مثل هذه ا شياء.

وبَّختها ماريلا وهي تسعى جاهدة للتغلب على ميلها ا ثم للضحك، والذي أصبح يربكها نتيجة تزايده. وبالفعل، عندما روت القصة كاملة لماثيو في تلك الليلة، ضحكت بحرارة على

تلك البلية التي وقعت على آن.

لكنها عندما عرجت على المرتفعات الشرقية قبل الذهاب إلى الفراش ووجدت أن آن قد بكت حتى غلبها النوم، تسللت تعابير رقة غير معتادة على وجهها.

- يا للروح الصغيرة المسكينة! (**تمتمت قائلة وهي ترفع خصلة شعر من على وجه الطفلة الملطخ بالدموع، ثم انحنت وطبعت قبلة على خدها المتورد النائم على المخدة**).

الثُّؤْلُول: بَثْر صغير صُلب مستدير، يظهر على الجلد كالحِمَّصة أَو دونَها والجمع: ثآليل.

البُرْنُس: كل ثوب رأْسه منه مُلْتَزِقٌ به.

شُرَّابة: ضمَّة من خيوط يُعلَّق طرفُها الواحد بشيء ويتدلّى ا خر.

الكِشْمِشُ: عنبٌ صِغارٌ عَجَمَ له.

(17)

اهتمام جديد في الحياة

بعد ظهر اليوم التالي، كانت آن منكبة على خياطة مُرقَّعتها عند نافذة المطبخ، ألقت نظرة خارج النافذة فلمحت ديانا عند نبع فقاعة الحورية وهي تلوح لها بطريقة غامضة. وفي لمح البصر، خرجت من المنزل واندفعت نحو الغور، وامت ت عيناها المعبرتان بخليط من الدهشة وا مل، لكن ا مل سرعان ما ت شى عندما رأت م مح ديانا المغتمة.

- ألم ترضخ والدتك بعد؟ (**قالت هثة**).

هزت ديانا رأسها حزينة.

- يا آن. تقول إني لن ألعب معك مرة أخرى. لقد بكيت.. وبكيت وأخبرتها أن ذلك لم يكن خطأك، لكن لم يُجدِ نفعًا. لقد استغرقت اليوم وقتًا طويلًا قناعها بأن تسمح لي أن آتي وأقول لك وداعًا فحسب. سمحت لي بمدة عشر دقائق فقط، وهي ا ن تحسب لي الوقت بالساعة.
- عشر دقائق ليست كافية لنودع بعضنا وداعًا أبديًّا (**قالت آن بعينين دامعتين**). أوه يا ديانا، أتعدينني بصدق أ تنسيني أبدًا؟ أ تنسي رفيقة طفولتك، مهما التقيتِ في حياتك برفاق محبوبين يشملونك بعطفهم؟
- بالتأكيد سأفعل (**أجابت ديانا باكية**). بل ولن يكون لدي أي صديقة حميمة. أريد أحدًا بعدك، و أستطيع أن أحب أي شخص كما أحبك.
- أوه يا ديانا (**هتفت آن وهي تشابك يديها**). هل تحبينني حقًّا؟
- لماذا تقولين هذا؟! بالطبع أحبك. ألم تعرفي ذلك؟
- (**أخذت آن نفسًا طويلًا**). كنت أعرف أنك تستلطفينني بالطبع، ولكني لم آمل يومًا أن تحبيني، فأنا يا ديانا لم أعتقد أن أحدًا يمكن أن يحبني؛ لم يحبني أحد قط على ما أتذكر. أوه، هذا رائع! إنه شعاع من الضوء سيسطع إلى ا بد في عتمة درب فراقنا. أوه يا ديانا، فقط قوليها مرة أخرى.
- أحبك بإخ ص يا آن (**قالت ديانا وهي تحاول حبس دموعها**)، وسأظل أحبك ما حييت، يمكنك التأكد من هذا.

- وسأظل أنا أيضًا أحب حضرتك يا ديانا (**قالت آن وهي تمد يدها بطريقة رسمية**). في السنوات القادمة ستتألق ذكراكِ كنجمة على حياتي المقفرة، وهذا كما ورد ذكره في تلك القصة ا خيرة التي قرأناها معًا. ديانا، هل تتفضلين عليَّ بمنحي خصلة من خصل ضفائر شعرك الفاحمة في لحظة وداعنا حتفظ بها ككنز أبدي؟
- هل لديك أي شيء لتقصي الخصلة به؟ (**سألتها ديانا بلهجة عملية بعد أن جففت دموعها التي تسببت لهجات آن المؤثرة في انهمارها من جديد**).
- نعم، لحسن الحظ أنا أحمل مقص الخياطة في جيب مئزري. (**أجابت آن وهي تقص إحدى خصل شعر ديانا باستعراض شعائري**). وداعًا يا حضرة الحبيبة الغالية، منذ ا ن فصاعدًا علينا أن نصبح غريبتين على الرغم من أننا نعيش قريبتين من بعضنا، لكن قلبي سيظل دائمًا وأبدًا مخلصًا لحبكم.

وقفت آن وراقبت ديانا تبتعد عن نظرها، وهي تلوح لها بحزن كلما استدارت ا خيرة للنظر إلى الوراء، ثم عادت إلى البيت، ولم يفرِّج ذلك الفراق الشاعري شيئًا من كربها.

- لقد انتهى كل شيء (**أعلمت ماريلا**). لن أتخذ لنفسي رفيقة أخرى أبدًا. أنا حقًّا أسوأ حالًا من أي وقت مضى، ني هذه المرة بدون كاتي موريس أو فيوليتا، وحتى لو كانتا معي لم يعد الحال مشابهًا للماضي، فرفيقات الخيال يصبحن غير مقنِعات بعد الحصول على رفيقة حقيقية. ودعنا بعضنا أنا وديانا وداعًا مؤثرًا عند النبع، وسيظل هذا الوداع مقدسًا في ذاكرتي إلى ا بد. واستخدمت أشجى أسلوب استطعت التفكير به وقلت لها: حضرتك، وحبكم بالجمع، إذ يبدو لي أن استخدام هذا ا سلوب أكثر شاعرية من مجرد أنت وحبك. أعطتني ديانا خصلة من شعرها، وسأقوم بخياطة كيسًا صغيرًا لها، صنع منها ق دة أرتديها حول رقبتي طيلة حياتي. أرجوكِ، تنسي التأكد من أنها ستُدفن معي، إذ أعتقد أنني سأعيش طويلًا. ربما عندما تراني السيدة باري مستلقية وباردة وميتة، ستشعر بالندم على ما فعلته وستسمح لديانا بالحضور إلى جنازتي.
- أعتقد أن هناك خوفًا كبيرًا من موتك من الحزن ما دام يمكنك الثرثرة يا آن (**قالت ماريلا بلهجة خالية من التعاطف**).

في صباح يوم ا ثنين التالي، فوجئت ماريلا بنزول آن من غرفتها متأبطة حقيبة كتبها، وقد ارتسمت على فمها تعابير التصميم الحاسم.

- سأعود إلى المدرسة (**أعلنت**). هذا كل ما تبقى لي في الحياة ا ن، بعد أن نُزِعتُ عن رفيقتي بـ رحمة. وفي المدرسة أستطيع رؤيتها والتفكر مليًّا في ا يام الخوالي.
- من ا فضل لك أن تتفكري في دروسك وحساباتك (**قالت ماري وهي تخفي سعادتها بهذا التطور في الوضع**). وإذا كنتِ ستعودين إلى المدرسة، آمل أ نسمع المزيد عن تحطيم ا لواح فوق رؤوس الناس ومثل هذه ا عمال. تصرفي على طبيعتك وافعلي ما يأمرك به معلمك.
- سأحاول أن أكون تلميذة مثالية (**قالت آن باكتئاب**)، ولن يكون هذا ممتعًا كما أتوقع. كان السيد فيليبس يقول إن ميني أندروز تلميذة مثالية، ومع ذلك كانت تفتقر ي شرارة من الخيال أو الحيوية، إنها بليدة ومضجرة، و يبدو أنها تقضي وقتًا ممتعًا أبدًا، ولكن بما أني ا ن يائسة جدًّا، أظن أن ا مر سيكون صعبًا عليَّ. سأسلك الطريق الرئيسي، فأنا أستطيع تحمل السير في طريق ممر البتو بمفردي، وإ انهمرت دموعي بمرارة إن فعلت.

رُحِّب بعودة آن إلى المدرسة بأذرع مفتوحة. لقد افتُقد خيالها بشدة في اللعب، وصوتها في الغناء، وقدرتها الدرامية في قراءة الكتب بصوت عالٍ في ساعة الغداء.

قامت روبي جيليس بتهريب ث ث خوخات زرقاوات إليها أثناء حصة قراءة ا نجيل، وأعطتها إيـ ماي ماكفيرسون قصاصة كبيرة من الورق ا صفر اللون والمزخرف بزهرة الثالوث من أغلفة كتالوج ا زهار، وهو نوع من الزخارف المكتبية الذي يحظى بتقدير كبير في مدرسة أفونليا، وعرضت صوفيا سلون خدماتها لتعلمها تصميمًا جديدًا أنيقًا تمامًا لحياكة شرائط الزينة، وهو تصميم جميل لزركشة المآزر، وأعطتها كاتي بولتر زجاجة عطر فارغة لـ حتفاظ بماء مسح لوحها الدراسي فيه، أما جوليا بيل فنسخت بعناية على قطعة من الورق الوردي الفاتح، صدفي الحواف، المقطع العاطفي التالي:

كلما أسدل الشفق ستائره
ورصعها بالنجوم
تذكري أن لديك صديقة
وإن أخذتها بعيدًا الغيوم

- من الرائع حقًّا أن يكون المرء موضع تقدير (**تنهدت آن بانتشاء وهي تسامر ماري في تلك الليلة**).

لم يقتصر تقدير آن على الفتيات فقط، فعندما عادت بعد ساعة الغداء إلى مقعدها بجانب التلميذة المثالية ميني أندروز حسب أوامر السيد فيليبس، وجدت عليه تفاحة كبيرة وشهيَّة، فتناولتها وكانت على وشك أخذ قضمة منها عندما تذكرت أن المكان الوحيد الذي ينمو فيه هذا النوع من التفاح في أفونليا هو بستان آل بـ يث القديم الذي يقع عند الضفة ا خرى من بحيرة المياه الـ معة. أسقطت التفاحة كما لو كانت جمرة ملتهبة وبشموخ مسحت أصابعها بمنديلها، وبقيت التفاحة على مقعدها دون أن يمسها أحد حتى صباح اليوم التالي، عندما عثر عليها تيموثي أندروز الصغير، الذي كان يتولى كنس المدرسة وإضرام النار، استولى عليها معدًّا إياها إكرامية. أما هدية تشارلي سلون، فقد كانت أكثر الهدايا التي قوبلت بترحاب، إذ أرسل لها بعد ساعة الغداء قلمًا من تلك ا ق م المزينة بشكل رائع بورق مُقَلَّم باللونين ا حمر وا صفر، والتي يبلغ ثمن الواحد منها سِنتين بينما يبلغ ثمن ا ق م العادية سِنتًا واحدًا فقط. تكرَّمت آن على مانح الهدية وقبلتها بابتسامة جعلت ذلك المفتون الصغير يرفع رأسه إلى سماء المجد السابعة، وجعلته يرتكب مثل تلك ا خطاء المروعة في ا م ء، لدرجة أن السيد فيليبس أبقاه بعد انتهاء وقت المدرسة عادة كتابتها.

ولكن كما أن:

غياب صورة بروتس عن جنازة قيصر

لم يفعل إلا أن زاد في تذكير روما بأعظم أبنائها[38]

كذلك تسبب غياب أي ترحيب أو تقدير من ديانا باري في شعور آن بالمرارة التي أفسدت عليها استمتاعها بانتصارها الصغير.

- كان بإمكان ديانا أن تبتسم لي ولو لمرة واحدة على ا قل.

شكت آ مها لماريـ تلك الليلة، غير أنها في صباح اليوم التالي سُلِّمت طَرْدًا طُويَ ولُفَّ بعناية وحرص مثيل لهما مع هدية صغيرة. وجاء في الطرد رسالة مكتوبة:

عزيزتي آن..

تقول أمي إنه عليّ ألَّا ألعب معك أو أتحدث معك حتى في المدرسة. فـ تغضبي مني فالذنب ليس ذنبي، ني أحبك أكثر من أي وقت مضى. أفتقدك بشدة وأفتقد إخبارك بكل أسراري. أحب جيرتي باي ولو قليلًا. لقد صنعت لكِ واحدة من فواصل الكتب المرجعية الجديدة من الورق ا حمر الناعم. إنها دارجة جدًّا هذه ا يام، و يعرف كيفية صنعها إ ث ث فتيات في المدرسة. وعندما تنظرين إليها تذكريني.

رفيقتك المخلصة

ديانا باري

قرأت آن الرسالة وقبَّلت الفاصل المرجعي، وأرسلت ردًّا سريعًا إلى الناحية ا خرى من المدرسة.

حبيبتي الغالية ديانا..

بالطبع أنا لست غاضبة منك، ن عليك أن تطيعي والدتك. يمكن رواحنا التصاول، سأحتفظ بهديتك الجميلة إلى ا بد. ميني أندروز هي فتاة لطيفة للغاية، على الرغم من أنها تمتلك أي خيال، ولكن بعد أن كنت رفيقة ديانا الحميمى*، يمكنني أن أكون رفيقة ميني. يرجى المعذرة على ا خطاء ا م ئية ن تهجئتي ليست جيدة جدًّا حتى ا ن، على الرغم من أنها تحسانت* كثيرًا.*

الوفية لك إلى أن يفرقنا الموت

آن أو كورديليا شيرلي.

ملاحظة: سأنام الليلة ورسالتك تحت مخدتي.

آ. أو ك.ش.

منذ أن بدأت آن في الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى، توقعت ماريـ بحس متشائم المزيد من المشكـ ت، لكن شيئًا لم يحدث. ربما استحوذت روح التلميذة «**المثالية**» ميني أندروز على روح آن، لكنها على ا قل حصلت على عـ قة جيدة مع السيد فيليبس منذ ذلك الحين. انكبت بروحها وقلبها على دروسها، عازمة على أ يتفوق عليها جيلبرت بليث في أي صف، وسرعان ما أصبح تنافسهما واضحًا. لقد كان هذا التنافس صادرًا عن روح رياضية من جانب جيلبرت، ولكن من المؤسف كثيرًا أنه يمكن مطابقة نفس القول على آن، والتي كان إصرارها على إضمار الضغائن يستحق الثناء بالتأكيد. كانت طبيعتها تميل إلى المبالغة في الحقد كما في الحب، ولم تكن لتعترف أو لتقر بمنافستها لجيلبرت في المدرسة، ن ذلك كان يعني ا عتراف بوجوده الذي تتجاهله آن باستمرار. مع ذلك استمر التنافس وتأرجحت أوسمة الشرف بينهما، فتارة يتفوق عليها جيلبرت في درس التهجئة، وتارة تتفوق عليه آن مع نفضة من ضفيرتها الحمراء المتدلية. وفي صباح أحد ا يام، أنجز جيلبرت جميع المسائل الحسابية بشكل صحيح، وكُتب اسمه على السبورة على قائمة الشرف، بينما في صباح اليوم التالي، تفوقت عليه آن التي قضت ليلتها السابقة بأكملها تتصارع بشدة مع الكسور العشرية، أما اليوم الرهيب فكان ذلك اليوم الذي تعاد فيه فكُتب اسماهما على السبورة إلى جانب بعضهما. كان هذا بالنسبة إلى آن يعادل في بشاعته بشاعة عبارة: خذوا علمًا. وبقدر ما بدا عليها ا حساس بالمهانة، بقدر ما بدا ذلك مُرضيًا جدًّا لجيلبرت. عندما كانت تُعقد ا متحانات الكتابية في نهاية كل شهر، كانت ا جواء تُشحن بالتشويق وا ثارة. تفوق جيلبرت في الشهر ا ول متقدمًا على آن بثـ ث عـ مات، وهزمته آن في الشهر الثاني بفارق خمس عـ مات، ولكنها شعرت أن هذا ا نتصار قد تشوَّه، عندما هنأها جيلبرت بحرارة أمام المدرسة بأكملها. كان من ا روع ألف مرة بالنسبة إليها لو أنه شعر بلسعة هزيمته.

قد يكون السيد فيليبس مدرسًا جيدًا، لكن التلميذ المصمم بشكل صارم على التعلم كما كانت آن، يمكنه الفشل في إحراز التقدم تحت أي نوع من المعلمين. بحلول الفصل الدراسي، رُقِّي كل من آن وجيلبرت إلى الصف الخامس، وسُمح لهما بالبدء في دراسة مبادئ فروع العلم، والتي يُقصد بها اللغة الـ تينية والهندسة واللغة الفرنسية والجبر. وكانت الهندسة المادة التي واجهت فيها آن معركتها الحربية، أو معركة واترلو[39] كما يُقال.

- إنها مادة مروعة للغاية يا ماريـ (**تأوهت**). أنا متأكدة من أنني لن أتمكن أبدًا من معرفة رأسها من ذيلها. يوجد فيها أي مجال للخيال على ا طـ ق. يقول السيد فيليبس إني أغبى تلميذة رآها على ا طـ ق. وجيلـ... أعني بعض التـ ميذ أذكياء جدًّا فيها. إنه أمر

مذل للغاية يا ماريه . حتى ديانا تتدبر أمرها أفضل مني. لكني بالطبع أمانع أن تتفوق عليَّ ديانا، وعلى الرغم من أننا أصبحنا ا ن نلتقي كالغرباء، فإني ما زلت أحبها حبًّا يتعذر إخماد لهيبه، وعندما أفكر بها ينتابني الحزن الشديد. ولكن حقًّا، أ تعتقدين يا ماريه أنه ليس بإمكان المرء ا ستغراق في الحزن لمدة طويلة في عالم مثير لـ هتمام مثل هذا العالم؟

من كتاب أسفار شيلد هارولد (**النشيد الرابع: المقطع الشعري ٥٩**). وهو عبارة عن قصيدة سردية طويلة من مقطوعات سبنسرية، كتبها لورد بايرون ونشرت بين عامي ١٨١٢ – ١٨١٨، واستشهدت به الكاتبة هنا للد لة على الموقف المشابه بين غياب ديانا وغياب بروتس (**من رجال السياسة المشتركين في مؤامرة اغتيال يوليوس قيصر**).

تعبير يُقال عندما يواجه المرء عدة عقبات، ثم يصل إلى الجولة ا خيرة. وواترلو: هي اسم المعركة التي هُزم فيها نابليون بونابرت أخيرًا.

(18)

الاستنجاد بآن

يُقال إن جميع ا مور العظيمة تحدث بفعل أمور بسيطة. للوهلة ا ولى، قد يبدو أن قرار رئيس الوزراء الكندي بإدراج جزيرة ا مير إدوارد في جدول جو ته السياسية، يمكن أن يكون له تأثير كبير أو صغير على قَدَر آن شيرلي، تلك الطفلة الصغيرة التي تعيش في المرتفعات الخضراء. لكن هذا ما حدث.

كان ذلك في شهر كانون الثاني من هذا العام، عندما جاء رئيس الوزراء لـ جتماع بمؤيديه المخلصين، وبغير مؤيديه من الذين اختاروا أن يكونوا حاضرين في ا جتماع الجماهيري الذي عُقد في مدينة شارلوت تاون[40]. وكان معظم أهالي أفونليا من مؤيدي رئيس الوزراء سياسيًّا. ومن هنا في ليلة ا جتماع، ذهب جميع الرجال تقريبًا ونسبة معقولة من النساء إلى المدينة التي تبعد ثـ ثين ميلًا عنهم، وكانت السيدة ليند من ضمنهم؛ ريتشل ليند سياسيَّة حماسيَّة ولم تكن تظن أنه يمكن للتجمع السياسي أن يستمر بدونها، على الرغم من أنها كانت على الطرف النقيض من حيث المبدأ السياسي. فذهبت إلى المدينة وأخذت زوجها توماس معها، فلوجوده معها دور مفيد في ا هتمام بالحصان. ورافقتها في هذه الرحلة ماريـ كوثبرت، التي كانت هي نفسها لديها ذلك ا هتمام الخفي بالسياسة، و نها فكَّرت أنها قد تكون فرصتها الوحيدة لرؤية رئيس وزراء حقيقي وحيٍّ، فاستحوذت الفكرة عليها على الفور، وهكذا غادرت البيت مخلِّفة أمر إدارته لكل من آن وماثيو إلى أن تعود في اليوم التالي.

ومن ثم، بينما كانت ماريـ والسيدة ريتشل تستمتعان بشكل كبير في ا جتماع الجماهيري، كان ماثيو وآن يستمتعان بمطبخ المرتفعات الخضراء على طريقتهما الخاصة. كانت النار تتأجج مستعرة في موقد واترلو[41] قديم الطراز وبلورات الصقيع الـ معة تتـ على زجاج النوافذ. وهناك اتكأ ماثيو على ا ريكة، متصفحًا جريدة مناصرة المزارعين[42] بـ اكتراث، وجلست آن إلى الطاولة تذاكر دروسها بتصميم متجهم، على الرغم من نظراتها التواقة إلى رف الساعة، حيث وُضع عليه كتاب جديد كانت جين أندروز قد أعارتها إياه في ذلك اليوم، بعد أن أكدت لها أنه كتاب يحتوي على عدد يحصى من ا حداث المثيرة أو

الكلمات ذات الوقع الفعَّال. كانت أصابع آن تشعرها بوخز طفيف للوصول إليه، ولكن هذا يعني انتصار جيلبرت بليث غدًا، فأدارت ظهرها لرف الساعة وتخيلت أن الكتاب غير موجود.

- ماثيو، هل سبق لك أن درست الهندسة عندما ذهبت إلى المدرسة؟
- ماذا؟ كلَّا، لم أفعل (**أجاب ماثيو الذي استفاق من شروده**).
- أتمنى لو أنك درستها (**تنهدت آن**)، نك حينها ستتمكن من التعاطف معي. يمكنك التعاطف معي كما ينبغي إذا لم تكن قد درستها من قبل. إنها تسبب لي غيمة في سماء حياتي. أنا غبية جدًّا فيها يا ماثيو.
- حسنًا ا ن، أعرف (**قال ماثيو م طفًا**). أعتقد أنك ماهرة في كل شيء، أخبرني السيد فيليبس عندما التقيته ا سبوع الماضي في مخزن بلير في كارمودي بأنك أذكى تلميذة في المدرسة، وأحرزتِ تقدمًا سريعًا عنده. وعبارة: التقدم السريع، كانت نفس العبارة التي استعملها. وعلى الرغم مما يشاع عن السيد فيليبس، وما يقال عن عدم كفاءته التعليمية، أظن أنه غبار عليه.

كان ماثيو يرى أن أي شخص يمدح آن هو شخص غبار عليه.

- متأكدة أنه يمكنني التحسن في الهندسة، فقط لو لم يكن يغير الرموز (**تذمرت آن**). أدرس المسألة عن ظهر قلب، ثم يرسم الشكل على السبورة ويضع رموزًا مختلفة عن التي في الكتاب، فيختلط ا مر عليَّ اخت طًا كاملًا. أ تعتقد أنه يجدر بالمعلم أن يعطي لنفسه حق التصرف بمثل هذه الطريقة اللئيمة؟ نحن ندرس الزراعة ا ن واكتشفت أخيرًا ما الذي يجعل الطرق حمراء، ولكم أشعرني هذا بالراحة! أتساءل كيف تقضي ماري والسيدة ليند وقتهما ا ن. تقول السيدة ليند إن مصير كندا سيؤول لنهاية أسوأ من نهاية الك ب حسب الطريقة التي تُدار عليها ا مور في العاصمة أوتاوا، وأن هذا نذير واضح للناخبين، وتقول إنه إذا سُمح للنساء بالتصويت، فسنرى قريبًا تغييرًا مباركًا. وبالمناسبة، لصالح من تصوِّت يا ماثيو؟
- أنا مع المحافظين (**أجاب ماثيو على الفور، فقد كان التصويت لصالح حزب المحافظين جزءًا يتجزأ من عقيدة ماثيو**).
- إذن أنا أيضًا مع المحافظين (**قالت آن مؤكدة**)، وهذا يسرني ن جيل... ن بعض الصبية في المدرسة مع الليبراليين. وأظن أن السيد فيليبس مع الليبراليين أيضًا، ن والد بريسي أندروز واحد منهم، وتقول روبي جيليس إنه عندما يتودد الرجل لفتاة يجب

عليه دائمًا ا تفاق مع المذهب الديني لوالدة الفتاة والسياسي لوالدها. هل هذا صحيح يا ماثيو؟

- حسنًا، أنا في الحقيقة أعرف (**أجاب ماثيو**).
- هل توددت في حياتك ي فتاة يا ماثيو؟
- ، **لم أفعل ذلك قط** (**أجاب ماثيو، الذي لم يفكر قط في مثل هذا الموضوع طيلة حياته**).

تفكّرت آن وذقنها يرتكز على يديها.

- بد أنه شيء مشوِّق، أ تعتقد ذلك يا ماثيو؟ تقول روبي جيليس إنها عندما تنضج سيكون لديها سلسلة من العشاق، وأنها ستفتنهم إلى حد الجنون، لكني أرى أن هذا شيء مبالَغ به في ا ثارة. أفضِّل أن يكون لدي عاشق واحد فقط في كامل قواه العقلية، لكن روبي جيليس تعرف الكثير عن مثل هذه ا مور ن لديها الكثير من الشقيقات الكبيرات. وتقول السيدة ليند إن بنات آل جيليس قد نضجن مثل قوالب الكعك الساخن. يصعد السيد فيليبس لرؤية بريسي أندروز كل مساء تقريبًا. يقول إن ذلك يساعدها في دروسها لكن ميراندا سلون تدرس من أجل ا لتحاق بمعهد كوين أيضًا، وأعتقد أنها تحتاج إلى المساعدة أكثر بكثير من بريسي نها أغبى منها، لكنه لم يذهب لمساعدتها قط في المساء على ا ط ق. هناك أشياء كثيرة في هذا العالم أستطيع أن أفهمها جيدًا يا ماثيو.
- حسنًا ا ن، أظنني أعرف أيضًا، وذلك حسب قدرتي على استيعاب ا مور (**اعترف ماثيو**).
- حسنًا، أعتقد أنني يجب أن أنهي دروسي ا ن، ولن أسمح لنفسي بفتح هذا الكتاب الجديد الذي أعارته لي جين حتى أنتهي منها. لكن هذا ا غراء يقاوَم يا ماثيو. حتى عندما أدير ظهري له، يمكنني رؤيته هناك تمامًا. قالت جين إنها أعيت نفسها بكاءً عندما قرأته. وأنا أحب الكتب التي تجعلني أبكي. أعتقد أنني سأحمل هذا الكتاب إلى غرفة الجلوس وأغلق عليه خزانة المؤن وأعطيك المفتاح، ويجب أ تعطيني إياه يا ماثيو قبل أن أنتهي من دروسي، حتى لو توسلت إليك وأنا راكعة على ركبتي. إنه من الجيد أن نقول إنه يتوجب علينا مقاومة ا غراء، ومن السهل جدًّا مقاومته إذا لم يتمكن المرء من الحصول على المفتاح. وا ن يا ماثيو، ما رأيك لو نزلت إلى القبو لجلب بعض ثمار التفاح الخمري[43]؟ أ تشعر بالرغبة في أكل شيء منها يا ماثيو؟

- هه، حسنًا، أعرف شيئًا بقدر ما أعرف أني أرغب في هذا (**أجاب ماثيو الذي لم يكن يأكل ثمار التفاح الخمري قط، ولكنه كان يعرف شغف آن بها**).

بمجرد أن خرجت آن منتصرة من القبو مع طبقها المـ ـن بالتفاح الخمري، جاء صوت أقدام تهرول على الـ ـلواح الخشبية في الخارج، وفي اللحظة التالية دُفع باب المطبخ وانبثقت منه ديانا باري، شاحبة الوجه هـ ـثة، ملتحفة شالها على عجل. أفلتت آن طبقها وشمعتها مذهولة بذلك المشهد، وتدحرج الطبق والشمعة والتفاح على طول سـ ـلم القبو، وظلت هذه الـ ـشياء على أرضية القبو إلى أن وجدتها ماريـ ـ في الـ ـسفل مغمورة بالشحم الذائب في اليوم التالي، فجمعتها وهي تشكر السماء ـن المنزل لم يشتعل بالنيران.

- ما الـ ـمر يا ديانا؟ (**صاحت آن**). هل رقَّ قلب أمك أخيرًا؟
- أوه يا آن، تعالي معي حالًا (**توسلت ديانا بحرقة**). أختي ميني ماي مريضة للغاية، تقول الشابة ماري جو إنها أصيبت بالخُنَّاق[44]، وأبي وأمي بعيدان عن المدينة و يوجد حولنا من يستطيع الذهاب ستدعاء الطبيب، حالة ميني ماي تبدو سيئة للغاية والشابة ماري جو تعرف ماذا تفعل.. أوه يا آن، أنا خائفة جدًّا!

تناول ماثيو قبعته ومعطفه بدون أن ينبس ببنت شفة، وتجاوز ديانا، وغاب في عتمة الفناء.

- ذهب وأسرج الفرس ليذهب إلى كارمودي من أجل إحضار الطبيب (**قالت آن، وهي تهرع لجلب قبعتها وسترتها**). أعرف ذلك جيدًا كما لو كان قد قال ذلك. إن روح ماثيو توأم لروحي، لدرجة أنني أستطيع قراءة أفكاره بدون كلمات على الـ ـط ـق.
- أظن أنه سيجد الطبيب في كارمودي (**قالت ديانا باكية**). أعلم أن الدكتور بلير ذهب إلى المدينة وأعتقد أن الدكتور سبنسر قد ذهب أيضًا. لم ترَ ماري جو أي شخص يعاني الخُنَّاق من قبل، والسيدة ليند ليست هنا.. أوه يا آن!
- تبكِ يا غاليتي ديانا (**قالت آن محاولة التخفيف عنها**).
- أعرف تمامًا ما الذي يجب فعله لمعالجة الخُنَّاق، أنسيتِ أن السيدة هاموند أنجبت التوائم ثـ ـث مرات؟ وعندما تعتنين بثـ ـثة أزواج من التوائم، فإنك تحصلين بطبيعة الحال على الكثير من الخبرة، فجميعهم سبق وأن أصيبوا بالخُنَّاق على التوالي. فقط انتظري برهة حتى أحضر قارورة شراب عرق الذهب[45]، فقد يكون لديكم أي شيء منه في البيت. هيا، تعالي الـ ـن لنذهب.

أسرعت الفتاتان الصغيرتان يدًا بيد وسلكتا درب العشاق وعبرتا الحقل الممتد خلفه، ن الثلج كان عميقًا للغاية بحيث يمكن أن يسلكا طريق الغابة ا قصر. وعلى الرغم من قلق آن على ميني ماي، فإن هذا القلق لم يمنع عنها ا حساس بشاعرية الموقف، ولطافة مشاركة تلك الشاعرية مع رفيقتها الحميمة.

كانت الليلة صافية وباردة جدًّا، اكتست فيها المنحدرات الثلجية بظ ل أشجار ا بنوس الفضية، ولمعت النجوم الكبيرة فوق الحقول الصامتة، وانتصبت هنا وهناك أشجار التنوب الداكنة التي تناثرت ندف الثلج على فروعها، وصفَّرت الريح من خ لها، وفكرت آن أنه من الممتع حقًّا أن تتصفح كل هذا الغموض والجمال مع رفيقة حميمة أُبعدت عنك طويلًا.

كانت ميني ماي، البالغة من العمر ث ث سنوات، مريضة حقًّا، منطرحة على أريكة المطبخ، محمومة ومتوترة، بينما كان صوت تنفسها ا جش يُسمع في جميع أنحاء البيت. أما الشابة ماري جو، وهي فتاة فرنسية ممتلئة الجسم عريضة الوجه من سكان الخور، والتي اتفقت معها السيدة باري للبقاء مع ا طفال أثناء غيابها، كانت تقف عاجزة ومذهولة، وغير قادرة تمامًا على التفكير فيما يجب القيام به، أو حتى القيام بأي شيء إذا استطاعت التفكير به.

وهكذا باشرت آن إسعافاتها بمهارة ودقة.

- ميني ماي مصابة بالخُنَّاق هذا صحيح، وحالتها سيئة للغاية فعلًا، ولكني رأيت حا ت أسوأ، أولًا يجب أن يكون لدينا الكثير من الماء الساخن. ديانا، يوجد هنا أكثر من فنجان ماء في ا بريق! ها قد م ته، وأنتِ يا ماري جو، يمكنك وضع بعض الحطب في الموقد. أريد جرح مشاعرك، ولكني أرى أنه كان بإمكانك التفكير بهذا من قبل لو كان لديك خيال! وا ن، سأخلع م بس ميني ماي وأضعها في الفراش، وأنتِ يا ديانا حاولي العثور على بعض القماش من الفانيـ الناعمة، وسأعطيها جرعة من شراب عرق الذهب قبل كل شيء.

لم تتقبل ميني ماي الجرعة برضا، لكن آن لم تكن قد ربَّت ث ثة أزواج من التوائم مقابل شيء. وهكذا رفضت تناول عرق الذهب، ليس مرة واحدة، ولكن عدة مرات خ ل تلك الليلة الطويلة المقلقة التي دأبت فيها الصغيرتان على رعاية ميني ماي المتوعِّكة. أما الشابة ماري جو، التي كانت حريصة بصدق على القيام بكل ما في وسعها، استمرت في المحافظة على إبقاء النار مشتعلة، وسخنت كمية من الماء تزيد على حاجة مستشفى مكتظة با طفال المصابين بالخُنَّاق.

كانت الساعة تشارف الثالثة عندما وصل ماثيو مصطحبًا الطبيب، نه كان مضطرًا للذهاب إلى سبنسرفيل من أجل إحضاره، لكن الحاجة الملحة لمساعدة الطبيب كانت قد ولَّت، ن حالة ميني ماي كانت أفضل بكثير وهي نائمة بهدوء.

- كنت على وشك ا ستس م لليأس يا دكتور (**شرعت آن تشرح ما حدث**). أخذت حالتها تسوء وتسوء حتى أصبحت أسوأ مما سبق لي أن رأيت توائم السيدة هاموند عليه، حتى الزوج ا خير منهم، وظننت فعلًا أنها كانت ستختنق حتى الموت. لقد أعطيتها كل قطرة كانت موجودة في قارورة شراب عرق الذهب، وعندما سقيتها الجرعة ا خيرة، قلت لنفسي وليس لديانا أو لماري جو ني لم أرغب في إق قهما أكثر مما هما عليه من القلق، بل قلت لنفسي ني كنت بحاجة إلى التنفيس عن مشاعري: هذا هو ا مل ا خير المتبقي وأخشى أن يضيع عبثًا. لكنها في غضون ث ث دقائق تقريبًا سعلت البلغم وبدأت تتحسن على الفور. ولتتخيل مدى شعوري با رتياح يا دكتور حينها، ني أستطيع التعبير عنه بالكلمات، فكما تعلم؛ هناك بعض ا شياء التي تعجز الكلمات عن التعبير عنها.
- نعم، أعلم ذلك (**أومأ الطبيب إيجابًا، وهو ينظر إلى آن كما لو كان يفكر أنها هي أيضًا تتصف بصفات يمكن التعبير عنها بالكلمات، والتي استطاع فيما بعد التعبير عنها للسيد والسيدة باري**).
- تلك البنت الصغيرة ذات الشعر ا حمر التي عند آل كوثبرت هي فتاة ذكية بكل ما تعنيه الكلمة، واعلما أنها أنقذت حياة طفلتكما من الموت، فلو ها لكان ا وان قد فات عندما وصلت إلى هنا، يبدو أنها تتمتع بالمهارة والحضور الذهني الرائع الذي يفوق أي طفلة في عمرها. لم أرَ قط أي شيء يشبه عينيها عندما كانت تشرح لي الحالة.

عادت آن إلى البيت في الصباح الشتوي الرائع ذي اللون ا بيض المتجمد، مثقلة العينين من النعاس، لكنها تابعت حديثها إلى ماثيو بدون كلل، بينما كانا يعبران الحقل الشاسع المغطى بالبياض، وتجاوزا درب العشاق وهما يمران من تحت قنطرة أشجار القيقب المت لئة الساحرة.

- أوه يا ماثيو، أليس هذا صباحًا بديعًا؟ أ يبدو العالم وكأنه شيء تخيله الله للتو من أجل سعادته؟ تبدو تلك ا شجار كما لو أنني أستطيع أن أنفخها بعيدًا بنفسي.. بووف! أنا سعيدة للغاية نني أعيش في عالم يغطيه الجليد ا بيض، ألست سعيدًا أيضًا؟ وعلى الرغم من كل شيء، أنا سعيدة ا ن ن السيدة هاموند أنجبت ث ثة أزواج من

التوائم، نها لو لم تفعل، لما كنت قادرة اليوم على إسعاف ميني ماي. وأشعر با سف حقًّا أني غضبت يومًا على السيدة هاموند بسبب إنجابها للتوائم، لكن، أوه يا ماثيو، أنا أشعر بالنعاس الثقيل؛ لن أستطيع الذهاب إلى المدرسة، فأنا أقدر على إبقاء عيني مفتوحتين، وسأبدو غبية جدًّا. لكني أكره البقاء في البيت، ن جيل... بعض الت ميذ سيتفوقون عليَّ في الصف، وسيصبح النهوض من الفشل حينها صعبًا جدًّا، على الرغم من أنه بالطبع كلما كان ا مر أكثر صعوبة، زاد رضاك عن نفسك عند النهوض، أليس كذلك؟

- حسنًا ا ن، أظن أنك ستتدبرين أمرك بطريقة جيدة (**قال ماثيو وهو ينظر إلى وجه آن الصغير الشاحب وإلى الظ ل الداكنة تحت عينيها**). فقط اذهبي إلى الفراش ونامي جيدًا، وسأقوم بكل ا عمال المنزلية.

وبناءً على ذلك، ذهبت آن إلى الفراش وغطت في نوم عميق مدة طويلة، لدرجة أنها لم تستفق إ بعد أن أمست الدنيا، واصطبغ بياضها الشتوي بالحمرة، وعندما نزلت إلى المطبخ وجدت ماريل التي كانت قد عادت إلى البيت، جالسة هناك تحوك.

- أوه، هل رأيت رئيس الوزراء؟ (**هتفت آن في الحال**) كيف كان يبدو يا ماريل ؟
- هه، ما كان ليكون رئيس وزراء إذا أخذنا شكله في الحسبان (**أجابت ماريل**). يا ل نف الذي لدى ذلك الرجل! ولكنه خطيب بارع، جعلني أشعر بالفخر ني من أنصار حزب المحافظين، ولم يعد ذلك بأي فائدة على ريتشل ليند بالطبع؛ كونها ليبرالية. طعامك في الفرن يا آن، ويمكنك الحصول على بعض مربى الخوخ ا زرق المحفوظة في المخزن، بد أنك جائعة. لقد حكى لي ماثيو عما حدث في الليلة الماضية، يجب أن أقول إنه كان من حسن الحظ حقًّا أنك عرفت كيف تتصرفين، ولو كنت هنا لما استطعت تدبر ا مر مطلقًا، ني لم أرَ حالة خُنَّاقَ في حياتي. هيا ا ن، تحكي لي شيئًا قبل انتهائك من تناول الطعام. أستطيع أن أخمن من مظهرك أنك محشوة بالكثير من الخُطب، ولكن يمكن تأجيلها كلها.

كان لدى ماريل شيء لتخبر به آن، لكنها لم تخبرها به في ذلك الوقت، نها تيقنت أنها لو فعلت، فإن ا ثارة الناتجة عن ذلك الخبر ستخرج آن في الحال من العالم الواقعي بما فيه شهية تناول الطعام، لذلك لم تقل شيئًا حتى انتهتَ آن من تناول كل ما في صحنها من مربى الخوخ ا زرق.

- كانت السيدة باري هنا ظهيرة اليوم يا آن، وأرادت رؤيتك، ولكني لم أشأ إيقاظك. تقول إنك أنقذت حياة ميني ماي، وهي تشعر با سف الشديد على تصرفها المتعلق بقضية نبيذ الكِشْمِش. وقالت إنها أصبحت متيقنة ا ن أنك لم تقصدي وضع ديانا في حالة سُكر، وتأمل أن تسامحيها، وتعودي أنتِ وديانا أصدقاء مرة أخرى. بإمكانك الذهاب هذا المساء لزيارة ديانا إذا أردتِ، فهي تستطيع أن تتحرك خارج باب البيت، بسبب نزلة البرد التي أُصيبت بها الليلة الماضية. وا ن يا آن شيرلي، بحق السماء تفقدي صوابك وتقفزي كالمجانين.

لم يكن للتحذير أي فائدة، إذ كانت قد حلَّقت منتشية، وبينما كانت تقفز على قدميها، كان وجهها مشعًا بلهيب روحها.

- أوه يا ماريـ ، هل يمكنني الذهاب ا ن قبل غسل أطباقي؟ سأغسلهم عندما أعود، لكن يمكنني تقييد نفسي بأي شيء غير عاطفي مثل غسل ا طباق في هذه اللحظة المثيرة.
- نعم، نعم، اذهبي (**قالت ماريـ بلهجة متسامحة**). آن شيرلي، هل أنتِ مجنونة؟ عودي فورًا وضعي شيئًا عليكِ، يبدو وكأنني أنادي الريح، لقد انطلقت بدون قبعة أو شال، انظروا إليها تعدو في البستان بشعرها المتطاير، ستكون رحمة من السماء إذا لم يصبها زكام حاد.

عادت آن وهي ترقص إلى المنزل تحت شفق الشتاء ا رجواني الذي غمر ا ماكن الثلجية. وبعيدًا في الجنوب الغربي، كان هناك بريق عظيم مع يشبه بريق الـ لئ لنجم مسائي في سماء ذات شحوب ذهبي وحمرة أثيرية، فوق المساحات البيضاء المضيئة، ووديان التنوب الداكنة. وتصاعد رنين أجراس عربات الثلج وسط التـ ل الثلجية، وكأنه إيقاعات سحرية تتناغم مع الهواء الصقيعي. لكن تلك ا يقاعات لم تكن أحلى من ا غنية التي في قلب آن وعلى شفتيها.

- ترين أمامك شخصًا مكتمل السعادة يا ماريـ (**أعلنت**). أنا مكتملة السعادة، نعم، على الرغم من شعري ا حمر، في الوقت الحاضر معنوياتي تتجاوز الشعر ا حمر. قبلتني السيدة باري وبكت وقالت إنها آسفة للغاية و يمكنها أن ترد جميلي أبدًا، شعرت با رتباك الفظيع يا ماريـ ، لكني مع ذلك قلت بمنتهى ا دب: ليس لدي أي مشاعر قاسية تجاهك يا سيدة باري، أؤكد لك وللمرة ا خيرة أنني لم أقصد أن أسكِر ديانا، ومن ا ن فصاعدًا سأغطي الماضي بعباءة النسيان. كانت تلك طريقة مهذبة جدًّا

للتحدث، أليس كذلك يا ماريه ؟ شعرت وكأني أَكَدِّس أكوامًا من الجمر المشتعل في رأس السيدة باري، وقضيت أنا وديانا أمسية رائعة، أطلعتني فيها ديانا على غرزة كروشيه جديدة رائعة، علمتها إياها عمتها في كارمودي. يوجد مخلوق في أفونليا يعرفها إ نحن، وقد تعهدنا بتعهد رسمي بعدم الكشف عنها ي شخص آخر. وأعطتني ديانا بطاقة جميلة مزينة بإكليل من الورود وفيها بيت شعري:

إذا كنت تحبينني كما أحبك، فلا شيء

سوى الموت يمكن أن يفرق بيننا

- وهذا صحيح يا ماريه ، سنطلب من السيد فيليبس السماح لنا بالجلوس معًا في المدرسة مرة أخرى، ويمكن لجيرتي باي الجلوس مع ميني أندروز. احتسينا شايًا لذيذًا، قدمته لنا السيدة باري في أفضل طقم شاي عندها من الخزف الصيني، كما لو أني كنت ضيفة حقيقية. أستطيع أن أخبرك كم أثارني ذلك، فلم يسبق حد أن قدَّم لي الضيافة في أفضل ما يملك من الخزف الصيني. وتناولنا كعك الفواكه، وكعك الباوند[46]، والدونات، ونوعين من المربى يا ماريه . وسألتني السيدة باري إذا كنت أرغب في المزيد من الشاي، وقالت لزوجها: «**باري، أ تمرر طبق البسكويت إلى آن؟**» بد أنه من اللطيف أن يكون المرء ناضجًا يا ماريه ، و شيء أروع من معاملتك على الرغم من صغر سنك وكأنك ناضجة.
- أعرف شيئًا عن ذلك (**قالت ماريه ، وهي تطلق زفرة وجيزة**).
- حسنًا، على أي حال، عندما أكبر (**قالت آن بلهجة حاسمة**) سأتحدث دائمًا مع الفتيات الصغيرات كما لو أنهن ناضجات مثلي، ولن أسخر منهن أبدًا إذا استخدمن عبارات كبيرة في حديثهن، فأنا أعرف نتيجة خبرتي المريرة كم أن هذا جارح للمشاعر. بعد تناول الشاي صنعنا أنا وديانا حلوى التوفي، و أظن أن ذلك التوفي كان ناجحًا، نه لم يسبق لي و لديانا أن جربنا صنعه من قبل. تركت ديانا لي مهمة تحريكه بينما تدهن هي ا طباق بالزبدة، ونسيته وتركته يحترق، وبعد ذلك، عندما وضعناها على حافة السياج في الخارج ليبرد، مشت القطة فوق أحد ا طباق، وكان بد من رمي ما في ذلك الطبق، ومع ذلك كانت مهمة صنعنا له ممتعة كثيرًا. ثم عندما قررت العودة إلى البيت، طلبت مني السيدة باري زيارتهم كلما سنحت لي الفرصة، ووقفت ديانا عند النافذة وبعثت لي القب ت على طول الطريق إلى درب العشاق. أؤكد لك يا ماريه أنني

أشعر بالرغبة في الصـ ة هذه الليلة، وسأفكر في صـ ة خاصة جديدة على شرف هذه المناسبة.

شارلوت تاون هي مدينة كندية، تعَد هي عاصمة جزيرة ا مير إدوارد وأكبر مدنها.

موقد واترلو: طراز مميز من موقد الحطب أو موقد حرق الفحم المشهور في المقاطعات البحرية الكندية (**نيو برونزويك ونوفا سكوشيا وجزيرة ا مير إدوارد**).

Farmer's Advocate: جريدة أسبوعية تحتوي على إع نات ونصائح للمزارعين في كل جوانب الزراعة، نُشرت ول مرة في عام ١٨٩٠.

أحد أصناف التفاح، يسمى بالخمري طبقًا للونه البني المحمر، ويحتوي على بقع خشنة الملمس، ويعود أصل زراعة أشجاره إلى القرن الثامن عشر.

عَدوى بكتيرية خطيرة تؤثر على الجهاز التنفسي العلوي.

دواء كان يُستعمل فيما مضى كشراب للسعال ولتحفيز التقيؤ، ولع ج التهاب الشعب الهوائية المرتبطة بالخناق ويُحصَل عليه من الريزومات المجففة لجذور أحد أنواع نبات عرق الذهب ومنه اشتق اسم هذا الدواء.

كعكة غنية وحلوة، مصنوعة في ا صل من حوالي رطل (**باوند**) من كل من الزبدة والسكر والطحين.

(19)

حفل موسيقي، كارثة، واعتراف

- ماريـ ، هل يمكنني الذهاب لرؤية ديانا لدقيقة واحدة فقط؟ (**سألت آن وهي تنزل بـ هوادة من غرفة المرتفعات الشرقية في إحدى أمسيات شهر شباط**).
- أرى أي سبب يجعلك تتجولين في ا رجاء بعد حلول الظ م (**أجابت ماريـ معترضة**)، فقد مشيتما أنتِ وديانا معًا في طريق عودتكما من المدرسة إلى البيت، ثم وقفتما هناك فوق الثلج لنصف ساعة، وألسنتكما لم تتوقف عن الثرثرة طيلة الوقت.. طق.. طق، لذلك أعتقد أنك مضطرة فعلًا لرؤيتها مرة أخرى.
- لكنها تريد رؤيتي (**توسلت آن**). لديها شيء مهم جدًّا لتخبرني به.
- وكيف تعرفين هذا؟
- نها أرسلت لي إشارة من نافذتها للتو، فقد رتَّبنا طريقة نتبادل بها ا شارات باستخدام الشموع وبطاقات الكرتون، نقوم بتثبيت الشمعة على عتبة النافذة ونقوم بإحداث عدد معين من الومضات عن طريق تمرير بطاقة الكرتون ذهابًا وإيابًا، وعدة ومضات تعني أن هناك شيئًا ضروريًّا. كانت تلك فكرتي يا ماريـ .
- بالتأكيد إنها كانت فكرتك، و شك في ذلك (**قالت ماريـ بنبرة مؤكِّدة**). والشيء التالي الذي ستكونان بصدد فعله هو إضرام النار في الستائر بهراء ا شارات تلك.
- أوه، نحن حريصتان جدًّا يا ماريـ ، كما أنها وسيلة ممتعة للغاية. تعني الومضتان: هل أنت هناك؟ وتعني الث ث ومضات: نعم، وتعني ا ربع ومضات: ، أما الخمس ومضات تعني: تعالي بأسرع ما يمكنك، فلدي خبر مهم أود إط عك عليه. لقد أرسلت لي ديانا خمس ومضات ا ن، وأنا حقًّا أتحرق شوقًا لمعرفة ما تريد إخباري به.
- حسنًا، داعي ن تتحرقي شوقًا أكثر من ذلك (**قالت ماريـ ساخرة**)؛ يمكنك الذهاب، لكن ينبغي لك العودة بعد عشر دقائق تمامًا، تذكري هذا.

تذكرت آن ذلك، وعادت في الوقت المحدد، على الرغم من أنه يمكن ي مخلوق أن يعرف مطلقًا كم كلفها ا مر لتحصر نقاشها المهم مع ديانا في حدود تلك الدقائق العشرة، لكنها على ا قل أحسنت استخدامها.

- أوه يا ماريـ ، أود سؤالك في أمر ما، فكما تعلمين، عيد ميـ د ديانا غدًا، وأخبرتها أمها بأنه بإمكانها دعوتي إلى بيتهم بعد المدرسة، وقضاء الليلة معها، وستأتي قريباتها من نيوبريدج في مركبة ثلج ضخمة وسيذهب الجميع إلى الحفل الموسيقي الذي سيقيمه نادي المناظرات في قاعة ا حتفا ت ليلة غد، وسيصطحبننا أنا وديانا إلى الحفلة الموسيقية؛ إذا سمحتِ لي بالذهاب، هذا هو ا مر، ستسمحين لي، أليس كذلك يا ماريـ ؟ أوه، أشعر بإثارة بالغة.
- يمكنك أن تهدئي إذن، نك لن تذهبي، فأنت أحسن حالًا في بيتك وسريرك، أما بالنسبة لحفل النادي ذاك، فهو هراء، و ينبغي السماح للفتيات الصغيرات بالذهاب إلى مثل هذه ا ماكن على ا ط ق.
- أنا متأكدة من أن نادي المناظرات من أكثر ا ندية احترامًا (**قالت آن مستعطفة**).
- أنا أقول إنه ليس محترمًا، لكنك لن تبدئي منذ ا ن بارتياد الحف ت الموسيقية والبقاء خارج البيت حتى ساعة متأخرة من الليل. يا لها من أفعال غير مناسبة لـ طفال! أنا مندهشة حقًّا من سماح السيدة باري لديانا بالذهاب!
- لكنها مناسبة خاصة جدًّا (**أنَّت آن، وهي على وشك الشروع بالبكاء**)، فليس لديانا سوى عيد ميـ د واحد فقط في السنة، وليس ا مر كما لو أن أعياد الميـ د هي من المناسبات العادية يا ماريـ . ستلقي بريسي أندروز مقطوعة: حظر التجول لن يُعلن الليلة[47]، وهذه مقطوعة أخ قية جيدة يا ماريـ ، وأظن أن سماعها سيفيدني كثيرًا. وستقوم الجوقة بغناء أربع أغانٍ شجية جميلة قريبة جدًّا من الترانيم الدينية. وأوه.. يا ماريـ ، سيكون للقس دور أيضًا، أجل، صدقيني، إنه.. إنه سيلقي كلمة، وهذا سيكون نفس الشيء كما لو أنه يتلو موعظة. أرجوك يا ماريـ أ يمكنني الذهاب؟
- لقد سمعت ما قلته يا آن، أليس كذلك؟ اخلعي حذاءك ا ن، واخلدي إلى النوم. لقد تجاوز الوقت الساعة الثامنة.
- هناك شيء واحد آخر يا ماريـ (**قالت آن بأسلوب شخص يحاول إصابة الهدف بطلقة أخيرة**)، قالت السيدة باري لديانا أنه يمكننا النوم في غرفة الضيوف ا حتياطية، فكري بالشرف الذي ستحصل عليه صغيرتك عندما توضع في سرير غرفة الضيوف ا حتياطية.
- سيكون شرف عليكِ أن تعيشي بدونه. اذهبي إلى النوم، و تدعيني أسمع كلمة واحدة أخرى تخرج من فمكِ.

ما كادت آن تصعد الدرج حزينة، والدموع تنهمر على خديها، حتى فتح ماثيو عينيه، على الرغم من أنه كان يبدو مستغرقًا في النوم على ا ريكة خ ل فترة الحوار كلها، وقال بلهجة حاسمة:

- حسنًا يا ماريـ ، أرى أن عليك السماح ن بالذهاب.
- أما أنا ف أرى هذا (**ردت بالمثل**). من الذي يشرف على تربية هذه الطفلة يا ماثيو؟ أنت أم أنا؟
- هه، أنتِ (**اعترف ماثيو**).
- تتدخلَ إذن.
- حسنًا ا ن، أنا لم أتدخل، ولكني أبدي رأيي، وليس في إبداء الرأي تدخل، ورأيي هو أنه يجب عليك أن تسمحي ن بالذهاب.
- سترى أنه يجب عليَّ السماح لها بالذهاب إلى القمر إذا رغبت في هذا يا ماثيو. شك عندي في ذلك (**جاء جواب ماريـ الودود**). ربما كنت سأسمح لها بقضاء الليلة مع ديانا، لو كان هذا كل شيء، لكني أوافق على خطة الحفل الموسيقي هذا؛ ستذهب إلى هناك وتُصاب بالزكام الحاد، وستم رأسها بالهراء وا ثارة، وستبقى مهتاجة سبوع. أنا أفهم ميول هذه الطفلة وما هو جيد بالنسبة لها أكثر منك يا ماثيو.
- أرى أنه يجب عليكِ أن تسمحي ن بالذهاب (**كرر ماثيو بعناد**).

لم يكن الجدال يومًا من نقاط قوة ماثيو البارزة، ولكن شك أن تشبثه برأيه كان واحدًا من نقاط القوة تلك، وهكذا ذت ماريـ بالصمت لتحتمي به، وهي تزفر يائسة.

في صباح اليوم التالي، عندما كانت آن تغسل أطباق ا فطار في حجرة المؤن، توقف ماثيو وهو في طريقه إلى الحظيرة ليقول لماريـ مرة أخرى:

- أرى أنه يجب عليكِ أن تسمحي ن بالذهاب يا ماريـ .

لوهلة، بدت ماريـ وكأنها على وشك التلفظ بكلمات يجوز التفوه بها، ثم أذعنت لما مفر منه، وقالت بنبرة ذعة:

- حسنًا، يمكنها الذهاب، ما دام يوجد شيء آخر يرضيك.

انبثقت آن من حجرة المؤن واثبة وهي ما تزال تمسك بخرقة غسل الصحون، التي أخذت تقطر على ا رض.

- أوه يا ماريـ .. يا ماريـ ، كرري تلك الكلمات المباركة مرة ثانية.

- أعتقد أن مرة واحدة كافية لقولها، إن هذا قرار ماثيو، وأنا أَبرئ نفسي منه. إذا أَصبتِ بالتهاب رئوي جراء نومك على سرير غريب بعد مغادرتك لقاعة ا حتفال الدافئة في منتصف الليل، ف تلوميني، وألقِي باللوم على ماثيو. آن شيرلي، أنتِ تقطرين الدهن على ا رض. لم أرَ في حياتي طفلة بمثل هذا ا ستهتار.
- أوه، أعلم يا ماريـ أني مصيبة كبيرة بالنسبة لك (**قالت آن معتذرة**). أنا أرتكب الكثير من ا خطاء، مع ذلك فكري فقط في كل ا خطاء التي أرتكبها، على الرغم من أني قد أرتكبها فيما بعد. سأحضر بعض الرمل زيل البقع من على ا رض قبل مغادرتي إلى المدرسة. أوه يا ماريـ ، كان قلبي مستعدًّا للذهاب إلى ذلك الحفل الموسيقي. لم أحضر قط حفلًا موسيقيًّا في حياتي، وعندما تتحدث الفتيات ا خريات في المدرسة عن تلك الحف ت، أشعر أني غريبة عن هذا العالم. أنتِ لم تعرفي قط شعوري الحقيقي حيال هذه المناسبة، ولكن ماثيو استطاع فهم ما يجول بخاطري، ماثيو يفهمني يا ماريـ ، و يوجد ألطف من أن يجد ا نسان من يفهمه.

بلغ حماس آن درجة تفوق قدرتها على موازنة ا مور كما ينبغي، مثل ا نتباه إلى دروسها في المدرسة، ولذلك تفوق عليها جيلبرت بليث في ذلك الصباح، وتخطاها بمراحل في مادة الحساب، إ أن شعور آن بالمهانة يُذكر تلك المرة، بالمقارنة مع أهمية الحفل الموسيقي وغرفة الضيوف ا حتياطية. ظلت تثرثر هي وديانا عن هذا ا مر طيلة النهار، ولو كانت هي ورفيقتها تحت إشراف معلم أكثر صرامة من السيد فيليبس، ستحقتا التوبيخ على ذلك.

شعرت آن أنها ما كانت ستتمكن من احتمال الوضع لو لم يسمح لها بالذهاب إلى الحفل، ن في ذلك اليوم لم يجرِ في المدرسة أي حديث إ عن الحفل. كان نادي أفونليا للمناظرات يجتمع مرة كل أسبوعين طيلة موسم الشتاء، ليقيم العديد من وسائل الترفيه المجانية الصغيرة، لكن ذلك الحفل كان حدثًا عظيمًا، وبلغت تعرفة دخوله عشرة سنتات، والتي سيعود ربحها لدعم المكتبة، وظلَّ شباب أفونليا يتدربون على أدوارهم سابيع، وكان جميع التـ ميذ في المدرسة مهتمين به نظرًا لمساهمة إخوتهم أو أخواتهم فيه. كان من المتوقع أن يذهب جميع من تزيد أعمارهم على تسع سنوات في المدرسة، باستثناء كاري سلون، التي شارك والدها ماريـ في رأيها حول ذهاب الفتيات الصغيرات إلى الحف ت الليلية. بكت كاري سلون فوق كتاب النحو والصرف طيلة فترة ما بعد الظهيرة، وشعرت بأن الحياة تستحق أن تُعاش. بدأت ا ثارة الحقيقية بالنسبة ن بعد انتهاء اليوم الدراسي، وأخذت تتزايد في تصاعد مستمر حتى وصلت إلى لحظة من النشوة ا يجابية في الحفل الموسيقي.

احتست هي وديانا شايًا لذيذًا، ثم انهمكتا كليًّا في غرفة ديانا الصغيرة بالطابق العلوي، في المهمة الممتعة المتعلقة بارتداء الم بس. صففت ديانا شعر آن ا مامي بتسريحة بومبادور[48] الحديثة وربطت آن الشرائط على شعر ديانا بمهارة خاصة كانت تتفرد بها، وجربت الصغيرتان ما يقل عن ست طرق مختلفة لتصفيف شعرهم من الخلف. وأخيرًا، انتهت الفتاتان من التجهيزات وقد اصطبغت وجنتاهما بحمرة قرمزية، وتوهجت أعينهما ببريق ا ثارة.

في الحقيقة، لم تستطع آن إ أن تعاني حسرة مفاجئة عابرة عندما قارنت معطفها الرمادي العادي بأكمامه الضيقة وتصميمه البسيط وقبعته السوداء القبيحة مع سترة ديانا ا نيقة وقلنصوتها المصنوعة من الفرو الفاخر، لكنها تذكرت في الوقت المناسب أن لديها خيالًا ويمكنها استخدامه.

جاءت نسيبات ديانا؛ بنات آل موراي من بلدة نيوبريدج، واحتشدن جميعًا في مركبة الثلج الكبيرة، وسط ا غطية الفرائية الناعمة. استمتعت آن كثيرًا أثناء سير المركبة نحو القاعة، كانت المركبة تنزلق فوق الطرق المصقولة الملساء، وهي تحطم غطاء ا رض الجليدي الهش تحت مز جها. وبدا منظر الغروب بديعًا، وقد بدت على خلفيته الت ل المغطاة بالثلج كاللؤلؤ والمياه الزرقاء لخليج سانت لورانس كالياقوت ا زرق في وعاء ضخم مليء بالنبيذ والنار. كان تصاعد قرع أجراس عربات الثلج وصدى الضحكات البعيدة يشبه طرب جانٍّ الغابة وقد تناهى من كل حدب وصوب.

- أوه يا ديانا (**قالت آن وهي تسحب نفسًا عميقًا، وتضغط على يد ديانا من فوق قفازها تحت رداء الفرو**)، أليس ا مر كله مثل حلم جميل؟ هل أبدو حقًّا مثلما أبدو في المعتاد؟ أشعر باختـ ف شديد لدرجة أعتقد معها أنه بد من ظهور هذا ا خت ف على محياي.
- تبدين رائعة للغاية (**أجابت ديانا، التي كانت قد تلقت للتو مديحًا من إحدى قريباتها، وشعرت أن عليها تعميم هذا المديح**). إنك في أبهى حُلَّة.

كان برنامج الحفل في تلك الليلة عبارة عن سلسلة متتابعة من ا ثارات بالنسبة لمستمع واحد على ا قل من الجمهور، وكما أكدت آن لديانا، كانت كل إثارة جديدة أروع من سابقتها.

بينما كانت بريسي أندروز ترفل فستانها الجديد من الحرير الوردي بتصميم مميز للخصر، وتتقلَّد عقدًا من اللؤلؤ حول رقبتها البيضاء الناعمة، وتزيِّن شعرها بأزهار القرنفل الحقيقية، سرت شائعة بين الحضور همسًا بأن المعلم قد قطع الطريق إلى المدينة من أجل أن يجلب لها

هذه ا شياء، وأثناء صعودها س لم المنصة الزلقة والمظلمة بـ شعاع واحد من الضوء، ارتجفت آن تعاطفًا معها، وبمجرد أن بدأت الجوقة بغناء: بعيدًا فوق ا قحوان اللطيف[49]، حدقت آن إلى سقف القاعة كما لو كان لوحة جصية[50] من الم ئكة. وعندما شرع سام سلون يشرح ويفسر: كيف وضع سوكري دجاجة[51]، ضحكت آن ملء شدقيها، حتى ضحك ا شخاص الجالسون بالقرب منها أيضًا، بدافع التضامن معها أكثر من المجموعة المختارة من المقاطع التي تعد مبتذلة حتى في أفونليا. وعندما ألقى السيد فيليبس خطبة مارك أنطوني فوق جثمان القيصر[52] باللهجة ا كثر نفاذًا للقلب، وهو يرمق بريسي أندروز بعد نهاية كل جملة، شعرت آن بأنها تستطيع النهوض والتمرد على الفور، لو أن مواطنًا رومانيًّا واحدًا فقط قاد الحملة.

فقط فقرة واحدة من فقرات البرنامج التي فشلت في إثارة اهتمامها، عندما ألقى جيلبرت بليث قصيدة: بينجن على نهر الرَّاين[53] التقطت آن كتابًا من مكتبة رودا موراي، واستمرت في قراءته حتى انتهت فقرته، وبينما جلست آن متشنجة بـ حراك، صفقت ديانا بحرارة حتى استشعرت وخزًا في يديها.

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة ليلًا عندما عادت الصغيرتان إلى البيت، وعلى الرغم من تشبعهما بالسعادة، فإنهما تجاوزتا مرحلة التشبع لتفيض سعادتهما باسترجاع أحداث المناسبة والتحدث عنها من جديد. كان البيت مظلمًا وصامتًا، وبدا الجميع نائمين، دخلت آن وديانا سيرًا على أطراف أصابعهما في الردهة، وهي ممر ضيق طويل ينفتح على غرفة الضيوف ا حتياطية. كانت دافئة بشكل مبهج، ينبعث منها إضاءة خافتة بفعل الجمر المحترق في الموقد.

- دعينا نخلع م بسنا هنا (**قالت ديانا**). إن الجو دافئ ولطيف للغاية.
- ألم يكن الوقت ممتعًا؟ (**تنهدت آن بحماسة**) إنه لمن الرائع أن ينهض المرء ويعتلي المنصة ليلقي شيئًا. هل تظنين أنه سيُطلب منا يومًا ما القيام بذلك يا ديانا؟
- نعم، بالطبع، سيُطلب منَّا ذلك يومًا ما، فهم يرغبون دائمًا أن يساهم التـ ميذ الراشدون معهم، وجيلبرت بليث يقوم بذلك كثيرًا وهو يكبرنا بعامين فقط. أوه يا آن، كيف استطعتِ التظاهر بعدم ا ستماع إليه؟ عندما وصل إلى السطر الذي يقول: «**هناك أخرى، وليست بأخت لي..**»

نظر إليك مباشرة.

- ديانا! (**صاحت آن مستنكرة**) أنتِ صديقتي الحميمة، لكن هذا لن يجعلني أسمح لك بأن تتحدثي معي عن ذلك الشخص. وا ن، هل أنتِ مستعدة للنوم؟ دعينا نجري سباقًا ونرى من ستصل إلى السرير أولًا.

راق ا قتراح لديانا، وسرعان ما طارت الطفلتان بأرواب النوم البيضاء على طول الردهة ومنها إلى الغرفة ا حتياطية، وقفزتا على السرير في اللحظة عينها. فتحرك شيء ما تحتهما، مطلقًا ذلك الشيء شهقة، ثم صرخة، فصوت مخلوق ما يقول بصوت مخنوق:

- يا رحمة السماء!

لم تتمكن آن وديانا قط من معرفة الكيفية التي غادرا بها ذلك السرير، وتلك الغرفة، وكان كل ما تعرفانه فقط أنهما بعد اندفاع محموم واحد، وجدتا نفسيهما ترتجفان على أطراف أصابعهما صعودًا إلى الطابق العلوي.

- أوه، من كان.. ماذا كان هذا؟ (**همست آن، وأسنانها تصطك بردًا ورعبًا**).
- لقد كانت العمة جوزفين (**أجابت ديانا، وهي تشهق ضاحكة**). أوه يا آن، إنها العمة جوزفين، ومهما كان السبب الذي جعلها تكون هناك، أعرف أنها ستستشيط غضبًا جرَّاء ما حدث. إنه أمر مروع، هو مروع حقًّا، لكن بحق السماء هل سبق أن واجهتِ حادثًا هزليًّا كهذا؟
- من هي العمة جوزفين؟
- إنها عمة والدي، تعيش في شارلوت تاون. إنها كبيرة في السن ـ في السبعين على أقل تقدير ـ و أصدق أنها كانت يومًا طفلة صغيرة على ا ط ق. كنا نتوقع زيارتها لنا، لكن ليس ا ن. إنها من ا شخاص المتزمتين المتعنتين، وستوبخنا بشدة على ما حدث، أنا متأكدة من هذا. حسنًا، سنضطر إلى النوم مع ميني ماي، و يمكنك تخيل كيف تركل برجليها وهي نائمة.

في صباح اليوم التالي، لم تظهر ا نسة جوزفين باري في موعد ا فطار. ابتسمت السيدة باري بلطف للفتاتين الصغيرتين:

- هل قضيتما وقتًا ممتعًا الليلة الماضية؟ حاولت أن أبقى مستيقظة حتى تعودا إلى البيت، ننني أردت أن أخبركما أن العمة جوزفين قد أتت وأنه يجب عليكما الصعود إلى الطابق العلوي للنوم، لكني كنت متعبة جدًّا فغلبني النعاس. آمل أ تكوني قد أزعجت عمتك يا ديانا.

التزمت ديانا بالصمت المتحفظ، لكنها تبادلت مع آن ابتسامات خفية وماكرة للهو بالحادثة الهزلية التي وقعت ليلة أمس. غادرت آن عائدة إلى بيتها بعد انتهاء وجبة ا فطار، وظلت في جهل هانئ با ضطراب الذي حدث في منزل آل باري حتى وقت متأخر من بعد الظهر، وظلت كذلك حتى أرسلتها ماري في مهمة إلى بيت السيدة ليند.

- إذن كادت المسنة المسكينة ا نسة باري أن تموت فزعًا الليلة الماضية بسببكما أنت وديانا؟ (**قالت السيدة ليند بلهجة صارمة، لكن مصحوبة بغمزة من عينيها**) كانت السيدة باري هنا قبل بضع دقائق في طريقها إلى كارمودي. وهي تشعر بقلق حقيقي حيال ذلك، ن ا نسة باري كانت في حالة مزاجية سيئة عندما استيقظت هذا الصباح، وصدقيني إن تعكر مزاج جوزفين باري ليس مجرد مزحة. وقررت قرارًا رجعة فيه أنها لن تتحدث مع ديانا على ا ط ق.
- لم يكن خطأ ديانا (**قالت آن بنبرة نادمة**)، كان خطئي، ني اقترحت عليها التسابق لمعرفة من سيصل إلى السرير أولًا.
- كنت أعرف ذلك! (**قالت السيدة ليند، مع ابتهاج مصاحب لتخمينها الصحيح**) علمت أن هذه الفكرة تخرج إ من رأسك. حسنًا، لقد تسببتِ في حدوث مشكلة كبيرة، هذا ما حدث فعلًا. كانت ا نسة باري العجوز تنوي البقاء لمدة شهر، لكنها تعلن أنها لن تبقى يومًا آخر، وستعود إلى المدينة غدًا، علمًا بأن الغد هو يوم أحد وما إلى ذلك، ولو عثرت على من يُقلها اليوم لغادرت على الفور، كانت قد وعدت بدفع ربع أقساط دروس الموسيقى لديانا، لكنها ا ن مصممة على أ تدفع شيئًا على ا ط ق لمثل هذه الفتاة ذات التصرفات الصبيانية. أوه، أعتقد أنهم قضوا وقتًا عصيبًا هناك هذا الصباح، و بد أن آل باري يشعرون أن ما حدث سيحرمهم من الميراث، فا نسة باري العجوز امرأة ثرية، وهذا ما يدفعهم إلى تحسين ء قاتهم معها. بالطبع، السيدة باري لم تقل لي ذلك، لكني خبيرة بما يكفي في طبيعة النفوس البشرية، ولذلك أحكامي تخطئ.
- كم أنا فتاة سيئة الحظ! (**رثت آن نفسها**) أنا دائمًا أقحم نفسي في المشك ت، وأقحم أيضًا أصدقائي المقربين معي؛ أناس على استعداد أن أسفك دماء قلبي من أجلهم. هل يمكنك إخباري لماذا تتعرقل ا مور دائمًا معي على هذه الشاكلة يا سيدة ليند؟
- هذا نك مندفعة كثيرًا ومتهورة يا طفلتي، هذه هي الحقيقة. أنتِ تتريثين أبدًا في التفكير، تقولين وتفعلين كل ما يخطر ببالك بدون تفكير ولو للحظة.

- أوه، ولكن هذا أفضل ما في ا مر (**احتجَّت آن**). شيء ما يومض في ذهنك، ويكون مثيرًا للغاية، يجب عليك التجاوب معه، وإذا تريثتِ لتفكري به، فإنك ستفسدين متعته كلها. ألم يسبق لك وشعرت بهذا الشعور يا سيدة ليندِ؟

، لم يسبق للسيدة ليند أن شعرت بهذا، ولذلك اكتفت بهز رأسها الحكيم نافية.

- يجب أن تتعلمي التفكير قليلًا يا آن، هذا ما يجب عليك فعله. والمثل الذي ينبغي أن يكون شعارك في الحياة هو: انظر قبل أن تقفز، خصوصًا فوق أسرَّة الغرف ا حتياطية.

ضحكت السيدة ليند بتلقائية على نكتتها، لكن آن ظلت مستغرقة في أفكارها، لم ترَ ما يستحق الضحك عليه في هذا الموقف الذي بدا في عينيها خطيرًا للغاية. وما إن غادرت منزل السيدة ليند، حتى شقت طريقها عبر الحقول الجرداء باتجاه منحدر البستان، و قتها ديانا عند باب المطبخ.

- غضبت عمتك جوزفين كثيرًا مما حدث، أليس كذلك؟ (**همست آن**).
- نعم (**أجابت ديانا، وهي تكتم قهقهتها بإلقاء نظرة خاطفة من وراء كتفها نحو باب غرفة الجلوس المغلق**). كانت مستشيطة غضبًا يا آن، أوه، وليتك سمعتِ كيف وبختني. قالت إني أسوأ فتاة رأتها على ا ط ق، وأنه يجب على والديَّ أن يخجِ من الطريقة التي ربَّياني بها. تعلن أنها لن تبقى وستغادر، وأنا واثقة بأن هذا يهمني أبدًا، لكنه يهم أبي وأمي كثيرًا.
- لماذا لم تخبريهم أن ما حدث كان خطئي أنا؟ (**سألتها آن**).
- وكأنه كان من المحتمل أن أفعل شيئًا مثل هذا؟ (**قالت ديانا بازدراء**) أنا لست واشية يا آن شيرلي، وعلى أي حال كنت م مة مثلك تمامًا.
- حسنًا، سأذهب خبرها بنفسي (**قالت آن بتصميم**).

حدَّقت إليها ديانا.

- آن شيرلي، تفعلي ذلك أبدًا! إنها ستأكلك وأنتِ على قيد الحياة!
- تسببي لي خوفًا أكثر مما أشعر به من الخوفِ (**توسلت آن**). إني فضِّل السير نحو فوهة مدفع على مواجهتها. لكن عليَّ أن أفعل ذلك يا ديانا. لقد كان خطئي ويجب أن أعترف به، ولحسن الحظ، أصبحت خبيرة في أمور ا عتراف.
- حسنًا، إنها في الغرفة (**قالت ديانا**). يمكنك الدخول إذا كنت تريدين ذلك، أما أنا ف أجرؤ. و أعتقد أنك ستصلحين شيئًا مما سبق إفساده.

بهذا التشجيع تحدت آن ا سد في عرينه، كما يقول المثل، وهذا يعني أنها سارت بإصرار إلى باب غرفة الجلوس ونقرت على الباب نقرًا خفيفًا، وجاء الرد على ذلك النقر «**ادخل**» حادة.

كانت ا نسة جوزفين باري، تلك العجوز النحيلة، والمتزمتة، والصارمة جالسة قرب الموقد تحوك بعصبية شديدة. لم يهدأ غضبها قط، عيناها تقدحان شررًا من خ ل نظارتها ذات ا طار الذهبي. استدارت في كرسيها، وكانت تتوقع أن ترى ديانا، ولكنها رأت فتاة شاحبة الوجه، بعينين مليئتين بمزيج من الشجاعة المتهورة والرعب المتقلص.

- من أنتِ؟ (**سألتها ا نسة جوزفين باري بدون تكلف**).
- أنا آن من المرتفعات الخضراء (**قالت الزائرة الصغيرة وهي ترتجف، وتشابك يديها بتلك الطريقة التي تتميز بها**)، وقد جئت عترف، إذا سمحتِ لي.
- لتعترفي بماذا؟
- بأن كل ما حدث كان خطئي، فيما يتعلق بحادثة القفز إلى السرير عليك الليلة الماضية، فأنا من اقترحت ذلك، وأنا متأكدة من أن ديانا لم تكن لتفكر في مثل هذا الشيء أبدًا. إنَّ ديانا فتاة مهذبة جدًّا يا آنسة باري. لذا ينبغي لك أن تعلمي أن من الظلم إلقاء اللوم عليها.
- أوه، ينبغي لي.. مهلًا؟ أظن أن ديانا شاركت بنصيبها من القفز على ا قل. يا لمثل هذه التصرفات في بيت محترم!
- لكننا كنا نمرح فقط (**أصرَّت آن**). أرجو أن تسامحينا يا آنسة باري، ا ن وبعد أن اعتذرنا، أو على ا قل سامحي ديانا رجاءً وامنحيها فرصة أخذ دروس الموسيقى. إن قلب ديانا معقود ا مال على تلك الدروس يا آنسة باري، وأنا أعلم جيدًا معنى أن يتعلق قلب إنسان بشيء ما، ثم يحصل عليه. إذا كان بد من أن تغضبي على أي شخص، فاغضبي عليَّ أنا. لقد اعتدت في أيامي السابقة من حياتي تلقي الغضب من جميع الناس من حولي، لدرجة أنني أستطيع تحمل ا مر بشكل أفضل مما تستطيع ديانا.

كان معظم الغضب قد انقشع من عيني العجوز في ذلك الوقت، وأخذ يحل محله بريق اهتمام، وعلى الرغم من ذلك قالت بصرامة:

- أرى أن التحجج بالمرح واللهو عذر مقنع. ما كانت الفتيات الصغيرات في أيام طفولتي لينغمسن في هذا النوع من اللهو على ا ط ق. أنت تعرفين ما معنى أن

تستيقظي من نوم عميق، بعد رحلة طويلة وشاقة، من قبل فتاتين جسيمتين تقفزان فوقك.

- نعم، أعرف، ولكن يمكنني التخيل (**قالت آن بحماس**). أنا متأكدة أن ما حدث تسبب لك في إزعاج كبير. لكن هناك وجهة نظر أخرى من جانبنا أيضًا. هل لديك أي خيال يا آنسة باري؟ إذا كان لديك، فقط ضعي نفسك في مكاننا. لم نكن نعرف أنه كان هناك أي شخص في ذلك السرير، وقد ارتعبنا حتى الموت، كان الشعور الذي تملكنا مروعًا. وفي النهاية لم نتمكن من النوم في غرفة الضيوف ا حتياطية بعد أن كانت محط آمالنا. أظن أنك معتادة على النوم في الغرف ا حتياطية. لكن فقط تخيلي ما ستشعرين به لو كنتِ فتاة يتيمة صغيرة لم يسبق لها وأن حصلت على مثل هذا الشرف من قبل.

في ذلك الوقت، كان الغضب قد فارق ا نسة باري تمامًا، بل إنها في الواقع أرسلت ضحكة جعلت ديانا تتنفس الصعداء بارتياح عظيم عندما سمعتها، بعد انتظارها العصيب الصامت في المطبخ.

- أخشى أن تكون مخيلتي صدِئت بعض الشي؛ لقد مضى وقت طويل على استخدامها (**قالت**). أجرؤ على القول إنَ مطالبتك بالتعاطف معك قوية مثل مطالبتي. كل هذا يتوقف على الطريقة التي ننظر بها إلى ا شياء. اجلسي هنا وحدثيني عن نفسك.
- أنا آسفة جدًّا ني أستطيع (**قالت آن بنبرة حاسمة**). كنت أتمنى هذا، نك تبدين لي سيدة مثيرة لـ هتمام، وقد تكونين أيضًا توأمًا لروحي، على الرغم من أن مظهرك يوحي لي بهذا. لكن من واجبي ا ن العودة إلى منزل ا نسة ماريـ كوثبرت. ا نسة ماريـ كوثبرت هي سيدة لطيفة للغاية أخذتني لتربيني بشكل صحيح. إنها تبذل قصارى جهدها، على الرغم من أن ا شراف على تربيتي ليس با مر المشجع، لذلك يمكن لومها بشأن قفزي على السرير. ولكن قبل أن أذهب، أتمنى أن تخبريني ما إذا كنتِ ستسامحين ديانا، وما إذا كنت ستمكثين في أفونليا المدة التي كنت تنوينها.
- لعليِ سأفعل ذلك، لكن شرط أن تأتي للدردشة معي بين حين وآخر (**قالت ا نسة باري**).

في ذلك المساء، قدمت ا نسة باري لديانا سوارًا فضيًّا، وأخبرت كبار أفراد ا سرة أنها أفرغت حقيبتها.

- لقد قررت أن أبقى من أجل التعرف بشكل أفضل على تلك المدعوة آن (**قالت بصراحة**)؛ إنها تسليني، وإنه من النادر أن ألتقي في هذا العمر بأناس ممتعين.

كان تعليق ماري الوحيد عندما سمعت القصة:

- قلت لك هذا. (**وكان هذا التعليق لصالح ماثيو**).

قضت ا نسة باري شهرها بتمامه في أفونليا، وكانت ضيفة مقبولة أكثر من المعتاد، ن آن أبقتها في حالة مزاجية رائعة، وسرعان ما أصبحتا صديقتين مقربتين.

وعندما شرعت ا نسة باري في الرحيل، قالت:

- تذكري أيتها الفتاة آن، أنه يجب عليك زيارتي عندما تأتين إلى المدينة، ولسوف أستضيفك في أفضل غرفة ضيوف احتياطية عندي، لتنامي فيها.
- لقد كانت روح ا نسة باري توأمًا لروحي على الرغم من كل شيء (**أسرت آن لماري**).

يمكنك اكتشاف هذا من مجرد النظر إليها، ولكنها كانت كذلك بالفعل. من الصعب معرفة هذه الحقيقة من الوهلة ا ولى، تمامًا كما جرى ا مر مع ماثيو، غير أنك بعد فترة من الوقت تستطيعين معرفة جوهرهم، يبدو أن ا رواح الطيبة ليست نادرة جدًّا كما كنت أعتقد. إنه مر رائع أن أكتشف أن هناك الكثير منهم في هذا العالم.

Curfew Must Not Ring Tonight: قصيدة سردية كتبتها الشاعرة والكاتبة ا مريكية روز هارتويك ثورب، في عام ١٨٦٧. وكانت القصيدة المفضلة لدى الملكة فيكتوريا كواحدة من أكثر القصائد شهرة في القرن التاسع عشر لكنها ت شت فيما بعد.

بومبادور: مصطلح يشير إلى تسريحة شعر قديمة تعود إلى القرن الثامن عشر نسبة إلى ا رستقراطية مدام دي بومبادور (**١٧٢١-١٧٦٤**)، يُسرح الشعر فيها إلى الخلف مع رفع الجزء ا مامي بشكل موجة مرتدة إلى الخلف.

Far Above the Gentle Daisies: أغنية كتبها جورج كوبر ولحنها هاريسون مي رد (**١٨٦٩**).

أحد أشكال الفن التي يتم من خ لها استخدام الجص كمادة لتمليط أو تجصيص سقف أو جدران بشكل فني.

How Sockery Set a Hen: قصة قصيرة هزلية، مكتوبة باللهجة المحلية الهولندية، وهي من الت وات الهزلية والقراءات الفكاهية التي انتشرت في أواخر القرن التاسع العشر.

الخطبة التي ألقاها مارك أنطوني على الشعب الروماني، والتي كشفت عن غدر بروتوس بصديقه يوليوس قيصر.

Bingen on the Rhine: قصيدة لشاعرة القرن التاسع عشر كارولين إليزابيث سارة نورتون، نُشرت ول مرة عام ١٨٦٧.

(20)

خيال خصب يحيد عن الصواب

عاد الربيع مرة أخرى إلى المرتفعات الخضراء؛ الربيع الكندي الفاتن متقلب ا جواء، والذي تلكأ في إقامته على مدار شهري نيسان وأيار في تعاقب من ا يام المعتدلة، والمنعشة بهوائها شبه البارد المتسبب في قشعريرة ا بدان. عاد مزدانًا بحمرة غروب شمسه الوردية، ومعجزات البعث وا زدهار، فأزهرت أشجار القيقب بلونها ا حمر على طول درب العشاق، وتدافعت السراخس المعقوصة حول نبع فقاعة الحورية. وبعيدًا، في ا رض القاحلة خلف منزل السيد سيـ س سلون، تفتحت أزهار أيار نجمية الشكل في لونيها ا بيض والوردي تحت أوراقها المسفوعة. كان وقت ا صيل الذهبي يجمع جميع تـ ميذ المدرسة؛ صبيانها وفتياتها، وهم عائدون إلى بيوتهم تحت شفافية الشفق المتناغم، يتأبطون سـ لهم الممتلئة بغنائمهم من الزهور.

- كم أشعر با سف تجاه ا شخاص الذين يعيشون في بقاع خالية من أزهار أيار (**قالت آن**). تقول ديانا ربما يكون لديهم شيء أفضل، لكن يمكن أن يكون هناك شيء أفضل من أزهار أيار، أليس كذلك يا ماريـ ؟ وتقول أيضًا إن المتعة لن تفوتهم ما داموا يعرفون كيف تبدو تلك ا زهار من ا ساس. لكني أعتقد أن هذا هو أتعس شيء على ا ط ق. إنه مر مأساوي يا ماريـ أ يعرف المرء كيف تبدو أزهار أيار. أتعلمين ما هي فكرتي عن هذه ا زهار يا ماريـ ؟ أنا أعتقد أنها أرواح الزهور التي ماتت في الصيف الماضي، وأن هذا الربيع جنَّتها. لقد قضينا وقتًا رائعًا اليوم يا ماريـ . تناولنا غداءنا في غور شاسع مغطى بالطحالب بجوار بئر قديمة، ويا لها من بقعة شاعرية! وهناك قام تشارلي سلون بتحدي آرتي جيليس في القفز من فوق البئر. وفعلها آرتي وقفز، نه لم يشأ رفض التحدي. أحد يفعل هذا في المدرسة، صار التحدي شيئًا دارجًا ا ن. أعطى السيد فيليبس كل أزهار أيار التي وجدها لبريسي أندروز وسمعته يقول لها: ا شياء الجميلة تُعطى لمن يشابهها جمالًا. أعرف أنه اقتبس تلك العبارة من كتاب ما، ومع ذلك فهي تدل على تمتعه ببعض الخيال. لقد قُطِفَت لي أنا أيضًا أزهار أيار، لكني رفضتها بازدراء، و أستطيع أن أخبرك باسم الشخص الذي

قدمها لي ني أقسمت أ أتركه يعبر شفتيَّ. صنعنا أكاليل من أزهار أيار وزيَّنا بها قبعاتنا. وعندما حان وقت العودة إلى المنزل، سرنا في موكب زوجي على الطريق، اثنين اثنين، مع باقاتنا وأكاليلنا، ونحن نغني: بيتي فوق التلَّة[54]. أوه، لقد كان ا مر مثيرًا جدًّا يا ماري . اندفع جميع أنسباء السيد سي س سلون لرؤيتنا، وتوقف كل من التقينا بهم على الطريق ليشاهد عبور موكبنا. لقد شبَّعنا ا جواء بحماس حقيقي.

- عجب في هذا! إنها أفعالكم السخيفة! (**أجابت ماري**).

بعد أزهار أيار جاءت أزهار البنفسج، التي امتزج بها وادي البنفسج وأخذ لونه منها. عبرته آن وهي في طريقها إلى المدرسة بخطوات وقورة وعينين خاشعتين وكأنها تطأ أرضًا مقدسة.

- بطريقة ما، (**قالت لديانا**) عندما أمشي من هنا أهتم بالفعل فيما إذا كان جيد... إذا كان أي تلميذ سيتفوق عليَّ في الصف، لكن عندما أكون في المدرسة فا مر يختلف وأهتم كثيرًا كما كنت دائمًا. يبدو أنه يوجد في داخلي عدة نسخ مختلفة من آن. أعتقد أحيانًا أن هذا هو السبب في كوني شخصًا معرضًا للمشك ت، فلو كنت نسخة واحدة فقط من آن، لربما عشت بطمأنينة أكثر، ولكن حينها لن يصبح ا مر مثيرًا ل هتمام أكثر من نصف ما هو عليه ا ن.

في إحدى أمسيات شهر حزيران، حيث أزهرت البساتين مرة أخرى بالبراعم الوردية، وكانت الضفادع تغني بعذوبة رخيمة في المستنقعات عند رأس بحيرة المياه ال معة، والجو يَعْبَق بنكهة حقول البرسيم، وعبير أحراج التنوب البلسمي، جلست آن تتأمل عند نافذة الغرفة الشرقية، وتذاكر دروسها، لكن الظ م حلَّ لدرجة تستطيع معها الرؤية الواضحة للكتاب. لذلك سقطت في خيال واسع العينين، وهي تنظر إلى أغصان ملكة الثلج والتي تألقت مرة أخرى بعناقيدها المزهرة.

من جميع النواحي ا ساسية، لم تتغير غرفة المرتفعات الشرقية الصغيرة؛ الجدران بيضاء كما هي، وظلت مخدة الدبابيس في نفس حالة الص بة التي تعقف دبابيسها، ولم تتبدل صفرة الكراسي الجامدة بأي لون آخر، ومع ذلك تغير طابع الغرفة بشكل كامل، بفضل احت لها من قبل شخصية جديدة حيوية ونابضة؛ شخصية تغلغلت في المكان، وميزته باستق لية خاصة، في صورة كتب مدرسية لتلميذة وفساتينها وشرائطها، وحتى بصورة الدورق ا زرق المصدوع المليء بأزهار التفاح على الطاولة. كان ا مر كما لو أن كل أح م قاطنتها في نومها ويقظتها قد أخذت شكلًا مرئيًّا وإن كان غير مادي زيَّن تلك الغرفة العارية بأنسجة غشائية رائعة منسوجة من أقواس قزح وإشعاعات القمر. في الوقت الحاضر، دخلت ماري

الغرفة بخطى خفيفة وهي تحمل بعض مآزر آن المدرسية التي تم كيُّها حديثًا. علقتهم على ظهر الكرسي وجلست وهي تتنهد. كانت تعاني صداع رأسها المعتاد في أمسية ذلك اليوم، ومع أن آ مها كانت قد سكنت قليلًا، فإنها بقيت تشعر با عياء وا نهاك، كما عبرت عن ذلك. نظرت إليها آن بعينين مفعمتين بالتعاطف:

- أتمنى حقًّا لو أن باستطاعتي معاناة هذا الصداع مكانك، لكنت تحملته برضا، من أجلك.
- أعتقد أنك أديت قسطك من المساعدة وتركتِ لي المجال رتاح (**أجابت ماريه**). يبدو أن أداءك قد تحسن كثيرًا، وأصبحت أخطاؤك أقلَّ من المعتاد. بالطبع لم يكن من الضروري تنشية مناديل ماثيو! كما أن معظم الناس عندما يضعون فطيرة في الفرن لتسخينها من أجل العشاء، يخرجونها ويأكلونها عندما تصبح ساخنة بدلًا من تركها تتحول إلى رقاقة محترقة. لكن يبدو لي بوضوح أن هذا ليس أسلوبك في العمل.

كان دائمًا الصداع يدفع ماريه بشكل ما إلى حالة السخرية تلك.

- أوه، أنا آسفة جدًّا (**قالت آن بندم**). لم أفكر قط في تلك الفطيرة منذ اللحظة التي وضعتها في الفرن حتى ا ن، على الرغم من أنني شعرت بصورة غريزية أن هناك شيئًا ما مفقودًا على مائدة العشاء. عندما وضعتِ على عاتقي المسؤولية هذا الصباح، كنت عازمة بشدة على أ أتخيل أي شيء يصرفني عن مهامي، وأن أجعل أفكاري في حيز الواقع فقط. لقد أبليت بـ ءً حسنًا حتى وضعت الفطيرة في الفرن، ثم جاءني إغراء يقاوم تخيل أنني أميرة مسحورة محبوسة في برج مهجور، بانتظار مجيء فارس وسيم لينقذني، وهو يمتطي جوادًا أسود كالفحم. وهذا ما جعلني أنسى أمر الفطيرة. ولم أعرف أني كنت أنشي مناديل ماثيو وأنا أكويها، إذ كنت أحاول ابتكار اسم لجزيرة جديدة اكتشفناها أنا وديانا عند الجدول. يا لها من بقعة ساحرة يا ماريه ! فهي محاطة بماء الجدول المتدفق من جميع جوانبها، وفيها شجرتان من أشجار القيقب. أخيرًا، أدهشني أنه سيكون من الرائع تسميتها جزيرة فيكتوريا ننا اكتشفناها يوم عيد مي د الملكة. فأنا وديانا وطنيتان مخلصتان كما تعلمين، لكني آسفة بشأن تلك الفطيرة والمناديل، لقد أردت أن أكون اليوم أكثر مهارة من أي يوم آخر، نه يوافق ذكرى سنوية خاصة. أتتذكرين ما حدث هذا اليوم من العام الماضي يا ماريه ؟
- ، أستطيع التفكير بأي شيء خاص.

- أوه يا ماريـ ، كان ذلك اليوم الذي أتيت فيه إلى المرتفعات الخضراء. لن أنساه أبدًا، فقد كان نقطة التحول في حياتي. بالطبع قد يكون ا مر على هذه الدرجة من ا همية بالنسبة لك. لقد مضى ا ن على وجودي هنا سنة كاملة، وكنت سعيدة جدًّا فيها. بالطبع لقد كانت لدي مشكـ تي، لكن يمكن للمرء أن يعيش على الرغم من المشكـ ت. هل أنتِ آسفة نك احتفظتِ بي يا ماريـ ؟
- ، أستطيع القول إني أشعر با سف. (**قالت ماريـ التي كانت في بعض ا حيان تتساءل كيف كانت تعيش حياتها قبل أن تأتي آن إلى المرتفعات الخضراء!**) على وجه التحديد، لست آسفة، وإذا كنتِ قد انتهيت من مراجعة دروسك يا آن، فإني أريد منك أن تذهبي إلى السيدة باري لسؤالها أن تعيرني تصميمًا واحدًا من مآزر ديانا المدرسية.
- أوه، إن.. إن الدنيا غارقة في الظـ م (**صاحت آن**).
- غارقة في الظـ م؟ ما معنى هذا. ما زال الوقت غسقًا، والله وحده يعلم عدد المرات التي غادرتِ فيها البيت بعد حلول الظلمة.
- سأذهب في الصباح الباكر (**قالت آن بلهفة**)، سأستيقظ عند شروق الشمس وأذهب يا ماريـ .
- ما الذي يدور في رأسك ا ن يا آن شيرلي؟ أريد ذلك التصميم فصل مريلتك الجديدة هذا المساء. كوني عاقلة، واذهبي فورًا.
- سأضطر إلى سلوك الطريق الرئيسي إذن (**قالت آن وهي تتناول قبعتها على مضض**).
- تسلكين الطريق الرئيسي وتهدرين نصف ساعة؟! دعيني أراك تفعلين هذا!
- أستطيع المرور عبر الغابة المسكونة يا ماريـ (**صاحت آن بصوت يائس**).

حدَّقت إليها ماريـ .

- الغابة المسكونة؟! هل أنتِ مجنونة؟ هل هناك أي شيء تحت قبة هذه السماء يُدعى بالغابة المسكونة؟
- أحراش التنوب عند الجدول (**أجابت آن هامسة**).
- هراء! يوجد ما يُدعى بالغابات المسكونة في أي مكان، مَن الذي كان يحشو رأسك بمثل هذه الترهات؟
- أحد (**اعترفت آن**). لقد تخيلنا أنا وديانا أن الغابة مسكونة، ن جميع ا ماكن حولنا هنا هي أماكن مألوفة.. جدًّا.. جدًّا. لقد اخترعنا تلك الحكاية من أجل التسلية، كان ذلك منذ شهر نيسان، واعتقدنا أن وجود غابة مسكونة حولنا هو أمر شاعري جدًّا يا

ماريد . ووقع اختيارنا على أحراش التنوب نها موحشة للغاية. أوه، لقد تخيلنا أكثر ا شياء فظاعة؛ هناك امرأة تتشح بالبياض، تمشي على طول الجدول في هذا الوقت تقريبًا من الليل، تعصر يديها، وتصيح منتحبة وباكية. تظهر عندما يكون هناك موت على وشك الوقوع في أسرة ما. ويوجد أيضًا شبح طفل صغير مقتول يحتل ذلك المنعطف عند فردوس ا ح م، يتسلل خلفك ويضع أصابعه الباردة على يدك.. هكذا. أوه يا ماريد ، أشعر بالقشعريرة عند التفكير في ا مر. وهناك رجل مقطوع الرأس يقطع الدرب ذهابًا وإيابًا، وهياكل عظمية تصوِّب نظراتها الخارقة عليك من بين أغصان ا شجار. أوه يا ماريد ، لن أسلك طريق الغابة المسكونة ليلًا بعد ا ن مهما استدعتني الحاجة. أنا متأكدة أن تلك ا شياء البيضاء ستترصدني من وراء ا شجار، وستتحين الفرصة لـ مساك بي.

- هل سمع أحد من قبل شيئًا مماثلًا لما تقوله؟! (**هتفت ماريد ، التي استمعت إلى آن في ذهول أبكم**). آن شيرلي، هل تقصدين أن تخبريني بأنك تصدقين كل هذا الهراء الشرير الذي اخترعه خيالك؟
- أصدق بالضبط (**تلعثمت آن**). على ا قل، أصدق ذلك في وضح النهار، لكن ا مر مختلف بعد حلول الظ م يا ماريد ؛ إنه الوقت الذي تبدأ فيه ا شباح بالخروج من مكامنها.
- يوجد ما يسمى با شباح يا آن.
- أوه، بل يوجد يا ماريد (**صاحت آن بحماس**). أعرف أناسًا رأوها، وهم أناس محترمون. يقول تشارلي سلون إن جدته رأت جده يسوق ا بقار إلى المنزل في إحدى الليالي، بعد مرور عام على دفنه. وأنتِ تعلمين أن جدة تشارلي سلون لن تختلق الحكايات، إنها امرأة متدينة جدًّا. ووالد السيدة توماس لوحِق في إحدى الليالي بالمنزل بواسطة حَمَل من نار، وكان رأس الحمل مقطوعًا وعالقًا بشريط من جلده. وقال إنه كان يعلم أن ذلك الحمل هو روح أخيه الميت، وأن في ذلك نذيرًا له بأنه سيموت في غضون تسعة أيام. وفي الحقيقة لم يمت بعد تسعة أيام، إ أنه مات بالفعل بعد عامين. أي أن ا نذار كان في كل ا حوال صحيحًا، وتقول روبي جيليس...
- آن شيرلي! (**قاطعتها ماريد بحزم**) أريد أن أسمعك تخوضين في مثل هذه ا حاديث مرة ثانية. كانت لدي شكوكي حول مخيلتك تلك، وإذا كانت هذه هي نتيجتها، فلن أؤيدها مطلقًا. ستذهبين حالًا إلى منزل آل باري، وستسلكين طريق أحراش التنوب

هذا، ليكون درسًا لكِ وإنذارًا، و تدعيني أسمعك بعد اليوم تبتكرين المزيد من حكاياتك عن الغابات المسكونة.

كان بإمكان آن البكاء والتوسل كما يحلو لها، ولقد فعلت، ن خيالها الذي حاد بها عن الصواب جعل فزعها من أحراش التنوب بعد حلول الليل فزعًا جسيمًا، ولكن هذا لم يكن ليستعطف ماريـ العنيدة، التي رافقت عرَّافة ا شباح المذعورة إلى الجدول، وأمرتها بعبور الجسر، ثم التقدم وحيدة نحو الغابة المُكْفَهِرَّة حيث النسوة المنتحبات، وا شباح مقطوعة الرأس.

- أوه يا ماريـ ، من أين لكِ بكل تلك القسوة؟ (**بكت آن**) كيف سيكون شعورك إذا انتزعني شيء أبيض وحملني بعيدًا؟
- سأخاطر بذلك (**قالت ماريـ ببرود**). أنت تعلمين أنني أعني دائمًا ما أقوله. سأعالجك من تخيلك لـ شباح في ا ماكن، سيري ا ن.

سارت آن، بل با حرى تعثرت في خطاها وهي تعبر الجسر، وتقدمت بعد ذلك مرتعدة الفرائص على درب شديد الحُلْكة. لم تنسَ آن قط تلك الليلة التي أعلنت فيها ندمها المرير على ترخيص الحرية الـ محدودة الذي أعطته لخيالها. تكمن العفاريت في خيالها في كل ظل حولها، يمدون أياديهم الباردة الخالية من اللحم لـ مساك بالفتاة الصغيرة المذعورة التي استدعتهم إلى هذا الوجود. وعندما تسببت الرياح في اقتـ ع قشرة بيضاء من لحاء شجرة بتو ناحية الغور، وحطتها على ا رض الترابية للبستان، كاد قلبها يتوقف. وأدى صوت عويل طويل ناتج عن احتكاك غصنين عتيقين بعضهما بالبعض إلى تفصد جبينها عرقًا. وعندما حلقت الخفافيش في الظـ م فوقها تراءت لها أشبه بأجنحة مخلوقات غير أرضية. وعندما وصلت إلى حقل السيد ويليام بيل أخذت تعدو خـ له كما لو كان جيش من ا شياء البيضاء يطاردها. وصلت أخيرًا إلى باب مطبخ آل باري مقطوعة ا نفاس لدرجة أنها بالكاد تستطيع أن تلهث بطلبها للحصول على تصميم المريلة. لم تكن ديانا هناك، ولذلك لن يكون لديها أي عذر تبرر به تلكؤها، فكان بد من مواجهة الرحلة المروعة من جديد في عودتها، فخاضتها بعينين مغمضتين، مفضلة المجازفة با صطدام بفروع ا شجار على المخاطرة برؤية شيء أبيض. وما إن تعثرت أخيرًا فوق جسر جذع الشجرة، حتى تنفست الصعداء بارتياح عميق.

- هه، إذن لم يمسك بك أي شيء؟ (**قالت ماريـ بلهجة خالية من التعاطف**).

- أوه يا مار.. يا.. ماري (**قالت آن وأسنانها تصطك**). سأ.. سأ.. سأقنع با ماكن العا.. **العادية.. بعد هذه التجربة.**

My Home on the Hill: قطعة موسيقية «**صوت وبيانو**» تأليف وتلحين ويليام تشارلز بيكر (**١٨٦٦**).

(21)
تنوع جديد في النكهات

- ربَّاه، يوجد شيء في هذا العالم سوى لقاءات وفراق، كما تقول السيدة ليند (**علقت آن بحزن وهي تضع لوحها وكتبها على طاولة المطبخ في اليوم ا خير من شهر حزيران، بينما تجفف عينيها المحمرتين بمنديل رطب جدًّا**). ألم يكن من حسن حظي يا ماريـ أنني أخذت منديلًا إضافيًّا إلى المدرسة اليوم؟ كان لدي شعور مسبق بأني سأحتاج إليه.
- لم أعتقد قط أنك مولعة بالسيد فيليبس لدرجة أنك ستحتاجين إلى منديلين لتجفيف دموعك لمجرد أنه راحل.
- أظن أني كنت أبكي ني كنت مولعة به حقًّا (**أجابت آن**). لقد بكيت ن ا خرين بكوا. كانت روبي جيليس هي من بدأت في ذلك، ولطالما زعمت روبي أنها تكره السيد فيليبس، ومع ذلك بمجرد أن نهض لقاء خطبة الوداع، انفجرت في البكاء، وسرعان ما تبعتها بقية الفتيات، واحدة تلو ا خرى، أما أنا فحاولت ضبط نفسي يا ماريـ ، حاولت أن أتذكر الوقت الذي جعلني فيه السيد فيليبس أجلس بجوار جيلـ... بجوار صبي، والوقت الذي لفظ فيه اسمي بطريقة خاطئة، وكتبه على السبورة بدون مد ا لف، وكيف قال إني كنت أسوأ تلميذ رآه في الهندسة وكم سخر من تهجئتي، وفي كل ا وقات التي كان فيها بغيضًا ومتهكمًا، لكن بطريقة ما لم أستطع يا ماريـ ، وما كان أمامي إ أن أبكي أيضًا. وما بالك بجين أندروز التي ظلت تردد أمامنا لشهر كامل أنها ستبلغ قمة السعادة عندما يغادر السيد فيليبس، وأعلنت أنها لن تذرف دمعة واحدة عليه. حسنًا، لقد كان بكاؤها ا سوأ على ا ط ق، واضطرت إلى استعارة منديل من شقيقها.. طبعًا يعني هذا أن الصبية بكوا، ولكنها لم تكن قد أحضرت منديلها معها، نها لم تتوقع احتياجها إليه. أوه يا ماريـ ، ما حدث كان مفجعًا. ألقى السيد فيليبس خطبة وداع جميلة ومؤثرة جدًّا، استهلَّها بقوله: لقد حان الوقت لنفترق. واغرورقت عيناه بالدموع هو أيضًا يا ماريـ . أوه، لقد شعرت با سف الشديد والندم على كل ا وقات التي ثرثرت فيها في أثناء الدرس، ورسمت له صورًا مضحكة له على لوحي وسخرت منه أنا وبريسي. ولكم كنت أتمنى أن أكون تلميذة مثالية مثل ميني أندروز،

التي لم يكن هناك ما يوخز ضميرها. بكت الفتيات طوال طريق العودة من المدرسة إلى البيت، وظلت كاري سلون تردد كل بضع دقائق: لقد حان الوقت لنفترق. وكان ذلك من شأنه أن يستحثنا على البكاء مجددًا، كلما حدق بنا خطر ا بتهاج. أشعر بالحزن الشديد يا ماريـ ، لكن على كل ا حوال يمكن للمرء أن يظل غارقًا بحزنه في أعماق اليأس، وهو على أبواب شهرين من العطلة المدرسية، أليس كذلك؟ وإلى جانب ذلك، التقينا بالقس الجديد وزوجته وهما قادمان من المحطة. وعلى الرغم من أنني كنت أشعر بالسوء حيال رحيل السيد فيليبس، فلم أستطع منع نفسي من ا هتمام قليلًا بمَقدم قس جديد، أكان بإمكاني أ أهتم؟ كانت زوجته جميلة جدًّا؛ ليس جمالًا ملكيًّا بالطبع، لكني أظن أنه من المناسب أن يكون للقس زوجة ذات إط لة ملكية وإ كان ذلك قدوة سيئة. تقول السيدة ليند إن زوجة القس في نيوبريدج تشكل مثالًا للقدوة السيئة، نها ترتدي أحدث ا زياء الدارجة وا نيقة دومًا. أما زوجة القس الجديد الذي جاءنا فكانت ترتدي ثوبًا من الموسلين ا زرق بأكمام منفوخة جميلة، وقبعة مزينة بالورود. قالت جين أندروز إنها تعتقد أن ا كمام المنفوخة دنيوية جدًّا بالنسبة لزوجة قس، لكني لم أبدِ أي م حظة غير مقبولة يا ماريـ ، ني أعرف ما معنى تشوق المرء إلى ا كمام المنفوخة، با ضافة إلى أنها لم يمضِ على كونها زوجة للقس سوى مدة قصيرة، أ يستدعي هذا ضرورة خلق ا عذار لها؟ وعلمت أنهما سيقيمان عند السيدة ليند إلى أن يجهز منزل القس.

إذا كانت ماريـ ، في ذهابها إلى منزل السيدة ليند في ذلك المساء، قد تحركت بأي دافع باستثناء إع نها عن إعادة إطارات خياطة اللحف التي استعارتها منها في الشتاء السابق، فقد كان ضعفًا وديًّا يتشاركه معظم أهالي أفونليا. الكثير من ا شياء التي أعارتها السيدة ليند، وأحيانًا لم تكن تتوقع رؤيتها مرة أخرى، عادت إلى منزلها في تلك الليلة من قبل الذين استعاروها بأنفسهم. كان قدوم قسٍّ جديدٍ إلى أفونليا، بل قسٍّ مع زوجته، موضوعًا مثيرًا لـ هتمام في مستوطنة ريفية صغيرة هادئة حيث ا نباء المشوقة فيها قليلة ومتباعدة زمنيًّا.

السيد بنتلي العجوز، الذي وجدته آن قسًّا يفتقر إلى الخيال، راعيًا برشية أفونليا لمدة ثمانية عشر عامًا، كان أرملَ عندما قدم، وبقي كذلك. على الرغم من أن ا شاعات ظلت تزوِّجه بانتظام بهذه أو تلك أو ا خرى، في كل عام من إقامته في أفونليا. وكان قد استقال في شهر شباط الماضي من منصبه ورحل وسط لوعة أتباعه، الذين يضمرون له المودة الناجمة عن طول فترة تآلفهم مع قسِّهم العجوز الطيب، على الرغم من نقائصه كخطيب. ومنذ ذلك

الحين، تنعمت كنيسة أفونليا باستقبال تنويعات من مختلف الفرق الدينية، واستمعت إلى العديد من المرشَّحين وا رساليين الذين وفدوا إليها في تتابع من أيام ا حاد لقاء الخطب الدينية والوعظ على سبيل التجربة. وكان هؤ ء يصمدون أو يتراجعون وفق أحكام أم في إسرائيل[55]. أما تلك الفتاة الصغيرة ذات الشعر ا حمر، التي كانت تجلس بوداعة عند طَرف مقعد آل كوثبرت القديم في الكنيسة، فقد كانت لها هي أيضًا آراؤها الخاصة عنهم. ولطالما ناقشت هذه ا راء بإسهاب مع ماثيو، على الرغم من رفض ماريـ الدائم لمبدأ انتقاد القساوسة شكلًا ومضمونًا.

- أعتقد أن السيد سميث كان سيفي بالغرض يا ماثيو (**أعلنت آن حكمها النهائي عليهم**). تقول السيدة ليند إن طريقة إلقائه كانت سيئة للغاية، لكني أعتقد أن عيبه ا سوأ هو افتقاره للخيال، مثل السيد بنتلي تمامًا، وبعكس السيد تيري الذي كان صاحب خيال مفرط الخصوبة، كثيرًا ما جنح به، مثلما جنح بي خيالي في حكاية الغابة المسكونة. ء وة على ذلك، تقول السيدة ليند إن هوته لم يكن سليمًا. أما السيد جريشام فقد كان رجلًا طيبًا جدًّا ومتدينًا، لكنه روى الكثير من القصص المضحكة، التي جعلت الناس يضحكون في الكنيسة، وهذا أفقده الكثير من وقاره، و بد أن يكون للقس هيبته وإج له، أليس كذلك يا ماثيو؟ أعتقد أن السيد مارشال كان جذابًا بحق، لكن السيدة ليند تقول إنه ليس متزوجًا أو حتى مرتبطًا برباط الخطوبة نها قامت بتحريات خاصة عنه. وتقول إنه لن يكون من المفيد أبدًا أن يكون هناك قس شاب غير متزوج في أفونليا، نه قد يتزوج في ا برشية وهذا من شأنه أن يسبب المشك ت. أليست السيدة ليند امرأة ذات بعد نظر يا ماثيو؟ أنا سعيدة جدًّا نهم استدعوا السيد آ ن، لقد أحببته ن موعظته كانت ممتعة ويصلي كأنه يقصدها بقلبه، وليس فقط نه معتاد لها. تقول السيدة ليند إنه ليس مثاليًّا، لكنها ترى أنه يجدر بنا توقع الحصول على قس مثالي مقابل سبعمائة وخمسين دو رًا سنويًّا. وعلى أي حال، فإن هوته سليم نها استجوبته بدقة في جميع نقاط العقيدة، كما أنها تعرف أهل زوجته وهم من أكثر العائ ت احترامًا، وجميع نسائها ربات بيوت حاذقات. تقول السيدة ليند إن اجتماع العقيدة السليمة للرجل والتدبير المنزلي الجيد للمرأة يشكل مزيجًا مثاليًّا لعائلة القس.

كان القس الجديد وزوجته شابين لطيفين بشوشين، ما يزا ن في شهر العسل، مفعَمَين بالحماس التقيِّ والنبيل تجاه المهمة التي اختاراها معًا لحياتهما، ومنذ البداية فتحت أفونليا قلبها لهما؛ أحب الكبار والصغار الشابَّ الصريح والمبهج بمُثله السامية، والسيدة اللطيفة التي

أخذت على عاتقها مهمة التعليم في مدرسة ا حد. وقعت آن بصدق في حب السيدة آ ن على الفور، واكتشفت أنها توأم جديد لروحها.

- السيدة آ ن قريبة جدًّا من القلب (**أعلنت آن في أمسية يوم ا حد**)، لقد تولت تدريس صفنا، وهي معلمة رائعة، لقد أعلنت منذ اللحظة ا ولى أنها تعتقد أنه من العدل أن يسأل المعلم جميع ا سئلة، وكما تعلمين يا ماريـ هذا هو بالضبط ما كنت أعتقده دائمًا. قالت إنه يمكننا أن نسألها أي سؤال نريده، ولقد سألتها الكثير، فأنا جيدة في طرح ا سئلة يا ماريـ .
- أشك في صدق ك مك (**كان تعليق ماريـ القاطع**).
- لم يسأل أي شخص آخر سوى روبي جيليس، وسألت عمَّا إذا كان سيكون هناك نزهة مدرسية يوم ا حد هذا الصيف. لم أعتقد أنه كان سؤالًا مناسبًا جدًّا لطرحه، نه لم يكن له أي صلة بالدرس.. كان الدرس عن: النبي دانيال في جُبِّ ا سود[56]، لكن السيدة آ ن ابتسمت لها وقالت إنها تعتقد هذا. السيدة آ ن لديها ابتسامة جميلة، لديها تلك الغمازات الرائعة في خديها. أتمنى لو كان لدي غمازات في خدي يا ماريـ . ومع أني ما عدت ا ن هزيلة جدًّا كما كنت عندما جئت إلى هنا، لم أكتسب بعد أي غمازات، لو كان لدي غمازات لربما استطعت التأثير على الناس تأثيرًا صالحًا، قالت السيدة آ ن إنه يجب علينا دائمًا محاولة التأثير ا يجابي على ا خرين، وأن ندفعهم نحو الخير. لقد تحدثت عن كل شيء، لم أكن أعرف من قبل أن الدين مصدر للبهجة، لطالما اعتقدت أنه مصدر للكآبة، لكن السيدة آ ن ليست كذلك، وأود أن أقتدي بها إن استطعت وأكون مؤمنة. فأنا أريد أن يكون السيد الناظر بيل قدوتي في ا يمان.
- إنه سوء خلق منك أن تتحدثي عن السيد بيل بتلك الطريقة (**قالت ماريـ بحدة**)؛ السيد بيل رجل صالح بحق.
- أوه، بالطبع إنه رجل صالح (**وافقت آن**)، لكن يبدو أنه يفيد نفسه بهذا الصـ ح، إذا كان بإمكاني أن أكون صالحة، كنت سأرقص وأغني طوال اليوم سعادة بذلك، أظن أن السيدة آ ن كبيرة قليلًا على الرقص والغناء، وبالطبع لن يكون ذلك ئقًا بالنسبة لزوجة قس. لكن يمكنني فقط أن أشعر أنها سعيدة بإيمانها، وأنها ستُعَد مؤمنة حتى لو صعدت إلى السماء من غير إعـ نها عن هذا ا يمان.

- أعتقد أنه ينبغي لنا أن ندعو السيد والسيدة آ ن لتناول الشاي يومًا ما قريبًا، لقد دُعيا إلى معظم البيوت عدا بيتنا. دعيني أرى، سيكون يوم ا ربعاء القادم هو الوقت المناسب لدعوتهما. لكن تخبري ماثيو بكلمة واحدة حول هذا الموضوع، نه إذا علم أنهما قادمان، فسيختلق عذرًا ليتغيب عن البيت في ذلك اليوم. لقد اعتاد السيد بنتلي كثيرًا لدرجة أن وجوده لم يكن يضايقه، لكنه سيجد صعوبة في التعرف على قس جديد، وستخيفه زوجة القس الجديد حتى الموت.
- سأحفظ السر كالموتى (**أكدت آن**). لكن أوه، أتسمحين لي بإعداد كعكة عندما تحين المناسبة؟ أود أن أصنع شيئًا بنفسي للسيدة آ ن، وأنتِ تعلمين أنني أصبحت أجيد صنع الكعك ا ن.
- يمكنك صنع كعكة الطبقات (**وعدتها ماريلا**).

استمرت ا ستعدادات العظيمة على مدار يومي ا ثنين والث ثاء في المرتفعات الخضراء. كانت دعوة القس وزوجته إلى العشاء مسؤولية جديَّة ومهمة، وكانت ماريلا عازمة على أ تهزمها أي ربة بيت أخرى في أفونليا. شعرت آن بالبهجة وا ثارة الجامحة، فقد أسهبت ليلة الث ثاء في الحديث عن تلك المناسبة مع ديانا، بينما كانتا تجلسان ساعة الشفق على الحجارة الحمراء الكبيرة عند نبع فقاعة الحورية، تصنعان أقواس قزح في الماء بواسطة أغصان أشجار صغيرة مغموسة في بلسم شجر التنوب.

- أصبح كل شيء جاهزًا يا ديانا، باستثناء كعكتي التي سأصنعها في الصباح، والبسكويت المخبوز الذي ستصنعه ماريلا قبل وقت تناول الشاي مباشرة. أؤكد لك يا ديانا أنني وماريلا قضينا يومين حافلين بالعمل، فدعوة القس وأسرته إلى العشاء مسؤولية كبيرة حقًّا، لم يسبق لي وأن مررت بمثل هذه التجربة. عليك فقط رؤية مخزن المؤن لدينا، يا له من مشهد يستحق المشاهدة! سنأكل الدجاج الهـ مي، وا لسنة الباردة، وسنقدم نوعين من الصلصة الهـ مية: الحمراء والصفراء، والقشدة المخفوقة، وفطيرة الليمون، وفطيرة الكرز، وث ثة أنواع من الرقائق، وكعكة الفاكهة، ومربى ماريلا الشهيرة من الخوخ ا صفر، التي تحفظها خصيصًا للقساوسة، وكعكة الباوند، وكعكة الطبقات، والبسكويت المخبوز كما سبق أن ذكرت، وخبزًا طازجًا وخبزًا بائتًا في حال كان القس يعاني عسر الهضم و يستطيع تناول الخبز الطازج. تقول السيدة ليند إن القساوسة يعانون عسر الهضم، لكني أعتقد أن السيد آ ن قد مضى عليه وقت طويل مع القساوسة ليكون مصابًا بأي علة. أشعر با حباط كلما أفكر بكعكتي

التي سأخبزها. أوه يا ديانا، ماذا لو لم تنجح؟! لقد حلمت ليلة أمس أني كنت مطارَدة من جميع ا تجاهات بعفريت مخيف له رأس على شكل كعكة طبقات كبيرة.

- سيكون كل شيء على ما يرام (**أكدت لها ديانا التي كانت من ا صدقاء المريحين للغاية**). ثقي أن الكعكة التي خبزتِها منذ أسبوعين لنأكلها على الغداء في فردوس ا ح م، كانت لذيذة جدًّا.
- نعم، ولكن للكعك عادة سيئة جدًّا، فهو غالبًا ما يخذلك عندما تتحرقين شوقًا لنجاحه (**تنهدت آن وهي تلقي في الماء غصنًا غمسته جيدًا بالبلسم**)، ومع ذلك، أفترض أنه سيكون عليَّ أن أثق في العناية ا لهية وأن أكون حريصة على وضع الطحين. أوه، انظري يا ديانا، يا له من قوس قزح جميل! هل تظنين أن الحورية ستظهر بعد مغادرتنا، وتلتقطه لتتخذه وشاحًا؟
- تعلمين أنه يوجد شيء اسمه حوريات (**أجابت ديانا**).

كانت والدة ديانا قد اكتشفت أمر الغابة المسكونة وغضبت منها بالتأكيد، ونتيجة لذلك امتنعت ديانا عن مجاراة آن في خيا تها الجامحة، ولم تعد ترى أنه من الحصافة تعزيز اقتناعها حتى بوجود حورية مسالمة.

- لكن من السهل جدًّا تخيل وجودها (**قالت آن**). كل ليلة وقبل أن أذهب إلى الفراش، كنت أنظر من نافذتي وأتساءل عما إذا كانت الحورية تجلس هنا حقًّا، وهي تمشط خصـ ت شعرها متخِذَة من النبع مرآة لها. وأحيانًا أبحث عن آثار أقدامها في ندى الصباح. أوه يا ديانا، تفقدي إيمانك بالحورية!

أخيرًا أطلَّ صباح ا ربعاء، الذي نهضت فيه آن مع شروق الشمس ن حماسها كان شديدًا لدرجة أنه طغى على النوم. عانت في ذلك الصباح نزلة برد حادة بسبب عبثها بالماء عند النبع في ا مسية السابقة، لكنها عدَّت الزكام البادي عليها عرضًا تافهًا، وما كان بمقدور أي شيء أقل خطورة من ا لتهاب الرئوي المزمن أن يخمد اهتمامها في صنع كعكتها ذلك اليوم. وهكذا، شرعت آن في صنع كعكتها بعد ا فطار، وما إن أغلقت باب الفرن عليها حتى تنفست الصعداء.

- أنا متأكدة من أنني لم أنسَ أي شيء هذه المرة يا ماريـ . لكن هل تعتقدين أنها ستنتفخ؟ ماذا لو كانت الخميرة التي استخدمتها غير صالحة؟ لقد كانت من العلبة الجديدة، وتقول السيدة ليند إنه يمكنك أبدًا التأكد من الحصول على خميرة صالحة في الوقت الحاضر الذي أصبح كل شيء فيه مغشوشًا، وإنه ينبغي على الحكومة أن

تتولى ا مر، لكنها تظن أننا لن نرى اليوم الذي ستفعل فيه حكومة المحافظين ذلك.
ماريـ ، ماذا لو لم تنتفخ الكعكة؟

- لدينا الكثير من الطعام (**كانت تلك طريقة ماريـ غير العاطفية في النظر إلى الموضوع**).

ومع ذلك، انتفخت الكعكة وخرجت من الفرن خفيفة وهشة كالرغوة الذهبية. غمرت البهجة آن، وصفقت طبقاتها بعد أن قامت بحشوها بالهـ م ا حمر. وفي خيالها، ارتأت السيدة آ ن وهي تأكل قطعة منها، وربما تطلب قطعة أخرى!

- بالطبع ستستخدمين أفضل طقم شاي عندك يا ماريـ (**قالت**). هل يمكنني تزيين المائدة بأوراق السراخس والورود البرية؟
- أعتقد أن هذا كله هراء (**زفرت ماريـ**). في رأيي إن الطعام هو المهم وليس التزيين وما شابه.
- لقد قامت السيدة باري بتزيين طاولتها (**قالت آن التي لم تكن بريئة تمامًا من فطنة ا فعى**)، ووجَّه لها القس مجاملة أنيقة، وقال إنها كانت وليمة للفم وكذلك للعين.
- حسنًا، افعلي ما يحلو لك (**قالت ماريـ ، التي كانت مصممة تمامًا على أ تتفوق عليها السيدة باري أو أي ربة منزل أخرى**). فقط اهتمي بترك مساحة كافية لـ طباق والطعام.

انهمكت آن في عملية التزيين بطريقة بارعة، حتى فاقت ما كانت قد قامت به السيدة باري من جهود، بوجود وفرة من الورود والسراخس وذوقًا فنيًّا خاصًا بها، فقد جعلت من طاولة الطعام تلك مشهدًا يسر العين لدرجة أنه عندما جلس إليها القس وزوجته هتفا معربَين عن جمالها.

- إنها من عمل آن (**قالت ماريـ الصارمة حتى في تحقيق العدالة، وشعرت آن أن ابتسامة استحسان السيدة آ ن كانت أكثر مما يستحقه هذا العالم**).

كان ماثيو هناك أيضًا. وبطريقة يعرفها أحد إ السماء وآن، أُغوي على حضور تلك المأدبة. لقد تسببت تلك الدعوة في حالة من الخجل والعصبية لماثيو لدرجة أن ماريـ استسلمت وتركته وشأنه، لكن آن نجحت في التعامل معه، بحيث جلس هو أيضًا إلى المائدة، متأنقًا بياقته البيضاء، ومرتديًا أفضل م بسه. بل إنه تحدث مع القس باهتمام، وعلى الرغم من أنه لم يوجِّه كلمة واحدة إلى السيدة آ ن، فإن ذلك كان متوقَّعًا منه في جميع ا حوال.

تتابع كل شيء بس سة، كأنه جرس عرس من ا عراس، إلى أن جاءت كعكة الطبقات التي صنعتها آن، ورفضت السيدة آ ن تناول شيء منها، بعد أن أتخمت بالكثير من ا صناف المقدَّمة. غير أن ماريـ التي حظت ء مات الخيبة على وجه آن، قالت مبتسمة:

- أوه، يجب أن تأخذي قطعة منها يا سيدة آ ن؛ لقد صنعتها آن خصيصًا من أجلك.
- في هذه الحالة يجب أن أتذوق عينة منها (**قالت السيدة آ ن ضاحكة وهي تقطع لنفسها مثلثًا، وكذلك فعل القس ومارير**).

ما كادت السيدة آ ن تتناول لقمة من قطعتها حتى اجتاح وجهها أغرب تعبير يمكن أن تراه العين، لكنها لم تتفوه بكلمة واحدة، وابتلعتها فورًا، وما إن رأت مارير ذلك التعبير العجيب حتى قامت بتذوق الكعكة حالًا.

- آن شيرلي! (**صاحت**)، ماذا وضعتِ في تلك الكعكة بحق السماء؟!
- شيء غير ما هو وارد في الوصفة يا مارير (**أجابت آن وقد بدأت م مح الكرب تعتلي محياها**). أوه، أليست طيبة المذاق؟
- طيبة المذاق! إنها بكل بساطة رهيبة. أرجوك يا سيد آ ن تحاول تذوقها. تعالي يا آن وتذوقيها بنفسك، ما النكهة التي استخدمتِها؟
- الفانيليا (**أجابت آن التي اصطبغ وجهها بلون الخزي القرمزي بعد أن تذوقت الكعكة**). فقط الفانيليا. أوه يا مارير ، بد أنها كانت الخميرة. كانت لدي شكوكي فيما يتعلق بالخم...
- خميرة.. هراء! اذهبي وأحضري لي زجاجة الفانيليا التي استخدمتِها.

هرعت آن إلى مخزن المؤن وعادت بزجاجة صغيرة مملوءة جزئيًّا بسائل بني ومكتوب عليها باللون ا صفر: أفضل فانيليا.

أخذتها مارير ، فتحت غطاءها، وشمتها.

- يا رحمة السماء. آن، لقد نكهت كعكتك بعقار تسكين ا م، ويبدو لي أني مسؤولة جزئيًّا عن هذا الخطأ. فقد انكسرت زجاجة العقار ا سبوع الماضي، واضطررت إلى سكب ما تبقى منها في زجاجة فانيليا فارغة. ولكن بالله عليكِ يا آن ألم تشميها؟

غرقت آن في الدموع تحت وطأة هذا الخزي المزدوج.

- لم أستطع شم ما في الزجاجة، فأنا مصابة بالزكام! (**وبهذا طارت على الفور إلى الغرفة الشرقية، حيث ألقت بنفسها على السرير وأطلقت العنان لبكاء شخص يرفض أن يهدئ من روعه أحدٌ**).

وبعد قليل، تناهى إلى سمعها وقع خطى خفيفة على الدرج ودخل شخص ما الغرفة.

- أوه يا مارير (**نشجت آن بدون أن ترفع رأسها**). لحقني العار إلى ا بد، ولن أكون قادرة أبدًا على متابعة حياتي بعد ما حدث. ستنتشر الحكاية، فجميع ا خبار تنتشر بسرعة في أفونليا. ستسألني ديانا كيف كانت كعكتي، وعليَّ أن أخبرها بالحقيقة، وسيشار إليَّ

دومًا بأني الفتاة التي نكَّهت الكعكة بعقار تسكين ا وجاع. جيد.. الصبية في المدرسة لن يتوانوا عن السخرية مني. أوه يا ماريـ ، إذا كانت لديك ذرة رحمة ف تطلبي مني النزول ا ن لغسل ا طباق. سأقوم بذلك بعد مغادرة القس وزوجته، فأنا لن أتمكن من النظر في وجه السيدة آ ن مرة أخرى، ربما تظن أنني حاولت تسميمها، تقول السيدة ليند إنها تعرف فتاة يتيمة حاولت تسميم ولي نعمتها. لكن عقار تسكين ا م ليس سامًّا، فهو مصنوع ليؤخذ عن طريق الفم مباشرة وليس من خ ل الكعك، أيمكنك إخبار السيدة آ ن بهذا يا ماريـ ؟

- ماذا لو قفزتِ من مكانك وأخبرتِها أنت بنفسك (**قال صوت مرِح**).

قفزت آن من مكانها لتجد السيدة آ ن واقفة بجانب سريرها، تستطلعها بعينين ضاحكتين.

- يا بنتي العزيزة الصغيرة، يجدر بكِ البكاء هكذا (**قالت وقد انزعجت حقًّا من وجه آن المأساوي**). ولم كل هذا ا نفعال؟ إنه مجرد خطأ مضحك قد يرتكبه أي شخص.
- أوه، ، يستلزمني الكثير رتكاب مثل هذا الخطأ (**قالت آن بائسة**). وأردت أن تكون هذه الكعكة متقنة جدًّا من أجلك يا سيدة آ ن.
- نعم عزيزتي، أعرف ذلك. وأؤكد لك أنني أقدِّر لطفك واهتمامك تمامًا كما لو أن تلك الكعكة كانت جيدة. وا ن، هيا جففي دموعك، وتعالي معي وأريني حديقة أزهارك. أخبرتني ا نسة كوثبرت بأن لديك قطعة أرض صغيرة خاصة بك، وأريد أن أراها، نني مهتمة جدًّا بالزهور.

سمحت آن لنفسها بأن تنقاد إلى أسفل وتقبل العزاء، مما يعكس أنه من العناية ا لهية حقًّا أن تكون روح السيدة آ ن توأمًا لروحها. ومنذ تلك اللحظة، لم يذكر أحد أي شيء عن كعكة العقار، وعندما غادر الضيوف وجدت آن أنها استمتعت با مسية أكثر مما كانت تتوقع، مع أخذ هذا الحادث المروِّع في الحسبان. ومع ذلك، تنهدت بعمق.

- ماريـ ، أليس من الجيد ا عتقاد بأن الغد هو يوم جديد بدون أخطاء فيه؟
- أنا أضمن لكِ ارتكابك للكثير منها (**قالت ماريـ**). لم أرَ في حياتي من يضاهيك في ارتكاب ا خطاء يا آن.
- نعم، وأنا أعلم ذلك جيدًا (**اعترفت آن بحزن**)، لكن ألم تـ حظي شيئًا واحدًا مشجِّعًا عني يا ماريـ ؟ أنا أرتكب الخطأ نفسه مرتين.
- أعلم إذا كان لهذا أي فائدة ما دمتِ تقومين بارتكاب أخطاء جديدة.

- أوه، أ ترين وجهة نظري يا ماريـ ؟ يجب أن يكون هناك حدٌّ لـ خطاء التي يمكن أن يرتكبها شخص ما، وعندما أصل إلى هذه الحدود أكون قد تجاوزت جميع ا خطاء، وهذه فكرة مريحة جدًّا.
- حسنًا، من ا فضل أن تذهبي وتعطي تلك الكعكة للخنازير (**قالت ماريـ**). إنها تصلح ي مخلوق بشري، و حتى للصبي جيري بوت.

يُقصد: دَبُورَة، وهي إحدى النبيات والقاضيات والحاكمات والشاعرات التي تكلم عنها الكتاب المقدس في العهد القديم في سفر القضاة ذكر أنها زوجة فيدوت، وأنها أمرت باراق قائد جيش إسرائيل لمحاربة سيسرا ملك كنعان، اشتهرت أيضًا بترنيمتها له إسرائيل بعد انتصارها على سيسرا: «**إِلَى أَنْ قُمْتِ يَا دَبُورَةُ.. قُمْتِ كَأُمٍّ فِي إِسْرَائِيلَ**» والتي منها اقتبست الكاتبة عبارتها.

سرد الفصل السادس من سفر دانيال؛ من أسفار الكتاب المقدس.

(22)
دعوة آن إلى تناول الشاي

- ما الذي يجعل عينيك جاحظة هكذا وكأنها على وشك ا نفصال من رأسك؟ (**سألت ماري آن ما إن رأتها تدخل البيت بعد عودتها من مكتب البريد**) هل عثرتِ على روح جديدة توأمًا لروحك؟

كان الحماس يجلل آن كالرداء، وينبثق مشعًّا من عينيها، ويضطرم في كل قسمة من قسماتها. عادت راقصة على طول الدرب وكأنها جنية صغيرة في مهب الريح، على الرغم من أشعة الشمس الدافئة، والظ ل الكسول لهذه ا مسية من شهر آب.

- ليس ا مر كذلك يا ماري ، لكن أوه.. ما الذي يمكن أن يخطر ببالك؟ لقد تمت دعوتي لتناول الشاي في منزل القس مساء الغد! السيدة آ ن تركت الدعوة لي في مكتب البريد. فقط تأمليها يا ماري . «**ا نسة آن شيرلي، المرتفعات الخضراء**»، هذه هي المرة ا ولى التي أُدعى فيها آنسة، يا لها من رعشة تلك التي سببتها لي! سأظل محتفظة بهذه الدعوة إلى ا بد وسأعدُّها من أغلى كنوزي.
- أخبرتني السيدة آ ن أنها ستدعو جميع تـ ميذ صفها في مدرسة ا حد تباعًا إلى تناول الشاي (**قالت ماري ، مستقبلة هذا الحدث العظيم ببرود شديد**)؛ داعي لكل هذا الحماس، تعلَّمي أن تتعاملي مع ا حداث بهدوء يا صغيرتي.

كان التعامل مع ا حداث بهدوء يعني بكل بساطة تغيير طبيعة آن الفطرية. تلك الطبيعة التي جُبلت على «**الحيوية، وا شتعال، والنداوة**»[57] وتجعلها تضاعف جميع مسرات وآ م الحياة إلى ثـ ثة أضعاف. ماري تعرف هذه الحقيقة، وقلبها ينقبض بقلق غامض على آن، دراكها أن تقلبات هذا الكون ستكون صعبة التحمل على روح بمثل هذا ا ندفاع. لكنها لم تكن تعي أنَّ قدرة آن على ا بتهاج با مور قد تعادل وتعوِّض صعوبة تحملها، لذا كان الواجب يستدعي ماري للتدخل ومحاولة تمرين عريكة آن على ا تساق الهادئ، على الرغم من أن تلك المحاولة مستحيلة وتعَد دخيلة على طبيعة آن الفطرية، كما قد تكون مستحيلة ودخيلة على شعاع شمس راقص فوق جدول ضحل. لم تحرز ماري تقدمًا كبيرًا، كما اعترفت لنفسها بأسى، فقد ظلَّ فشل واحد من ا مال الغالية أو المخططات يُغرِق آن في

أعماق العذاب. كما استمر تحقق أحد ا مال أو المخططات يسمو بها إلى عوالم البهجة. وكانت ماريـ على وشك اليأس من تشكيل تلك الشريدة الصغيرة وفق نموذجها الخاص عن الطفلة المثالية ذات الطباع الرزينة والسلوك العق ني، وفي نفس الوقت لم تكن تعتقد أنها ستحب آن أكثر مما تحبها لو أنها كانت تلك الطفلة المثالية.

أوت آن إلى فراشها في تلك الليلة بشقاء صامت، ن ماثيو قال إن هبوب الريح من ناحية الشمال الشرقي قد يتسبب في هطول ا مطار غدًا. أقلقها صوت حفيف أوراق شجر الحور حول المنزل، وتناهى إلى سمعها وكأنه وقع طقطقة قطرات المطر. أما هدير الخليج الرتيب البعيد، الذي كانت تنصت إليه بجذل في أوقات أخرى، متيَّمة بإيقاعه الغريب المؤرق، فقد بدا تلك الليلة وكأنه نذير عاصفة ونبوءة شؤم بالنسبة إلى عانس أرادت الحصول على غد مشرق. وهكذا شعرت آن أن الصباح لن يطل أبدًا.

لكن كل ا شياء لها نهاية، حتى الليالي التي تسبق يوم الدعوة إلى تناول الشاي في منزل القس. كان الصباح، على الرغم من تنبؤات ماثيو، على ما يرام وارتفعت معنويات آن إلى أعلى مستوياتها.

- أوه يا ماريـ ، هناك شيء بداخلي اليوم يجعلني أحب كل من أراه (**هتفت آن وهي تغسل أطباق ا فطار**). أنت تعرفين كم أشعر بالرضا! ألن يكون جميلًا إذا استمر هذا الشعور؟ أعتقد أنني يمكن أن أكون طفلة مثالية إذا دُعيت لتناول الشاي كل يوم. لكن أوه يا ماريـ ، فهذه ليست مجرد دعوة، بل هي مناسبة رسمية أيضًا، وهذا يجعلني قلقة جدًّا. ماذا لو لم أحسن التصرف؟ فلم يسبق لي أن دُعيت لتناول الشاي في منزل قس، ولست متأكدة من أني على دراية كاملة بآداب السلوك، على الرغم من أني داومت على دراسة القواعد التي تُنشر في قسم آداب السلوك من مجلة ذا فاميلي هيرالد[58] منذ أن جئت إلى هنا. أخشى أن أرتكب حماقة ما، أو أنسى شيئًا يجب عليَّ فعله. هل من الـ ئق أن تتناولي قطعة ثانية من أي صنف من أصناف المأكو ت المقدمة لكِ إذا أحببتها كثيرًا؟
- مشكلتك يا آن أنك تجعلين تفكيرك يتمحور حول نفسك كثيرًا، يجب أن تفكري فقط في السيدة آ ن وما سيكون مناسبًا ومقبولًا بالنسبة لها (**أجابت ماريـ التي استطاعت ول مرة في حياتها إسداء نصيحة سليمة وجوهرية، وهذا ما أدركته آن في الحال**).
- أنتِ محقة يا ماريـ . سأحاول أ أجعل تفكيري ينصب على نفسي بعد ا ن.

كان من الواضح أنَّ آن تمكنت من قضاء زيارتها بدون أي انتهاك خطير داب السلوك، فقد عادت إلى البيت مع حلول الغسق تحت السماء العالية العظيمة والتي نالت مجدها بآثار غيوم زعفرانية ووردية، وهي في حالة تطويب ذهنية. وشرعت تروي لماريـ تفاصيل زيارتها بسعادة، بينما افترشت العتبة الحجرية الحمراء عند باب المطبخ، وتوسد رأسها الصغير المرهق حضن ماريـ الجبهامي[59].

هبت ريح باردة فوق حقول المحاصيل من فوق حافات الت ل الغربية التنوبية، وصفرت بين شجر الحور، بينما أطلت نجمة واحدة صافية على البستان، بينما ترفرف اليراعات[60] فوق درب العشاق متغلغلة بين السراخس، حينًا بينها وحينًا خارجها وحينًا آخر بين خشخشة ا غصان. أخذت آن تراقب هذا المشهد وهي تتحدث إلى ماريـ ، وشعرت بطريقة ما أن الريح والنجوم واليراعات قد تشابكت فيما بينها بطريقة ما، مُكوِّنة شيئًا فاتنًا وساحرًا بطريقة توصَف.

- أوه يا ماريـ ، لقد قضيت وقتًا من أروع ا وقات، وأشعر ا ن أني لم أعِش حياتي عبثًا، وسأظل أشعر بذلك دائمًا حتى لو لم أُدعَ لتناول الشاي في منزل قس مرة أخرى. عندما وصلت هناك، استقبلتني السيدة آ ن مرحِّبة بي عند الباب، وهي ترتدي أجمل فستان من ا ورجاندي[61] الوردي الفاتح، مع الكثير من الكشاكش وا كمام التي تصل إلى المرفقين، بدت كالم ك تمامًا. أعتقد حقًّا أنني أود أن أكون زوجة قس عندما أكبر يا ماريـ ، قد يهتم القس كثيرًا بشعري ا حمر نه لن يفكر في مثل هذه ا مور الدنيوية. ولكني في هذه الحالة يجب أن أكون صالحة، وأنا لن أكون كذلك قط، ويبدو أنه فائدة من تفكيري بهذا ا مر. إن بعض الناس ـ كما تعلمينـ صالحون بالفطرة، والبعض ا خر ليس كذلك. وأنا واحدة من البعض ا خر. تقول السيدة ليند إن فطرتي مشبَّعة بالخطيئة، ومهما كانت محاو تي كون صالحة فلن أتمكن أبدًا من تحقيق النجاح في ذلك مقارنة بأولئك الذين يتمتعون بفطرة طيبة. وأظن أن ا مر يشبه إلى حد ما مشكلتي مع الهندسة. لكن أ تعتقدين أن المحاولة الجادة يجب أن تثمِر عن شيء ما؟ السيدة آ ن هي واحدة من ا شخاص الطيبين بفطرتهم وأنا شغوفة حقًّا بحبها، فهناك بعض ا شخاص مثل ماثيو والسيدة آ ن يمكنك أن تحبيهم من الوهلة ا ولى وبدون أي عناء. وهناك آخرون، مثل السيدة ليند، عليكِ أن تحاولي جاهدة أن تحبيهم، فأنت تعرفين أنه يسعك إ أن تحبيهم، نهم يعرفون الكثير وهم أعضاء فعالون في الكنيسة، لكن عليك أن تستمري في تذكير

نفسك بذلك طوال الوقت وإ ستكونين عرضة للنسيان. كانت هناك فتاة صغيرة أخرى من مدرسة ا حد في وايت ساندس مدعوَّة لتناول الشاي في منزل القس، وهي فتاة لطيفة للغاية، تُدعى لوريتا برادلي. ليست توأمًا لروحي ـكما تعلمينـ لكنها لطيفة في النهاية. تناولنا شايًا لذيذًا، وأعتقد أنني طبَّقت جميع قواعد آداب السلوك بشكل جيد. وبعد تناول الشاي عزفت السيدة آ ن وغنت وجعلتنا نغني أنا ولوريتا أيضًا. تقول السيدة آ ن إن لدي صوتًا رخيمًا ويجب فيما بعد أن أغني في جوقة مدرسة ا حد. يمكنك تصور الحماس الذي انتابني من مجرد التفكير بهذا. لقد كنت أتوق إلى الغناء في جوقة مدرسة ا حد، كما تفعل ديانا، لكني كنت أخشى أن يكون ذلك شرفًا يمكنني الطموح إلى نيله أبدًا. اضطرت لوريتا إلى المغادرة في وقت مبكر ن هناك حفلًا موسيقيًّا كبيرًا في فندق وايت ساندس الليلة وستقوم شقيقتها بالمشاركة فيه. تقول لوريتا إن ا مريكيين في الفندق يعقدون حفلًا موسيقيًّا كل أسبوعين ويخصصون أرباحه للتبرع لمستشفى شارلوت تاون، ويقومون بدعوة الكثير من سكان وايت ساندس للمشاركة فيه. وتقول لوريتا إنها تتوقع أن تُدعى للمشاركة هي أيضًا في يوم ما. واكتفيت يا ماري بالتحديق إليها مشدوهة. بعد رحيلها، تحدثت أنا والسيدة آ ن حديثًا من القلب إلى القلب. لقد أخبرتها بكل شيء؛ عن السيدة توماس والتوائم، وعن كاتي موريس وفيوليتا، وعن المجيء إلى المرتفعات الخضراء، وعن مشكـ تي بشأن الهندسة. وهل تصدقين ذلك يا ماري ؟ أخبرتني السيدة آ ن أنها كانت بليدة في الهندسة أيضًا، و يمكنك تصور كم شجعني هذا. أتت السيدة ليند إلى منزل القس قبل مغادرتي مباشرة، وما رأيك يا ماري في هذا الخبر؟ لقد قام ا وصياء على المدرسة بتسليم مهمة التدريس إلى امرأة وقاموا بتعيين معلمة جديدة، تُدعى ا نسة موريل ستايسي. أليس هذا ا سم اسمًا شاعريًّا؟ تقول السيدة ليند إنه لم يسبق أن كان في أفونليا معلمة من قبل، وتُعِد هذا التجديد تجديدًا خطيرًا. لكني أعتقد أنه من الرائع الحصول على معلمة، و أعرف كيف سأتمكن من تمضية هذين ا سبوعين بانتظار أن تفتح المدرسة أبوابها، فأنا أتحرق شوقًا إلى رؤيتها.

التعبير مستوحى من قصيدة: Evelyn Hope للشاعر ا نجليزي روبرت براوننج، نشرت عام ١٨٥٥. «**The good stars met in your horoscope ,Made you of spirit and fire and dew.**»

The Family Herald: مجلة محلية للمعلومات المفيدة والمسلية أصدرها جورج بيجز (١٨٤٣–١٩٤٠).

الجبهام: نسيج قطني ناعم يتميز بنقوش مخططة أو مربعة.

اليَرَاعَة أو الخنافس المضيئة أو الحُبَاحِب: حشرة تنتمي إلى أسرة الخنافس غمدية ا جنحة، تتنشر في الغابات وتتميز بظاهرة ا ضاءة الباردة.

نسيج قطني رقيق وشفاف.

(23)
تورط آن في مسألة شرف

اضطرت آن إلى احتمال الحياة كثر من أسبوعين قبل رؤية المعلمة الجديدة، نتيجة ما تتابع من أحداث، فبعد مرور شهر تقريبًا على حادثة كعكة العقار المسكِّن ل م، كان الوقت قد حان لتورِّط نفسها في مشكلة جديدة من أي نوع. أخطاء صغيرة، مثل إفراغ وعاء من الحليب خالي الدسم داخل سلة من كرات خيوط الغزل في مخزن المؤن بدلًا من إفراغه في دلو الخنازير. أو مثل استغراقها في حلم من أح مها الخيالية أثناء تجاوزها لجسر جذع الشجرة، ومشيها على حافته، ثم سقوطها في الجدول مباشرة. لكن كل هذه ا خطاء البسيطة لم تكن جديرة بالحسبان.

بعد مرور أسبوع من دعوة آن لتناول الشاي في منزل القس، أقامت ديانا باري حفلة.

- متواضعة ومنتقاة (**أكدت آن لماريلا**). فقط فتيات صفنا.

لقد قضين وقتًا ممتعًا للغاية، ولم يحدث أي شيء غير مرغوب فيه إ بعد تناول الشاي. عندما وجدن أنفسهن في حديقة آل باري، وكن قد سئمن قليلًا من جميع ألعابهن المعتادة، وأصبحن جاهزات لتقبل أي عرض تسلية مغرٍ يمكن أن يثيرهن، فظهرت هذه ا ثارة في لعبة التحدي.

كان التحدي هو التسلية العصرية المنتشرة بين أطفال أفونليا في ذلك الوقت. لقد بدأ ا مر بين الصبية، لكنه سرعان ما امتد إلى الفتيات، وكان يمكن تأليف كتاب كامل عن جميع ا فعال السخيفة التي جرت في أفونليا في ذلك الصيف، نتيجة اضطرار الذين تعرضوا للتحدي إلى القيام بها.

في البداية، قامت كاري سلون بتحدي روبي جيليس لتتسلق إلى نقطة معينة من شجرة الصفصاف العتيقة الضخمة التي أمام الباب الرئيسي للبيت، وعلى الرغم من خوفها المميت من اليسروع ا خضر[62] الذي كانت الشجرة موبوءة به، ومن خوفها الواضح من أمِّها إذا حدث وتمزق فستانها الجديد من الموسلين، تسلقت تلك الشجرة برشاقة، منتصرة على كاري سلون التي تحدتها. ثم قامت جوزي باي بتحدي جين أندروز في أن تقفز على ساقها اليسرى حول الحديقة دون أن تتوقف مرة واحدة، أو تلمس ساقها اليمنى ا رض. وهو ما حاولت

جين أندروز القيام به بشجاعة، لكنها استسلمت عند الزاوية الثالثة واضطرت إلى ا عتراف بالهزيمة. كان التشفي الذي أظهرته جوزي بعد انتصارها أكثر مما يحتمله الذوق، لذلك قامت آن شيرلي بتحديها في السير على طول الجزء العلوي من السياج الخشبي الذي يحد الحديقة من ناحية الشرق. ومن الجدير بالذكر أن السير على ا سوار يتطلب مزيداً من المهارة والثبات في الرأس والقدم مما قد يُخيَّل للمرء الذي لم يسبق له القيام بمثل هذه التجربة. لكن جوزي باي التي لم تكن تتحلى بصفات محبَّبة تجعلها صاحبة شعبية بين قريناتها، كانت تتميز بموهبة فطرية فيما يتعلق بالمشي على ا سيجة. وُلدت هذه الموهبة معها، ودأبت صاحبتها على تطويرها كما ينبغي. وهكذا اعتلت جوزي سياج آل باري وسارت عليه بتعالٍ وعدم اكتراث، يوحي أن ما قامت به كان عملًا سخيفًا يستحق التحدي. فاضطرت الفتيات مكرَهات إلى تقديم ا طراء على عملها البطولي، ن معظمهن كثيرًا ما سبق لهن أن عانين بسبب محاو ت مماثلة فاشلة. وما إن ترجلت جوزي من على ساريتها، متوهجة بالنصر، حتى رشقت آن بنظرة متحدية.

نفضت آن ضفائرها الحمراء.

- أعد السير على سياج منخفض ا رتفاع انتصارًا عظيمًا حقًّا (**قالت آن**). أعرف فتاة في ماريسفيل تستطيع السير على العوارض الخشبية سطح المنازل.
- أصدق ذلك (**قالت جوزي بشكل قاطع**). أصدق أن أحدًا يمكنه السير على عارضة سطح منزل. على كل حال أنت تقدرين على ذلك.
- هه، أقدر؟ (**صاحت آن بتهور**).
- إذن أنا أتحداكِ أن تفعلي ذلك (**قالت جوزي باي بجراءة**). أتحداك أن تتسلقي إلى سطح مطبخ آل باري، وأن تسيري على عارضته.

شحبت آن، ولكن من الواضح أنه كان هناك شيء واحد يمكنها القيام به. سارت نحو المنزل، حيث كان يوجد سلم يستند إلى جدار المطبخ. وهتفت جميع فتيات الصف الخامس «**أوه!**» بصوت واحد اختلطت فيه ا ثارة بالرعب.

- تقومي بذلك يا آن (**توسلت إليها ديانا**). سينتهي بك ا مر إلى السقوط والموت، تكترثي بما تقوله جوزي باي، فليس من العدل تحدي أي شخص في القيام بعمل بالغ الخطورة.
- يجب أن أفعلها، شرفي على المِحَكِّ (**قالت آن بجدية**). سأسير على تلك العارضة يا ديانا، أو أهلك أثناء محاولتي، وإذا متُّ فأنا أهبك خاتمي اللؤلؤي.

صعدت آن السلم وسط صمت هث، وارتقت العارضة ا فقية، ثم وازنت نفسها باستقامة على تلك ا رضية غير الثابتة، وبدأت تسير على طوله. شعرت بالدوار، وأدركت أنها على ارتفاع غير مريح من ا رض، وأن السير على العوارض لم يكن بالشيء الذي يساعدك فيه خيالك كثيرًا. ومع ذلك تمكنت من اتخاذ عدة خطوات قبل وقوع الكارثة. ثم ترنحت، فقدت توازنها، تعثرت، تهادت، فسقطت منزلقة على السطح الذي سخَّنته أشعة الشمس، وتهاوت من عليه مصطدمة بعرائش متسلقات مخالب القط[63] جرت هذه الوقائع كلها قبل أن تطلق الحلقة الفزعة التي كانت تراقبها صرخة مرعبة ومتزامنة.

لو قُدِّر ن أن تسقط من الجهة التي صعدت منها، صبحت ديانا منذ تلك اللحظة وإلى ا بد وريثة شرعية لخاتم آن اللؤلؤي، ولكن لحسن الحظ أنها سقطت من الجهة ا خرى، حيث امتد السقف سفل فوق الشرفة حتى وصل قريبًا إلى ا رض، بحيث كان السقوط منه حتمًا أقل خطورة. كانت آن منطرحة على ا رض فوق أكوام العرائش المتكسرة هامدة وشاحبة عندما هرعت ديانا والفتيات ا خريات بشكل محموم نحوها باستثناء روبي جيليس، التي بقيت كما لو أنها قد تسمرت في ا رض ودخلت في حالة هستيرية من البكاء.

- آن، هل أنت ميتة؟ (**صرخت ديانا، وهي ترمي نفسها على ركبتيها بجانب صديقتها**) أوه يا آن، يا عزيزتي آن، قولي لي كلمة واحدة فقط وأخبريني إذا كنت قد متِّ.

يمكن وصف شعور ا رتياح الهائل الذي غمر جميع الفتيات، وبخاصة جوزي باي، التي على الرغم من افتقارها إلى الخيال، فقد استحوذت عليها رؤى مروعة لمستقبل يتم معايرتها فيه بالفتاة التي تسببت في مقتل آن شيرلي المأساوي وهي في ريعان صباها، وذلك عندما جلست آن نصف واعية وأجابت ديانا مترددة:

- يا ديانا، أنا لست ميتة، لكني أعتقد أني فقدت الوعي.
- أين؟ (**سألتها كاري سلون باكية**) أوه، أين يا آن؟

وقبل أن تتمكن آن من ا جابة، ظهرت السيدة باري في مكان الحادث، وما إن رأتها آن حتى حاولت النهوض على قدميها، لكنها سرعان ما سقطت مرة أخرى وهي تطلق صرخة حادة صغيرة من ا لم.

- ماذا حدث؟ أين جرحتِ نفسك؟ (**سألتها السيدة باري**).
- كاحلي (**شهقت آن**). أوه يا ديانا، من فضلك ابحثي عن والدك واطلبي منه أن يأخذني إلى البيت، أعرف أني لن أتمكن من المشي. وأنا متأكدة من أنني لن أستطيع الحجل على طول الطريق، في حين لم تتمكن جين من القفز على ساق واحدة حول الحديقة.

كانت ماريـ تقف بالخارج في البستان، وتقطف تفاحًا صيفيًّا بقدر سعة السلة التي تحملها، عندما رأت السيد باري قادمًا من فوق جسر جذع الشجرة وصاعدًا باتجاه المنحدر، والسيدة باري بجواره، وموكب كامل من الفتيات الصغيرات يتبعهم، حاملًا آن بين ذراعيه، والتي كان رأسها مرتخيًا على كتفه.

في تلك اللحظة كان لدى ماريـ ما تبوح به بشأن طعنة الخوف المفاجئة التي اخترقت قلبها، والتي من خ لها تيقنت ماذا تعني آن لها. كانت ستعترف ليس فقط بأنها تحب آن، بل بأنها كانت مغرمة جدًّا بآن. لكنها عرفت ا ن وهي تسرع بجنون نحو المنحدر أنَّ آن كانت أغلى على قلبها من أي شيء آخر على وجه ا رض.

- ما الذي أصابها يا سيد باري؟ (**شهقت ماريـ وهي ممتقعة ومرتعدة الفرائص أكثر مما سبق لماريـ الحكيمة المتزنة أن كانت عليه لسنوات عديدة**).

أجابتها آن بنفسها وهي تحاول رفع رأسها:

- تخافي يا ماريـ . كنت أسير على عارضة السطح وسقطت. أتوقع أنني قد لويت كاحلي. مع ذلك دعينا ننظر إلى ا مر من الجانب المشرق يا ماريـ ، إذ كان يمكن أن أكسر عنقي.
- كان يجدر بي التأكد أنك ستقحمين نفسك في ورطة جديدة عندما سمحت لك بالذهاب إلى الحفلة (**قالت ماريـ معبرة عن اطمئنانها على آن بلهجة حادة و ذعة**). أحضرها هنا يا سيد باري، ومددها على ا ريكة. رحمتك يا رب، لقد أغمي على الطفلة!

كان هذا صحيحًا، فنظرًا لـ لم الرهيب الذي شعرت به آن أغمي عليها حالًا، وتحققت بذلك أمنية أخرى من أمانيها.

استدعي ماثيو على وجه السرعة من حقل الحصاد، وأُرسِل مباشرة حضار الطبيب الذي جاء في الوقت المناسب، وأعلن أن إصابة آن كانت أخطر مما يتوقعون، لقد كسرت آن عظم كاحلها.

في تلك الليلة، عندما صعدت ماريـ إلى الغرفة الشرقية، حيث كانت ترقد طفلة شاحبة الوجه، استقبلها صوت كئيب من السرير.

- أ تشعرين با سف عليَّ يا ماريـ ؟
- كان ذلك ذنبك (**قالت ماريـ وهي تسدل الستائر وتضيء مصباحًا**).
- ولهذا السبب يجب أن تكوني آسفة عليَّ (**قالت آن**)، ن مجرد التفكير أني أنا وحدي المسؤولة عما حدث يجعل ا مر صعبًا للغاية. لو كان بإمكاني إلقاء اللوم على أي

شخص آخر لربما شعرت ببعض ا رتياح، ولكن ماذا كنتِ ستفعلين يا ماريـ لو أن أحدًا تحداكِ في أن تسيري على عارضة السطح؟

- كنت سأمكثُ على ا رض الصلبة الثابتة كما أنا، وأضرب بالتحدي عرض الحائط. يا لها من أفعال سخيفة! (**قالت ماريـ**).

تنهدت آن.

- ولكنك صاحبة إرادة قوية يا ماريـ ، وأنا لست كذلك، شعرت أني لن أستطيع تحمل سخرية جوزي باي مني، كانت ستظهر لي الشماتة لبقية عمري، وأعتقد أنني نلت ما يكفيني من العقاب لدرجة أنك لست بحاجة إلى أن تغضبي مني يا ماريـ ، ولقد اكتشفت أخيرًا أن ا غماء ليس بتلك التجربة اللطيفة، وآلمني الطبيب بشكل رهيب عندما كان يردُّ عظم كاحلي المكسور. لن أكون قادرة على التحرك لمدة ستة أو سبعة أسابيع وسأفوِّت على نفسي رؤية المعلمة الجديدة، ولن تصبح جديدة عندما يحين الوقت الذي سأتمكن فيه من العودة إلى المدرسة، با ضافة إلى أن جيلـ... الجميع سيتفوق عليَّ في الصف. أوه، إني مخلوقة فانية تعيسة، ومع ذلك سأحاول تحمل كل شيء بشجاعة يا ماريـ ، فقط إن لم تغضبي مني.
- هيَّا، هيَّا، أنا لست غاضبة (**قالت ماريـ**). أنتِ طفلة غير محظوظة، و شك في ذلك. لكن كما قلتِ أنتِ؛ فإن أحدًا غيرك لن يعاني هذه المحنة التي ألمت بك، وا ن حاولي تناول شيء من طعام العشاء.
- أليس من حسن الحظ أن لدي مثل هذا الخيال يا ماريـ ؟ (**قالت آن**) سيساعدني ذلك بشكل رائع، كما أتوقع. ترى ماذا يفعل ا شخاص الذين يفتقرون إلى الخيال عندما يكسرون عظامهم؟

كان لدى آن أسبابها الوجيهة لتبارك خيالها مرارًا وتكرارًا خ ل ا سابيع السبعة المملة التي تلت ذلك. لكنها لم تكن تعتمد عليه وحسب، فقد كان لديها العديد من الزوار ولم يمر يوم دون أن تحضر واحدة أو أكثر من تلميذات المدرسة حضار الزهور والكتب وإخبارها بكل ما يحدث في عالم أبناء أفونليا.

- لقد كان الجميع طيبًا ولطيفًا معي يا ماريـ (**تنهدت آن بسعادة، في اليوم ا ول الذي استطاعت فيه أن تعرج بالمشي على ا رض**). ليس اضطرار المرء إلى م زمة فراشه كل هذه المدة با مر المستساغ يا ماريـ ، ومع ذلك هناك جانب مشرق لهذا ا ضطرار، فتعرفين كم أنتِ محاطة بالكثير من ا صدقاء. حتى الناظر بيل جاء لرؤيتي وا طمئنان

عليَّ، وهو في الحقيقة إنسان لطيف جدًّا، روحه ليست توأمًا لروحي بالطبع، لكني ما زلت أعدُّه لطيفًا، وأنا أشعر با سف الشديد ني انتقدت ص ته، بل وأعتقد ا ن أنه يصلي من صميم قلبه، ولكن اعتياده ت وة الص ة، يجعله يبدو وكأنه يفتعلها، ومع ذلك يمكنه أن يتغلب على الرتابة إذا بذل القليل من الجهد، ولهذا أعطيته تلميحًا واضحًا بشأن ا مر، فأخبرته كم حاولت جاهدة أن أجعل ص تي الخاصة الصغيرة ممتعة. وأخبرني كل شيء عن الحادثة التي كُسر فيها كاحله عندما كان صبيًّا صغيرًا. يبدو من الغريب جدًّا تصوُّر أن الناظر بيل كان صبيًّا في يوم من ا يام، فحتى خيالي له حدوده، فلم أستطع تصور ذلك. عندما أحاول أن أتخيله كصبي أراه بشاربين أشيبين وعوينات، تمامًا كما يبدو في مدرسة ا حد، وا خت ف الوحيد أنه في حجم أصغر فقط. وفي المقابل، من السهل جدًّا تخيُّل السيدة آ ن كفتاة صغيرة. تصوري أن السيدة آ ن عادتني أربع عشرة مرة، أليس هذا مدعاة للفخر يا ماري ؟ نظرًا للمشاغل الكثيرة التي ينبغي لزوجة القس القيام بها! با ضافة إلى أنها من أولئك ا شخاص الذين يثلجون صدرك بالبهجة عندما يقومون بزيارتك. و تقول لك أبدًا إن الذنب ذنبك، و تلمِّح لك أن ما حدث يجب أن يكون عبرة مستقبلية لك. وهذا ما قالته لي السيدة ليند كثيرًا أثناء زيارتها لي، وقد قالته بطريقة جعلتني أشعر أنها تتمنى فعلًا أن أكون فتاة صالحة ولكنها في قرارة نفسها تعتقد أني سأكون ذلك. حتى جوزي باي جاءت لرؤيتي، وقمت باستقبالها بأدب قدر المستطاع، ني أعتقد أنها كانت تشعر با سف حقًّا نتيجة تحديها لي في السير على عارضة السطح. ولو متُّ، لكان عليها حمل عبء الندم الثقيل طيلة حياتها. أما ديانا فكانت وستظل دومًا الصديقة المخلصة، لقد كانت تزورني يوميًّا لتؤنسني في وحدتي. لكن أوه، أنا أشعر بالسعادة ا ن ني سأتمكن من العودة إلى المدرسة ورؤية المعلمة الجديدة التي سمعت عنها الكثير من ا خبار المثيرة. جميع الفتيات يستلطفنها، وأخبرتني ديانا بأن شعرها فائق الروعة بلونه الفاتح وخص ته المجعدة، وأن عينيها فاتنتان، وتتجلى أناقتها في ملبسها الذي يتميز بانتفاخ أكمام فساتينها أكثر من أكمام فساتين أي امرأة أخرى في أفونليا. كما أخبرتني بأنها تقوم كل أسبوعين بتخصيص أمسية يوم الجمعة لحلقات ا لقاء، وعلى كل تلميذ إلقاء مقطوعة شعرية أو أخذ دور في مقطع حواري. أوه، إنه من الرائع التفكير في تلك ا مسيات. تقول جوزي باي إنها تكره حلقات ا لقاء، لكن أظن أن السبب يعود إلى افتقارها للخيال. وفي الوقت الحالي تستعد كلٌّ من ديانا وروبي

جيليس وجين أندروز لقاء مقطع حواري بعنوان: زيارة صباحية ليوم الجمعة المقبل. أما أمسيات الجمعة التي يوجد فيها حلقات إلقاء، فإن ا نسة ستايسي تقوم باصطحاب الت ميذ إلى الغابة في درس ميداني، يعملون أثناءه على دراسة السراخس، وا زهار، والطيور، كما أنهم يمارسون التمارين الرياضية صباحًا ومساءً، وتقول السيدة ليند إنها لم يسبق وأن سمعت بمثل هذه الصرعات من قبل، وكل ذلك يأتي بسبب وجود معلمة وليس معلمًا. لكني أرى أن كل ما تفعله رائع، وأنا متأكدة أني سأجد روح ا نسة ستايسي توأمًا لروحي.

- هناك شيء يمكنك التأكد منه يا آن (**قالت ماريلا**)، وهو أن سقوطك من على سطح آل باري لم يؤذِ لسانك بأي عطل على ا ط ق.

اليُسْروع: هي يرقة تمثل المرحلة الثانية من مراحل حياة الفراشة.

وتسمى أيضًا بمتسلقات فرجينيا أو المخمسة، وهي من النباتات الشمسية المتسلقة، سريعة ا نتشار.

(24)

إعداد الآنسة ستايسي
وتلاميذها لحفل موسيقي

كان شهر تشرين ا ول قد عاد من جديد عندما أصبحت آن قادرة على العودة إلى المدرسة؛ شهر تشرين ا ول البهيُّ، بصباحاته المتألقة بالظ ل الحمراء والذهبية، ووديانه المتشبعة بالسديم وكأن روح الخريف قد سكبت رَهْله ورَهَجه[64] خصيصًا للشمس من أجل ارتشاح غازاته لتعكس عن وميض نجومه ا شبه بالمعادن النفيسة؛ الجمشت، واللؤلؤ، والفضة، والياقوت الوردي، والمرو ا زرق الدخاني. الحقول تت كالبسط الفضية تحت قطرات الندى الكثيفة، وأكوام أوراق ا شجار المتساقطة تخشخش في تجاويف ا شجار الخشبية متعددة الجذور وتتطاير بهشاشة حولها. أما ممر البتو فقد غدا أشبه بسُرَادِق أصفر من السراخس التي اصطبغت باللون البني جرَّاء ذبولها على امتداده، والجو يعبق برائحة نفاذة ومنعشة استحثت قلوب العذارى الصغيرات على حثِّ خطاهنَّ في السير نحو المدرسة طوعًا، بخطى سريعة تشبه ب دة الحلزونات. كان الرجوع ثانية إلى المقعد البني الصغير بجوار ديانا حدثًا مبهجًا، مع إيماءات روبي جيليس من مقعدها، وا وراق الصغيرة المرسلة من قبل كاري سلون، ومضغة العلكة المهرَّبة من تحت المقعد من قبل جوليا بيل. استنشقت آن نفسًا طويلًا من السعادة وهي تسنن قلمها، وترتب بطاقات الصور التي تزين بها مقعدها. كانت الحياة بالتأكيد تضجُّ بالمتعة.

وجدت آن في المعلمة الجديدة صديقة أخرى حقيقية ومفيدة. كانت ا نسة ستايسي شابة ذكية وعطوفة، تتميز بمقدرة بارعة على كسب محبة ت ميذها، وإبراز أفضل ما لديهم من فضائل فكرية وأخ قية. وهكذا تفتحت آن مثل زهرة تحت هذا التأثير النافع وحملت باستمرار إلى ماثيو المحبِّ وماريـ المحتدمة بالنزعة ا نتقادية أخبارًا عن المدرسة وأهدافها.

- أحب ا نسة ستايسي من صميم قلبي يا ماريـ ؛ إنها مهذبة للغاية ولديها صوت جميل. عندما تلفظ اسمي أشعر غريزيًّا أنها تلفظه بطريقة صحيحة بمد ا لف. تدربنا على ا لقاء في هذه ا مسية، وليتك كنت هناك يا ماريـ لتسمعيني وأنا ألقي قصيدة: ماري ملكة اسكتلندا[65]، ألقيتها بكل روحي.

وأخبرتني روبي جيليس في طريق عودتنا إلى المنزل بأن الطريقة التي قرأت بها بيت الشعر:

والآن لكَنَف أبي، يعلن قلبي الراشد وداعه

جعلت الدم يتجمد في عروقها.

- حسنًا، ما رأيك أن تلقيها أمامي في يوم ما من تلك ا يام المقبلة هناك في مخزن الحبوب؟ (**اقترح ماثيو**).
- بالطبع سأفعل (**أجابت آن متفكرة**)، ولكني أعتقد أني سألقيها بنفس الجودة التي ألقيتها بها في المدرسة. أنا متأكدة من هذا، فا مر لن يكون مثيرًا كما هو الحال عندما يكون جميع التـ ميذ ينصتون إليك حابسين أنفاسهم. أظن أني لن أتمكن من جعل الدم يجمد في عروقك.
- تقول السيدة ليند إن الدم تجمد في عروقها لرؤية الصبية وهم يتسلقون إلى قمم تلك ا شجار الكبيرة في أحراش السيد بيل بحثًا عن أعشاش الغربان يوم الجمعة الماضي (**قالت ماريلا**). إني أستغرب تشجيع ا نسة ستايسي لمثل هذه التصرفات.
- ولكننا أردنا عش غراب من أجل دراسة الطبيعة (**أوضحت آن**). كان هذا في أمسيات الدراسة الميدانية، ا مسيات الميدانية رائعة يا ماريلا . وا نسة ستايسي تشرح كل شيء بطريقة ممتعة، وعلينا أن نكتب مواضيع إنشائية عن أمسياتنا الميدانية، وأنا أكتب أفضلها.
- من الغرور أن تقولي هذا عن نفسك، يستحسن أن تدعي معلمتك تقوله.
- لكنها قالت ذلك بالفعل يا ماريلا ، وصدقيني لست أشعر بالغرور. وكيف أغتر بنفسي بينما أنا بليدة في الهندسة؟ على الرغم من أني بدأت أتقن بعض مبادئها ا ن بفضل شرح ا نسة ستايسي الواضح، ومع ذلك أؤكد لك بكل تواضع أنني لن أحرز أي تفوق فيها. أما المواضيع ا نشائية فأنا مولعة بها، وغالبًا ما تترك لنا ا نسة ستايسي حرية اختيار المواضيع، ينبغي لنا في ا سبوع القادم كتابة موضوع إنشائي عن شخصية مشهورة. وليس هناك أصعب من انتقاء شخص مشهور من المشاهير الكثر الذين عاشوا في هذه الدنيا. أليس من الرائع أن يكون للمرء شخصية تحظى بمكانة مرموقة، وأن تُكتب عنه المواضيع بعد وفاته؟ أوه، كم أتمنى حقًّا أن أصبح مشهورة! وأعتقد أني سأمتهن التمريض عندما أكبر لتحق بالصليب ا حمر، وأُوجَد في مواقع الحروب كم ك رحمة. هذا إذا لم أذهب بصفتي مبشرة أجنبية، وسيكون ذلك شاعريًّا جدًّا.

لكن ستعترضني عقبة كبيرة، وهي أن المبشر يجب أن يكون إنسانًا مثاليًّا. نحن ا ن نمارس التمارين الرياضية أيضًا، فهي تجعلك رشيقة وتنظم لك عملية الهضم.

- عملية هضم؟ هراء! (**قالت ماريه التي اعتقدت بصدق أن ا مر كله مجرد كـ م فارغ**).

مع ذلك شحب بريق ا مسيات الميدانية وحلقات ا لقاء والتمارين الرياضية، أمام مشروع جديد اقترحته ا نسة ستايسي في شهر تشرين الثاني. يتمثل في مشاركة تـ ميذ مدرسة أفونليا في تنظيم حفل موسيقي، يقام في قاعة ا حتفا ت ليلة رأس السنة المي دية الجديدة، وتُخصَّص أرباحه لهدف نبيل، وهو شراء علم للمدرسة.

كان للتـ ميذ أفرادًا وجماعات دور فعال في هذا المشروع، وبدأت ا ستعدادات لبرنامج الحفل في الحال. ومن بين جميع المشاركين المتحمسين، لم يكن أيٌّ منهم أكثر حماسة من آن شيرلي التي انهمكت في المشروع بروحها وقلبها، على الرغم من كل معارضات ماريه المحبطة والتي رأت أن كل ما يجري حماقة.

- يتعدى ا مر سوى حشو رؤوسكم بالهراء، وهدر الوقت الذي يجب تخصيصه للدراسة (**قالت ماريه متذمرة**). وأنا أحبذ أبدًا مشاركة ا طفال في الحفـ ت الموسيقية وانشغالهم با ستعدادات، فهذا يملؤهم بالغرور والتهور والولع بالتسكع.
- ولكن فكري في الهدف النبيل يا ماريه (**توسلت آن**)، سيغرس العلم الروح الوطنية في النفوس.
- كـ م فارغ! أصدق أن هناك ذرة من الوطنية النبيلة في قلب أيٍّ منكم، كل ما تسعون إليه هو ا ستمتاع بوقت طيب.
- حسنًا، وما العيب في الجمع بين الوطنية والمرح عندما يكون في استطاعتك فعل هذا؟

أنكر أيضًا أن أوقات ا عداد للحفل الموسيقي مسلية جدًّا. سيكون لدينا ست جوقات، وستغني ديانا أغنية فردية، أما أنا فسأشارك في مشهدين حواريين: جمعية قمع القيل والقال[66]، وملكة الجنيات[67]. سيؤدي الصبية أيضًا مشهدًا حواريًّا، وسأنشد مقطوعتين يا ماريه ، وكلما فكرت بهذا ا مر أرتجف فزعًا، لكنه ارتجاف لطيف ومثير. وفي النهاية سنقدم لوحة حية راقصة، وهي: ا يمان، وا مل، والعمل الخيري[68]. سنتشارك فيها أنا وروبي وديانا، وسنتشح بالجـ بيب البيضاء، وسنترك شعرنا مسدلًا. سأكون أنا ا مل، وسأقف مشبوكة اليدين.. هكذا.. وعيناي تنظران إلى ا على. سأتدرب على تـ وة ا ناشيد با على، فـ تنزعجي إذا سمعتِ أنينًا، نه ينبغي لي أن أئن من صميم قلبي في واحدة منهما، و شك أن إتقان ا نين بطريقة فنية يبدو

صعبًا حقًّا يا ماريـ . جوزي باي حانقة جدًّا نها لم تحصل على الدور الذي أرادته في المشهد الحواري؛ أرادت أن تكون ملكة الجنيات. كان ذلك سخيفًا للغاية، فهل سمع أحد من قبل عن ملكة جنيات بدينة مثل جوزي؟ فملكة الجنيات ينبغي أن تكون نحيلة، ستقوم جين أندروز بدور الملكة، وسأكون أنا واحدة من وصيفات الشرف. وتقول جوزي إن الجنية ذات الشعر ا حمر تعادل في سخفها سخف الجنية البدينة، لكني أشغل فكري بما تقوله جوزي. سأحصل على إكليل من الورود البيضاء لتزيين شعري، وستعيرني روبي جيليس خُفَّها ني أملك واحدًا. وكما تعلمين يا ماريـ ، من الضروري أن تنتعل الجنية خُفًّا، إذ يمكنك تخيل جنية تنتعل أحذية طويلة الرقبة، أيمكنك هذا؟ وخصوصًا إذا كانت مقدمة الحذاء نحاسية؟ سنقوم بتزيين القاعة بعرائش الراتينج وأوراق التنوب وسنضع بينها ورودًا صناعية من الورق الوردي اللون، وبعد جلوس الحضور، سنسير كلنا في موكب زوجي أمامهم، بينما تعزف إيما وايت لحنًا عسكريًّا على ا رغن[69]. أوه يا ماريـ ، أعرف أنك لست متحمسة لهذا الحفل مثلي، ولكن أ تأملين أن تبلي صغيرتك آن بـ ءً حسنًا؟

- كل ما آمله هو أن تحسني التصرف، وسأحمد الله من صميم قلبي عندما تنتهي كل هذه الجلبة لتعودي ستقرارك من جديد. فأنت ا ن تنفعين ي شيء برأسك المحشو بكل تلك الحوارات وا نين واللوحات الراقصة. أما بالنسبة إلى لسانك، فإنها لمعجزة فعلًا أنه لم يهترئ بعد.

تنهدت آن، وقصدت الفناء الخلفي حيث أضاء قمر صغير من خ ل أغصان الحور الجرداء، انبثق من ناحية السماء الغربية التي بدت خضراء كخضرة التفاح. ثم توجهت نحو ماثيو الذي كان يقطع الحطب، وافترشت لنفسها مقعدًا منها، وشرعت تحدث ماثيو عن الحفل، واثقة هذه المرة أن لديها مستمعًا متعاطفًا ومتجاوبًا معها على ا قل.

- حسنًا، أعتقد أن أمور الحفل ستكون على ما يرام، وأتوقع أنك ستؤدين دورك بإتقان

(قال وهو يبتسم في وجهها الصغير المفعم بالحيوية. فردت آن على ابتسامته بابتسامة).

كانا نِعمَ الصديقين، وكم شكر ماثيو حظه مرة تلو ا خرى نه لم تكن له أي ع قة في تربية آن. فقد كانت هذه المهمة واجبًا مقتصرًا على ماريـ ، ولو كانت أُوكلت إليه لوقع أسير حيرة كبيرة بسبب النزاعات المتكررة بين ا هواء والواجبات. أما والحال كما هو عليه، فله الحرية التامة في إفساد آن بالد ل، كما تقول ماريـ دومًا. ولم يكن هذا تدبيرًا سيئًا على

الرغم من كل شيء، ففي كثير من ا حيان يتساوى القليل من الد ل مع التربية المنجزة وفقًا لما يمليه الضمير في هذا العالم.

الرَّهْلُ: السحابُ الرقيقُ كأنه نَدَى، والرَّهْجُ: السحابُ الرقيقُ كأنه غُبَارٌ.

قصيدة ملحمية تروي المصير المأساوي الذي حل بماري ستيوارت، ملكة اسكتلندا، للشاعر والمؤرخ هنري غ سفورد بيل، نشرت عام ١٨٧٧.

المشهد مقتبس من كتاب Friday Afternoon Series of Dialogues للكاتب تي إس دينيسون، وهو عبارة عن مجموعة من المشاهد الحوارية ا صلية المناسبة للصبية والفتيات من أجل الترفيه المدرسي، ظهر ول مرة في عام ١٨٧٩.

ملحمة شعرية للشاعر ا نجليزي إدموند سبنسر. نشر الجزء ا ول عام ١٥٩٠ والجزء الثاني عام ١٥٩٦. تتميز القصيدة أنها مكتوبة على المقطع السبنسري، وترجع شهرتها لكونها من أطول القصائد في ا دب ا نجليزي بعد ملحمة ا لياذة وا وديسة.

الفضائل الـ هوتية الث ثة.

آلة موسيقية كانت شائعة (**١٦٠٠ – ١٧٥٠م**) وما زال يُستخدم بشكل واسع اليوم، وبخاصة في الصلوات الدينية في الكنائس. كان له مجال واسع جدًا بسبب قوة الصوت والديناميكيات واللون اللحني الذي يميزه.

(25)

إصرار ماثيو على الأكمام المنفوخة

كان ماثيو مرغمًا على احتمال عشر دقائق من الوقت العصيب، عندما دخل إلى المطبخ، في شفق يوم رمادي بارد من أيام شهر كانون ا ول، افترش مقعدًا من صندوق خشبي في زاويته ليقوم بخلع حذائه الطويل الثقيل قبل أن ينتبه لوجود آن ومجموعة من زمي تها في المدرسة في غرفة الجلوس، يتدربن معًا على المشهد الحواري لملكة الجنيات. لم يمضِ الكثير من الوقت إ وقد احتشدن في الرواق واتجهن نحو المطبخ وقد تعالت أصواتهن بالضحك والثرثرة التي يغلفها المرح، غاف ت عن وجود ماثيو الذي انكمش بارتباك في الظ ل وراء الصندوق الخشبي حاملًا الحذاء بيد، ومقبس السحب[70] باليد ا خرى. ظلَّ يراقبهن بخجل طوال العشر دقائق وهنَّ يعتمرن القبعات ويرتدين السترات ويتحدثن حول المشاهد الحوارية والحفل. كانت آن تتوسطهن وبدت مثل أي واحدة منهن، نابضة بالحياة ومفعمة العينين بالبريق. مع ذلك انتاب ماثيو شعور فجائي أنها تبدو مختلفة عن رفيقاتها بطريقة ما. وما أثار قلق ماثيو أنه شعر أن ذلك ا خت ف ينبغي أن يكون موجودًا. كان لدى آن وجه أكثر إشراقًا، وعينان أكثر اتساعًا وسطوعًا، وم محها أكثر دقة من أي فتاة أخرى، و عجب في هذا، فحتى ماثيو الخجول قليل الم حظة كان قادرًا على م حظة تلك التفاصيل، لكن ا خت ف الذي أثار قلقه لم يكن في أي من هذه الجوانب. فما هي طبيعة هذا ا خت ف يا تُرى؟

ظل هذا التساؤل يطارد ماثيو لفترة طويلة من الوقت، بعد مغادرة الفتيات وهن متشابكات ا يدي على امتداد الدرب الجليدي، وانصراف آن إلى كتبها. ولم يستطع إحالة هذا التساؤل إلى ماري ، التي، بدون شك، ستزفر بازدراء قبل أن تجيبه قائلة إن ا خت ف الوحيد الذي رأته بين آن والفتيات ا خريات هو قدرتهن على لجم ألسنتهن لبعض الوقت بينما تفعل آن هذا أبدًا. وأحس أن تعليقًا كهذا لن يعود عليه بأي فائدة.

وهكذا لجأ ماثيو إلى غليونه في ذلك المساء لمساعدته على دراسة الموضوع، مما أثار اشمئزاز ماري . وبعد ساعتين من التدخين والتفكير الجاد، توصل ماثيو أخيرًا إلى إجابة عن تساؤله؛ لم يكن ملبس آن يشبه ملبس الفتيات ا خريات!

وكلما فكر ماثيو في ا مر كلما اقتنع أكثر بأن م بس آن تشبه أبدًا م بس الفتيات ا خريات، بل لم يسبق لها أن ارتدت م بس تشبه م بسهن منذ أن أتت إلى المرتفعات الخضراء، فقد حرصت ماريـ دائمًا على كسوتها بفساتين عادية داكنة ا لوان، كلها مصنوعة بنفس التصميم. وعلى الرغم من أن ماثيو لم يكن يعرف سوى القليل فيما يتعلق با زياء الدارجة والتصاميم، فإن تلك المعرفة الضئيلة كشفت له حقيقة أن أكمام فساتين آن تشبه أكمام فساتين الفتيات ا خريات على ا ط ق.

حاول استرجاع مظهر مجموعة الفتيات الـ تي تحلقنَّ حولها في ذلك المساء، جميعهن كن يرتدين الفساتين الحمراء، والزرقاء، والبيضاء، والوردية ذات الخصر المميز. وتساءل عن السبب الذي يدفع ماريـ إلى ا صرار على كسوة آن بم بس بسيطة ورصينة.

بالطبع لم يكن في هذا ما يعيب، ن معرفة ماريـ أوسع من معرفته، وماريـ في النهاية هي المسؤولة عن تربية آن. و شك أن لديها دافعًا حكيمًا وغامضًا وراء هذا ا صرار. مع ذلك من المؤكد أنه لن يضر ترك الطفلة ترتدي ولو فستانًا واحدًا جميلًا؛ يشبه فساتين ديانا باري التي ترتديها دائمًا. وهكذا قرر ماثيو شراء فستان جديد ن، ظنًّا منه أن هذا التصرف لن يُعَد محاولة غير مرخَّص بها قحام مجدافه في القارب. ووجد لنفسه مبررًا بعيد الميـ د المجيد الذي سيحل بعد أسبوعين، وعدَّه مناسبة ئقة لتقديم تلك الهدية. تنهد ماثيو بارتياح، ووضع غليونه جانبًا، وذهب إلى الفراش، بينما فتحت ماريـ جميع ا بواب والنوافذ لتهوية المنزل.

في مساء اليوم التالي، توجه ماثيو إلى كارمودي لشراء الفستان، مصمِّمًا على تجاوز أسوأ ما سيلقاه من ارتباك، ن هذه المهمة ستكون بكل تأكيد فوق طاقة احتماله. بالطبع كانت هناك أشياء يستطيع ماثيو إجراء صفقات رابحة بها، ولكنه شعر أنه عندما يتعلق ا مر بشراء فستان لفتاة صغيرة، فسيكون في هذه الحالة تحت رحمة الباعة.

وبعد الكثير من التردد، قرر ماثيو الذهاب إلى مخزن صموئيل لوسون بدلًا من مخزن وليام بلير، كان آل كوثبرت يقصدون في العادة إ مخزن وليام بلير، وكان هذا التصرف بالنسبة لهم مسألة مبدأ، تختلف في شيء عن ارتياد الكنيسة البروتستانتية أو التصويت لصالح المحافظين، لكن ابنتَي ويليام بلير كانتا هناك في كثير من ا حيان لتلبية حاجة الزبائن، وعلى الرغم من الفزع المطلَق الذي ينتابه جرَّاء التعامل معهما، فإنه لطالما استطاع تدبر أمر التعامل معهما عندما يكون متأكدًا مما يريد شراءه ويعرف تمامًا كيفية العثور عليه. ولكنه في هذه الحالة التي تتطلب الكثير من الشرح وا ستشارة، شعر ماثيو بضرورة وجود

رجل ستقبال الزبائن، وهذا ما جعله يفضِّل الذهاب إلى مخزن لوسون، حيث سيكون واثقًا من وجود صموئيل أو ابنه هناك.

وا أسفاه! لم يكن ماثيو يعرف أن صموئيل، في التوسع ا خير في تجارته، قد قام بتوظيف بائعة جديدة في مخزنه؛ كانت ابنة أخت زوجته، شابة مفعمة بالكثير من الحيوية، بتسريحة شعر بومبادور العالية والعصرية، وعينيها البنتين الواسعتين، وابتسامتها الواسعة المربِكة، م بسها أنيقة للغاية، وترتدي العديد من ا ساور التي تت وتهتز مصدِرة رنينًا مع كل حركة من يديها. غلَّف ا رتباك الشديد ماثيو عندما وجدها هناك، وشتتت تلك ا ساور تركيزه تمامًا بضربة واحدة.

- بماذا يمكنني خدمتك هذا المساء يا سيد كوثبرت؟ (**استفسرت ا نسة لوسي هاريس بخفة وتملق، وهي تنقر على المنضدة بأصابعها**).
- هل لديكم أي.. أي.. أي.. حسنًا ا ن، أنا أعني مجرافًا عشاب الحديقة (**تلعثم ماثيو**).

بدت ا نسة هاريس مندهشة إزاء سماعها أن رجلًا يطلب منها مجرافًا لـ عشاب في منتصف شهر كانون ا ول.

- أعتقد أن لدينا واحدًا أو اثنين متبقيين (**أجابت**)، لكنهما على ما أظن في الطابق العلوي في غرفة الخردوات، سأذهب وأرى.

أثناء فترة غيابها، حاول ماثيو لملمة شجاعته المبعثرة من أجل محاولة أخرى.

عندما عادت ا نسة هاريس مع مجراف ا عشاب، استفسرت بمرح:

- أي شيء آخر الليلة يا سيد كوثبرت؟

كان ماثيو قد قبض على كل ما يملك من شجاعة في كلتا يديه وأجاب:

- حسنًا ا ن، بما أنك تقترحين ذلك، يمكنني أيضًا.. أخذ.. أي أسأل عن.. أشتري بعضًا من.. بعضًا من بذور القشِّ والتبن.

كانت ا نسة هاريس قد سمعت من قبل أن ماثيو كوثبرت رجل غريب ا طوار، لكنها استنتجت ا ن أنه مجنون تمامًا.

- إننا نجلب تلك البذور إ في الربيع (**أوضحت له باستع ء**). ليس لدينا أي شيء منه في متناول اليد ا ن.
- أوه، بالتأكيد.. بالتأكيد.. تمامًا كما قلتِ.

تلعثم ماثيو التعيس، وأمسك بالمجراف مسرعًا نحو الباب. وعند العتبة تذكر أنه لم يدفع ثمنه، فعاد أدراجه ببؤس، وبينما كانت ا نسة هاريس تعدُّ باقي حسابه، حشد قواه من أجل محاولة يائسة أخيرة.

- حسنًا ا ن.. إذا لم يكن ا مر مزعجًا.. فقد أرغب أيضًا.. أود أن ألقي نظرة على.. شراء بعض السكر.
- أبيض أم بني؟ (**سألته ا نسة هاريس بصبر**).
- أوه، حسنًا.. بني (**أجاب ماثيو بصوت واهن**).
- هناك برميل منه هناك (**قالت ا نسة هاريس وهي تهز أساورها مشيرة إليه**). إنه النوع الوحيد الذي لدينا.
- سآخذ.. سآخذ عشرين رطلًا منه (**قال ماثيو، وقد تفصد جبينه بالعرق**).

لم يستعِد ماثيو رباطة جأشه إ في منتصف طريق عودته إلى البيت، لقد كانت تجربة شنيعة بالنسبة له، لكن هذه التجربة لقنته درسًا لن ينساه، نه ارتكب بدعة بالذهاب إلى متجر غريب. وعندما وصل إلى البيت، قام بإخفاء المجراف في مخزن ا دوات، لكنه حمل السكر إلى ماريـ .

- سكر بني! (**صاحت ماريـ**) بربِّك ما الذي دفعك لتجلب كل هذه الكمية؟ أنت تعلم أنني أستخدم هذا النوع من السكر إ للعصيدة التي أطبخها للصبي ا جير، أو كساب كعكة الفاكهة لونًا داكنًا، وقد غادرنا جيري، كما أني أنهيت خَبْزَ كعكتي منذ فترة طويلة. إنه ليس من النوع الجيد، إنه خشن وداكن جدًّا. ليس من عادة ويليام بلير إحضار هذا النوع من السكر.
- اعتقدت.. اعتقدت.. أنك قد تستفيدين منه في يوم ما (**قال ماثيو، محاولًا الهروب بمهارة**).

عندما أعاد ماثيو التفكير في الموضوع من جديد، تيقن أنه بد من وجود امرأة لتتعامل مع هذه القضية، وكانت ماريـ مستبعَدة من قائمة بحثه، إذ شعر ماثيو أنها سرعان ما ستصب الماء البارد على قضيته تلك، ولم يتبقَ أمامه سوى السيدة ليند، نه يجرؤ على طلب العون من أي امرأة أخرى في أفونليا. وهكذا توجه ماثيو إلى السيدة ليند، وقبلت تلك المرأة الطيبة فورًا أن تتولى رفع عبء المشكلة عن كاهل الرجل المنزعج.

- تريد مني انتقاء فستان لك لتهديه ن؟ طبعًا سأفعل. سأذهب إلى كارمودي غدًا وأبتاعه لك. ألديك شيء معين في ذهنك؟ ؟ حسنًا، سأتصرف وفق ما أراه مناسبًا. أعتقد أن اللون البني الخمري سيناسب آن، ولدى وليام بلير تشكيلة أقمشة جديدة

رائعة من جلوريا[71]. لعلك ترغب أيضًا في أن أخيطه لها، حتى تراه ماري فتفسد المفاجأة قبل حلول عيد الميـ د، حسنًا سأخيطه فأنا مولعة بالخياطة. سأفصله على قياس ابنة أختي جيني جيليس، نها هي وآن متماثلتان في الحجم وكأنهما حبتان من الباز ء.

- حسنًا، أنا حقًّا شاكرٌ لك (**قال ماثيو**)، و.. أعرف.. لكني أحب.. أعتقد أنهم يفصلون ا كمام بطريقة مختلفة في الوقت الحاضر عما كانت عليه من قبل. وإذا لم أكن أطلب منك الكثير، فأنا أتمنى لو.. لو تصممي ا كمام وفق الزي الدارج.
- أكمام منفوخة؟ بالطبع، داعي للقلق حيال هذا ا مر يا ماثيو، سأفصِّل ا كمام وفق أحدث زي دارج (**أجابت السيدة ليند، ثم أضافت لنفسها بعد مغادرة ماثيو**) سأشعر بالرضا حقًّا إذا رأيت تلك الطفلة المسكينة ترتدي شيئًا أنيقًا ولو لمرة واحدة. إن الطريقة التي تكسوها بها ماري هي بكل صراحة سخيفة للغاية. وخزني لساني فاتحها با مر عشرات المرات، ولكني كنت ألجمه دائمًا، ني أعرف أن ماري ترفض استقبال النصائح، وتظن أن معرفتها عن أساليب تربية ا طفال تفوق معرفتي بكثير كما لو أنها امرأة متمرسة. يعرف ا شخاص الذين قاموا بتربية ا طفال أنه توجد طريقة واحدة فعالة وسريعة تناسب جميع أطفال العالم على حد سواء، ولم يظنوا قط أن التربية سهلة وواضحة كقاعدة الث ثة معطيات؛ ما عليهم سوى تعيين المصطلحات الث ث التي يرغبون في تطبيقها، وستكون الحسبة صحيحة. لكن الروح والجسد يندرجان تحت قائمة الحساب، وهنا يكمن خطأ ماري . أظن أنها تحاول أن تنمي روح التواضع عند آن من خ ل كسوتها بتلك الطريقة ا قل من العادية، ولكنها تعي أن هذا قد يتسبب في زرع الحسد والغيرة، فأنا متأكدة أن ا خت ف الذي تراه تلك الطفلة بين م بسها وم بس ا خريات يترك أثرًا سلبيًّا في نفسها. ولكن أعجب ما في ا مر أن ي حظ ماثيو هذا! يبدو أن ذلك الرجل على وشك ا ستيقاظ ا ن بعد نوم دام كثر من ستين سنة.

عرفت ماري خ ل ا سبوعين التاليين أن ماثيو كان يفكر في شيء ما، لكنها لم تستطع قط تخمين السر، حتى ليلة عيد الميـ د عندما أحضرت السيدة ليند الفستان الجديد. حرصت ماري على التصرف بلباقة بشكل عام، على الرغم من أنها لم تثق كثيرًا في التفسير الدبلوماسي الذي قدمته السيدة ليند بأنها صنعت الفستان ن ماثيو كان يخشى أن تكتشف آن ا مر قبل ليلة عيد الميـ د إذا صنعته ماري بنفسها.

- إذن هذا ما كان يفكر فيه ماثيو بشكل غامض للغاية، ويبتسم من أجله ابتسامة عريضة فيما بينه وبين نفسه لمدة أسبوعين، أليس كذلك؟ (**قالت بشيء من الحنق ولكن بتسامح**). كنت أعلم أنه على وشك ارتكاب حماقة ما. حسنًا، يجب أن أقول إنَّ آن ليست بحاجة إلى المزيد من الفساتين. لقد صنعت لها هذا الخريف ث ثة فساتين شتوية جيدة وعملية، وأي شيء أكثر من ذلك سيكون تبذيرًا ضرورة له. أنا على يقين بأن هذه ا كمام وحدها تستهلك قماشًا يكفي لصنع صديرية فستان. إنك يا ماثيو تفسد آن بالد ل حتى تزداد خي ءً على خي ء، وهي ا ن مغرورة كالطاووس. حسنًا، آمل أن تشعر بالرضا أخيرًا، ني أعلم أنها كانت تتوق إلى تلك ا كمام السخيفة منذ أن أصبحت دارجة، على الرغم من أنها لم تقل كلمة واحدة عنها بعد أن عارضتها في المرة ا ولى. لقد أخذت هذه ا كمام تزداد انتفاخًا وضخامة حتى غدت أكثر سخفًا وأشبه بالبالونات. وأظن أن في العام المقبل، سيتعين على أي شخص يرتديها المرور من الباب جانبيًّا.

أطلَّ صباح عيد الميـ د على عالم كلَّله البياض الجميل. لقد كان شهر كانون ا ول معتدلًا جدًّا وكان الناس يتطلعون إلى عيد ميـ د أخضر، لكن الليل حمل معه ما يكفي من الثلج ليضفي على أفونليا طابعًا مجيدًا. اختلست آن نظرة خاطفة من نافذة الغرفة الشرقية بعينين مبتهجتين. كانت أشجار التنوب المورقة في الغابة المسكونة رائعة، وكانت أشجار البتو والكرز البري مزدانة بالـ لئ البيضاء، وبدت الحقول المحروثة وكأنها مطرَّزة بالبسط الثلجية على امتدادها، وعبق الجو برائحة منعشة تضفي بهاءً. اندفعت آن هابطة الدرج وهي تغني بسعادة، حتى ترددت أصداء صوتها في أرجاء المرتفعات الخضراء.

- عيد ميـ د مجيد يا ماريـ ! عيد ميـ د مجيد يا ماثيو! أليس هذا الميـ د جميلًا؟ أنا سعيدة للغاية نه ميـ د أبيض. فأي نوع آخر من الميـ د يبدو حقيقيًّا، أليس كذلك؟ أنا أحب الميـ د ا خضر، وفي الحقيقة يكون أخضرَ، بل مجرد ألوان بنية ورمادية باهتة وكئيبة. ما الذي يجعل الناس يسمونه أخضر؟ ما هذا.. ما هذا.. ماثيو، أهذا لي؟ أوه يا ماثيو!

كان ماثيو قد كشف الفستان بارتباك من مغلفه الورقي، وأمسك به بنظرة مترددة إلى ماريـ ، التي تظاهرت بأنها تمـ إبريق الشاي بازدراء، لكنها مع ذلك راقبت المشهد من زاوية عينها بنوع من ا هتمام.

أخذت آن الفستان وتأملته في صمت مُعجب. أوه، كم هو جميل. كان الفستان بني اللون، أملس بلمعان حرير قماش جلوريا الرائع، وازدانت تنورته بكشاكش أنيقة وثنيات، أما الصديرية فكانت مصمَّمة على طريقة بينتوك[72] الدارجة، وتحيط بياقة الفستان كشاكش صغيرة من الشرائط الرقيقة. لكن ا كمام.. كانت ا كمام مصدر تألق هذا الفستان! أكمام تبلغ زنودها حدود المرافق، ويتصل بكل زند كم منفوخ مقسَّم بصفوف من الطيَّات وعقد من الشرائط البنية الحريرية.

- هذه هدية عيد الميـ د لك يا آن (**قال ماثيو بخجل**)، لكن.. لكن.. ما ا مر يا آن؟ ألم يعجبك؟ حسنًا ا ن، اهدئي.. اهدئي.

كانت عينا آن قد اغرورقتا بالدموع فجأة.

- ألم يعجبني! أوه يا ماثيو! (**وضعت آن الفستان على كرسي وشابكت يديها**). ماثيو، إنه رائع. أوه، يمكنني أن أعبِّر لك عن شُكري كما ينبغي. انظر إلى تلك ا كمام! أوه، يبدو لي وكأني أعيش حلمًا سعيدًا.
- هيَّا، هيَّا، لنتناول ا فطار (**قاطعتها ماريـ**). ينبغي لي لفت انتباهك إلى أنك لم تكوني بحاجة إلى فستان جديد يا آن، ولكن بما أن ماثيو قد أحضره من أجلك، فاعتني به جيدًا. هناك شريط شعر بني جلبته لك السيدة ليند، ليتناسب مع الفستان. تعالي ا ن، واجلسي إلى المائدة.
- أدري كيف سأستطيع تناول طعام ا فطار (**قالت آن منتشية**). يبدو ا فطار شيئًا عاديًّا جدًّا في مثل هذه اللحظة المثيرة. وأنا أفضل إمتاع عيني بهذا الفستان. أنا سعيدة جدًّا ن ا كمام المنفوخة ما تزال عصرية. إذ كثيرًا ما بدا لي أنني لن أستطيع تجاوز ا مر أبدًا إذا بطُلت هذه ا كمام قبل ارتدائي لها. أعني أن نفسي لم تكن ستشعر بالرضا أبدًا. كان لطيفًا من السيدة ليند أن تحضر لي شريطة الشعر أيضًا. أشعر ا ن أنه ينبغي لي أن أكون بنتًا صالحة، ففي أوقات مثل هذه أشعر با سف ني لست فتاة مثالية، ثم أقرر ا لتزام بسلوك مثالي فيما بعد، ولكن بطريقة ما تبوء القرارات بالفشل أمام ا غراءات، فا غراءات صعبة المقاومة كما تعلمين. ومع ذلك سأحاول بذل المزيد من الجهد.

عندما انتهت وجبة ا فطار العادية، حت ديانا بهيئتها المرحة ومعطفها القرمزي، وهي تعبر جسر جذع الشجرة المغطى بالبياض عند الغور، وسرعان ما طارت آن للقائها.

- عيد مي د مجيد يا ديانا! أوه، إنه مجيد حقًّا. لقد حصلت اليوم على شيء جميل أريد أن أريكِ إياه. أهداني ماثيو أجمل فستان بأكمام منفوخة. بل ليس بإمكاني تخيل أكمام أجمل منها.
- وأنا أيضًا لدي ما أعطيك إياه (**قالت ديانا هثة**). ها هو معي.. خذي هذا الصندوق. لقد أرسلت لنا العمة جوزفين صندوقًا كبيرًا به صناديق كثيرة، وهذا من أجلك. كنت سأحضره ليلة أمس، لكن الطرد لم يصل إ بعد حلول الظ م، ولم أعد أشعر أبدًا بالراحة في عبور الغابة المسكونة في الظ م.

فتحت آن الصندوق واسترقت النظر إلى ما بداخله، ووجدت أولًا بطاقة كُتب عليها: إلى الصغيرة آن، مع أمنياتي بمي د مجيد. ثم وجدت زوجًا من ألطف الخِفاف الخاصة با طفال، مطرزًا بالخرز عند موضع ا صابع مع شريط من الساتان وأبازيم براقة.

- أوه يا ديانا، هذا كثير (**قالت آن**). من المؤكد أني أحلم.
- أسميها العناية ا لهية (**قالت ديانا**) لن تضطري إلى استعارة خُفٍّ روبي بعد ا ن، وهذه نعمة، ن قياس قدميها أكبر برقمين من قياس قدميك. وليس أبشع من مشهد جنية تجرجر قدميها، و شيء سيسعد جوزي باي أكثر من هذا. وبالمناسبة، أتعلمين أن روب رايت صحب جيرتي باي إلى البيت بعد انتهاء التدريبات ليلة ما قبل ا مس؟ أسمعت بشيء مماثل لهذا قبل ا ن؟

كانت ا ثارة قد بلغت أقصاها في نفوس جميع تـ ميذ أفونليا في ذلك اليوم، نه كان بد من تزيين القاعة وإجراء تجربة ا داء النهائية استعدادًا للحفل.

أخيرًا، أُقيم الحفل في مساء ذلك اليوم، وأسفر عن نجاح باهر، إذ اكتظت القاعة الصغيرة بالحضور، وكان أداء جميع المشاركين مشرِّفًا، لكن آن كانت نجمة المناسبة بـ منازع، ولم يجرؤ أحد على إنكار هذه الحقيقة، بما في ذلك تلك الغيرة الواضحة التي تجسدت في شخص جوزي باي.

- أوه، ألم تكن أمسية رائعة؟

تنهدت آن بعد أن انتهى كل شيء، بينما كانت هي وديانا تسيران معًا في طريق عودتهما إلى البيت، تحت سماء مظلمة مليئة بالنجوم.

- سار كل شيء كما ينبغي (**قالت ديانا بأسلوب عملي**). أعتقد أننا استطعنا تحصيل ما يصل إلى عشرة دو رات. وضعي في حسبانك أن السيد آ ن سيرسل تقريرًا عن ذلك إلى صحف شارلوت تاون.

- أوه يا ديانا، هل حقًّا سنرى أسماءنا مطبوعة في الجرائد؟ إن هذا يجعلني أشعر با ثارة بمجرد التفكير في ا مر. لقد كان أداؤك في ا غنية الفردية فاتنًا يا ديانا، بل إن افتخاري بك فاق افتخارك بنفسك عندما طلب منك الحضور إعادة غنائها مرة ثانية. وما شعرت بنفسي إ وأنا أقول: إنها رفيقتي الحميمة تلك التي يهتفون لها.
- حسنًا، يجدر بي القول إن إلقاءك زلزل القاعة فعلًا، وتلك المقطوعة الحزينة التي ألقيتها، كانت بكل بساطة رائعة.
- أوه، لقد كنت متوترة للغاية يا ديانا. وعندما نادى السيد آ ن اسمي، يمكنني أن أعرف كيف نهضت إلى تلك المنصة. شعرت كما لو أن م يين ا عين كانت تنظر إليَّ وتخترقني، ومررت بلحظة مروعة أحسست خ لها أني عاجزة عن البدء. ثم فكرت في أكمامي المنفوخة الجميلة التي مدَّتني بالشجاعة، وأدركت أنه يجب عليَّ ا رتقاء إلى مستوى تلك ا كمام يا ديانا. وهكذا، باشرت با لقاء وبدا صوتي وكأنه آتٍ من أبعد نقطة في أعماقي، وأحسست أني أشبه الببغاء. لقد كان تمرُّني على هذه ا ناشيد مرارًا وتكرارًا في غرفتي من دواعي العناية ا لهية حقًّا، وإ ما استطعت إتقانها أبدًا. أخبريني؛ هل كان أنيني مؤثرًا؟
- نعم بالتأكيد، لقد أديت ذلك بشكل جميل (**أكدت لها ديانا**).
- رأيت السيدة العجوز سلون تجفف دموعها عندما جلست. وشعرت بالسعادة حقًّا ني لمست شغاف قلب أحدهم، أليست المشاركة في حفل موسيقي أمرًا شاعريًّا جدًّا؟ أوه، لقد كانت مناسبة تُنسى حقًا.
- ألم يكن المشهد الحواري للصبية رائعًا؟ (**قالت ديانا**). جيلبرت بليث كان عظيمًا يا آن، أعتقد أن الطريقة التي تعاملين بها جيل فظيعة جدًّا. بل انتظري حتى أقص عليك ما حدث؛ بينما كنتِ تغادرين المنصة بعد مشهد الجنيات، سقطت إحدى الورود من شعرك، ورأيت جيل يلتقطها ويضعها في جيب سترته. أنا أعرف كم أنت شاعرية، و بد أن هذا الموقف سيسعدك كثيرًا.
- يعني لي أي شيء يفعله هذا الشخص (**قالت آن بتعالٍ**). أنا بكل بساطة أبدد وقتي بالتفكير فيه ولو للحظة واحدة يا ديانا.

في تلك الليلة، جلس ماثيو وماريـ بالقرب من موقد المطبخ بعد أن ذهبت آن للفراش، واسترجعا وقائع الحفل الذي لم يحضرا غيره منذ عشرين سنة.

- حسنًا ا ن، أعتقد أن صغيرتنا قد أبلت بـ ءً حسنًا مثل الجميع (**قال ماثيو بفخر**).

- نعم، هذا صحيح (**اعترفت ماري**). إنها طفلة معة يا ماثيو، وقد بدت لطيفة أيضًا. لقد كنت أعارض نوعًا ما مخطط هذا الحفل، لكني ا ن أظن أن هناك أي نوع من المخاطر فيه. على كل حال، لقد امت ت فخرًا بآن الليلة، على الرغم من أني لن أخبرها بهذا.
- هه، لقد كنت فخورًا بها أيضًا وأخبرتها بذلك قبل أن تصعد إلى غرفتها (**قال ماثيو**). في الحقيقة يا ماري يجب أن نفكر فيما يمكننا تقديمه لها ا يام القادمة. أظن أنها ستحتاج إلى ما هو أكثر من الذهاب إلى مدرسة أفونليا والعودة منها.
- هناك وقت كافٍ للتفكير في ذلك (**قالت ماري**)، إنها ستبلغ الثالثة عشرة من عمرها فقط في شهر آذار المقبل، على الرغم من اندهاشي الليلة أنها بدت صبية يافعة. لقد صنعت السيدة لينـد ذلك الفستان طويلًا بعض الشيء، وهذا ما جعل آن تبدو فارعة الطول. إنها سريعة التعلم، وأعتقد أن أفضل شيء يمكننا القيام به من أجلها هو إرسالها إلى معهد كوين بعد فترة. ولكن داعي لقول أي شيء عن ذلك قبل عام أو عامين من ا ن.
- حسنًا، ومع ذلك لن يضرنا التفكير بهذا ا مر بين فينة وأخرى (**قال ماثيو**)، فمثل هذه ا مور تكون نتائجها أفضل عندما يفكر بها المرء مليًّا.

أداة صغيرة تساعد في خلع ا حذية؛ تتكون من فم على شكل حرف U يمسك بكعب الحذاء، ومساحة مسطحة يضغط عليها بالقدم ا خرى.

نسيج مع، يتكون من الحرير والصوف أو الحرير والقطن، ويستخدم في صناعة المظ ت والفساتين وغيرها.

سلسلة من الثنيات المصنوعة على فترات منتظمة في القماش، لغرض تجميلي وليس وظيفي.

(26)
تأسيس نادي القصة

كان من الصعب على جميع أبناء أفونليا أن يعودوا بعد ذلك الحفل إلى النمط الحياتي الرتيب من جديد. وبالنسبة ن على وجه الخصوص، فقد بدت كل ا حداث من حولها بالغة السطحيَّة، وبالية، وعديمة الجدوى بعد كأس ا ثارة التي ظلت تحتسي منها سابيع. فهل تستطيع العودة إلى تلك الملذات الهادئة القديمة التي اعتادتها في ا يام السابقة للحفل؟ في البداية، وكما أخبرت ديانا، لم تكن تعتقد حقًّا أنها تستطيع ذلك.

- أنا متأكدة يا ديانا أن الحياة يمكن أن تعود كما كانت عليه في تلك ا يام الخوالي (**قالت آن بحزن كما لو كانت تشير إلى فترة تعود على ا قل إلى خمسين سنة مضت**). ربما بعد فترة سأعتاد ذلك، لكني أخشى أن تفسد الحف ت الموسيقية حياة الناس اليومية، وأظن أن هذا هو سبب عدم موافقة ماريـ على تلك الحف ت؛ ماريـ امرأة عق نية. إنها لصفقة كبيرة ورابحة أن يكون المرء عق نيًّا، ومع ذلك أعتقد أني أريد حقًّا أن أكون كذلك، ن هؤ ء ا شخاص ليسوا عاطفيين أبدًا. وعلى الرغم من تأكيد السيدة لينـ لي أنه خطر عليَّ من اكتسابي هذه الصفة.

أحد يستطيع الجزم. وفي هذه اللحظة يراودني الشعور بأن هذا ممكن الحدوث، لكن لعل السبب عائد إلى كوني متعبة ا ن، فأنا ببساطة لم أستطع النوم طيلة الليلة الماضية، بقيت مستلقية على سريري مستيقظة، بينما أسترجع أحداث الحفل مرارًا وتكرارًا، و شك أن استرجاع ا نسان لـ حداث في ذاكرته هو واحد من إيجابيات تلك المناسبات.

في نهاية المطاف، عادت المياه إلى مجاريها في مدرسة أفونليا، واستغرق التـ ميذ في اهتماماتهم القديمة، على الرغم من أن الحفل ترك آثاره الواضحة عليهم، فقد أدَّى الشجار بين روبي جيليس وإيما وايت على حق ا ولوية في أماكنهما على خشبة المسرح، إلى انهيار صداقتهما المشيَّدة منذ ث ث سنوات، ومنذ ذلك الحين انفصلتا عن الجلوس بجوار بعضهما بعضًا في الصف. واستمر الخصام بين جوزي باي وجوليا بيل لمدة ث ثة أشهر، ن جوزي باي أخبرت بيسي رايت بأن انحناءة جوليا بيل للجمهور عندما اعتلت خشبة المسرح من أجل

إلقاء قصيدتها، ذكرتها بدجاجة تهز رأسها، ولم تتوانَ بيسي عن إخبار جوليا بذلك. أما أبناء عائلة سلون فقد أنهوا أي تعام ت لهم مع أبناء عائلة بيل، ن أبناء بيل أعلنوا أن أبناء سلون قد استولوا على معظم فقرات الحفل، وقد ردَّ آل سلون بأن آل بيل لم يتقنوا ا داء حتى في القليل الذي أُسنِد إليهم. وأخيرًا، تشاجر تشارلي سلون مع مودي سبورجون ماكفيرسون، ن مودي سبورجون قال إنَّ آن شيرلي كانت متصنعة في ا لقاء، وأدى هذا إلى إهانة كرامة مودي سبورجون. وبالتالي امتنعت إيـ ماي أخت مودي سبورجون عن التحدث مع آن طيلة فصل الشتاء. وباستثناء تلك الخ فات التافهة، استمر العمل المدرسي في مملكة ا نسة ستايسي الصغيرة بس سة وانتظام.

تتابعت أسابيع فصل الشتاء، والذي كان شتاءً معتدلًا على غير المعتاد، ونظرًا لندرة تساقط الثلج خ ل هذا الشتاء، كان بإمكان آن وديانا الذهاب إلى المدرسة كل يوم تقريبًا عبر ممر البتو . وفي اليوم الذي وافق عيد مي د آن، كانتا تسلكانه على مهل، بأعين مفتوحة، وآذان مصغية، متيقظتين، وحريصتين على عدم إغفال أي شاردة أو واردة فيه، ن ا نسة ستايسي كانت قد أعلمتهم أنهم في القريب العاجل سيقومون بكتابة موضوع إنشائي عنوانه «**نزهة شتوية في الغابة**»، وهذا ما أجبرهم على ا نتباه.

- تصوري يا ديانا أني بلغت اليوم سن الثالثة عشرة! (**قالت آن بلهجة فزعة**) بالكاد أستطيع أن أدرك أني أصبحت في سن المراهقة. عندما استيقظت هذا الصباح بدا لي أني سأرى كل شيء بطريقة مختلفة، لقد بلغتِ الثالثة عشرة من عمرك منذ شهر، لذلك أعتقد أن ا مر يبدو جديدًا بالنسبة لك كما هو الحال بالنسبة لي. إن هذه المرحلة من العمر تجعل الحياة تبدو أكثر إثارة، وفي غضون عامين سأصبح بنتًا ناضجة، وهذا شيء يريحني كثيرًا، ني حينها سأكون قادرة على استخدام العبارات الكبيرة في حديثي مع الناس من غير أن يسخروا مني.
- تقول روبي جيليس إنها تنوي اتخاذ حبيب لها بمجرد أن تبلغ الخامسة عشرة من عمرها (**قالت ديانا**).
- شيء يشغل بال روبي جيليس إ العشاق (**قالت آن بازدراء**)، وأنا متأكدة أن شيء يسعدها أكثر من رؤية اسمها مكتوبًا مع اسم أي صبي على جدار الرواق مع عبارة: خذوا علمًا، على الرغم من تظاهرها با نزعاج من ذلك، لكني أخشى أن ما قلته للتو ليس بالكـ م الصالح. تقول السيدة آ ن إنه ينبغي لنا أبدًا ا سترسال في ا حاديث غير الصالحة، ولكن أ تعتقدين يا ديانا أن هذه ا حاديث غالبًا ما تأخذ مجراها قبل

التفكير بها؟ ني ببساطة يمكنني التحدث عن جوزي باي ـعلى سبيل المثالـ بدون ا سترسال في حديث غير صالح، لذلك أحاول دائمًا تجنب ذكرها، ومن المؤكد أنك حظتِ هذا، فأنا أحاول أن أقتدي بالسيدة آ ن بقدر ما أستطيع، ني أعتقد أنها مثالية، والسيد آ ن يعتقد هذا أيضًا. تقول السيدة ليند إنه يعبد ا رض التي تمشي عليها، وهي ترى أنه يليق للقس أن يعلق عواطفه على مخلوقٍ فانٍ. أما أنا فأرى أن القساوسة في النهاية هم بشر مثلنا، ولديهم خطاياهم المغوية مثلَ أيِ إنسان آخر. لقد أجريت مثل هذا الحديث الشائق مع السيدة آ ن حول الخطايا المغوية مساء يوم ا حد الماضي. فكما تعلمين، هناك فقط القليل من ا شياء المناسبة للتحدث عنها أيام ا حاد، وهذا أحدها، ولعلَّ إسرافي في الخيال الذي يؤدي إلى نسيان واجباتي هو خطيئتي المغوية، ومع ذلك أنا أبذل قصارى جهدي للتغلب عليها، وا ن بعد أن بلغت الثالثة عشرة من عمري ربما سأصبح أفضل.

- في غضون أربع سنوات أخرى سنتمكن من رفع شعرنا إلى ا على (**قالت ديانا**). أليس بيل تبلغ من العمر ستة عشر عامًا فقط ومع ذلك ترفع شعرها غير أني أرى هذا سخيفًا، وأفضل ا نتظار حتى أبلغ السابعة عشرة.
- لو كان لدي أنف أليس بيل المعقوف (**قالت آن بلهجة جازمة**)، فلن.. ولكن.. .. لن أكمل ما كنت أنوي قوله ا ن نه ك م غير صالح، با ضافة إلى أني كنت سأقارن أنفي بأنفها، وهذا غرور. أخشى أني أصبحت أفكر كثيرًا في أنفي منذ أن سمعت عنه هذا ا طراء منذ فترة طويلة. و أنكر أنه يشكل لي عزاءً حقيقيًّا. أوه، انظري يا ديانا، يوجد هناك أرنب. هذا شيء يجب علينا تذكره دراجه في موضوعنا ا نشائي حول نزهة الغابة، أعتقد حقًّا أن الغابة جميلة في الشتاء كما في الصيف، ومع ذلك فالشتاء يجعلها تغدو بيضاء وساكنة، وكأنها غارقة في سبات عميق مليء با ح م الجميلة.
- لست خائفة من موضوع الكتابة عن الغابة، عندما يحين الوقت لكتابته (**تنهدت ديانا**). يمكنني الكتابة عن الغابات بسهولة، لكن ما يزعجني حقًّا هو ذاك الموضوع الذي علينا تسليمه يوم ا ثنين، أعني الموضوع الذي تطالبنا فيه ا نسة ستايسي أن نكتب قصة من بنات أفكارنا!
- لماذا؟ إنه أسهل من غمضة عين (**قالت آن**).
- بالتأكيد سيكون سهلًا بالنسبة لكِ ن لديك خيالًا واسعًا، ولكن ماذا كنت ستفعلين لو كنتِ مخلوقة بدون خيال؟ أفهم من حديثك أنك أنهيت كتابته؟

أومأت آن رأسها إيجابًا، على الرغم من محاو تها الجبارة لئ تبدو راضية عن نفسها، فشلت فشلًا ذريعًا.

- كتبته مساء يوم ا ثنين الماضي وجعلت عنوان القصة: الندُّ الحسود، أو: فراق بعد الموت. قرأتها لماري وقالت إنها هراء، ثم قرأتها لماثيو فقال إنها جيدة. و شك أني أفضِّل هذا النوع من النقد، إنها قصة حزينة وجميلة، لقد بكيت كطفلٍ وأنا أكتبها. تدور أحداث القصة حول عذراوين جميلتين تدعيان كورديليا مونتمورنسي، وجيرالدين سيمور. كانتا تعيشان في نفس القرية وكانتا مرتبطين ببعضهما كثيرًا. كورديليا سمراء، ذات شعر فاحم السواد، وعينين داكنتين و معتين، وجيرالدين شقراء، ذات شعر مثل سبائك الذهب وعينين أرجوانيتين ودافئتين.
- لم يسبق لي أن رأيت أحدًا بعينين أرجوانيتين (**قالت ديانا بلهجة متشككة**).
- ولم يسبق لي أيضًا، لكني تخيلت هذا، ني أردت شيئًا خارجًا عن المألوف. كان لدى جيرالدين جبين مرمري أيضًا. لقد اكتشفت أخيرًا ماذا يعني الجبين المرمري، وهذه إحدى مزايا أن تصبح في سن الثالثة عشرة، إذ تصبح معلوماتك أكثر بكثير مما كانت عليه وأنت في سن الثانية عشرة.
- حسنًا، ما الذي حدث لكورديليا وجيرالدين؟ (**تساءلت ديانا، التي بدأت تشعر بأنها مهتمة إلى حد ما بمعرفة مصيرهما**).
- عاشتا سعيدتين بصداقتهما، إلى أن بلغتا سن السادسة عشرة، ثم قدم بيرترام ديفير إلى قريتهما الصغيرة ووقع في غرام الشقراء جيرالدين، لقد أنقذ حياتها عندما جمح بها جوادها، وأغمي عليها بين ذراعيه وحملها إلى منزلها على بعد ث ثة أميال، نه كما تفهمين، كانت العربة قد تحطمت بأكملها. لقد وجدت صعوبة في تخيل الطريقة التي طلب بها بيرترام ديفير يد جيرالدين سيمور للزواج، ني أملك أي خبرة سابقة أستطيع ا عتماد عليها. وسألت روبي جيليس عما إذا كانت تعرف أي شيء عن كيفية تقدم الرجال لخطبة النساء، إذ ظننتها واسعة ا ط ع في هذا المجال نظرًا نها لديها العديد من الشقيقات المتزوجات. أخبرتني روبي بأنها كانت تختبئ في حجرة المؤن عندما تقدم مالكولم أندريس ختها سوزان، قالت إن مالكولم أخبر سوزان بأن والده كتب له المزرعة باسمه ثم قال لها: ما رأيك يا عزيزتي المدللة إذا ارتبطنا هذا الخريف؟ فأجابت سوزان: نعم.. .. أعرف.. دعني أفكر.. وهكذا تمت خطبتهما بمثل هذه السرعة. لكني في النهاية لم أرَ أن هذا المشهد كان شاعريًّا بما يكفي، ولذلك

بذلت جهدي في محاولة ابتكار مشهد آخر بنفسي. لقد جعلته منمقًا وشاعريًّا للغاية، إذ تخيلت بيرترام يركع على ركبتيه، على الرغم من أن روبي جيليس تقول إن الرجال هذه ا يام ما عادوا يتبعون تلك الطريقة أثناء التقدم لفتاة. وقبلت جيرالدين به بعد حوار طويل جدًّا. وصدقيني يا ديانا، لقد واجهت الكثير من المتاعب أثناء كتابة تلك الفقرة، بل وأعدت كتابتها خمس مرات، وأُعدُّها من تحفي ا نشائية. أهداها بيرترام خاتمًا من ا لماس وعقدًا من الياقوت وأخبرها بأنهما سيقضيان شهر العسل في أوروبا، نه كان ثريًّا جدًّا. ولكن بعد ذلك، ول سف، سرعان ما بدأت الظ ل السوداء باجتياح مسار حياتهما. كانت كورديليا قد أغرمت سرًّا ببيرترام، وعندما أخبرتها جيرالدين عن خطوبتهما، احتدت كثيرًا، وبخاصة عندما رأت العقد وخاتم ا لماس، وهكذا تحول كل حبها لجيرالدين إلى كره مرير، وقطعت عهدًا على نفسها بأ تدع هذا الزواج يتم. لكنها استمرت بالتظاهر أمام جيرالدين بأنها رفيقتها المخلصة كما كانت دومًا. وذات مساء وبينما كانتا تقفان على الجسر فوق تيار ماء هائج، اعتقدت كورديليا أنهما بعيدتان عن كل ا عين، فدفعت جيرالدين من على حافة الهاوية بوحشية ساخرة وهي تطلق: ها.. ها.. ها. لكن بيرترام رأى كل شيء وقفز في الحال إلى التيار، هاتفًا: سأنقذك يا جيرالدين، أيتها الحبيبة التي نظير لها. لكن ل سف، كان بيرترام قد نسي أنه يجيد السباحة، فغرقا معًا، وهما متعانقَين. وبعد وقت، دفع الموج جسديهما نحو الشاطئ، ودُفِنا في قبر واحد، وكانت جنازتهما مهيبة جدًّا يا ديانا. وأنا أرى أن إنهاء القصة بجنازة هو أكثر شاعرية من إنهائها بزفاف. أما بالنسبة لكورديليا، فقد أُصيبت بالجنون واعتراها الندم على ما اقترفته في حق صديقتها، وحُبِست في مصحة نفسية، ورأيت أن هذه النهاية عقاب شاعري على جريمتها.

- يا لها من قصة جميلة! (**تنهدت ديانا، التي كانت تنتمي إلى مدرسة ماثيو النقدية**). أعرف كيف يستطيع رأسك اختراع كل هذه ا شياء المثيرة يا آن. كم أتمنى لو أن خيالي كان بمثل خصوبة خيالك!
- يمكن أن يصبح خصبًا إذا تعهدته بالرعاية (**قالت آن محاوِلة مواساة ديانا**). لقد خطرت على بالي ا ن فكرة يا ديانا، ما رأيك بتأسيس نادي قصة خاص بنا، لنتدرب فيه على كتابة القصص المختلفة؟ وسأقوم بمساعدتك حتى تصبحي متمكنة من كتابتها، تقول ا نسة ستايسي إنه من الضروري للمرء أن يحافظ على صقل خياله، علينا فقط أن

نسلك الطريق الصحيح. فعندما أخبرتها عن الغابة المسكونة، قالت لي إننا سلكنا الطريق الخطأ لخيالنا في ذلك.

هذه هي الكيفية التي ظهر بها نادي القصة إلى الوجود. اقتصر ا مر على آن وديانا في البداية، ولكن سرعان ما امتد ليشمل جين أندروز وروبي جيليس وواحدة أو اثنتين من البنات الا تي شعرن أن خيالهن كان بحاجة إلى التعهد بالرعاية. لم يُسمح للصبية با نضمام إلى هذا النادي، على الرغم من أن روبي جيليس كانت تعتقد أن قبول انضمامهم سيجعل ا مر أكثر إثارة. وكان على كل عضوة من أعضاء النادي إنتاج قصة واحدة في ا سبوع.

- إنه نادٍ مثير جدًّا (**أخبرت آن ماريلا**). تقوم كل عضوة بقراءة قصتها بصوتٍ عالٍ، ثم نقوم بمناقشتها فيما بيننا. سنحتفظ بكل القصص من أجل أحفادنا، ونحن جميعًا نكتب بأسماء مستعارة. اسمي هو روزاموند مونتمورنسي. جميع الفتيات يؤدين عملًا جيدًا. روبي جيليس عاطفية إلى حد ما، إنها تقحم الكثير من مشاهد الحب في قصصها، ولكن، كما تعلمين، الكثير من المشاهد العاطفية هو أكثر سوءًا من ندرة تلك المشاهد. بينما جين تضع أيًّا من مشاهد الحب في قصصها، ن ذلك يجعلها تشعر بالسخافة عندما تقرأ قصصها بصوتٍ عالٍ، قصص جين عق نية للغاية. أما ديانا فكانت تضع الكثير من جرائم القتل في قصصها، وتقول إنها في معظم ا وقات تحتار فيما يجب عليها صنعه بشخوص قصصها، فتقتلهم لتتخلص منهم. غالبًا ما يتعين عليَّ تحديد المواضيع لهن، ولكن هذا ليس با مر الصعب ن لدي م يين ا فكار.
- أرى أن نادي القصة هذا هو أسخف ما سمعت به على ا ط ق (**قالت ماريلا ساخرة**)، ستحشين رأسك بالتُّرَّهات، وتضيعين الوقت الذي ينبغي لكِ أن تحسني استغ له في دروسك بدلًا من ذلك. قراءة القصص عادة سيئة بما فيه الكفاية، لكن كتابتها أسوأ.
- لكننا حريصون على جعل قصصنا تمتلئ بالعبر يا ماريلا (**فسَّرت آن**). وأنا أشدد دائمًا على العبرة. وعندما يُكافأ الناس الصالحون، ويعاقب جميع الطالحين، بد أن يكون لهذا تأثير مفيد على النفوس. يقول السيد آ ن إن العبرة شيء عظيم. كنت قد قرأت أمامه هو والسيدة آ ن إحدى قصصي، واتفقا على أن العبرة التي قدمتها كانت ممتازة. وما حيرني في ا مر هو أنهما كانا يضحكان عند المقاطع التي ينبغي الضحك فيها، وأنا في الحقيقة أفضل التسبب في بكاء الناس. غالبًا ما تبكي جين وروبي عندما أصل في قراءتي إلى المقاطع الشجية في قصصي. راسلت ديانا عمتها جوزفين، وأخبرتها عن نادي القصة، فردت العمة جوزفين مبدية رغبتها في ا ط ع على بعض القصص التي

كتبناها. لذا قمنا بنسخ أربع قصص من أفضل ما كتبنا وأرسلناهم إليها، وعادت ا نسة جوزفين باري وكتبت لنا أنها لم تقرأ في حياتها شيئًا أكثر إمتاعًا من تلك القصص. وهذا التعليق حيَّرنا قليلًا، ن جميع القصص التي أرسلناها كانت شجيَّة للغاية، ومات جميع أبطالها تقريبًا. لكني سعيدة ن ا نسة باري قد أُعجبت بها، فهذا يدل على أن لدى نادينا شيئًا مفيدًا يقدمه للعالم. تشدد السيدة آ ن على أن السعي للخير يجب أن يكون هدفنا في كل شيء. وإني أحاول حقًّا أن أجعل الخير هدفًا لي، لكني كثيرًا ما أنسى عندما أستغرق في اللهو. آمل أن أصبح مثل السيدة آ ن عندما أكبر، أو أشبهها ولو قليلًا. هل تعتقدين أن هناك أي احتمال لتحقق هذه ا منية يا ماريـ ؟

- أظن أن لديك فرصة كبيرة (**جاء جواب ماريـ المشجِّع**). أنا متأكدة من أن السيدة آ ن لم تكن قط فتاة صغيرة طائشة ومهملة مثلك.
- ، لكنها لم تكن دائمًا مثالية كما هي ا ن (**قالت آن بجدية**). لقد أخبرتني بنفسها بأنها كانت مزعجة جدًّا في طفولتها، وأنها كثيرًا ما أقحمت نفسها في المآزق. وقد شعرت بالكثير من التشجيع عندما سمعت ذلك، أيُعَد شعوري بالتشجيع عندما أسمع أن ا خرين كانوا سيئين ومؤذيين في طفولتهم أمرًا شريرًا مني يا ماريـ ؟ أكدت لي السيدة ليند أن هذا سوء خلق. وأعلمتني بأنها دائمًا ما تُصاب بالصدمة عندما تسمع أن أي شخص كان شقيًّا، بغض النظر عن صغر عمره. وقد قصت عليَّ أنها سمعت ذات مرة أحد القساوسة يعترف بأنه عندما كان صبيًّا صغيرًا سرق شطيرة فراولة من خزانة عمته، ومنذ ذلك الحين لم تعد تُكِنُّ أي احترام لذلك القس قطعًا. أما أنا فما كنت حس بنفس الشعور قط، بل كنت سأرى أنه من النبيل حقًّا أن يعترف بخطيئته، لكي تكون عظة مشجعة للصغار في الوقت الحالي الذين يتصرفون تصرفات طائشة ثم يندمون عليها، وذلك إذا عرفوا أنهم على الرغم من ذلك قد يصبحون قساوسة عندما يكبرون. هذا فعلًا ما كنت سأشعر به يا ماريـ .
- أما ما أشعر به أنا ا ن يا آن، أن الوقت قد حان لتقومي بجلي هذه الصحون (**قالت ماريـ**). لقد هدرت نصف ساعة من الوقت بثرثرتك، وعليكِ أن تتعلمي إنجاز أعمالك أولًا ثم الثرثرة حقًا.

(27)

مأزق الروح المختالة

أدركت ماريـ وهي عائدة من اجتماع جمعية المعونة إلى البيت في إحدى أمسيات شهر نيسان، أن الشتاء قد ولَّى أخيرًا، مُخلِّفًا مكانه لذلك الحبور الذي يفشل الربيع في جلبه تعس الناس و سعدهم، و كبر الناس و صغرهم على حد سواء. لم تكن تشعر في نفسها ميلًا إلى تحليل أفكارها ومشاعرها تحليلًا موضوعيًّا. ربما تصورت أن تأم تها تمحورت فقط حول المساعدات وصندوق جمع التبرعات والسجادة الجديدة لحجرة ا جتماعات بالكنيسة، ولكن وراء هذه التأم ت، كان وعي ماريـ في تناغم مع الحقول الحمراء التي غلفها سديم الضباب ا رجواني الباهت تحت الشمس المغربة، ومع ظ ل أشجار التنوب الطويلة والمسننة التي تساقطت على المرج وراء الجدول، ومع براعم أشجار القيقب القرمزية المحيطة ببركة تشبه المرآة، ومع يقظة العالم، وضجة النبضات الخفية تحت أديم التربة الرمادية. كان الربيع منتشرًا في ا رض، وخطوات ماريـ الرزينة مرأة في منتصف العمر أكثر خفة ورشاقة بسبب ابتهاجها البدائي العميق.

عيناها تحطان بشغف على دارة المرتفعات الخضراء، شرعت تتأمل في شبكة ا شجار المحيطة بها، وانعكاسات أشعة الشمس على نوافذها في ت لؤ بهي. وفكرت، بينما كانت تتابع خطواتها على الدرب النديِّ، أن شيء يبث الراحة في النفس أكثر من عودة المرء إلى بيته، فيجد نار الموقد متأججة، وطاولة العشاء معدَّة بأناقة. عكس ما كان الحال عليه في تلك ا يام السابقة على مجيء آن إلى المرتفعات الخضراء، حيث كانت تعود من اجتماعات جمعية المعونة في المساء إلى بيت بارد بـ روح.

وبالتالي، عندما دخلت ماريـ مطبخها ووجدت النار مطفأة، مع عدم وجود ء مة تدل على وجود آن في أي مكان، شعرت بخيبة أمل وغضب حقًّا. كانت قد أكدت على آن ضرورة إعداد الشاي في الساعة الخامسة، وبالطبع سيرغمها ذلك على ا ستعجال في خلع أحد أفضل أثوابها، ثم ا سراع في إعداد وجبة العشاء قبل عودة ماثيو من الحراثة.

- سأسوِّي حسابي مع ا نسة آن عندما تعود إلى البيت (**قالت ماريـ بتجهم، وهي تكشط الفحم المحترق من الموقد بالمجرفة، وانهمكت في العمل انهماكًا غير ضروري لتلك المهمة في الوقت الذي**

عاد فيه ماثيو، وجلس في ركنه المعتاد منتظرًا وجبة العشاء بصبر). بد إنها تتجول في مكان ما مع ديانا، تؤلفان القصص، أو تتمرنان على مشهد حواري أو أي شيء من هذه السخافات، غافلة تمامًا عن التفكير في الوقت أو واجباتها. ينبغي أن توضع عند حدها بصرامة. يهمني قول السيدة آ ن عنها بأنها أذكى وألطف طفلة عرفتها على ا ط ق. قد تكون ذكية ولطيفة حقًّا، لكن رأسها مليء بالهراء، و يمكن التكهن بما قد يسفر عنه ذلك في تكوين شخصيتها. وما إن تُشفى من نزوة حتى تتعلق بأخرى. لكن ما هذا! ها أنا أردد ما قالته ريتشل ليند بالحرف في ا جتماع اليوم، والذي أغضبني كثيرًا. وسررت حقًّا عندما ردت عليها السيدة آ ن لصالح آن، ولو لم تفعل كنت سأردُّ بك م جارح موجه لريتشل أمام الجميع. نعم، شك أنَّ عيوب آن كثيرة، والله وحده يعلم عددها، و أستطيع إنكارها، لكني في النهاية أنا المسؤولة عن تربية تلك الطفلة وليس ريتشل ليند، التي قد تعثر على العيوب حتى في الم ك جبريل إذا كان يعيش في أفونليا. مع ذلك، ليس هناك ما يبرر مغادرة آن للبيت على الرغم من تأكيدي عليها بضرورة البقاء فيه وا عتناء بالواجبات المنزلية. وإحقاقًا للحق فإنها على الرغم من عيوبها الكثيرة لم تعصِ لي أمرًا من قبل، ولم تفسد جدارتها بثقتي بها، لكني أشعر با سف حقًّا أن أجدها هكذا ا ن.

- حسنًا ا ن، أعلم (**قال ماثيو، الذي كان صبورًا وحكيمًا، وقبل كل شيء جائعًا، وعلى الرغم من ذلك رأى أنه من ا فضل ترك ماريلا تتحدث عن غضبها دون عائق. فقد علمته التجربة أن ماريلا تستطيع إنجاز عملها بسرعة أكبر إذا لم تعوقها أي مناقشة طارئة**). ربما تسرعتِ في الحكم عليها يا ماريلا ، تقولي إنها غير جديرة بالثقة حتى تتأكدي أولًا أنها عصتك بالفعل. ولعلَّ هناك سببًا وجيهًا لما حدث، و تنسي أنَّ آن ماهرة في التوضيح.
- لم تـ زم البيت على الرغم من تأكيدي عليها بأن تفعل ذلك (**ردَّت ماريلا**). أعتقد أنها ستجد صعوبة هذه المرة في توضيح أسبابها بطريقة ترضيني. بالطبع كنت أعلم أنك ستقف في صفها يا ماثيو، ولكن تذكر أنني المسؤولة عن تربيتها وليس أنت.

كان الظ م قد حلَّ عندما أصبح العشاء جاهزًا، ولم يكن هناك ما يشير إلى ظهور آن في أي مكان؛ وهي تجتاز جسر جذع الشجرة أو وهي تعبر درب العشاق مهرولة و هثة، مع إحساسها بالندم على إهمال واجباتها. وهكذا جلت ماريلا العابسة الصحون، ورتبتها في أماكنها، وعندما احتاجت شمعة لتضيء بها طريقها أسفل القبو، صعدت إلى الغرفة الشرقية،

لتجلب منها الشمعة التي تنتصب عادة على طاولة آن. وما إن أخذت ماري الشمعة واستدارت حتى رأت آن متكومة في سريرها وقد غاص وجهها بين الوسائد.

- رحمتك علينا (**قالت ماري مذهولة**)! هل كنتِ نائمة يا آن؟

- (**جاءها الجواب من صوت مكتوم**).

- هل أنت مريضة إذن؟ (**سألتها ماري بقلق، وهي تتجه نحو السرير**).

انكمشت آن بشكل أعمق في وسائدها كما لو كانت ترغب في إخفاء نفسها إلى ا بد عن أعين البشر.

- ، وأرجوك يا ماري اتركيني و تحاولي التطلع إليَّ. أنا غارقة في أعماق اليأس و يهمني من سيكون ا ول على الفصل، أو من سيكتب أفضل موضوع إنشائي، أو من سيغني في جوقة مدرسة ا حد بعد ا ن. أشياء صغيرة كهذه ليست ذات أهمية ا ن، ني أعتقد أنني سأتمكن من الذهاب إلى أي مكان مرة أخرى. لقد انتهت مسيرة حياتي. أرجوك يا ماري اتركيني و تحاولي التطلع إليَّ.

- هل سمع أحد من قبل شيئًا مماثلًا لما تقوله؟ (**قالت ماري التي أدخلها ا مر في حيرة وأرادت أن تعرف حقيقته**). آن شيرلي، ماذا أصابك بحق السماء؟ ماذا فعلت؟ انهضي من السرير في هذه اللحظة، وأخبريني. أقول في هذه اللحظة، نعم.. هكذا.. وا ن ما ا مر؟

انزلقت آن من سريرها ووقفت على ا رض في طاعة يائسة.

- انظري إلى شعري يا ماري (**همست**).

ومن ثمَّ رفعت ماري شمعتها ودققت النظر إلى شعر آن، الذي كان ينساب في كتل ثقيلة على ظهرها. ولم يكن لديها أدنى شك في أنه مظهره كان غريبًا جدًّا.

- آن شيرلي، ماذا فعلت بشعرك؟ كيف حدث هذا؟ إنه أخضر اللون!

هذا إذا كان يمكن تسميته با خضر، فقد كان اللون يشبه أي لون عرفته الكرة ا رضية؛ لون أخضر غريب، باهت، برونزي، مع وجود خصـ ت هنا وهناك من اللون ا حمر ا صلي زادت من فظاعة منظره ا جمالي. لم تكن ماري قد رأت في حياتها كلها أي شيء يماثل غرابة شعر آن في تلك اللحظة.

- نعم، إنه أخضر (**تنهدت آن**). كنت أظن أنه يوجد شيء أسوأ من الشعر ا حمر، لكني ا ن أعرف أن الشعر ا خضر أسوأ منه بعشر مرات. أوه يا ماري ، أنتِ تعرفين سوى القليل عن مدى بؤسي ا ن.

- أعرف سوى القليل عن كيفية تورطك في هذا المأزق، ولكني عازمة على اكتشاف ذلك (**قالت ماريه**). اتبعيني حالًا إلى المطبخ، فالجو بارد جدًّا هنا، وأخبريني بالضبط ماذا فعلتِ. كنت أتوقع تصرفًا مستهجنًا منك منذ مدة، فأنتِ لم تقحمي نفسك في المآزق كثر من شهرين، وأنا واثقة أنه قد حان وقت مصيبة جديدة. وا ن، ما الذي فعلته بشعرك؟
- صبغته.
- صبغتِه؟! صبغتِ شعرك آن شيرلي! أما كنتِ تعلمين أن هذا عمل طالح؟
- بلى كنت أعلم أنه طالح بعض الشيء (**اعترفت آن**)، ولكني ظننت أنه بأس من التخلي عن الصـ ح قليلًا في مقابل التخلص من الشعر ا حمر. لقد حسبت التكلفة يا ماريه ، با ضافة إلى أني كنت أنوي التعويض عن سوء هذه الفعلة بمضاعفة أعمالي الصالحة بطرق أخرى.
- حسنًا، لو كنت أرى أن ا مر يستحق إقدامي على صبغ شعري، لكنت صبغته بلون ئق على ا قل، ولما فكرت قط باللون ا خضر (**قالت ماريه ساخرة**).
- لكني لم أقصد صبغه باللون ا خضر يا ماريه (**احتجت آن بصوت مكتئب**). لو كنت تصرفت تصرفًا غير صالح، فقد قصدت أن أفعل هذا من أجل غاية محددة. قال لي إنها ستجعل شعري فاحم السواد، وأكد لي ذلك بشكل قاطع. فكيف لي أن أشكك في كلمته يا ماريه ؟ خصوصًا وأنا أعرف معنى أ يصدقك الناس. وتقول السيدة آ ن إنه يجب أن نشك أبدًا في أي شخص أنه يخبرنا بالحقيقة ما لم يكن لدينا دليل على ذلك. وأنا لدي الدليل ا ن، فالشعر ا خضر دليل كافٍ ي شخص، لكني في ذلك الوقت لم أكن أملك أي دليل، وصدقت كل كلمة قالها تصديقًا كاملًا.
- من الذي قال؟ عمن تتحدثين؟
- البائع المتجول الذي مر من هنا هذا المساء، والذي اشتريت منه الصبغة.
- آن شيرلي، كم مرة أخبرتك أ تسمحي حد من هؤ ء ا يطاليين بالدخول إلى المنزل؟! أنا أؤمن بتشجيعهم على التجول في هذه ا نحاء على ا ط ق.
- أوه، لم أسمح له بالدخول إلى المنزل. تذكرت ما قلته لي، فخرجت وأغلقت الباب بحرص، وعاينت ما معه من أغراض عند العتبة. كما أنه لم يكن إيطاليًّا، بل كان من يهود ألمانيا. كان معه صندوق كبير مليء با غراض المسلية، وأخبرني بأنه يعمل بجد لكسب ما يكفي من المال ليحضر زوجته وأطفاله من ألمانيا. كانت اللهجة التي

تحدث بها عنهم مؤثرة لدرجة أنها مست قلبي. كنت أرغب في شراء أي شيء منه لمساعدته في تحقيق ما يصبو إليه، وفجأة وقعت عيناي على زجاجة صبغة الشعر. وقال ذلك المتجول إنها كفيلة بصبغ أي شعر باللون ا سود الفاحم كالغراب، وأنها تزول مع الغسل أبدًا. وفي لمحة خاطفة تخيلت نفسي بشعر أسود غامق وجميل ولم أستطع مقاومة ا غراء. لكن سعر الزجاجة كان خمسة وسبعين سنتًا ولم أكن أملك سوى خمسين سنتًا من نقودي المدخرة. وشعرت أن البائع كان كريمًا جدًّا معي، عندما أخبرني بأنه من أجلي أنا فقط سيبيعها بخمسين سنتًا، وأن هذا يكاد يعني بالنسبة له بيعها بدون أرباحها. لذلك اشتريتها، وبمجرد ذهابه، صعدت إلى غرفتي وقمت بتطبيقها بفرشاة شعر قديمة كما جاء في التعليمات. لقد استهلكت الزجاجة بالكامل، وأوه يا ماريـ ، عندما رأيت اللون الرهيب الذي تحول إليه شعري ندمت كثيرًا ني كنت بنتًا غير صالحة، وما زال الندم يعضني منذ ذلك الوقت.

- حسنًا، أتمنى أن يفيدك هذا الندم (**قالت ماريـ بحدة**)، وأن تكوني قد فتحت عينيك أخيرًا، لتري إلى أين يقودك اختيالك بنفسك يا آن. أما ا ن، فالله وحده يعلم ما الذي يمكنك عمله لتتخلصي من تلك الصبغة، وأظن أن أول شيء عليكِ فعله هو غسل شعرك جيدًا ومعرفة ما إذا كانت ستفيد تلك المحاولة بأي شيء.

تجاوبًا مع اقتراح ماريـ ، قامت آن بغسل شعرها وفركه بقوة بالماء والصابون، وعلى الرغم من ذلك لم تسفر المحاولة إ عن التخلص مما كان متبقيًا فيه من بضع خصل حمراء. من المؤكد أن البائع المتجول قال الحقيقة عندما أعلن أن الصبغة تزول أبدًا مع الغسل، وفيما عدا ذلك فـ شك أن صدقه كان موضع اتهام واضح.

- أوه يا ماريـ ، ماذا أفعل ا ن؟ (**تساءلت آن وهي تبكي**). لن أقدر أبدًا على تحمل الحياة مع هذه المصيبة. لقد كاد الناس ا ن ينسون أخطائي السابقة؛ كعكة العقار المسكن لـ م، إسكار ديانا، وتطاولي على السيدة ليند. ولكنهم لن ينسوا هذه الحادثة قط، وسيعتقدون أني غير جديرة با حترام. أوه يا ماريـ ، يا لها من شبكة معقدة ننسجها بأنفسنا عندما نمارس الخداع ول مرة[73]. هذا بيت من الشعر، لكنه يعبر عن حالتي أصدق تعبير. وأوه، كيف ستسخر مني جوزي باي! يا ماريـ ، أنا لن أحتمل مواجهة جوزي باي. بل أنا ا ن أتعس فتاة في جزيرة ا مير إدوارد.

استمرت تعاسة آن لمدة أسبوع، وخـ ل تلك الفترة لم تذهب إلى أي مكان وكانت تغسل شعرها كل يوم. ولم يعرف أحد من خارج البيت بهذا السر المصيري إ ديانا فقط، لكنها

وعدت آن وعدًا رسميًّا بأ تبوح به ي مخلوق، وقد أوفت بوعدها بكل تأكيد. وفي نهاية ا سبوع قالت ماري بحزم:

- فائدة يا آن، يبدو أنه يوجد في هذا العالم ما يماثل قوة فعالية هذه الصبغة، يجب قص شعرك، إذ يوجد حل آخر، ومن المستحيل أن تغادري البيت وأنت على هذه الهيئة.

ارتجفت شفتا آن، ولكنها أدركت الحقيقة المريرة التي تضمنها تعليق ماري ، فذهبت لتحضر المقص وهي تتنهد بمرارة.

- أرجوك قصيه ا ن يا ماري ، لننهي تلك المصيبة. أشعر أنَّ قلبي محطم، ن هذه المصيبة ليست شاعرية أبدًا، ففي القصص تفقد الفتيات شعرهن بسبب الحمى أو إذا اضطرتهن الحياة إلى بيعه من أجل غاية نبيلة، و شك أني لن أمانع كثيرًا إذا خسرت شعري بنفس الطريقة. ولكن أي عبرة توجد في قصك لشعرك لمجرد أنك صبغته بلون بشع؟ سأضطر يا ماري إلى البكاء أثناء قصه، إذا لم يتعارض بكائي مع عملك، فكل ما أنا فيه ا ن يبدو بالغ المأساوية.

وهكذا بكت آن، ولكنها عندما صعدت إلى غرفتها فيما بعد، وعاينت نفسها في المرآة، جمدها اليأس. قامت ماري بعملها كما ينبغي، وكان من الضروري قص الشعر بأكبر قدر ممكن. وإذا شاء المرء إيضاح ما أسفرت عنه العملية بأسلوب لطيف، يمكن القول إن النتيجة لم تكن مشجعة. وعلى الفور أدارت آن وجه المرآة نحو الحائط.

- لن أنظر إلى نفسي مرة أخرى أبدًا إ بعد أن ينمو شعري (**هتفت بانفعال**).

ثم قامت فجأة بإعادة وجه المرآة تجاهها.

- بلى، سأنظر إلى نفسي في المرآة، سأفعل ذلك تكفيرًا عن عملي غير الصالح، سأنظر إلى نفسي في كل مرة أصعد فيها إلى غرفتي رى كم أبدو قبيحة. ولن أحاول تخيل نفسي بشعر آخر أيضًا، ما كنت صدق يومًا أني على الرغم من كرهي لحمرة شعري كنت مزهوة بطوله وغزارته وتجعيداته. وا ن.. أتوقع أن شيئًا ما سيحدث نفي أيضًا.

أثار شعر آن المقصوص ضجة كبيرة في المدرسة يوم ا ثنين التالي، ولكن مما يبعث على ارتياحها، لم يخمن أحد السبب الحقيقي لذلك، و حتى جوزي باي التي لم تفوت على نفسها فرصة إخبار آن بأنها تبدو وكأنها فزاعة حقيقية.

- لم أتفوه بأي كلمة عندما قالت لي جوزي ذلك (**أسرت آن ذلك المساء لماري ، التي كانت مستلقية على ا ريكة بسبب معاناتها مع الصداع**)، نني اعتقدت أنه جزء من عقابي ويجب أن

أتحمله بصبر. ليس أقسى من أن يقال لك إنك تشبهين الفزاعة، وتمنيت أن أرد لها ا ساءة، لكني لم أفعل. اكتفيت بتحديجها بنظرة احتقار، ثم سامحتها. أ تجعلك مسامحتك للناس تشعرين بشعور نبيل يا ماريـ ؟ أنا عازمة على تكريس جميع طاقاتي كون بنتًا صالحة، ولن أحاول بعد اليوم السعي كي أبدو جميلة أبدًا. بالطبع من ا فضل أن أكون صالحة على أن أكون جميلة، أعلم ذلك جيدًا، لكن في بعض ا حيان يجد المرء صعوبة في ا يمان حتى بما هو متأكد من صحته. أريد حقًّا أن أكون صالحة يا ماريـ ، مثلك ومثل السيدة آ ن وا نسة ستايسي، حتى أكبر وأغدو مصدر فخر لكِ. قالت لي ديانا عندما يبدأ شعري في النمو، أستطيع تصفيفه بربط شريط من المخمل ا سود حول رأسي مع عقدة جانبية، وأخبرتني بأن هذا سيكون دارجًا جدًّا. سأطلق على هذه الشريطة اسم: سنود[74]، فلهذا ا سم وقع شاعري. ولكن، هل أثرثر كثيرًا يا ماريـ ؟ هل يضاعف ك مي من صداعك؟

- لقد تحسنت ا ن، على الرغم من أن الصداع الذي أصابني مساء هذا اليوم كان فظيعًا جدًّا، وتلك النوبات التي أعانيها تزداد سوءًا على سوء، سأضطر ستشارة طبيب عرف سبب علَّتي، أما فيما يتعلق بالثرثرة، ف أظنها تضايقني، لقد اعتدتها.

كانت هذه طريقة ماريـ في إفصاحها عن حب استماعها إلى ثرثرة آن.

من قصيدة والتر سكوت الملحمية Marmion: A Tale of Flodden Field.

خ ل العصر الفيكتوري، كانت تسمى شبكات الشعر التي تُرتَدى للزينة snoods، وكان هذا المصطلح يعني قبعة تشبه الشبكة أو جزء من قبعة تمسك بالشعر في الخلف مع شريطة معقودة. ترتديه الشابات غير المتزوجات.

(28)

وصيفة زنبق تعيسة الحظ

- طبعًا يا آن بد أن تكوني أنتِ إيلين (**قالت ديانا**)، فأنا أملك الجرأة على العوم هناك.
- و أنا (**قالت روبي جيليس وهي ترتجف**). أمانع العوم هناك، لكن إذا صحبتني واحدة أو اثنتين منكن على ظهر ذلك القارب المسطح، وكان باستطاعتنا الجلوس عليه في نفس الوقت. عندها سيكون ا مر مسليًّا. أما أن أستلقي عليه وأتظاهر بالموت، فهذا ما أستطيعه، في هذه الحالة سأموت حقًّا من الخوف.
- بالطبع ستكون تجربة شاعرية (**اعترفت جين أندروز**)، ولكني أعرف أني لن أستطيع البقاء هادئة، وسأظل ما بين دقيقة وأخرى أسترق النظر، رى أين أنا، وما إذا كان القارب لم ينجرف بعيدًا. وأنت تعلمين يا آن، هذا من شأنه أن يفسد تأثير المشهد بأكمله.
- ولكن من السخف أن تكون إيلين بشعر أحمر (**اعترضت آن**). أنا أخشى العوم هناك، وأحبُّ حقًّا أن أمثل دور إيلين، ومع ذلك، ما زلت أرى هذا سخيفًا. يجب أن تأخذ روبي دور إيلين نها بيضاء البشرة، ولديها شعر ذهبي طويل وجميل، كما قرأنا عن إيلين السطر الذي يصفها: كان شعرها الذهبي ال مع ينساب فوق الماء. با ضافة إلى أن إيلين كانت وصيفة زنبق. ومن المؤكد أنه يمكن لبنت حمراء الشعر أن تكون وصيفة زنبق.
- بشرتك بيضاء مثل روبي (**قالت ديانا بلهجة جدية**)، كما أن شعرك أصبح أغمق بكثير مما كان عليه قبل أن تقصيه.
- أوه، هل تعتقدين ذلك حقًّا؟ (**هتفت آن، التي سرعان ما توردت وجنتاها ابتهاجًا**) لقد حظت هذا عدة مرات بنفسي، لكني لم أجرؤ على سؤال أي شخص خوفًا من أن يخبرني بأنه ليس كذلك. أتظنين أنه يمكن أن يُسمى كستنائيًّا ا ن يا ديانا؟
- نعم، وأعتقد أن هذا اللون جميل حقًّا (**أجابت ديانا وهي تنظر بإعجاب إلى التموجات القصيرة والحريرية التي تنساب فوق رأس آن وقد تم تثبيتها في مكانها بواسطة سنود أنيق معقود بشريطة مخملية**).

كانت البنات ا ربعة واقفات عند ضفة البركة، أسفل امتداد منحدر البستان، حيث انبثقت أشجار البتو بالقرب من الضفة، وتحلقت حول بقعة صغيرة من ا رض، بُنيت عند طرفها منصة خشبية صغيرة تمتد إلى داخل الماء، ليستعملها صيادو السمك والبط في راحة أبدانهم. كانت روبي وجين تقضيان تلك ا مسية الصيفية مع ديانا، ثم انضمت إليهن آن لتلعب معهن.

في ذلك الصيف، قضت آن وديانا معظم أوقات اللعب في البركة وما حولها. كان مسرح فردوس ا ح م قد غدا شيئًا من الماضي، بعد أن أقدم السيد بيل في الربيع على قطع حلقة ا شجار الصغيرة الواقعة في مرعى ماشيته الخلفي، بـ أي رحمة.

يومها جلست آن بين جذوعها وبكت، ولم يحجب عنها بكاؤها بالطبع شاعرية تلك اللحظة، لكنها سرعان ما حصلت على المواساة، نها ارتأت هي وديانا أن الفتيات اليافعات الـ تي في سنة الثالثة عشرة، والـ تي سيبلغن الرابعة عشرة عما قريب، أصبحن كبيرات جدًّا على مثل هذه المسليات الطفولية التي تتضمن مسارح اللعب وما يشبهها. وكان هناك المزيد من المسليات الرائعة التي يمكن العثور عليها حول البركة، فكانتا تقضيان أوقاتٍ ممتعة في اصطياد سمك السلمون المرقط من فوق الجسر، وتعلمت الفتاتان التجديف بأنفسهما في القارب الصغير المسطح الذي يستعمله السيد باري لصيد البط.

اقترحت آن في تلك ا مسية على رفيقاتها القيام بعرض مسرحي وتمثيل حكاية إيلين. وكان قد سبق لت ميذ أفونليا أن درسوا قصيدة تنيسون[75] في المدرسة في الشتاء السابق. بعد أن قررها المشرف الرقابي على التعليم ضمن منهج اللغة ا نجليزية الخاص بمدارس جزيرة ا مير إدوارد. كانوا قد حللوا القصيدة وأعربوها، وفككوها إلى مقاطع صغيرة، حتى أصبح من العجيب أن يكون قد بقي فيها أي معنى لم يُكتشَف. مع ذلك، فإنهم على ا قل أصبحوا يرون أن وصيفة الزنبق الشقراء و نسيلوت وغوينفير والملك آرثر كانوا أشخاصًا حقيقيين. أما آن فقد التهمها في كثير من ا حيان أسفها الخفي نها لم تولد في كاميلوت[76]، فتلك ا يام، كما قالت، كانت أكثر شاعرية من الحاضر.

قوبل اقتراح آن بالحماس، وكانت الفتيات قد اكتشفن من قبل أنهن عندما يدفعن القارب المسطح من مرساه، فإنه سينجرف لـ سفل بفعل التيار تحت الجسر، ثم يرسيه على ضفة منطقة خفيضة عند منعطف البركة. ولطالما قمن بهذا من قبل، و شيء كان أكثر م ئمة لتمثيل حكاية إيلين.

- حسنًا، سألعب دور إيلين.

قالت آن مستسلمة على مضض، على الرغم من أنها كانت تتوق إلى لعب دور الشخصية الرئيسية، ومع ذلك، فإن حسها الفني ظلَّ يطالبها بضرورة تطابق الممثل مع دوره، وكانت تشعر أن مواصفاتها تجعل هذا ا مر مستحيلًا.

- روبي، عليكِ أن تأخذي دور الملك آرثر، وستأخذ جين دور غوينفير، أما ديانا فستمثل نسيلوت. ولكن عليكن في البداية تمثيل دور ا خوة وا ب، وسنهمل دور الخادم العجوز ا بكم، نه يوجد مكان يكفي لشخصين في ذلك القارب المسطح عندما يكون أحدهما مستلقيًا عليه. يجب علينا تغطية القارب بالنسيج الحريري ا سود والثقيل إع نًا للحداد، سيفي الشال ا سود القديم لوالدتك بالغرض يا ديانا.

بعد أن أُحضِر الشال ا سود، قامت آن بتغطية القارب به، ثم تمددت على سطحه، مغمضة العينين، ويداها مطويتان فوق صدرها.

- أوه، إنها تبدو كأنها ميتة حقًّا (**همست روبي جيليس بعصبية وهي ترقب الوجه الصغير ا بيض الساكن تحت ظ ل البتو المتوهجة**). يجعلني هذا أشعر بالخوف يا فتيات. هل تعتقدن أنه من الصواب التصرف على هذا النحو؟ لطالما قالت السيدة ليند إن جميع أنواع التمثيل المسرحي بغيضة وشريرة.
- روبي، تأتي على ذكر السيدة ليند ا ن (**قالت آن بصرامة**)، إن هذا يفسد تأثير ا داء، ن ما نمثله ا ن تعود أحداثه قبل مولد السيدة ليند بمئات السنين. جين، قومي أنت باستكمال التحضيرات الـ زمة، فمن السخف أن تتكلم إيلين أثناء موتها.

شرعت جين في استكمال المطلوب، لم يكن هناك ستر من الذهب لتغطية إيلين، لكن وشاح البيانو القديم المصنوع من الحرير الياباني ا صفر كان بديلًا ممتازًا. كما استُعيضَ عن الزنبق ا بيض الذي تعذر الحصول عليه في ذلك الوقت، بفرع سوسنة زرقاء وضعت في إحدى يديها المطويتين فوق صدرها، وأشاعت التأثير المرجو منها.

- وا ن أصبحت جاهزة تمامًا (**قالت جين**). علينا تقبيل جبينها الساكن، وعليكِ يا ديانا أن تقولي: وداعًا يا أختاه لـ بد، وأنتِ يا روبي قولي: وداعًا أيتها ا خت الغالية. وعليكما إظهار الحزن في نبرة أصواتكما قدر المستطاع. آن، بحق السماء ابتسمي قليلًا، فأنت تعرفين، كما قرأنا أن إيلين كانت ترقد كما لو أنها تبتسم. نعم، هكذا أفضل. وا ن علينا دفع القارب.

وهكذا، دُفِع القارب الذي ارتطم أثناء عملية دفعه بوتد قديم مطمور تحت التراب. انتظرت ديانا وجين وروبي لوقتٍ كافٍ حتى رأين التيار يجرف القارب ويوجهه نحو الجسر،

ثم هرولن عبر الغابة، فالطريق، حتى وصلن المنطقة الخفيضة حيث سيكون نسيلوت وغوينفير والملك على أهبة ا ستعداد ستقبال وصيفة الزنبق.

انجرفت آن ببطء لبضع دقائق، وهي تستمتع بشاعرية تلك اللحظات وتتشبع بها. وفجأة، حدث شيء غير شاعري البتة. بدأ الماء يتسرب إلى القارب. وفي لحظات قليلة جدًّا، استدعت الضرورة إيلين الميتة أن تهبَّ واقفة على قدميها، نافضة ستر الذهب، ومزيحة وشاح الحداد ا سود عن نعشها، ومتفحصة قعر القارب الذي كان الماء يتدفق من شقٍّ كبير فيه. كان ذلك الوتد الحاد الذي ارتطم به القارب أثناء دفعه من مرساه، قد خرق قاعدته المثبتة بالمسامير. لم تكن آن تعرف ما حدث، لكن لم يستغرق ا مر وقتًا طويلًا حتى أدركت أنها كانت في محنة خطيرة. وإذا استمر التسريب على هذا المعدل سيمتلئ القارب بالماء وسيغوص إلى ا عماق قبل أن ينجرف إلى تلك المنطقة الخفيضة. ولكن ماذا عن المجاديف؟ لقد تُركت هناك على اليابسة!

أطلقت آن صرخة نجدة صغيرة لم تصل إلى مسامع أحد قط، وامتقع لونها حتى كسا بياض الذعر شفتيها، لكنها لم تفقد السيطرة على نفسها، وكان ما يزال لديها فرصة واحدة؛ واحدة فقط للنجاة.

- لقد تملكني الخوف بشكل رهيب (**أخبرت السيدة آ ن في اليوم التالي**)، وبدا كأنني قضيت سنوات طويلة على متن هذا القارب بينما يرتفع منسوب الماء المتسرب كل لحظة، وقبل أن ينجرف نحو الجسر. حينها، صليت يا سيدة آ ن، صليت بإخ ص عميق، لكني لم أغمض عينيَّ أثناء الص ة، إذ كنت أعرف أن الطريقة الوحيدة التي يمكن أن ينقذني بها الله هي جعله القارب يمر بالقرب من إحدى ركائز الجسر تشبث به. وكما تعلمين، ليست تلك الركائز إ جذوع أشجار قديمة، ما زال يوجد عليها الكثير من العقد والفروع الغليظة. كان من الواجب أن ألجأ إلى الله بالص ة في ذلك الوقت، ولكن كان يجب عليَّ أيضًا أن أقوم بدوري في المراقبة، عرفت هذا على الفور، وقلت: أيها الرب العزيز، من فضلك خذ القارب نحو إحدى الركائز وسأتكفل بالباقي. وظللت أتوجه بهذا ا لتماس مرارًا وتكرارًا. ففي مثل هذه الظروف، تستطيعين التفكير بأداء ص ة منمقة. وسرعان ما استجاب الله لص تي، ن القارب اصطدم لبرهة بإحدى الركائز، لكنها كانت كافية قذف بالشال والوشاح على كتفي، و تشبث بجذع شجرة من لدن العناية ا لهية. وهكذا وجدت نفسي يا سيدة آ ن، متشبثة بذلك

الجذع القديم الزلق من دون أي وسيلة للصعود أو الهبوط. لقد كان موقفًا غير شاعري أبدًا، لكني لم أكن أفكر بالمواقف الشاعرية في ذلك الحين.

شك أنك لن تستطيعي التفكير با شياء الشاعرية عندما تكونين قد نجوت للتو من قبر مائي. وفي الحال تلوت صـ ة شكر، ثم أوليت كل انتباهي للتشبث بإحكَام، ني كنت أعلم أنه ربما يتعين علي ا عتماد على المساعدة البشرية للعودة إلى اليابسة.

انجرف القارب تحت الجسر ثم غرق على الفور في منتصف النهر. كانت روبي وجين وديانا ينتظرنه عند رأس اليابسة الخفيضة وعندما شاهدنه يختفي أمام أعينهن لم يكن لديهن أدنى شك في أنَّ آن قد غرقت معه. تسمرن في أماكنهن للحظات، شاحبات الوجوه، مرتعدات الفرائص من هول المأساة، ثم صرخن بأعلى أصواتهن، وبدأن السباق بالركض المحموم عبر الغابة، من غير أن يتوقفن ولو لبرهة أثناء عبورهن الطريق الرئيسي، لينظرن باتجاه الجسر.

رأت آن أخيلتهن المندفعة، وسمعت صراخهن، بينما كانت تتشبث بيأس بم ذها المحفوف بالمخاطر. نعم، ستأتي النجدة قريبًا، لكن بانتظار تلك النجدة كان وضعها على غاية من الخطورة.

مرت الدقائق، وكانت كل دقيقة أشبه بالساعة بالنسبة إلى وصيفة الزنبق تعيسة الحظ. لماذا لم يأتِ أحد لنجدتها؟ أين ذهبت الفتيات؟ ماذا لو كنَّ قد أغمي عليهنَّ كلهنَّ؟! ماذا لو لم يأت أحَد! ماذا لو بلغ بها ا عياء حد تشنج عضـ تها وما عاد بإمكانها الصمود؟!

أمعنت آن النظر في تلك ا عماق الخضراء الشريرة تحتها، وهي تتماوج بظ ل لزجة مديدة، وسرت القشعريرة في بدنها. وسرعان ما بدأ خيالها يصور لها كل ا حتما ت المروعة.

وفي اللحظة التي شعرت فيها بأنها ما عادت قادرة على تحمل ا لم في ذراعيها ومعصميها لدقيقة أخرى، رأت جيلبرت بليث يجدف تحت الجسر في زورق هارمون أندروز!

ألقى جيلبرت نظرة عابرة نحو ا على، ولدهشته البالغة، رأى وجهًا صغيرًا وشاحبًا ينظر إليه بعينين رماديتين واسعتين وخائفتين، لكنهما غير خاليتين من التعالي أيضًا.

- آن شيرلي! كيف وصلت إلى هناك بحق السماء؟ (صرخ).

وبدون أن ينتظر إجابة، اقترب بالزورق من الركيزة ومدَّ لها يده، ولم يكن لدى آن خيار آخر في تلك ا زمة لترفض مساعدته، لذلك تشبثت بيد جيلبرت بليث، وقفزت إلى الزورق، حيث جلست عند مؤخرته مبللة وساخطة، بينما ضمت ذراعاها الشال الذي يقطر بالماء،

والغطاء الحريري المبلل. و شك أن ذلك الظرف كان أسوأ من أن يتيح لها فرصة التصرف بكبرياء!

- ماذا حدث يا آن؟ (**سألها جيلبرت، وهو يمسك بالمجدافين**).
- كنا نلعب دور إيلين (**أوضحت آن ببرود، دون حتى النظر إلى منقذها**)، وكان عليَّ أن أنجرف مع التيار إلى كاميلوت بالبارجة؛ أعني بالقارب. ثم بدأ الماء يتسرب إلى قعر القارب، فتسلقت تلك الركيزة. وذهبت الفتيات حضار النجدة. أيمكنك أن تتلطف وتوصلني إلى اليابسة؟

جدَّف جيلبرت إلى اليابسة، حيث قفزت آن إلى الشاطئ برشاقة، بعد ترفعها عن قبول أي مساعدة أخرى منه.

- أنا شاكرة جدًّا لك (**قالت بغطرسة وهي تدير له ظهرها مبتعدة، لكن جيلبرت قفز أيضًا من الزورق في تلك اللحظة ووضع يده على ذراعها مستوقفًا إياها**).
- آن (**قال على عجل**)، اسمعيني ا ن، أ يمكننا أن نصبح صديقين جيدين؟ أنا آسف للغاية ني سخرت من شعرك ذات مرة. لم أقصد أن أزعجك وكنت أعني ذلك على سبيل المزاح فقط. إلى جانب ذلك، لقد مضى وقت طويل جدًّا على تلك الحادثة. أعتقد أن شعرك أصبح رائعًا ا ن، صدقًا، أنا أعني ما أقول. دعينا ننسى الماضي ونتصالح.

ترددت آن للحظة، وكان قد غمرها في تلك اللحظة إحساس غريب ودخيل عليها، رغمًا عن كل كبريائها المستنفرة، وشعرت أن تلك النظرة التي انتصفت بين الخجل واللهفة في عيني جيلبرت العسليتين كانت شيئًا محببًا لرؤيته. خفق قلبها فجأة بنبضة صغيرة، وسريعة، وغريبة، لكن مرارة الضَيْم القديم سرعان ما حسمت ترددها. واستعادت ذاكرتها ذلك المشهد الذي وقع قبل عامين، كما لو كان قد وقع با مس. كان جيلبرت قد نعتها بالجزر، وألحق بها العار أمام المدرسة بأكملها. لم يكن استياؤها، الذي قد يكون سببه مثيرًا للضحك بالنسبة لـ خرين والراشدين، قد هدأ أو خفَّ بمرور الوقت على ما يبدو. كانت تكره جيلبرت بليث! ولن تسامحه أبدًا!

- (**قالت ببرود**)، لن أكون صديقة لك أبدًا يا جيلبرت بليث، و أريد أن أكون كذلك!
- بأس! (**قفز جيلبرت إلى زورقه الصغير وقد ضرَّجت حمرة الغضب خدَّيه**) لن أطلب منك أن نكون صديقين مرة أخرى يا آن شيرلي. واعلمي أني أهتم أيضًا!

بينما جدَّف جيلبرت زورقه، بحركات سريعة وجريئة، صعدت آن درب المنحدر السرخسي تحت أشجار القيقب، وعلى الرغم من أنها مشت شامخة الرأس، فإن شعورًا غريبًا بالندم قد حلَّ عليها ضيفًا ثقيلًا، بل إنها تمنت لو كانت قد أجابت جيلبرت بشكل مختلف.

شك أنه قد سبق وأهانها إهانة تُغتفر، لكنه ما يزال...! وإجمالًا، شعرت أنَّ شيء سيعيد إليها تماسكها ويشعرها بالراحة سوى الجلوس وا ستغراق في البكاء. كانت متوترة ا عصاب حقًّا، وكان رد فعلها نتيجة ما عانته من خوف وتوتر على وشك التمهيد لنفسه بالظهور.

التقت آن بكل من جين وديانا عند منتصف الدرب، وهما تهرو ن عائدتين إلى البركة في حالة هياج تكاد توصف بالجنون. لم يعثرن على أحد في دارة منحدر البستان، فقد كان السيد والسيدة باري خارج البيت، وهناك استسلمت روبي جيليس حدى نوبات بكائها العصبية، وتُركت لتتعافى منها، بينما طارت جين وديانا عبر الغابة المسكونة، فالجدول، نحو المرتفعات الخضراء. ولم تعثرا على أي شخص أيضًا، ن ماريل كانت قد ذهبت إلى كارمودي، وكان ماثيو يخلط التبن في الحقل الخلفي.

- أوه يا آن (**شهقت ديانا وهي ترتمي في حضن آن وتبكي ارتياحًا وسرورًا**). أوه يا آن.. كنا نظن.. أنك.. غرقت.. وشعرنا أننا قتلة.. ننا أرغمناك على.. تمثيل دور إيلين. وروبي ا ن واقعة في نوبة هيسترية.. أوه يا آن، كيف تمكنت من النجاة؟
- تعلقت بواحدة من تلك الركائز (**أوضحت آن بإرهاق**)، وجاء جيلبرت بليث في زورق السيد أندروز وأوصلني إلى اليابسة.
- أوه يا آن، ما أروعه! بل إن هذا شيء شاعري للغاية! (**قالت جين، بعد أن التقطت أنفاسًا كافية لتتمكن من التفوه أخيرًا**). شك أنك ستصالحينه بعد ما حدث.
- بالطبع لن أفعل (**أجابت آن التي توهج داخلها ذلك الغضب القديم للحظة عابرة**)، و أريد أن أسمع كلمة شاعري مرة أخرى يا جين أندروز. أنا آسفة للغاية على ما تسببت به من ذعر في قلوبكن يا فتيات، لقد كان كل ما حدث خطئي. أنا متأكدة من أني ولدت تحت نجم سيئ الحظ، فكل ما أفعله يقحمني في المآزق، ويقحم أعز أصدقائي معي أيضًا. وها نحن قد فقدنا قارب أبيك يا ديانا، ولدي إحساس داخلي بأنه لن يُسمح لنا بالتجديف في البركة بعد ا ن.

أثبت حدس آن أنه أهل للثقة أكثر مما يمكن توقعه من مثل هذه ا حاسيس. وكان الذعر الذي عم منزلي آل باري وآل كوثبرت عظيمًا عندما علموا بأحداث ذلك المساء.

- ألن يكون بإمكانك التعقل يومًا ما يا آن؟ (**زمجرت ماريه**).
- أوه، أعتقد أنني سأفعل يا ماريه (**أجابت آن بتفاؤل، بعد أن كانت قد لجأت إلى العزلة التي تاقت إليها في غرفتها الشرقية، حيث بكت بكاءً عميقًا هدأ أعصابها وأعادها إلى ابتهاجها المعتاد**). أعتقد أن احتما ت أن أصبح عاقلة أصبحت أكثر إشراقًا ا ن من أي وقت مضى.
- أرى أي كيفية لحدوث هذا (**قالت ماريه**).
- حسنًا (**أوضحت آن**). لقد تعلمت درسًا جديدًا وقيِّمًا اليوم. منذ أن قدمت إلى المرتفعات الخضراء وأنا أرتكب ا خطاء، و شك أن كل خطأ قد ساعدني في ع ج بعض أوجه القصور الكبيرة في نفسي، فقضية مشبك الجمشت عالجتني من التدخل في أشياء تخصني، وحكاية الغابة المسكونة عالجتني من ا سترسال الجامح لخيالي، وعالجتني كعكة العقار المسكن من ا همال أثناء الطهي، وعالجتني صبغة شعري من ا ختيال. ما عدت ا ن أفكر بشعري أو بأنفي.. على ا قل نادرًا جدًّا ما أفعل هذا. أما خطأ اليوم فسيعالجني من تغليف كل ا مور بالشاعرية. لقد توصلت إلى استنتاج مفاده أنه فائدة من محاولة المرء أن يكون شاعريًّا في أفونليا. ربما كانت المحاولة ستصبح سهلة جدًّا في قلعة كاميلوت الشاهقة منذ مئات السنين، لكن الشاعرية ما عادت تحظى بالتقدير هذه ا يام. أنا متأكدة من أنك سترين قريبًا تحسنًا كبيرًا في هذا الصدد لدي يا ماريه .
- أتمنى ذلك فعلًا (**قالت ماريه بشيء من الشك**).

لكن ماثيو، الذي كان جالسًا بصمت في ركنه، وضع يده على كتف آن عندما خرجت ماريه ، وهمس بحياء:

- تتخلي عن كل ما لديك من الشاعرية يا آن، القليل منها يضر.. ليس الكثير منها بالطبع.. لكن احتفظي بالقليل منها يا آن، احتفظي بالقليل منها.

قصيدة: Idylls of the King قصيدة قصصية للشاعر ا نجليزي ألفريد تنيسون، تعيد سرد أسطورة الملك آرثر. تتكون من اثنتي عشرة قصيدة، والمشهد المقتبس منها هنا هو قصة السير نسلوت وإيلين؛ التي عرفت بأنها وصيفة الزنبق.

قلعة وبـ ط يرتبط اسمها بالملك ا سطوري آرثر، تحدد القصص موقعها بأنها في مكان ما ـ تحدده بالضبط ـ في بريطانيا العظمى، وتربطها أحيانًا بمدن حقيقية.

(29)
حقبة في حياة آن

كانت آن تسوق ا بقار من المرعى الخلفي إلى الحظيرة على امتداد درب العشاق. كان ذلك في إحدى أمسيات أيلول، حيث أدى التقاء عيني شمس الغروب بعيني الغابة إلى امت ء كل فجوة، وكل قطعة أرض جرداء فيها بحمرة الضوء الياقوتي الذي تضرج به الدرب بين بقعة وأخرى، بينما خيَّمت ظ ل أشجار القيقب على البقعة ا كبر منه. وعلى الجانب ا خر، امت ت المساحات الفارغة بين أشجار التنوب بغسقٍ بنفسجيٍّ صافٍ كأنه خمر وهمي، بينما بلغ زَفَيان الرياح مداه، وليس هناك موسيقى على ا رض أجمل من تلك ا لحان المشتركة التي تصدرها الرياح مع أشجار التنوب في المساء.

أخذت ا بقار تتمايل بوداعة على طول الممر، وتبعتها آن حالمة، وهي تردد بصوت عالٍ نشيد المعركة من قصيدة مارميون[77]، والتي كانت ضمن مقرر اللغة ا نجليزية للشتاء الماضي، جعلتهم ا نسة ستايسي يحفظونها عن ظهر قلب. أخذت آن تتلوها جذ نةً بوقع أبياتها السريع وبصور مناوشات الرماح الخيالية فيها، وعندما وصلت إلى هذه ا بيات:

ما زال حاملو الرماح يناضلون ببسالة

خلف غياهب أدغالهم المنيعة

وقفت مغلقة عينيها في حالة من النشوة، لتتخيل نفسها أحد أفراد تلك الواقعة البطولية، وما إن فتحتهما مرة أخرى حتى وقع نظرها على ديانا وهي تعبر البوابة المؤدية إلى حقل باري وقد بدت ع مات الجد على محياها، فتوقعت آن على الفور أن رفيقتها تحمل لها خبرًا مهمًّا، لكنها ضبطت نفسها حتى يخونها التعبير ويفضح فضولها المتأجج با ثارة.

- أ تشبه هذه ا مسية حلمًا أرجوانيًّا يا ديانا؟ إنها تجعلني أشعر بالسعادة لكوني على قيد الحياة، دائمًا ما أرى أن الصباحات هي ا جمل، لكن ما إن يحل المساء حتى أرى أنه أكثر جمالًا.

- نعم، إنها أمسية رائعة (**قالت ديانا**)، ولكن ا هم من ذلك هو ما أحمله من أخبار مثيرة يا آن. عليك أولًا أن تخمني، سأعطيك الفرصة لث ثة تخمينات.

- قررت تشارلوت جيليس إقامة مراسم زواجها في الكنيسة أخيرًا، والسيدة آ ن تريد منا تزيينها (**هتفت آن**).
- ك ، لم يوافق خطيب تشارلوت على هذا، ن أحدًا لم يتزوج في الكنيسة قبلهما، ويعتقد أن الزواج في الكنيسة سيبدو أشبه بالجنازة، و شك أن هذه أنانية منه، نه لو وافق لكان ذلك حدثًا مسليًا. خمني مرة أخرى.
- والدة جين ستسمح لها بإقامة حفلة عيد مي دها؟

هزت ديانا رأسها نافية، وعيناها السوداوان ترقصان بمرح.

- أستطيع التفكير بشيء آخر (**قالت آن مستسلمة**)، إ إذا كان مودي سبيرجون ماكفيرسون قد أوصلك إلى البيت ليلة أمس بعد اجتماع الص ة. هل فعل هذا؟
- ك بكل تأكيد (**صاحت ديانا بسخط**)، لن أفتخر بذلك لو فعل، يا له من مخلوق بغيض! كنت أعرف أنك لن تحزري. حسنًا، لقد استلمت أمي اليوم رسالة من العمة جوزفين، تريدنا العمة أن نذهب أنا وأنت إلى المدينة الث ثاء المقبل ونبقى عندها من أجل حضور المعرض. هذا هو الخبر!
- أوه يا ديانا (**همست آن التي وجدت أنه من الضروري ا تكاء على شجرة القيقب للحصول على الدعم**). أصحيح ما تقولينه؟ ولكني أخشى أ تسمح لي ماري بالذهاب. ستقول إنها تشجع تجوالي خارج البيت. كان هذا ما قالته ا سبوع الماضي عندما دعتني جين للذهاب معهم في عربتهم ذات المقاعد المزدوجة إلى الحفل الموسيقي ا مريكي في فندق وايت ساندس. أردت الذهاب، لكن ماري قالت إنه من ا فضل لي ولجين أيضًا أن نبقى في البيت ونراجع دروسنا. لقد أُصبت بخيبة أمل مريرة يا ديانا، وشعرت بحزن شديد لدرجة امتنعت معها عن ت وة ص تي قبل خلودي للنوم، لكني ندمت بعد ذلك فنهضت وصليت في منتصف الليل.
- سأقول لك ما الذي يمكننا عمله (**قالت ديانا**)، سنجعل أمي تطلب من ماري السماح لك بالذهاب، سيكون من المرجح أن تسمح لك بالذهاب في هذه الحالة. وإذا وافقت سنحظى بفرصة عمرنا يا آن. لم أحضر قط أي معرض، ولم يكن هناك ما يحبطني أكثر من سماع الفتيات ا خريات يتحدثن عن رح تهن، لقد سبق لجين وروبي أن حضرتا المعرض مرتين من قبل، وستذهبان هذا العام أيضًا.
- لن أفكر في ا مر على ا ط ق حتى أعرف ما إذا كان بإمكاني الذهاب أم (**قالت آن بحزم**)، ني إذا فكرت به ثم خاب أملي سيكون ذلك فوق طاقة احتمالي. ولكن في

حالة ذهابي، فـ شك أني سأكون سعيدة جدًّا ن معطفي الجديد سيكون جاهزًا بحلول ذلك الوقت. لم تعتقد ماريـ في البداية أني بحاجة إلى معطف جديد، ورأت أن معطفي القديم ما زال جيدًا ليخدمني شتاءً آخر، وقالت إنه عليَّ ا كتفاء بالحصول على فستان جديد، هو فستان جميل جدًّا يا ديانا؛ لونه أزرق داكن ومصمم بطريقة عصرية. أصبحت ماريـ تخيط جميع ثيابي بطريقة عصرية ا ن، فهي تقول إنها تنوي أن تترك المجال لماثيو ليذهب إلى السيدة ليند لتخيطها لي مرة أخرى. وهذا يسعدني كثيرًا، نه من ا سهل على ا نسان أن يكون صالحًا إذا كانت ثيابه عصرية. على ا قل هذا أسهل بالنسبة لي، وأعتقد أن هذا يشكل فارقًا بالنسبة إلى الناس ذوي الفطرة الصالحة. لكن ماثيو أصرَّ على أن يكون لدي معطف جديد، لذلك اشترت ماريـ قطعة جميلة من قماش البوبلين ا زرق، وسلمته لخياط حقيقي في كارمودي. سينتهي منه ليلة السبت، وأنا أحاول أ أتخيل نفسي وأنا أتبختر في رواق الكنيسة يوم ا حد مرتدية معطفي وقبعتي الجديدين، ني أخشى أنه ليس من الصواب تخيل مثل هذه ا شياء في الكنيسة. لكن ا مر يفلت من يدي رغمًا عني. قبعتي الجديدة جميلة أيضًا، اشتراها ماثيو لي في اليوم الذي ذهبنا فيه إلى كارمودي. إنها واحدة من تلك القبعات المخملية الزرقاء الصغيرة الدارجة هذه ا يام، تزينها شرائط وشُرَّابات ذهبية. وبالمناسبة يا ديانا، إن قبعتك الجديدة أنيقة وعصرية جدًّا، وعندما رأيتك تعتمرينها في الكنيسة يوم ا حد الماضي، امت قلبي بالفخر نك رفيقتي الحميمة. أتظنين أن تفكيرنا الكثير في المـ بس ليس تفكيرًا تقيًّا؟ إن ماريـ تعدُّه تفكيرًا آثمًا، ولكن أ ترين أن الموضوع مثير لـ هتمام؟

سمحت ماريـ ن بالذهاب إلى المدينة، واتُّفِق على أن يقوم السيد باري باصطحاب الفتاتين إلى هناك يوم الثـ ثاء التالي، نظرًا ن شارلوت تاون كانت تقع على بعد ثـ ثين ميلًا من أفونليا، كما أن السيد باري رَغبَ في الذهاب والعودة في نفس اليوم، فتحتم عليهم المغادرة في وقت مبكر جدًّا. عدَّت آن هذه الترتيبات شيئًا ممتعًا، استيقظت قبل شروق الشمس صباح الثـ ثاء، أكدت لها نظرتها الخاطفة من نافذة غرفتها أن الطقس سيكون على ما يرام، ن السماء الشرقية المطلة على أشجار التنوب في الغابة المسكونة فضية وصافية، وكان الضوء الذي سطع في السقيفة الغربية لدارة منحدر البستان من خـ ل فرجة ا شجار، دليلًا على نهوض ديانا أيضًا.

انتهت آن من ارتداء م بسها في الوقت الذي أشعل فيه ماثيو نار الموقد، وكان ا فطار جاهزًا بعد نزول ماريـ من غرفتها. لكن حماس آن كان أشد من أن تقبِل على الطعام بشهية. بعد انتهاء ا فطار، ارتدت آن معطفها وقبعتها الجديدين وهرولت إلى دارة منحدر البستان عبر جسر الجدول ثم أحراش أشجار التنوب. كان السيد باري وديانا في انتظارها، وسرعان ما باشروا رحلتهم.

رحلة طويلة، لكن آن وديانا استمتعتا بكل دقيقة، و شيء بدا لهما أكثر عذوبة من قعقعة العربة فوق الطرقات الندية تحت ضوء الشروق ا حمر المبكر، والزاحف نحو حقول الحصاد. كان الهواء منعشًا وخفيفًا، وتناثر القليل من الضباب ا زرق الدخاني عبر الوديان وطفا فوق الت ل، يمتد الطريق أحيانًا بين ا حراش حيث أشجار القيقب المحملة بأوائل براعمها القرمزية، أو يمضي قاطعًا ا نهار فوق جسور جعلت جسم آن ينكمش بذلك الفزع القديم المكلل با بتهاج، وفي أحيان أخرى كان ينعطف نحو الساحل، مرورًا بمجموعة صغيرة من أكواخ الصيد الرمادية، ثم يصعد مجددًا نحو الت ل حيث يمكن رؤية ا متداد البعيد نحناءاتها، أو الضباب ا زرق الدخاني. لكنه أينما مضى تكشَّف عن كثير من ا مور المثيرة للنقاش. كان النهار قد انتصف تقريبًا عندما وصلت العربة إلى المدينة، وتوجهت نحو منطقة بيتشوود حيث يقع منزل ا نسة باري القديم أنيق الطراز، بعيدًا عن الشارع الرئيسي بين عزلة من أشجار الدردار الخضراء وأشجار الزان المتفرعة. استقبلت ا نسة باري ضيفتيها عند الباب، وعيناها الثاقبتان تشعان بالوميض.

- إذن، جئت أخيرًا لزيارتي أيتها الفتاة آن (**قالت**). عجبًا، كم كبرت أيتها الطفلة! لقد أصبحتِ أطول مني ا ن، بل وتبدين أجمل بكثير مما كنت عليه من قبل. طبعًا أظنك تعرفين هذا من غير أن يخبرك به أحد.
- في الواقع، لم أكن أعرف (**قالت آن وهي تتوهج حيوية**). أعرف أني ما عدت منمشة كما كنت في السابق، وهذا شيء أحمد الله عليه، لكن فيما عدا ذلك لم أجرؤ حتى على مجرد ا مل بأي تحسن آخر. ويسرني أنك ترين هذا التحسن يا آنسة باري.

كان منزل ا نسة باري مؤثثًا بأُبَّهة فخمة، كما أخبرت آن ماريـ فيما بعد. عندما تركتهما ا نسة باري في صالة ا ستقبال وذهبت لتشرف على تحضير الغداء، ارتبكت الفتاتان الريفيتان نوعًا ما من البذخ المحيط بهما.

- أ يبدو كالب ط الملكي؟ (**همست ديانا**) لم يسبق لي أن زرت العمة جوزفين من قبل، ولم تكن لدي أي فكرة عن مدى رحابته. أتمنى أن تتمكن جوليا بيل من رؤية هذا،

فهي تكف عن المباهاة بصالة أمها.

- سجادة مخملية (**تنهدت آن برفاهية**)، وستائر حريرية! كثيرًا ما حلمت بمثل هذه ا شياء يا ديانا. ولكن أتعلمين؟

- أشعر براحة كبيرة في وجود تلك ا شياء في النهاية، فهناك أشياء كثيرة في هذه الغرفة وكلها رائعة لدرجة أنه يوجد مجال للخيال، وأظن أن العزاء الوحيد لكون المرء فقيرًا، أنه يحظى بمتسع خيال لكل ا شياء التي حُرم منها.

كانت إقامتهما في المدينة حدثًا استحق أن تؤرخ الفتاتان حياتيهما بدءًا منه لعدة سنوات، نها إقامة امت ت با حداث المفرحة من بدايتها إلى نهايتها.

اصطحبتهما ا نسة باري يوم ا ربعاء إلى أرض المعارض، ومكثن هناك طيلة النهار.

- كان رائعًا (**روت آن لماريـ فيما بعد**). ما تخيلت في حياتي شيئًا مسليًا مثله، و أعرف حقًّا أي ا قسام منه كان أكثر تشويقًا. أعتقد أني أحببت الخيول والزهور وأعمال التطريز أكثر من غيرها. فازت جوزي باي بالجائزة ا ولى على حياكة الشرائط، وسررت من أجلها كثيرًا. وسررت من نفسي أيضًا ني سررت من أجلها، أ تعتقدين يا ماريـ أن هذا يدل على تحسن أخ قي؟ ربح السيد هارمون أندروز الجائزة الثانية على تفاح جرافنشتاين[78]، أما السيد بيل فربح الجائزة ا ولى على خنزير. ورأت ديانا أنه من السخف أن يربح ناظر مدرسة ا حد جائزة على الخنازير، وعللت ذلك بأنها فيما بعد لن تكف عن التفكير بالخنزير كلما رأت الناظر بيل مستغرقًا في الصـ ة. لكني لم أفهم ما قصدته يا ماريـ ، هل تفهمين أنت؟ حصلت كـ را لويز ماكفيرسون على جائزة الرسم، أما السيدة ليند فحصلت على الجائزة ا ولى فضل المصنوعات البيتية من الجبنة والزبدة. أ ترين يا ماريـ أنه تم تمثيل أفونليا في المعرض خير تمثيل؟ كانت السيدة ليند هناك في ذلك اليوم، ولم أكن أعرف كم أحبها حقًّا، حتى رأيت وجهها المألوف بين كل هؤ ء الغرباء، فقد كان هنا ا ف من الناس يا ماريـ ، حتى جعلتني كثرتهم أشعر بضآلتي بينهم. وأخذتنا ا نسة باري إلى المدرج لمشاهدة سباقات الخيول، لم تأتِ السيدة ليند معنا، نها ترى أن سباقات الخيول من ا عمال البغيضة، ولكونها عضوةً في الكنيسة، رأت أنه من واجبها أن تكون قدوة حسنة با بتعاد عن مثل هذه ا شياء. لكني أظن أن غياب السيدة ليند قد لوحظ وسط ذلك الحشد الهائل في المدرجات. لقد أثارني السباق كثيرًا يا ماريـ ، لذلك أعتقد أنه يجدر بي حضور الكثير منها. كانت ديانا متحمسة للغاية لدرجة أنها عرضت

أن تراهنني بعشرة سنتات على فوز الحصان ا حمر، وعلى الرغم من أني ما كنت أظنه سيتمكن من الفوز، رفضت الرهان، ني أردت أن أخبر السيدة آ ن بكل شيء، وشعرت أني لن أجرؤ على ذكر حكاية الرهان أمامها، فمن المعيب حتمًا فعل أي شيء يمكنك إخبار زوجة القس به. إنه لضمير إضافي للمرء عندما يكون مرتبطًا بأواصر الصداقة مع زوجة القس. وفي النهاية ربح الحصان ا حمر، وسررت جدًّا ني لم أراهن ديانا عليه، ني كنت سأخسر عشرة سنتات. وهكذا تأكدت أن تباع الفضيلة أجرها. رأينا رجلًا يطير بواسطة منطاد، وأتمنى يا ماريـ لو تتاح لي فرصة الطيران بمنطاد، سيكون ا مر ببساطة مثيرًا. والتقينا رجلًا يقرأ الطالع. تدفعين له عشرة سنتات ويقوم طائر صغير بالتقاط ورقة تحتوي على طالعك. أعطت ا نسة باري عشرة سنتات لكل واحدة منَّا، لنقرأ طالعنا. كان طالعي أني سأتزوج برجل أسمر، ثري للغاية، وأني سأعيش في مكان أعبر إليه البحار. نظرت بعناية إلى جميع الرجال السمر الذين رأيتهم بعد ذلك، لكني لم أهتم كثيرًا بأي منهم، وعلى أي حال، أعتقد أنه من السابق وانه البحث عنه. أوه، لقد كان يومًا يُنسى أبدًا يا ماريـ . كنت متعبة للغاية لدرجة أني لم أستطع النوم في الليل. استضافتنا ا نسة باري في غرفة نوم الضيوف ا حتياطية كما سبق ووعدتني. كانت غرفة أنيقة يا ماريـ ، لكني وجدت أن النوم في غرفة احتياطية بطريقة ما لم يكن كما كنت أعتقد. ولعل هذا من أسوأ ا مور التي تصيبك عندما تكبرين، ولقد بدأت أدرك هذه الحقيقة ا ن. حقيقة أن ا شياء التي كنت تتوقين إليها في طفولتك كثيرًا، تفقد نصف روعتها عندما تحصلين عليها فيما بعد.

ذهبت الفتاتان يوم الخميس إلى المنتزه، وفي المساء اصطحبتهما ا نسة باري إلى حفل موسيقي أُقيم في معهد الموسيقى، حيث ستغني فيه المطربة ا ولى في ا وبرا. بالنسبة ن، كانت تلك ا مسية كالحلم المت لئ ببريق السعادة.

- أوه يا ماريـ ، كان ذلك يفوق الوصف. وبلغ بي الحماس درجة جعلتني أغرق في الصمت التام، وأظن أن هذا يعطيك فكرة عن مدى روعته. كانت السيدة سيليتسكي فائقة الجمال، في فستانها من الستان ا بيض الماسي، لكني توقفت عن التفكير بكل هذه المظاهر عندما بدأت في الغناء. أوه يا ماريـ ، أستطيع أن أعبر لك عن المشاعر التي انتابتني حينها، بدا لي أنه لن يكون من الصعب أن أصبح فتاة صالحة بعد ا ن. كانت أحاسيسي تشبه تلك ا حاسيس التي تسيطر علي عندما أتطلع نحو النجوم، وترقرقت عيناي بالدموع، لكنها كانت دموع سعادة. لقد شعرت با سف الشديد

عندما انتهى كل شيء، وأخبرت ا نسة باري بأني أعلم كيف سأعود إلى الحياة ا عتيادية مرة أخرى. فقالت إنها تعتقد أنه إذا ذهبنا إلى المطعم الذي يقع في الجهة المقابلة من الشارع وتناولنا المثلجات، فقد يساعدني ذلك على تجاوز شعوري با سف. بدا ما تقوله مبتذلًا جدًّا، لكن لدهشتي وجدت ك مها صحيحًا. كانت المثلجات لذيذة جدًّا يا ماريه ، ولم يكن هناك أروع من أن تجلسي هناك في ذلك المطعم الساعة الحادية عشرة مساءً لتناولها. قالت ديانا إنها خُلقت من أجل أن تحيا حياة المدينة، وسألتني ا نسة باري عن رأيي، لكني أخبرتها بأن عليَّ التفكير في ا مر بجدية شديدة قبل أن أعلن عن رأيي حقًّا. لذلك فكرت في ا مر بعد أن ذهبت إلى الفراش. هذا هو أفضل وقت للتفكير في ا مور. وتوصلت إلى النتيجة يا ماريه ؛ أني لم أولد من أجل حياة المدينة، بل ويسرني ذلك. من الرائع تناول المثلجات في المطاعم المترفة الساعة الحادية عشرة مساءً من حين خر، لكن عندما يتعلق ا مر بالحياة اليومية العادية، فإني أفضِّل أن أكون في غرفتي في المرتفعات الشرقية عندما تشارف الساعة الحادية عشرة مساءً، أنعم بنوم هادئ وأنا أعرف أن النجوم تتوهج خارج نافذتي، وأن الريح تعصف فوق أشجار التنوب عند الجدول. أخبرت ا نسة باري بذلك عند ا فطار في صباح اليوم التالي فضحكت. كانت ا نسة باري بشكل عام تضحك على أي شيء أقوله، حتى عندما أقول أكثر ا شياء جدية. و أظن أني استسغت هذا يا ماريه ، ني ما كنت أسعى إلى أن أتصرف بطريقة هزلية. لكنها سيدة مضيافة جدًّا وعاملتنا بطريقة ملكية.

أخيرًا، حلَّ يوم الجمعة، مع تباشير العودة إلى البيت، وتوجه السيد باري إلى المدينة ليصطحب الفتاتين.

- حسنًا، أرجو أن تكونا قد استمتعتما بأوقاتكما هنا (**قالت ا نسة باري، وهي تودعهما**).
- نعم، بكل تأكيد (**قالت ديانا**).
- وماذا عنك أيتها الفتاة آن؟
- لقد استمتعت بكل دقيقة من الوقت الذي قضيته هنا (أجابت آن، وارتمت باندفاع بين ذراعي العجوز، وقبَّلت خدها المتجعد. لم تكن ديانا لتجرؤ على فعل شيء كهذا، ودُهشت من ط قة آن في تعبيرها عن مشاعرها. لكن ا نسة باري شعرت بالرضا، ووقفت في شرفتها وراقبت العربة وهي تختفي عن ا نظار، ثم دخلت بيتها الكبير وهي تتنهد. بدا ذلك البيت موحشًا جدًّا بعد أن فارقته الحياة التي أشاعتها الفتاتان

اليافعتان. وإذا كان يجب قول الحقيقة، كانت ا نسة باري سيدة عجوز أنانية إلى حد ما، ولم تكن تهتم كثيرًا بأي شخص سوى نفسها، لذلك لم تكن تقدر الناس سوى مقابل خدمتها أو تسليتها. ولقد حظيت آن باهتمامها نها كانت تسليها، مع ذلك شعرت ا نسة باري أن استلطافها لتلك الطفلة ما عاد منصبًّا على أحاديثها المسلية بقدر ما أصبح منصبًّا على حماسها المفعم بالنشاط، وعواطفها الشفافة، وحركاتها الفاتنة الرقيقة، وعذوبة عينيها، وحـ وة شفتيها).

- كنت أعتقد أن ماريـ كوثبرت ليست إ عانسًا حمقاء عندما سمعتُ أنها تبنت فتاة من ملجأ لـ يتام (**قالت لنفسها**)، ولكني ا ن أظنها مخطئة فيما فعلته، ولو كان في بيتي طفلة مثل آن لغدوت امرأة أكثر سعادة مما أنا عليه.

وجدت آن وديانا رحلة العودة إلى البيت بنفس متعة رحلة الذهاب، بل وأكثر متعة في الواقع، ن سرورهما في هذه المرة نابع عن معرفتهما بأن البيت ينتظرهما في آخر المطاف. كان الوقت قد شارف الغروب عندما اجتازوا بلدة وايت ساندس، ثم سلكوا طريق الشاطئ، حيث حت أمامهم تـ ل أفونليا بشكل مظلم تحت السماء الزعفرانية، بينما بزغ خلفهم القمر منبثقًا من البحر ومضفيًا عليه بريق أضوائه العظيمة، وبدت الخلجان الصغيرة على طول الطريق أعجوبة من التموجات المتراقصة، تكسرت ا مواج مع حفيف ناعم على الصخور تحتها، في جو مفعم برائحة البحر المنعشة.

- أوه، من الرائع أن نكون على قيد الحياة وأن نكون في طريقنا إلى البيت (**هتفت آن وهي تأخذ نفسًا عميقًا**).

بينما كانت آن تعبر جسر جذع الشجرة فوق الجدول، غمز لها ضوء المطبخ من المرتفعات الخضراء بغمزة ترحيب ودود، ومن خـ ل الباب المفتوح أضاءت نار الموقد، مرسلة وهجها ا حمر الدافئ في ليلة الخريف الباردة. ركضت آن مرتقية المرتفع بمرح، وسرعان ما وصلت واندفعت إلى المطبخ حيث كان العشاء الساخن ينتظر على الطاولة.

- أرى أنك عدت أخيرًا! (**قالت ماريـ وهي تطوي أدوات حياكتها**).
- نعم عدت، و شيء أجمل من العودة (**قالت آن بفرح**). أريد تقبيل كل شيء، حتى تلك الساعة. أوه يا ماريـ ، دجاج مشوي! تقولي إنك أعددته من أجلي!
- بلى (**أجابت ماريـ**). فكرت أنك ستكونين جائعة بعد هذه الرحلة، وستحتاجين إلى وجبة فاتحة للشهية. أسرعي واخلعي عنك ثيابك، وسنتناول العشاء بمجرد وصول ماثيو.

أنا سعيدة بعودتك يا آن، لقد كانت هذه ا يام ا ربع أيامًا موحشة بدونك، ولم يسبق لي أن عشت أيامًا أطول منها.

بعد العشاء جلست آن أمام نار الموقد، بين ماثيو ومارير ، وقدمت لهما وصفًا كاملًا لرحلتها.

- لقد قضيت وقتًا رائعًا (**اختتمت حديثها بسعادة**)، وأشعر أنه يمثل حقبة مميزة في حياتي. لكن أروع ما فيه على ا ط ق هو العودة إلى البيت.

من قصيدة والتر سكوت الملحمية Marmion: A Tale of Flodden Field. قصة رومانسية تاريخية تتألف من ستة أناشيد، ولكل منها رسالة تمهيدية وم حظات أثرية غزيرة.

أحد أصناف التفاح، ث ثي الصيغة الصبغية، ويتطلب التلقيح من ا شجار ا خرى. يُزرع في كندا على نطاق واسع.

(30)

تأسيس صف التحضير لمعهد كوين

وضعت ماري أدوات حياكتها في حِجرها واتكأت على ظهر كرسيها. كانت عيناها متعبتين، وفكرت بشكل مبهم أنه يجب عليها أن ترى ما إذا كان عليها تغيير نظارتها في المرة المقبلة عندما تذهب إلى المدينة، ن آ م عينيها قد اشتدت كثيرًا في ا ونة ا خيرة.

كان الظ م قد حلَّ، بعد أن خيَّم شفق شهر تشرين الثاني على المرتفعات الخضراء، ومصدر الضوء الوحيد في المطبخ يأتي من اللهب ا حمر المتراقص في الموقد.

تكوَّرت آن على نفسها وجلست القرفصاء بجوار الموقد، وحدقت إلى الوهج المرح الناجم عن احتراق حطب أشجار القيقب الذي تقطرت منه مئات الشموس الصيفية. جلست تقرأ، فانزلق كتابها على ا رض، وهي تحلم وقد انفرجت شفتاها عن ابتسامة. كانت الق ع المت لئة في إسبانيا تتشكل من الضباب وأقواس قزح في خيالها النابض بالحياة؛ مغامرات رائعة وآسرة تحدث في عالمها السديمي، ومغامرات تنتهي بالنصر دائمًا من غير أن تقحمها في مآزق الحياة الواقعية.

أخذت ماري تنظر إليها بحنانٍ كان سيجد حرجًا كبيرًا في الكشف عن نفسه تحت أي ضوء أكثر وضوحًا من ذلك النور الخافت المتماوج الذي انبعث من نار الموقد، ن التعبير الواضح عن الحب بالكلمات المنطوقة والنظرات الصريحة لم يكن قط من الدروس التي يمكن أن تتعلمها ماري . لكنها تعلمت أن تحب هذه الفتاة النحيلة، ذات ا عين الرمادية، بعاطفة أقوى وأعمق من أي تحفُّظ، وكثيرًا ما جعلها هذا الحب تخشى أن تكون متساهلة في تربيتها أكثر مما ينبغي. كان لديها شعور بعدم ا رتياح نه ليس من الورع أن يعلِّق المرء قلبه بشدة بأي مخلوق فانٍ كما كان قلبها معلقًا بآن. وربما قامت بنوع من التكفير الا واعي عن هذا من خ ل كونها أكثر صرامة وانتقادًا مما لو كانت الفتاة أقل غ وة على قلبها. بالتأكيد لم يكن لدى آن نفسها أي فكرة عن مدى حب ماري لها، بل إنها كثيرًا ما فكرت أنه من الصعب جدًّا إرضاء ماري التي تفتقر بوضوح إلى التعاطف والتفاهم. ولكنها سرعان ما كانت تتذكر ما تدين به لماري ، وتوبخ نفسها على هذا التفكير.

- آن (**قالت ماريه بشكل مفاجئ**)، كانت ا نسة ستايسي هنا هذا المساء عندما كنت بالخارج برفقة ديانا.

عادت آن من عالمها ا خر مجفلة، وتنهدت.

- حقًّا؟ أوه، يؤسفني أني لم أكن هنا. لماذا لم تنادني يا ماريه ؟ لقد كنت وديانا في الغابة المسكونة، ف شيء ألطف من الغابة في هذا الوقت من السنة، إذ يبدو وكأن جميع معالمها الصغيرة؛ السراخس وا عشاب اليانعة وثمار التوت البري قد ذهبت لتنام، تمامًا كما لو أن شخصًا ما دسها بعيدًا تحت لحاف من أوراق ا شجار اليابسة حتى حلول الربيع، وأعتقد أن ذلك الشخص ليس إ جنية رمادية صغيرة تتشح بقوس قزح، جاءت في آخر ليلة مقمرة وفعلت هذا. لكن ديانا لم تعلق على حديثي عندما أخبرتها بما أعتقد؛ لم تنسَ قط توبيخ والدتها لها بشأن تخيل ا شباح في الغابة المسكونة. أعتقد أن هذا التوبيخ كان له تأثير سيئ للغاية على خيال ديانا، لقد حطمه. تقول السيدة ليند إن ميرتل بيل مخلوقة محطَّمة، وسألت روبي جيليس عن سبب تحطم ميرتل، فقالت إنها تخمن أن يكون ذلك بسبب هجران حبيبها لها. تفكر روبي جيليس في شيء سوى الشبَّان، وكلما كبرت ازدادت علتها سوءًا. بأس بالشبان كشبان، ولكن ليس هناك أي نفع من إقحامهم بكل شيء في هذه الحياة، أليس كذلك؟ أنا وديانا نفكر بجدية في التعاهد على عدم الزواج أبدًا، وعلى أن نعيش مع بعضنا إلى أن نصبح عجوزين لطيفتين. لكن ديانا لم تتخذ قرارها بعد، نها ترى أنه ربما يكون من ا جمل أن تتزوج شابًّا همجيًّا، مندفعًا وشريرًا، ثم تحاول إص حه. لقد أصبحنا أنا وديانا نتحدث كثيرًا عن مواضيع جادة ا ن، كما ترين. نشعر أننا أكبر سنًّا بكثير مما كنا عليه في السابق بحيث لم يعد الحديث عن ا مور الطفولية يليق بنا. إنه مر مهيب أن يكون المرء على وشك بلوغ الرابعة عشرة من العمر يا ماريه . اصطحبت ا نسة ستايسي كل الفتيات الـ تي في سن المراهقة في نزهة عند الجدول يوم ا ربعاء الماضي، وتحدثت إلينا عن هذا الموضوع، وأعلمتنا أنه يجب علينا منذ ا ن أن نكون حذرين للغاية بشأن العادات التي نمارسها، والمثل التي نكتسبها في سن المراهقة، نه ببلوغنا سن العشرين، تكون شخصياتنا قد تشكلت، ويكون أساس حياتنا المستقبلية كلها قد شُيِّد، وأخبرتنا بإنه إذا كان هذا ا ساس متزعزعًا، فلن نتمكن أبدًا من بناء أي شيء يستحق الذكر. تناقشنا أنا وديانا في هذا الموضوع أثناء عودتنا إلى البيت واستشعرنا مهابته يا ماريه ، وقررنا أننا سنحاول أن نكون حذرتين في كل ما نقوم به،

وأن نشكل عادات محترمة، وأن نتعلم كل ما في وسعنا، وأن نكون عاقلتين قدر ا مكان، وبهذه الطريقة تكون شخصياتنا قد تشكلت بشكل صحيح عندما نبلغ سن العشرين. إنه مر مروِّع تمامًا أن تفكري في بلوغ العشرين من عمرك يا ماري ، إذ يبدو لي أنه د لة على التقدم في السن. ولكن لماذا كانت ا نسة ستايسي هنا هذا المساء؟

- هذا ما أريد أن أخبرك به يا آن، إذا تركت لي فرصة للك م. جاءت لتحدثني في شأن يخصك.
- يخصني؟ (**بدت آن فزعة نوعًا ما، ثم توردت وجنتاها خجلًا، وهتفت**) أوه، أعرف ما الذي قالته لك. كنت عازمة يا ماري على إخبارك بما حدث. صدقًا، نويت هذا ولكني نسيت. ضبطتني ا نسة ستايسي وأنا أقرأ كتاب بن هور[79] في المدرسة بعد ظهر أمس أثناء الوقت المخصص لدراسة التاريخ الكندي. لقد أعارتني جين أندروز هذا الكتاب، وكنت أقرأ فيه أثناء ساعة الغداء، ووصلت إلى مقطع سباق العربات عندما حان وقت الدرس. لقد كنت متشوقة لمعرفة ما حدث، على الرغم من أني كنت متأكدة من فوز بن هور، ن عدم فوزه لن يكون عدالة أدبية أبدًا، لذلك فتحت كتاب التاريخ على مقعدي، ثم دسست بن هور بين المقعد وركبتي، وبدا ذلك كما لو أني كنت أطالع كتاب التاريخ الكندي، بينما كنت أستمتع بمطالعة بن هور كما ترين. كنت مستغرقة جدًّا في القراءة لدرجة أني لم أ حظ مطلقًا ا نسة ستايسي وهي تأتي من مؤخرة الصف، وما رأيتها إ فوق رأسي تنظر إلي بتلك النظرة الموبِّخة.

أستطيع أن أخبرك كم شعرت بالخجل يا ماري ، وبخاصة عندما سمعت جوزي باي تقهقه. أخذت ا نسة ستايسي كتاب بن هور مني، لكنها لم توجه لي كلمة واحدة في ذلك الوقت، وعند موعد ا نصراف، استوقفتني وتحدثت معي، قالت لي إن تصرفي كان معيبًا لسببين، أولهما تضييعي للوقت الذي كان يجب أن أقضيه في دراستي، وثانيهما خداعي لمعلمتي في التظاهر بقراءة كتاب التاريخ الكندي بينما كنت أقرأ كتابًا قصصيًّا. لم أدرك قط حتى تلك اللحظة يا ماري أن ما فعلته كان خداعًا. لقد صُدمت، وبكيت بمرارة، وطلبت من ا نسة ستايسي أن تسامحني، ووعدتها بأ أكرر مثل هذا التصرف مرة ثانية، بل واقترحت التكفير عن خطئي با متناع عن القراءة في كتاب بن هور سبوع كامل، بدون أن أعرف كيف انتهى سباق العربات. لكن ا نسة

ستايسي قالت إنها تطلب مني أي كفارة، وسامحتني بدون مقابل. لذلك أعتقد أنه لم يكن من اللطيف أن تأتي إليك لتخبرك بما حدث بعد أن سامحتني.

- ا نسة ستايسي لم تذكر لي شيئًا من هذا القبيل يا آن، وجميع هذه ا وهام ليست إ نتيجة تأنيب ضميرك. ليس من الصواب أن تأخذي الكتب القصصية إلى المدرسة، با ضافة إلى أنك تقرئين الكثير من الروايات على أي حال. عندما كنت صغيرة، لم تكن مطالعة الروايات مسموحة لي دائمًا.
- أوه، كيف يمكنك أن تسمي بن هور رواية في حين أنه أقرب إلى الكتب الدينية؟ (**احتجت آن**) طبعًا ما يحتويه من ا ثارة يجعله من الكتب التي يمكن قراءتها يوم ا حد، لذلك أنا أقرأ فيه إ خ ل أيام ا سبوع العادية، ولم أعد أقرأ أي كتاب ا ن إ إذا ارتأت ا نسة ستايسي أو السيدة آ ن أنه كتاب مناسب لفتاة تبلغ من العمر ث ث عشرة سنة وتسعة أشهر. لقد جعلتني ا نسة ستايسي أعدها بهذا بعد أن وجدتني أقرأ كتابًا قصصيًّا ذات يوم بعنوان: اللغز الرهيب للقصر المسكون. لقد كانت إحدى القصص التي أعارتني روبي جيليس إياها، وأوه يا ماريلا ، كانت مثيرة جدًّا ومفزعة، لدرجة أنها جمدت الدم في عروقي. لكن ا نسة ستايسي قالت إنه كتاب سخيف وغير نافع، وطلبت مني أ أقرأ المزيد منه أو ما شابه. لم يكن لدي أي مانع في وعدها بعدم قراءة كتب مشابهة، ولكن كان من المؤلم إعادة هذا الكتاب إلى روبي بدون معرفة نهاية القصة، لكن حبي للسيدة ستايسي صمد أمام هذا ا ختبار ونجحتُ فيه. إنه مر رائع حقًّا يا ماريلا ، ما يمكنك فعله عندما تكونين متشوقة رضاء شخص معين.
- حسنًا، أظنني سأضيء المصباح وأنصرف إلى عملي (**قالت ماريلا**). أرى بكل وضوح أنك تريدين سماع ما قالته ا نسة ستايسي، فأنت كما يبدو تفضلين سماع صوتك فقط.
- أوه، يا ماريلا ، أريد أن أسمع حقًّا ما لديك (**صاحت آن نادمة**)، لن أتفوه بأي كلمة أخرى، و كلمة واحدة. أعلم أني أتحدث كثيرًا، لكني أحاول حقًّا السيطرة على نفسي. وعلى الرغم من أني ما زلت أتحدث كثيرًا، فإنك إذا عرفت كم هي كثيرة تلك ا شياء التي أريد قولها و أقولها ستغفرين لي. من فضلك أخبريني يا ماريلا .
- حسنًا، تريد ا نسة ستايسي تأسيس صف دراسي يضم تلامذتها المتفوقين دراسيًّا والذين ينوون تقديم امتحانات ا لتحاق بمعهد كوين، وتنوي إعطاءهم دروسًا إضافية لمدة ساعة بعد انتهاء دوام المدرسة، وقد جاءت لتسألني وماثيو عما إذا كنا نرغب في

انضمامك إلى هذا الصف. فما رأيك بهذا يا آن؟ أترغبين في ا نتساب إلى معهد كوين لتتخرجي فيه معلمة؟

- أوه يا ماريـ ! (**اعتدلت آن على ركبتيها وشابكت يديها**) لقد كان ذلك حلم حياتي طيلة ا شهر الستة الماضية، منذ أن بدأت روبي وجين تتحدثان عن الدراسة من أجل ا ستعداد متحان القبول بالمعهد، لكنني لم أقل شيئًا عن ذلك الموضوع، ني افترضت أن أي شيء سأقوله سيكون عديم الفائدة. أنا أتمنى فعلًا أن أصبح معلمة، لكن ألن يكون ا نتساب إلى هذا المعهد مكلفًا جدًّا؟ يقول السيد أندروز إن إدخال بريسي إلى المعهد كلفه مائة وخمسين دو رًا، وبريسي لم تكن غبية في الهندسة.
- أرى داعيًا يستوجب قلقك بخصوص هذا الجانب يا آن، فعندما تبنيناك أنا وماثيو وقررنا التكفل بتنشئتك، عقدنا العزم على أن نبذل قصارى جهدنا من أجلك وأن نمنحك تعليمًا جيدًا. وأنا أؤمن بضرورة تسلح البنت بما يمكِّنها من كسب عيشها سواء احتاجت إلى العمل أم لم تحتج إليه. بالطبع ستظل المرتفعات الخضراء بيتك، ما دمنا أنا وماثيو على قيد الحياة، لكن أحدًا يعرف ما الذي يخبئه لنا هذا العالم الغامض، وليس أفضل من أن يكون المرء مستعدًّا لمواجهته، ولذلك يمكنك ا نضمام إلى هذا الصف إذا كنت ترغبين في ذلك يا آن.
- أوه يا ماريـ ، شكرًا لك. (**لفت آن ذراعيها حول خصر ماريـ ورفعت رأسها وعاينتها بإكبار**) أنا شاكرة للغاية لك ولماثيو، وسأدرس بأقصى ما أستطيع، وسأبذل قصارى جهدي كون مشرِّفة لك. لكنني أحذرك منذ ا ن أ تتوقعي الكثير مني في الهندسة، أما بقية المواد فأظنني قادرة على تدبر أمرها إذا اجتهدت في الدراسة.
- أعتقد أنك ستبلين بـ ءً حسنًا في كل شيء، فا نسة ستايسي ترى أنك ذكية ومجتهدة. (**شك أن شيء في هذا العالم كان يستطيع إرغام ماريـ على إخبار آن بما قالته عنها ا نسة ستايسي حرفيًّا، نه كما رأت ماريـ ، سيزيد ذلك من غرور آن وزهوها بنفسها**) ولست بحاجة إلى المبالغة في إنهاك نفسك بالدراسة؛ تقول ا نسة ستايسي لسنا على عجلة من أمرنا، فلن تكوني جاهزة لتجربة أي امتحان قبول قبل سنة ونصف من ا ن، لكن بأس من البدء في الوقت المناسب حتى يكون أساسك قويًّا.
- سأهتم ا ن بدروسي أكثر من أي وقت مضى (**قالت آن بسعادة**) نه أصبح لدي هدف في الحياة. يقول السيد آ ن إن كل شخص يجب أن يكون له هدف في الحياة، ثم يسعى إلى تحقيقه بأمانة، ولكن علينا أولًا التأكد من نبل ذلك الهدف. وأنا أرى أن

طموحي كي أصبح معلمة مثل ا نسة ستايسي هو هدف قيم جدًّا، أ تعتقدين هذا يا ماريـ ؟ إني أعدُّها مهنة نبيلة جدًّا.

أُسِّس صف الراغبين في ا لتحاق بمعهد كوين في الوقت المناسب، وانضم إليه جيلبرت بليث، وآن شيرلي، وروبي جيليس، وجين أندروز، وجوزي باي، وتشارلي سلون، ومودي سبورجون ماكفيرسون. لم تكن ديانا باري ضمن المنضمين لهذا الصف، ن والديها لم يرغبا في إرسالها إلى معهد كوين، ولم يكن هذا أقل من كارثة بالنسبة ن، فمنذ تلك الليلة التي أُصيبت فيها ميني ماي بالخُنَّاق لم يفرقها شيء عن ديانا. وفي اليوم ا ول الذي تخلف فيه صف كوين عن بقية الت مذة المنصرفين، راقبت آن رفيقتها وهي تغادر حجرة الدراسة ببطء مع ا خرين، لتعود وحدها إلى البيت سالكة ممر البتو ووادي البنفسج، وأدركت أنها ما كانت تستطيع القيام بأي شيء سوى التماسك في مقعدها لعلها تقاوم رغبتها العفوية في ا ندفاع وراء رفيقتها، وسرعان ما شعرت بغصة تخنق حلقها، فتداركت نفسها وراء صفحات كتاب القواعد الـ تينية خفاء الدموع في عينيها، فهي لن تسمح لجيلبرت بليث أو جوزي باي أن يريا دموعها من أجل أي شيء في هذا العالم.

- أوه يا ماريـ ، عندما رأيت ديانا تغادر وحدها، شعرت حقًّا أني أتذوق مرارة الموت[80]، كما قال السيد آ ن في موعظة يوم ا حد الماضي (**قالت بحزن تلك الليلة**).

فكرت في مدى روعة ا مر لو أن ديانا كانت تشاركني حقًّا في هذا الصف، لكننا، كما تقول السيدة لينـد، يمكننا الحصول على الكمال في هذا العالم الناقص. و شك أن السيدة لينـد صاحبة آراء سديدة، على الرغم من أنها ليست بذلك الشخص الذي يريحك دائمًا. وأعتقد أن صفنا الجديد سيكون ممتعًا جدًّا. تريد كلٌّ من جين وروبي أن تصبحا معلمتين، وهذه هي ذروة طموحهما. تقول روبي إنها تنوي التدريس لمدة عامين فقط بعد أن تتخرج في المعهد، ثم ستتزوج بعد ذلك. أما جين فتقول إنها ستكرس حياتها كلها للتدريس ولن تتزوج أبدًا.. أبدًا. وتقول إننا نتقاضى راتبًا مقابل التدريس، أما الزوج فلن يدفع لك شيئًا، وسيتذمر إذا طالبته بحصتك من ثمن البيض والزبدة. أظن أن كـ م جين نابع من تجربة مريرة، فالسيدة لينـد تقول إن والدها نزق وسيئ الطبع، وأبخل من القشدة التي قد تحصلين عليها بعد غلي الحليب مرة ثانية. أما جوزي باي تقول إنها ستلتحق بالمعهد فقط من أجل التعليم، نها ليست بحاجة إلى كسب قوتها، وتقول بالطبع إن الوضع يختلف مع ا يتام الذين يعيشون على الصدقات، والذين يتحتم عليهم البحث عن لقمة العيش. يريد مودي سبورجون أن

يصبح قسًّا، وتقول السيدة ليند إنه يمكن أن يصلح ي شيء آخر بهذا ا سم الذي يحمله. أرجو يا ماريـ أ يكون سوء خلق مني أن أضحك كلما تخيلت مودي سبورجون قسًّا، نظرًا لغرابة شكله بذلك الوجه السمين والعينين الزرقاوين الصغيرتين وا ذنين المنتصبتين كا جنحة. لكن لعل مظهره يصبح أكثر حصافة عندما يكبر. يقول تشارلي سلون إنه ينوي التخصص في السياسة ليصبح عضوًا في البرلمان، لكن السيدة ليند تقول إنه لن ينجح أبدًا في ذلك، ن جميع أفراد عائلة سلون أناس شرفاء، وا وغاد فقط هم من ينخرطون في السياسة في الوقت الحاضر.

- وماذا عن طموحات جيلبرت بليث؟ (**قالت ماريـ فاتحة بذلك جراحها التي ما لبثت تلتئم**).
- أنا أعرف ما هو طموح جيلبرت بليث في الحياة، إذا كان لديه أي طموح من ا ساس (**قالت آن بازدراء**).

غدا التنافس بين جيلبرت وآن واضحًا في ذلك الصف التحضيري. كان التنافس بينهما في الماضي تنافسًا أحادي الطرف تقريبًا، لكن جيلبرت بدا عازمًا على احت ل المرتبة ا ولى في الصف، وكذلك كان حال آن. و شك أن جيلبرت كان خصمًا مناسبًا لدرعها الفو ذي[81]، أما بقية أفراد الصف الذين لم يخالجهم أدنى ريب بتفوق آن وجيلبرت عليهم، فلم يحلموا حتى بمحاولة التنافس معهما.

كان جيلبرت، منذ أن رفضت آن مسامحته عندما جرت حادثة البركة، باستثناء التنافس القوي المذكور أع ه، قد نهج سبيل التجاهل التام لوجود آن شيرلي، ولطالما تحدث مع الفتيات ا خريات ومازحهن، وتبادل معهن الكتب وا لغاز، وناقشهن في الدروس والخطط، ورافق هذه أو تلك إلى بيتها بعد انتهاء اجتماع الص ة في نادي المناظرات، أما آن شيرلي فكانت بكل بساطة غير موجودة بالنسبة إليه. واكتشفت آن أن تجاهل ا خرين لها لم يكن شيئًا مريحًا، وعبثًا أقنعت نفسها وهي تهز رأسها أن هذا لم يكن مهمًّا لها، لكنها في أعماق قلبها ا نثوي الصغير صعب المراس كانت تعرف أنها تهتم، وأنه إذا أُتيحت لها هذه الفرصة عند بحيرة المياه الـ معة مرة أخرى، فستجيب بشكل مختلف تمامًا. لقد أدركت فجأة أن استياءها القديم من جيلبرت، والذي دأبت على تعزيزه في نفسها قد ت شى. ت شى على الرغم من حاجتها الماسة إلى دعم طاقته الساخطة. وفشلت كل محاو تها في استدعاء غضبها من جديد عن طريق تذكر كل واقعة وعاطفة سابقة. كان ذلك اليوم عند البركة قد شهد آخر سورة من سوراته. وهكذا أدركت أنها قد سامحت ونسيت دون أن تعرف ذلك، ولكن بعد فوات ا وان.

لقد صممت على دفن مشاعرها في أعماق النسيان، نه لم يكن أمامها من الحلول سوى الحرص على عدم إتاحة الفرصة لجيلبرت و ي شخص آخر، و حتى ديانا، اكتشاف مرارة ندمها، وكم تمنت سرًّا لو أنها لم تكن مزهوة بنفسها وبغيضة! وقد يُذكر هنا وا ن أنها فعلت ذلك بنجاح كبير لدرجة أن جيلبرت الذي ربما لم يكن غير مبالٍ تمامًا كما بدا، لم يستطع مواساة نفسه بأي اعتقاد بأن آن شعرت بانتقامه منها، ولم يظفر بأيِ عزاء يواسيه سوى فرحه برؤية تشارلي سلون يَلقى الزجر الدائم منها بـ رحمة، ومن غير أن يرتكب ما يستحق عليه تلك المعاملة.

فيما عدا ذلك، مرَّ فصل الشتاء في تسلسل متتابع من الواجبات والدراسات المشوِّقة، وتتالت ا يام بالنسبة ن كأنها خرزات من الذهب في ق دة العام، كانت سعيدة، ومتحمسة، وجادة. لديها دروس جديدة لتتعلمها، ودرجات شرف لتستحقها، وكتب ممتعة لتقرأها، وأناشيد جديدة لتتدرب عليها في جوقة مدرسة ا حد، وأمسيات سبت جميلة لتقضيها في منزل القس مع السيدة آ ن، ثم، وقبل أن تدرك آن، كان الربيع قد أطل مجددًا على المرتفعات الخضراء، وسرعان ما أزهر العالم ثانية، أصبحت الدراسة مملة قليلًا في صف التحضير لمعهد كوين، في المدرسة بعد انتهاء الدوام، بينما كان بقية التـ مذة ينتشرون في الدروب الخضراء وا حراش المورقة والمروج المزهرة، كان ط ب صف كوين يكفون عن تأمل العالم بتوق من خـ ل النوافذ، وقد اكتشفوا أن ا فعال الـ تينية والتمارين الفرنسية قد فقدت بطريقة أو بأخرى النكهة واللذة التي كانت تمتلكها في أشهر الشتاء الباردة. حتى آن وجيلبرت أصبحا أقل اندفاعًا واكتراثًا. وما كاد الفصل الدراسي ينتهي إ وكانت المعلمة والتـ ميذ على نفس القدر من السعادة، احتفاءً بأيام العطلة المشرقة التي كانت بانتظارهم.

- لقد أديتم عملًا جيدًا هذا العام (**أخبرتهم ا نسة ستايسي**)، وتستحقون إجازة جيدة وممتعة. تمتعوا بقدر ما تستطيعون بالطبيعة حولكم، واحتفظوا بمخزون جيد من الصحة والحيوية والطموح ليكون عونًا لكم على المثابرة في العام القادم، نه سيكون عام شدِّ الحبل كما تعلمون، العام ا خير قبل دخول ا متحان.
- هل ستعودين إلينا في العام القادم يا آنسة ستايسي؟ (**سألتها جوزي باي**).

لم تكن جوزي باي تتحرج من طرح أي نوع من ا سئلة قط، وفي تلك اللحظة شعر باقي الطـ ب بالشكر لها، ن أحدًا منهم لم يجرؤ على سؤال ا نسة ستايسي هذا السؤال على الرغم من رغبتهم في ذلك، حيث سرت بعض الشائعات المقلِقة في المدرسة لبعض الوقت بأن ا نسة ستايسي لن تعود في العام المقبل نه عُرض عليها منصب تعليمي في مدرسة

ابتدائية في بلدتها، وقيل إنها نوت القبول به. أنصت ط ب صف كوين، وانتظروا جوابها قلقين وحابسين أنفاسهم.

- نعم، أظنني سأعود (**قالت ا نسة ستايسي**). كنت أفكر في قبول منصب تعليمي في مدرسة أخرى، لكني قررت العودة إلى أفونليا. قول الحقيقة، لقد أصبحت مهتمة جدًّا بت ميذي هنا لدرجة أنني وجدت أنني أستطيع تركهم، لذلك تأكدوا من بقائي معكم.
- مرحى! (**هتف مودي سبورجون بعفوية، لكنه ظل لمدة أسبوع يتضرج بحمرة الخجل كلما تذكر انجراف مشاعره غير المعتاد**).
- أوه، أنا سعيدة للغاية (**قالت آن بعينين فرحتين**)، فمن الرهيب حقًّا أ تعودي إلينا يا آنسة ستايسي العزيزة.

و أظن أن قلبي كان سيطاوعني على متابعة دراستي بإخ ص لو حل محلك معلم جديد.

عندما عادت آن إلى المنزل في تلك الليلة، ألقت بجميع كتبها المدرسية في صندوق قديم في العلية، ثم أقفلته وألقت المفتاح في الجارور الخشبي.

- لن أقدِم حتى على مجرد النظر إلى كتاب مدرسي في هذه العطلة (**أخبرت ماريلا**)؛ لقد درست بكل جدية في هذا الفصل، وانكببت على الهندسة حتى أصبحت أعرف جميع الرموز في الكتاب ا ول عن ظهر قلب، حتى عندما تُغَيَّر الحروف، وأشعر ا ن بالسأم من أي شيء عق ني، أريد أن أطلق العنان لخيالي حتى يسرح كما يشاء في هذه العطلة. أوه، تقلقي بشأن ذلك يا ماريلا ، فلن أدعه يسرح إ في حدود المعقول. أنا عازمة على ا ستمتاع بوقتي في هذا الصيف، فلربما كان آخر صيف يمر على طفولتي. تقول السيدة لينـد إني إذا ازددت نموًّا في السنة القادمة بنفس معدل هذه السنة، فسأضطر إلى ارتداء فساتين أطول من فساتيني الحالية، فهي ترى أني أصبحت عبارة عن ساقين وعينين. وعندما أرتدي فساتين طويلة، سأشعر أنه يجب علي أن أرتقي لها وأن أتصرف باحتشام. وفي تلك الحالة لن يجديني أي شيء نفعًا بما في ذلك إيماني بوجود الجنيات، لذلك سأؤمن بهم من صميم قلبي هذا الصيف. أظن أن هذه العطلة ستكون رائعة؛ ستقيم روبي جيليس حفلًا لعيد مي دها قريبًا، وستكون هناك نزهة مدرسة ا حد، والحفل الموسيقي الذي ستعده جمعية ا رسا ت التبشيرية الشهر المقبل. ووعدني السيد باري بأنه في إحدى ا مسيات سيصحبني وديانا إلى فندق

وايت ساندس لنتناول العشاء هناك، فالناس ـ كما تعلمين ـ يقصدون ذلك الفندق من أجل تناول العشاء، وعندما ذهبت إليه جين أندروز ذات مرة في الصيف الماضي، أخبرتنا بأن ذلك المنظر كان رائعًا بأضوائه الكهربائية وضيوفه من السيدات في فساتين السهرات ا نيقة، وتقول جين إنها كانت أول لمحة لها عن الحياة الراقية للمجتمعات ولن تنساها أبدًا حتى يوم احتضارها.

قصدت السيدة ليند المرتفعات الخضراء مساء اليوم التالي لمعرفة سبب عدم حضور ماريـ اجتماع جمعية المعونة يوم الخميس. كان الناس يعرفون أن تغيب ماريـ عن ا جتماع يدل على حصول طارئ سيئ في المرتفعات الخضراء.

- تعرض ماثيو لنوبة قلبية حادة يوم الخميس (**أوضحت ماريـ**)، ولم أشعر أني أستطيع تركه وحده. نعم، إنه بخير ا ن، لكن هذه النوبات أصبحت تصيبه أكثر من السابق، وأنا قلقة جدًّا عليه. قال الطبيب إنه ينبغي لماثيو توخي الحذر في عدم التعرض لـ ثارة. طبعًا شيء أسهل من هذا، ن ماثيو ليس من ا شخاص الذين يسعون إلى ا ثارة بأي وسيلة، وينبغي عليه أ يقوم بعمل شاق أيضًا، ويمكنك بكل بساطة أن تطلبي من ماثيو أ يتنفس و تطلبي منه التوقف عن العمل. تفضلي بالدخول يا ريتشل، وانزعي عنك قبعتك، أ تبقين لتناول الشاي؟
- حسنًا، بما إنك تصرين عليَّ، ربما سأبقى لبعض الوقت (**أجابت السيدة ليند التي لم تكن لديها أدنى نية في عمل أي شيء آخر**).

جلست السيدة ريتشل وماريـ في الصالون، بينما أعدَّت آن الشاي وصنعت رقائق من البسكويت ا بيض الساخن الذي كان هشًّا بما يكفي لتحدي انتقادات السيدة ريتشل.

- شك أنَّ آن أصبحت بنتًا جيدة (**اعترفت السيدة ليند، بينما رافقتها ماريـ إلى نهاية الدرب ساعة الغروب**)، وأظن أنها أصبحت خير معين لك.
- إنها كذلك، وهي حقًّا مستقيمة وجديرة بالثقة ا ن. كم خشيت في السابق أ تتجاوز ما كانت عليه من طيش! لكن خشيتي لم تكن في محلها، أنا أثق بها ثقة عمياء ا ن.
- لم أكن أظن قط أنها كانت ستتحسن في اليوم ا ول الذي رأيتها فيه هنا قبل ث ث سنوات (**قالت السيدة ريتشل**).
- يا لتلك الذكرى! أيمكن أن أنسى في حياتي نوبة غضبها؟! عندما عدت إلى البيت في تلك الليلة قلت لتوماس: سجل أقوالي يا توماس، ستعيش ماريـ كوثبرت تندم على تلك الخطوة التي اتخذتها طيلة حياتها. لكني كنت مخطئة، ويسرني أني كنت كذلك.

طبعًا أنا لست من ا شخاص الذين يعترفون بأخطائهم يا ماري .. ، فهذا لم يكن أسلوبي قط، حمدًا لله. لقد أخطأت في الحكم على آن، لكن لم يكن ذلك عجيبًا على ا ط ق، نظرًا لعدم وجود طفلة في العالم كله تماثل تصرفات هذه الساحرة الصغيرة المستهجنة. ولم يكن هناك شيفرة يمكن تطبيق رموزها عليها كما تجري ا مور مع ا طفال ا خرين. إنها لمعجزة رؤية كيفية تحسنها خ ل هذه السنوات الث ثة، ولكن بشكل خاص في المظهر، فهي ا ن فتاة جميلة حقًّا، على الرغم من أني بكل صراحة أميل كثيرًا إلى هذا النوع من الجمال، الذي يتميز بالشحوب والعينين الواسعتين، وأتحيز إلى الجمال الحادِّ الذي يضج با لوان مثل جمال ديانا باري أو روبي جيليس. تبدو روبي جيليس مبهرجة حقًّا. مع ذلك، وبطريقة ما، عندما تكون آن في صحبة بقية الفتيات أعرف كيف يبدو جمالهن بالكاد يبلغ نصف جمال آن، إنها تجعل جمالهن يبدو عاديًّا مستهلَكًا، على الرغم من أنها أقل منهن جمالًا، ويبدو ا مر في الحقيقة أشبه برؤيتك لزنابق حزيران البيضاء، أو كما تدعوها آن بالنرجس، إلى جانب أزهار الفاوانيا الحمراء الكبيرة.

بن هور: حكاية عن المسيح، رواية بقلم لو وا س، التي نشرتها دار هاربر أند براذرز في ١٢ نوفمبر ١٨٨٨. وتعد أحد أكثر الكتب المسيحية تأثيرًا في القرن التاسع عشر.

سفر صموئيل ا ول (**١٥:٣٢**) وَقَالَ صَمُوئِيلُ: «**قَدِّمُوا إِلَيَّ أَجَاجَ مَلِكَ عَمَالِيقَ**». فَذَهَبَ إِلَيْهِ أَجَاجُ فَرِحًا. وَقَالَ أَجَاجُ: «**حَقًّا قَدْ زَالَتْ مَرَارَةُ الْمَوْتِ**».

التعبير مقتبس من النشيد الخامس، المقطع الشعري العاشر من الحكاية الشعرية «**سيدة البحيرة**» لوالتر سكوت ١٨٠١م.

And the stern joy which warriors feel In foemen worthy of their steel

(31)

نقطة التقاء الجدول بالنهر

حصلت آن على عطلة صيفية جيدة، واستمتعت بها من صميم قلبها، فقد قضت معظم أوقاتها هي وديانا في الهواء الطلق. ترتعان في كل تلك المسرات التي منحها لهما درب العشاق، ونبع فقاعة الحورية، وبركة الصفصاف، وجزيرة فيكتوريا. ولم تبدِ ماريـ أي اعتراض على تسكع آن خارج البيت، إذ حدث في ذات أمسية من أمسيات أوائل العطلة، والتقت آن بطبيب سبنسرفيل الذي سبق وأن التقت به في الليلة التي أُصيبت فيها ميني ماي بالخُنَّاق، في منزل أحد المعارف المرضى، ولما رآها الطبيب، أمعن النظر فيها، زمَّ شفتيه، هز رأسه، ثم أرسل رسالة شفهية إلى ماريـ مع أحد ا شخاص. تقول الرسالة: «**دعي تلك الفتاة ذات الشعر ا حمر التي تربينها ترتع في الهواء الطلق طيلة فصل الصيف، و تسمحي لها بقراءة الكتب قبل أن تستعيد طاقتها الحيوية.**»

أفزعت هذه الرسالة ماريـ على صحة آن، ورأت فيها مذكرة وفاتها بالسل إذا لم تنفَّذ بحذافيرها. وهكذا حظت آن بعطلة ذهبية، فمرحت وانطلقت بقدر ما سمح لها المرح وا نط ق. مشت، وجدفت، وجنت الثمار، وحلمت بما يرضي قلبها، وما كاد يقبل شهر أيلول إ وكانت قد استعادت إشراق عينيها ويقظتها، وامت قلبها بالطموح والحماس مرة أخرى، وبدت على هيئة من شأنها أن ترضي طبيب سبنسرفيل.

- أشعر أني مستعدة لبدء الدراسة بكل ما أملك من عزم وقوة (**صرَّحت وهي تُنزِل كتبها من العُلِّيَّة**). أوه، أيها ا صدقاء القدامى، يسعدني أن أرى وجوهكم النزيهة مرة أخرى.. نعم، حتى أنت يا كتاب الهندسة، لقد أمضيت صيفًا جميلًا جدًّا يا ماريـ ، وا ن أنا مبتهجة مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ[82]، كما قال السيد آ ن ا حد الماضي. أليست مواعظ السيد آ ن عظيمة؟ تقول السيدة لينـد إنه يتطور باستمرار، وأول شيء سنسمع به بعد ذلك هو التهام إحدى كنائس المدينة له، وحينها سنبقى بدون قس، وسنضطر إلى البدء من جديد في البحث عن واعظ آخر قليل الخبرة، وسنجهد في العمل على تدريبه. لكني أرى فائدة من افتراض المتاعب قبل أن تبدأ، أترين في ذلك فائدة يا ماريـ ؟ أعتقد أنه سيكون من ا فضل لنا لو تنعمنا بوجود السيد آ ن ما دام بيننا. لو كنت

رجلًا خترت أن أكون قسًّا، فالقس يوجِّه الناس دومًا نحو الخير، إذا كانت عقيدته سليمة. و شيء أكثر إثارة من أن تعظ عظات عظيمة، توقظ قلوب مستمعيك. لماذا يمكن للمرأة أن تكون قسًّا يا ماري ؟ لقد طرحت هذا السؤال على السيدة ليند، وما كان منها إ أن صُدِمت، وقالت إن حدث هذا فسيكون شيئًا مخزيًا. وأخبرتني بأنه ربما كان يوجد قسيسات في الو يات ا مريكية وهي ترجح هذا ا حتمال، وحَمِدَت الرب أننا لم نصل إلى هذه المرحلة في كندا، وأمِلت أ نصل إليها أبدًا. لكني أفهم السبب، إذ أعتقد أن النساء صالحات حت ل تلك المرتبة، فهن ال تي يشرفن على المناسبات ا جتماعية، وعلى حف ت الشاي في الكنيسة، وعلى أي شيء آخر يُقام من أجل جمع التبرعات، وأنا واثقة بأن السيدة ليند قادرة على الص ة بنفس ا تقان الذي يصلي به الناظر بيل، وليس لدي أي شك أيضًا أنها تمتلك قدرة على الوعظ إذا تمرنت قليلًا.

- نعم، أعتقد أنها قادرة (**قالت ماري بدون تحيز**)، إنها في كل ا حوال تكف عن توجيه المواعظ بشكل غير رسمي، و أحد لديه فرصة ولو ضئيلة ليرتكب خطأ ما في أفونليا، مع رقابة ريتشل عليه.
- ماري (**قالت آن وقد اعترتها رغبة فجائية بالمصارحة**)، أريد أن أحصل على استشارتك في موضوع يقلقني كثيرًا كلما فكرت به في أمسيات ا حد التي أخصصها عادة للتفكير بهذه المواضيع. أرغب حقًّا أن أكون صالحة، وعندما أكون معك أو مع السيدة آ ن أو ا نسة ستايسي، تزداد رغبتي في ذلك أكثر من أي وقت مضى، وأحب دائمًا أن أفعل ما يرضيكن وما قد توافقن عليه، لكني عندما أكون مع السيدة ليند، أشعر برغبة جامحة في مشاكستها، وأشعر أني أرغب في الذهاب والقيام بالشيء ذاته الذي تخبرني بأنه ينبغي لي فعله. ويبدو لي أن هذا ا غراء صعب المقاومة. وا ن، برأيك ما هو سبب شعوري بذلك يا ماري ؟ هل تعتقدين أن السبب عائد لكوني طائشة وسيئة فعلًا؟

حت م مح ا لتباس على ماري لبرهة، ثم ضحكت.

- إذا كنت كذلك، ف بد أني مثلك أنا أيضًا يا آن، ن ريتشل كثيرًا ما كان لها هذا التأثير علَيَّ، وفي كثير من ا حيان أعتقد أن قدرتها على توجيه الناس نحو الخير ستكون أكثر فعالية إذا ـ كما تقولين أنت ـ لم تستمر في مناكدة الناس تباع الطريق الصحيح. كان ينبغي أن تكون هناك وصية خاصة ضمن الوصايا العشرة تنهى عن المناكدة. ولكن، ها أنا أقول ك مًا يجدر بي قوله، فريتشل امرأة مؤمنة وصالحة

وصافية النية، و يوجد في أفونليا روح أطيب من روحها، وهي تتنصل أبدًا من واجباتها والتزاماتها.

- يسعدني أنك تتفقين معي في الشعور ذاته (**قالت آن بارتياح**)؛ هذا يشجعني كثيرًا، و شك أنه سيخفف قلقي بعد ذلك. لكني أخشى أنه ستكون هناك أشياء أخرى تقلقني، فا شياء المربكة تكف عن الظهور في حياة ا نسان كما تعلمين، وكلما عالج مسألة وانتهى منها، واجهته مسألة أخرى على الفور. هناك الكثير من ا شياء التي يجب التفكير فيها واتخاذ قرار بشأنها عندما يبدأ المرء في النضوج، إنها تشغل بالي طيلة الوقت بالتفكير فيها للوصول إلى حلول صحيحة. أليس النضوج مسألة جدية وخطيرة جدًّا يا ماريـ ؟ ولكن عندما يكون لدي رفاق طيبون مثلك أنت وماثيو والسيدة آ ن وا نسة ستايسي، يجب أن أكون قادرة على النضوج من غير أن تعترضني العراقيل، وعندما أفشل، شك أن الخطأ في هذه الحالة سيكون خطئي وحدي. أشعر أنها مسؤولية كبيرة ن لدي فرصة واحدة فقط، إذا لم أحسِن استغ لها، لن أستطيع العودة للطفولة والبدء من جديد. لقد ازداد طولي بمقدار بوصتين هذا الصيف يا ماريـ ؛ قاسني السيد جيليس في حفلة روبي. وكم سرني أنك فصَّلت فساتيني الجديدة أطول من السابق. وذلك الفستان ا خضر الداكن جميل جدًّا يا ماريـ ، وكان لطيفًا منك أن تهدبي أطرافه بالكشاكش. بالطبع أعلم أنها لم تكن ضرورية حقًّا، لكن ا هداب المكشكشة أصبحت دارجة جدًّا هذا الخريف وجميع فساتين جوزي باي على هذه الشاكلة، وأنا متأكدة أني سأقبل على الدراسة بشكل أفضل بسبب فستاني الجديد، سيكون لدي مثل هذا الشعور المريح في أعماقي حول تلك الكشاكش.

- إذن شك أن هذه الكشاكش تستحق عناء إضافتها (**أقرت ماريـ**).

عادت ا نسة ستايسي إلى مدرسة أفونليا ووجدت جميع تـ ميذها متحمسين للدراسة من جديد، خصوصًا تـ ميذ صف كوين الذين شمروا عن سواعدهم استعدادًا لخوض المعركة، ن نهاية السنة القادمة بدأت أطيافها تظلل دربهم منذ ا ن، كانت تلوح لهم في ا فق منذرة إياهم باقتراب ذلك الحدث المصيري المعروف باسم امتحان القبول، مجرد التفكير فيه يجعل قلوبهم تغوص في أحذيتهم، ماذا لو لم ينجحوا؟! كان من شأن تلك الفكرة أن تطارد آن خ ل جميع ساعات صحوها في الشتاء، بما في ذلك ساعات أمسيات ا حد، وكثيرًا ما طغت حتى على معظم تساؤ تها ا خ قية والعقائدية ا ستثنائية. أكثر أح مها إزعاجًا

كانت حين ترى نفسها تحدق بتعاسة إلى قوائم الناجحين بامتحان الدخول والتي يتصدرها اسم جيلبرت بليث، بينما يوجد سمها أي أثر.

لكنه كان شتاءً مرحًا مزدحمًا في العمل، وسريعًا في انقضائه. كانت الدراسة مشوِّقة، ومتشبِّعة بالمنافسة الشديدة كما في السابق. عوالم جديدة من الفكر والمشاعر والطموحات، وحقول جديدة ورائعة من المعارف الغامضة بدت وكأنها تتفتح أمام عيني آن المتحمستين.

بزغت تلال فوق التلال، وشهقت جبال فوق قمم الجبال[83]

معظم هذا الفضل يعود إلى توجيهات ا نسة ستايسي اللبقة، الحريصة، واسعة المدارك، إذ قادت فصلها نحو مسارات التفكير وا ستكشاف بأنفسهم، شجعتهم على ا بتعاد عن المسارات القديمة، إلى درجة صدمت السيدة لينـد وأمناء المدرسة، الذين عاينوا ا بتكارات في الطرق القديمة بعين الشك والحذر.

بمعزل عن الدراسة، توسعت آن على الصعيد ا جتماعي، إذ إن ماريـ التي ما زالت تضع مقولة طبيب سبنسرفيل في الحسبان، لم تعد تستخدم حق النقض ضد النزهات العرضية خارج البيت، وفي تلك ا ثناء ازدهر نادي المناظرات وأقام العديد من الحفـ ت، وكادت واحدة أو اثنتين من حفـ ته أن ترتقي بمستواها لتماثل مستوى الحفـ ت التي ينظمها الراشدون. با ضافة إلى ذلك استمتعت آن بوفرة من حلقات السمر في مركبات الثلج، والتزحلق على الجليد.

تدرجت آن في النمو مع مرور الوقت، طولها يزداد بسرعة، حتى ذهلت ماريـ ذات يوم بينما كانتا تقفان جنبًا إلى جنب ورأت أنها أصبحت أطول منها.

- رباه، كم كبرت يا آن!

قالت وهي تكاد تصدق عينيها، ثم أتبعت كلماتها بتنهيدة. وسرعان ما شعرت بأسف غريب على تلك البوصات الزائدة في طول آن، فالطفلة التي تعلمت كيف تحبها، كانت قد اختفت بطريقة ما، وحلت محلها صبيَّة في الخامسة عشرة من عمرها، بعينين وديعتين، وجبين مفكِّر، ورأس صغير شامخ باعتزاز. أحبت ماريـ الصبية بقدر ما كانت تحب الطفلة، لكنها على الرغم من ذلك وقعت أسيرة إحساس غريب بلوعة الفقد. وفي تلك الليلة، عندما ذهبت آن إلى اجتماع الصـ ة مع ديانا، جلست ماريـ وحدها في ظل الشفق الشتوي واستسلمت بضعف للبكاء، ولما دخل ماثيو حاملًا بيده فانوسًا، ضبطها وهي تبكي، فوقف في مكانه وحدَّق إليها، لدرجة أن ماريـ اضطرت إلى الضحك على الرغم من دموعها.

- كنت أفكر في آن (**أوضحت**)، لقد غدت صبية يافعة، وأظنها ستكون بعيدة عنَّا في الشتاء المقبل، و شك أني سأفتقدها كثيرًا.
- ستتمكن من العودة إلى المنزل في كثير من المناسبات (**قال ماثيو محاولاً تقديم العزاء لماري ، والذي كانت آن بالنسبة له صغيرة وستظل دائمًا صغيرة؛ ستظل تلك الطفلة النابضة بالحياة التي أحضرها إلى البيت من بلدة برايت ريفر في إحدى أمسيات شهر حزيران قبل أربع سنوات**) بحلول ذلك الوقت، سيكون قد بُنِيَ خط السكة الحديد الفرعي إلى كارمودي.
- لن يكون ا مر مماثلًا لوجودها الدائم بيننا (**تنهدت ماري بحزن، عاقدة العزم على التنعم بترف ذلك الحزن الذي انتابها**). ولكن ما يدريك أنت؟ يستطيع الرجال فهم هذه ا مور!

كانت هناك تغيرات أخرى في آن تقل واقعية عن تغير مظهرها الخارجي، وأهمها على ا ط ق أنها أصبحت أكثر صمتًا، ربما كانت تفكر أكثر من ذي قبل، وتحلم كما اعتادت، لكن شك أن ك مها أصبح أقل من السابق. حظت ماري هذا التغير أيضًا، وعلقت عليه.

- أصبحت ثرثرتك تتجاوز نصف ما كانت عليه يا آن، كما أنك توقفت عن استعمال العبارات الكبيرة في أحاديثك أيضًا، فما الذي أصابك؟

احمرت آن خجلًا، وأطلقت ضحكة صغيرة، ثم نحت كتابها جانبًا، وتأملت العالم من خ ل النافذة حيث كانت البراعم الحمراء المنتفخة قد تفتحت في العرائش استجابة غواء الشمس الربيعية.

- أعرف، أشعر بالرغبة في الك م (**أجابت آن وهي تضغط بسبابتها على ذقنها متفكرة**) أصبحت أرى أنه من ا فضل لي أن أبقي ما يخطر على بالي من أفكار جميلة في قلبي، وأن أصونها فيه كما تُصان الكنوز، فأنا لم أعد أستسيغ سخرية الناس من أفكاري أو اندهاشهم منها، وبطريقة ما لم أعد أرغب في استخدام العبارات الكبيرة بعد ا ن. أليس هذا با مر المؤسف قليلًا؟ ا ن، وبعد أن كبرت بما يكفي ستعمل تلك العبارات كما يحلو لي. شك أن النضوج ممتع بطريقة ما، لكنها ليست نوع المتعة التي توقعتها يا ماري . هناك الكثير لنتعلمه وننجزه ولم يعد هناك وقت ستخدام العبارات الكبيرة، إلى جانب ذلك، تقول ا نسة ستايسي إن العبارات القصيرة أقوى بكثير وأبلغ في المعنى. إنها تدربنا على كتابة جميع مقا تنا بأبسط لغة ممكنة. وشكَّل هذا صعوبة بالغة لي في البداية، ني كنت معتادة حشو مقا تي بجميع العبارات الطويلة الرائعة التي تخطر على ذهني، والتي لم أكن أضع حدًّا لعددها. لكني اعتدت ذلك ا ن وأرى أنه أفضل بكثير.

- وماذا حدث لنادي القصة؟ لم أسمعك تتحدثين عنه منذ فترة طويلة.
- لم يعد لنادي القصة أي وجود، ليس لدينا وقت له.. وعلى أي حال أعتقد أننا سئمنا منه. كانت الكتابة عن الحب والجريمة والهروب مع العشاق وا لغاز شيئًا سخيفًا. في بعض ا حيان تطلب منَّا ا نسة ستايسي كتابة قصة لتقوية أساليبنا ا نشائية، لكنها تسمح لنا بالكتابة عن أي شيء سوى ما قد يحدث في أفونليا أو في حياتنا، وتنتقد كتاباتنا بشدة وتجعلنا ننتقدها نحن أيضًا. لم أعتقد قط أن مؤلفاتي بها الكثير من ا خطاء حتى بدأت في البحث عنها بنفسي، شعرت بالخجل الشديد وكدت أستسلم تمامًا، لكن ا نسة ستايسي قالت إنه يمكنني إجادة الكتابة إذا قمت فقط بتدريب نفسي كون أنا أكثر نقاد أعمالي قسوة، وها أنا أحاول ا ن.
- أمامك شهران فقط على موعد امتحان القبول (**قالت ماريـ**)، أتشعرين أنك مستعدة له؟

ارتجفت آن.

- أعرف، في بعض ا حيان أشعر أن كل شيء سيكون على ما يرام، ثم يباغتني الخوف مرة أخرى. لقد درسنا بجدية وقامت ا نسة ستايسي بتدريبنا جيدًا، لكننا قد نفشل على الرغم من كل ذلك، فلكلٍّ منا حجر عثرة يعترض طريقه، وحجري في الهندسة بالطبع، وجين في الـ تينية، وروبي وتشارلي في علم الجبر، وجوزي في علم الحساب، أما مودي سبورجون فيقول إن هاجس رسوبه في مادة التاريخ ا نجليزي ينخر عظامه. ستُجري لنا ا نسة ستايسي امتحانًا تجريبيًّا في شهر حزيران، بمستوى صعوبة امتحان القبول، وستكون صارمة جدًّا في تصحيحه، وبذلك سيكون لدينا فكرة عن ا متحان الحقيقي. أتمنى لو ينتهي كل شيء بأسرع ما يمكن يا ماريـ . إن هاجس هذا ا متحان يطاردني باستمرار، وفي بعض ا حيان أستيقظ في الليل وأتساءل عما سأفعله إذا لم أنجح.
- أهمية لذلك، يمكنك العودة إلى المدرسة السنة القادمة والمحاولة من جديد (**قالت ماريـ بلهجة مطمئِنة**).
- أوه، أعتقد أن قلبي سيتحمل ذلك، سيتسبب لي رسوبي في الخزي، وبخاصة إذا نجح جيلـ... بقية ط ب الصف، و شيء يوترني أكثر من ا متحانات، لدرجة أنها تجعلني عرضة رتكاب ا خطاء. أتمنى لو كان لدي أعصاب مثل تلك التي عند جين أندروز؛ شيء يهزها أبدًا.

تنهدت آن، وهي تجرجر عينيها بعيدًا عن سحر ربيع العالم، بنسيمه العليل، وزرقة سمائه، وخضرة نباتاته المنبثقة في الحديقة، ودفنت رأسها في كتابها بعزم. شك أن هناك المزيد من فصول الربيع التي لم تأتِ بعد، لكنها إذا رسبت في امتحان الدخول، فلن تتعافى أبدًا بالقدر الذي سيتيح لها فرصة ا ستمتاع بأي ربيع.

سفر المزامير (**مز ١٩:٥**) «**وَهِيَ مِثْلُ الْعَرُوسِ الْخَارِجِ مِنْ حَجَلَتِهِ. يَبْتَهِجُ مِثْلَ الْجَبَّارِ لِلسِّبَاقِ فِي الطَّرِيقِ.**»

مقتبس من قصيدة: القليل من المعرفة هو الخطر، من كتاب: مقالة عن النقد، للكاتب ا نجليزي ألكسندر بوب (**١٧١١م**).

(32)

صدور قائمة الناجحين

انتهى شهر حزيران حاملًا معه خاتمة الفصل الدراسي وخاتمة عهد ا نسة ستايسي في مدرسة أفونليا. عادت آن وديانا في تلك ا مسية ا خيرة إلى البيت يكللهما وقار الحزن، وقد حملت أعينهما الحمراء ومناديلهما المبللة الدليل القاطع على أن كلمات وداع ا نسة ستايسي كانت مؤثرة تمامًا كما كانت كلمات السيد فيليبس التي ألقاها في ظروف مماثلة قبل ث ث سنوات. وبينما تابعت الصبيتان طريقهما التفتت ديانا وألقت نظرة باتجاه مبنى المدرسة من عند سفح تلة حرش الراتينج، وتنهدت بعمق.

- يبدو ا مر كما لو كان نهاية كل شيء، أليس كذلك؟ (**قالت باستياء**).
- يمكن أن يبلغ شعورك با سى نصف شعوري (**أجابت آن وهي تبحث عبثًا عن بقعة جافة في منديلها**)؛ أنت على ا قل ستعودين مرة أخرى إلى المدرسة الشتاء المقبل، أما أنا فأظن أني قد غادرت هذه المدرسة العزيزة إلى ا بد، هذا إذا حالفني الحظ.
- لن يكون ا مر كما كان عليه، فا نسة ستايسي لن تكون هنا، و أنت و جين و روبي على ا رجح. سأضطر إلى الجلوس بمفردي، ني لن أتحمل اتخاذ زميلة مقعد أخرى بعدك. أوه، لقد مررنا بأوقات ممتعة، أليس كذلك يا آن؟ و شيء أكثر تعاسة من التفكير بأن تلك ا وقات قد انتهت فعلًا.

تدحرجت دمعتان كبيرتان من عيني ديانا على أنفها.

- إذا توقفت عن البكاء، فسأجفف أنا أيضًا دموعي (**قالت آن متوسلة**). أنا أكاد أضع منديلي جانبًا حتى أراك غارقة في الدموع، فأسترسل في البكاء مجددًا. ولكن السيدة ليند تقول: إذا لم تستطع أن تكون مرحًا، فامرح بقدر ما تستطيع. على كل حال، أخشى أن أعود إلى المدرسة العام المقبل، فهذه واحدة من المرات التي ينتابني فيها شعور مؤكد بعدم نجاحي.
- لماذا؟ لقد كان أداؤك رائعًا في ا ختبارات التجريبية التي قدمتها لكم ا نسة ستايسي.

- نعم، لكن تلك ا ختبارات لم تجعلني أشعر بالتوتر، أما ا متحانات الحقيقية ف يمكنك يا ديانا أن تتصوري ما تسببه لي من شعور برد قاسٍ يحيط بقلبي، با ضافة إلى أن رقمي فيها هو ث ث عشر وتقول جوزي باي إنه رقم مشؤوم. أنا أؤمن بتلك المعتقدات الخرافية، وأعلم أنه لن يحدِث فارقًا، مع ذلك كنت أتمنى لو أنه كان رقمًا مختلفًا.
- أتمنى لو كان بإمكاني الذهاب معك (**قالت ديانا**)، أما كنا أمضينا وقتًا طيبًا معًا؟ ولكن، أظن أنك ستضطرين إلى تكريس فترات المساء لمراجعة دروسك.
- ؛ لقد جعلتنا ا نسة ستايسي نعدها بعدم فتح أي كتاب على ا ط ق، قالت إن هذا لن يزيدنا إ إنهاكًا وإرباكًا، ونصحتنا بالخروج من البيت وممارسة رياضة المشي في الهواء الطلق، وأ نرهق أذهاننا بالتفكير في ا متحانات، وأن ننام مبكرًا. إنها نصائح قيمة، لكني أتوقع مواجهة الصعوبة في تنفيذها، فالنصائح القيمة دائمًا صعبة التنفيذ كما أعتقد. أخبرتني بريسي أندروز بأنها كانت تبقى مستيقظة إلى منتصف الليل طيلة أيام ا متحان، تراجع دروسها باهتمام، وكنت قد عقدت العزم على مجاراتها في هذا. لقد كان من اللطيف أن تطلب مني عمتك جوزفين البقاء في بيتشوود خ ل فترة إقامتي في المدينة.
- ستكتبين لي عندما تكونين هناك، أليس كذلك؟
- سأكتب لك ليلة الث ثاء خبرك كيف مضى يومي ا ول (**وعدتها آن**).
- إذن أعاهدك على م زمة مكتب البريد يوم ا ربعاء (**ردت ديانا**).

ذهبت آن إلى المدينة يوم ا ثنين التالي، وفي صبيحة ا ربعاء، قصدت ديانا مكتب البريد كما هو متفَق عليه، واستلمت رسالتها، التي كتبت فيها آن ما يلي:

»عزيزتي ديانا..

ها هي ليلة الث ثاء، وأنا أكتب لك هذه الرسالة في مكتبة بيتشوود كما اتفقنا. شعرت الليلة الماضية بوحشة رهيبة، وكم تمنيت وجودك معي. لم أستطع مراجعة دروسي ني وعدت ا نسة ستايسي أ أفعل. ولكن لم أستطع مقاومة فتح كتاب التاريخ كما جرت عليه عادتي كلما أردت ردع نفسي عن قراءة القصص قبل مراجعة دروسي.

جاءت ا نسة ستايسي صباح اليوم لتصحبني إلى المعهد، ومررنا في طريقنا على جين وروبي وجوزي. وأثناء سيرنا طلبت مني روبي أن أستشعر حرارة يديها، وكانت باردة كالثلج. وأخبرتني جوزي بأنه يبدو عليَّ وكأني لم أنم للحظة واحدة، وأنها تعتقد أني قوية بما يكفي

للصمود أمام أهوال دورة المعلمين الدراسية حتى وإن نجحت في ا متحان. وما زلت إلى اليوم تمر بي أوقات ومواسم أشعر فيها أني لم أحرز أي تقدم في محاو تي ستلطاف جوزي باي!

عندما وصلنا المعهد، كان هناك عشرات الط ب من جميع أنحاء الجزيرة. وكان أول شخص التقينا به ممن نعرفهم هو مودي سبورجون الذي كان جالسًا على درج المعهد وهو يتمتم بينه وبين نفسه. سألته جين عما كان يفعله بحق السماء، فقال إنه يردد جدول الضرب مرارًا وتكرارًا لتهدئة أعصابه، ومن أجل الشفقة يريد أن يقاطعه أحد، نه إذا توقف ولو لدقيقة واحدة سينتابه الخوف وسينسى كل ما يعرفه، أما تكراره لجدول الضرب فسيحفظ له معلوماته في مكانها الصحيح!

وبعد أن صُنِّفنا على قاعات ا متحانات، غادرتنا ا نسة ستايسي، جلسنا أنا وجين معًا، وكانت رباطة جأش جين تستدعي حسدي لها. ف حاجة لجدول الضرب من أجل جين الصالحة، والثابتة، والعق نية! وأمضيت الوقت وأنا أتساءل عما إذا كانت م محي تفضح ما يعتمل في داخلي، وعما إذا كان ا خرون في قاعة ا متحان يستطيعون سماع دقات قلبي المتسارعة. ثم جاء رجل وبدأ بتوزيع أوراق امتحان اللغة ا نجليزية، وما إن أمسكت بالورقة حينها تجمدت يداي ودارت الدنيا بي؛ كانت لحظة مروعة يا ديانا، كان شعوري فيها مماثلًا تمامًا لشعوري قبل أربع سنوات عندما سألت ماريـ إذا كان بإمكاني البقاء في المرتفعات الخضراء. ثم استعاد ذهني صفاءه، وبدأ قلبي يدق مرة أخرى.. نسيت إخبارك بأنه في تلك اللحظة كان قد توقف عن العمل توقفًا نهائيًّا! وعلمت أني أستطيع تدبر أمر تلك الورقة.

عدنا ظهرًا إلى البيت من أجل تناول الغداء، ثم عدنا مرة أخرى إلى المعهد لتقديم امتحان التاريخ. كان امتحان التاريخ صعبًا فعلًا، وقد اختلطت عليَّ ا مور بالنسبة إلى التواريخ. ومع ذلك، أعتقد أني أبليت بـ ءً حسنًا اليوم. لكن رباه يا ديانا، غدًا هو يوم امتحان الهندسة، وكلما فكرت في ا مر، استنزف مني ذلك كل ذرة عزم أمتلكها تجنب فتح كتاب إقليدس. ولو كنت أظن أن تكرار جدول الضرب سيجلب لي أي نفع، لعكفت على تكراره منذ ا ن وحتى صباح الغد.

ذهبت في المساء لرؤية الفتيات، وفي الطريق التقيت بمودي سبورجون الذي كان يتجول بشكل مشتت. قال إنه متأكد من رسوبه في امتحان التاريخ، وأنه لم يولد إ ليكون خيبة أمل كبيرة لوالديه، وأنه سيعود إلى بيته في قطار الصباح ليمتهن النجارة نها أسهل بكثير من ا نضمام إلى سلك الكهنوت. على كل حال، حاولت التخفيف عنه وأقنعته بالبقاء حتى

النهاية نه سيكون من الظلم في حق ا نسة ستايسي إذا لم يفعل. في بعض ا حيان كنت أتمنى لو ولدت صبيًّا، لكن عندما أرى مودي سبورجون، أشعر بالسعادة حقًّا ني فتاة، و ني لست أخته.

كانت روبي في نوبة من نوبات بكائها ا نفعالي عندما وصلت إلى مكان إقامتها، كانت قد اكتشفت للتو خطأ شنيعًا ارتكبته في ورقة امتحان اللغة ا نجليزية، وبعد أن هدأت قصدنا وسط المدينة وتناولنا المثلجات، وكم تمنينا وجودك معنا!

أوه يا ديانا، لو انتهى امتحان الهندسة فقط! أتمنى ا كثر. ومع ذلك، وكما تقول السيدة ليند، ستستمر الشمس في الشروق والغروب سواء رسبت في الهندسة أم . طبعًا هذا ك م صحيح، ولكنه ليس بذلك الك م الباعث على الراحة، وأظن أني أفضل أ تشرق الشمس ثانية إذا رسبت!

المخلصة لكِ..

آن شيرلي»

انتهى امتحان الهندسة وكذلك بقية المواد في الوقت المحدد، وعادت آن إلى البيت مساء يوم الجمعة، متعبة نوعًا ما، ولكن في جو من ا نتصار. كانت ديانا تنتظرها في دارة المرتفعات الخضراء عندما وصلت، والتقتا كما لو أنهما افترقتا لسنوات.

- أيتها الغالية الحبيبة، ليس هناك ما هو أروع من رؤيتك مجددًا. يبدو لي وكأنه قد مرَّ علينا دهر منذ ذهابك إلى المدينة. أوه، كيف سارت أمورك يا آن؟
- سارت ا مور بشكل جيد في كل شيء عدا الهندسة، و أعرف إذا كنت سأنجح فيها أم ، فحسي الداخلي ينذرني برسوبي فيها. أوه، ما أجمل العودة إلى المنزل!
- بقعة في كل هذا العالم أغلى وأجمل من المرتفعات الخضراء.
- وكيف أبلى ا خرون؟
- تزعُم الفتيات أنهن متأكدات من رسوبهن، لكني واثقة من أنهن أدَّين بشكل جيد. قالت جوزي إن امتحان الهندسة كان سهلًا للغاية بحيث يمكن لطفل في العاشرة من عمره ا جابة عنه! أما مودي سبورجون فما زال يؤكد أنه سيرسب في التاريخ، ويظن تشارلي إنه سيرسب في الجبر. لكننا بكل بساطة نعلم شيئًا أكيدًا، ولن نعلم قبل صدور قائمة الناجحين، ولن يحدث هذا قبل أسبوعين، تخيلي أن تعيشي أسبوعين في مثل هذا القلق! أتمنى أن أخلد للنوم وأ أستيقظ أبدًا إ بعد انتهاء كل شيء.

كانت ديانا تعلم أنه ليس هناك جدوى من سؤال آن عن أداء جيلبرت بليث، لذلك اكتفت بقول:

- أوه، ستنجحين يا آن بـ شك، تقلقي.

- إذا لم أنجح بتفوق، أفضل أ أنجح أبدًا (**قالت آن، بتلميح إلى ما أرادت قوله ولم تفصح عنه، ففهمت ديانا على الفور ما كانت تعنيه بأنها ستعد نجاحها ناقصًا ومريرًا إذا لم تتفوق على جيلبرت بليث**).

مع وضع هذه الغاية في الحسبان، كانت آن قد استنفدت أعصابها في ا متحانات، وكذلك فعل جيلبرت، وعلى الرغم من أنهما كثيرًا ما التقيا وتجاوزا بعضهما في الشارع عشرات المرات دون أي ء مة على وجود سابق معرفة بينهما. وفي كل مرة كانت ترفع فيها آن رأسها بشموخ لتتجاوزه، كانت تتمنى لو أنها قبلت صداقته عندما عرض عليها من قبل، وفي نفس الوقت كانت تتعهد بعزم أكبر على التفوق عليه في ا متحان، كانت تعرف أن جميع أبناء أفونليا يتساءلون من منهما سيتفوق على ا خر، بل وتعرف أن جيمي جلوفر ونيد رايت أقاما رهانًا عليهما، وأن جوزي باي قالت إنه يوجد شك في العالم بأن جيلبرت سيكون ا ول، وشعرت أن إذ لها لن يُحتمل إذا لم تتفوق على جيلبرت.

في الحقيقة كان لدى آن دافع آخر نبيل لرغبتها في التفوق، وهو رغبتها في تشريف ماثيو وماريـ ، وبخاصة ماثيو الذي كان مقتنعًا، كما أخبرها، بأنها ستهزم تـ ميذ الجزيرة بأكملها، وشعرت آن أنَّ ا مل بهذا يعدو كونه ضربًا من الجنون حتى في أكثر ا ح م طيشًا، لكنها كانت تأمل بشدة أن تكون ضمن العشرة ا وائل على ا قل، حتى ترى عيني ماثيو البنيَّتين اللطيفتين تلمعان فخرًا بإنجازها، وشعرت أن تلك ستكون مكافأة رائعة حقًّا لها على جدها واجتهادها، وصبرها وسط المعاد ت وتصريفات ا فعال المفتقرة ي خيال.

ما إن مضى ا سبوعان حتى أخذت آن تتردد على مكتب البريد بين الفينة وا خرى بصحبة رفيقاتها القلقات؛ جين وروبي وجوزي، وكن يتصفحن جرائد شارلوت تاون اليومية بأيادٍ مرتعشة ومتجمدة، وبمشاعر تختلف في توترها عن مشاعرهن خ ل أسبوع ا متحان، ولم يكن تشارلي وجيلبرت أكبر مقامًا من قيامهما با مر عينه، لكن مودي سبورجون فضَّل البقاء بعيدًا عن كل ذلك.

- أملك ذرة شجاعة تمكنني من الذهاب ومطالعة الجريدة بأعصاب باردة (**أخبر آن**)، سأنتظر حتى يأتيني من يخبرني فجأة بنجاحي أو رسوبي.

عندما مرت ث ثة أسابيع دون إع ن قائمة الناجحين، بدأت آن تشعر بأنها تستطيع تحمُّل القلق لفترة أطول، ونتيجة لذلك فقدت شهيتها للطعام، وفتر اهتمامها بما يدور في أفونليا من حوادث. واتخذت السيدة ليند من هذا التأخير فرصة لتتساءل عما يمكن توقعه من عضو في حزب المحافظين عندما يكون مسؤولًا عن الشؤون التربوية ومشرفًا على إدارة المهام التعليمية. أما ماثيو الذي لم تغب عنه م حظة شحوب آن وعدم اكتراثها بأي نشاط، وعودتها من مكتب البريد كل مساء وهي تجرجر قدميها بخطوات متثاقلة، فقد بدأ جديًّا بالتساؤل عما إذا كان من ا فضل له أن يصوِّت لحزب ا حرار في ا نتخابات المقبلة.

وصلت ا خبار أخيرًا ذات مساء، كانت آن تجلس عند نافذتها المفتوحة، متناسية وي ت ا متحانات، وهموم العالم، ومستغرقة في تجرع أكواب من جمال الغسق الصيفي المعطر بأنفاس ا زهار المنبعثة من الحديقة، والمثار بصفير وحفيف أوراق أشجار الحور حدَّ الثمالة، وبينما كانت مبحرة في تأمل سحر السماء الشرقية المطلة على أحراش التنوب وقد انعكست عليها الظ ل الوردية الباهتة من الغرب، متسائلة عما إذا كانت روح ذلك اللون المنعكس تماثل في جمالها جمال اللون نفسه، لمحت ديانا وهي تعتلي جسر الجدول، وتكاد تطير طيرانًا وهي تصعد المنحدر، وفي يدها صحيفة ترفرف معها.

هبت آن واقفة على قدميها، قد عرفت في الحال ما الذي تحتوي عليه تلك الصحيفة. نعم، لقد صدرت قائمة الناجحين! دار رأسها، وخفق قلبها خفقانًا شديدًا آلمها، ولم تتمكن من التحرك ولو خطوة واحدة، وبدا لها أنه قد مضت ساعة قبل أن تصل ديانا مندفعة عبر الردهة فالغرفة من غير أن تقرع الباب، وبحماس يفوق الوصف.

- آن، لقد نجحت (**صاحت ديانا**)، نجحت وحصدت المرتبة ا ولى، أنتِ وجيلبرت بليث معًا، أنتما متعاد ن، لكن اسمك مكتوب أولًا. أوه، أنا فخورة جدًّا بكِ يا آن!

ألقت ديانا الورقة على المنضدة، وألقت بنفسها على سرير آن، وهي تلهث آخر أنفاسها غير قادرة على التفوه بكلمة أخرى، وفي تلك اللحظة، حاولت آن إشعال المصباح، واستهلكت نصف دزينة من أعواد الثقاب قبل أن تتمكن يداها المرتعشتان من إتمام المهمة، ثم اختطفت الجريدة.. نعم، لقد نجحت.. وكان اسمها يترأس قائمة من مائتي اسم! كانت تلك لحظةٌ تستحق العيش من أجلها.

- لقد حققتِ نجاحًا عظيمًا يا آن (**قالت ديانا هثة، بعد أن استعادت من قواها ما يعينها على الجلوس والتحدث، ن آن اكتفت بالحملقة بعينين مرصعتين بالنجوم والحيوية، ولم تتفوه بكلمة واحدة**)، أحضر أبي الجريدة من بلدة برايت ريفر منذ عشر دقائق، جاءت الجرائد في

قطار المساء كما تعلمين، ولن تصل إلى بريد أفونليا إ صباح الغد، وما إن رأيت قائمة الناجحين، حتى اندفعت إليك بجموح. لقد نجحتم جميعًا، بما في ذلك مودي سبيرجون، على الرغم من أن نجاحه مشروط بإعادة امتحان التاريخ. كان أداء جين وروبي جيدًا واحتلتا منتصف القائمة تقريبًا، وكذلك فعل تشارلي، أما جوزي باي فلم تحرز إ ث ث ء مات فوق معدل النجاح، ولكن انتظري حتى تري كم ستفاخر بنفسها كما لو أنها فازت بالمرتبة ا ولى. ألن يكون نجاحكم مصدر فخر ل نسة ستايسي؟ أوه يا آن، أخبريني كيف يبدو شعورك وأنت ترين اسمك على رأس قائمة الناجحين، لو كنت مكانك لطرت جنونًا من الفرح، والذي أنا على حافته ا ن. وكم يدهشني برود أعصابك ا شبه بهدوء أمسية من أمسيات الربيع!

- ما أشعر به من انبهار داخلي يسلبني القدرة على الك م (**قالت آن**). أريد أن أقول مئات ا شياء، و أجد الكلمات التي يمكن أن تعبِّر عنها، لم أحلم بهذا قط.. بلى، حلمت مرة واحدة فقط! لقد تركت العنان لخيالي ذات مرة وقلت لنفسي: ماذا لو حظيت بالمرتبة ا ولى؟ وسرعان ما تراجعت، نه بدا عبثًا وغرورًا التفكير في التفوق على ت ميذ الجزيرة بأكملها. أود استئذانك لدقيقة يا ديانا، يجب أن أسرع إلى الحقل لتبشير ماثيو، وبعد ذلك سنذهب لنزفَّ ا نباء السعيدة ل خرين.

أسرعت الصبيتان نحو حقل البرسيم الواقع خلف مخزن الحبوب حيث كان ماثيو يلف التبن، ولحسن الحظ، كانت السيدة ليند تتحدث إلى ماريـ عند سور الدرب.

- أوه يا ماثيو (**صاحت آن**)، لقد نجحت وفزت بالمرتبة ا ولى.. أو با حرى ا ولى من بين اثنين أوائل! لست أشعر بالغرور وإنما بالشكر لله.
- مرحى! لطالما قلت لك ذلك (**قال ماثيو وهو يمعن النظر في قائمة الناجحين بسعادة**). كنت أعلم أنه يمكنك التغلب عليهم جميعًا بسهولة.
- لقد أبليت بـ ءً حسنًا، يجب أن أعترف يا آن (**قالت ماريـ وهي تحاول إخفاء فخرها الشديد بآن عن عين السيدة ريتشل الناقدة، لكن تلك الروح الطيبة قالت بصدق خالص(:** أظن أنها قامت بعمل جيد، وحاشا لي أن أنكر ذلك، أنت مصدر فخر صدقائك يا آن، ونحن جميعًا فخورون بك.

في تلك الليلة، اختتمت آن يومها بأمسية ممتعة مع السيدة آ ن في منزل القس، حيث جرت بينهما محادثة جدية قصيرة، وفي الليل ركعت بوداعة قرب نافذتها المفتوحة والمطلة على بريق ضوء القمر العظيم، وتلت صـ ة شكر خرجت من قلبها مباشرة. كان في تلك

الصـ ة شكر للماضي والتماس مبجل من أجل الحصول على مستقبل مشرق، وعندما توسدت مخدتها البيضاء وخلدت إلى النوم، راودتها أحـ م جميلة، ومشرقة، وهانئة بقدر ما تتوق إليه صبية بتول.

(33)
حفلة الفندق

- عليكِ ارتداء الفستان ا ورجاندي ا بيض مهما كلف ا مر يا آن (**أكدت ديانا عليها ناصحة**).

كانتا معًا في غرفة السقيفة الشرقية، بتوقيت شفقٍ مال لونه إلى خضرة صفراء ساحرة تبعثرت على لوحة بديعة من السماء الزرقاء الصافية، بينما بدأت معالم قمر مكتمل تتشكل ببطء تدريجي من البريق الشاحب نحو البريق الفضي المصقول فوق الغابة المسكونة، والفضاء يضج بأصوات الصيف الرخيمة، حيث صدحت أجواؤه بزقزقة العصافير النعسة، وهمهمات النسيم المتقلبة، وأصداء القهقهات البعيدة، لكن ستائر نافذة غرفة آن كانت في ذلك الوقت مسدَلة والمصباح مضاءً، نظرًا لما كان يجري فيها من تجارب عروض ا زياء المهمة.

كانت غرفة المرتفعات الشرقية مكانًا مختلفًا تمامًا عما كانت عليه في تلك الليلة قبل أربع سنوات؛ الليلة التي شعرت فيها آن أنَّ عُري جدران تلك الغرفة وصقيعها غير المضياف يخترق أعماق روحها. التغييرات التي تغاضت عنها ماريـ باستس م صارت تتسلل إلى الغرفة بالتدريج، حتى أصبحت عشًّا حلوًا ولطيفًا يسر قلب فتاة صغيرة.

شك أن الرؤى القديمة التي تخيلت آن غرفتها عليها لم تتحقق قط، فلم تزوِّد الغرفة بالسجادة البيضاء المخملية ذات ا زهار الوردية، أو بالستائر الحريرية، لكن آن لم تتحسر على تلك الرؤى ن نضوج أحـ مها كان يواكبها في النضوج، وبدلًا عن ذلك، فُرشت ا رضية بحصيرة متواضعة وجميلة، ولُطِّفت حدة نافذتها العالية بستائر من الموسلين ا خضر الفاتح والتي كانت ترفرف استجابة لمداعبة النسيم لها، ولم تستر الجدران العارية ببسط من نسيج الديباج المُطعَّم بالخيوط الذهبية والفضية، ولكنها غُطيت بورق أنيق مزدان برسوم زهر التفاح، وعُلِّقت عليها بعض اللوحات الجميلة المهداة من السيدة آ ن، با ضافة إلى صورة ا نسة ستايسي التي احتلت مكانة الشرف فوق الرف الذي عدَّته آن بقعة وجدانية وداومت على تزيينه با زهار الطبيعية، وفي تلك الليلة زينته بفرعٍ من الزنابق البيضاء أشاع في أرجاء الغرفة أريجًا لطيفًا أشبه بحلم عَطِر. لم تؤثَّث الغرفة أيضًا بخشب الماهوجني، ولكن بخزانة

كتب مطلية باللون ا بيض مليئة بالكتب، وكرسي هزاز مبطن بالخوص، ومنضدة تبديل م بس مجللة بالموسلين ا بيض، وسرير أبيض منخفض، ومرآة عتيقة بإطار مذهب كانت معلقة سابقًا في غرفة الضيوف ا حتياطية، تزين قمتها المقوسة رسوم وردية طفال مكتنزة الجسم بأجنحة م ئكية أو ما يُدعى كيوبيد[84]، وعناقيد من العنب ا رجواني.

أخذت آن تتأنق استعدادًا للمشاركة في حفل موسيقي سيُقام في فندق وايت ساندس تحت إشراف ضيوف الفندق لمساعدة مستشفى شارلوت تاون، وقد تولى المشرفون على الحفل مهمة البحث عن المواهب الفنية المتاحة في المقاطعات المجاورة لتساعدهم على إقامته. فانتقوا من جوقة وايت ساندس المعمدانية كلًّا من بيرثا سامبسون وبيرل ك ي لتؤديا أغنية ثنائية، وطلبوا من ميلتون ك رك من بلدة نيوبريدج تقديم عزف منفرد على الكمان، واتفقوا مع ويني أدي بلير من بلدة كارمودي على تقديم أغنية اسكتلندية استعراضية، أما لورا سبنسر من سبنسرفيل وآن شيرلي من أفونليا فكان عليهما إلقاء القصائد الشعرية.

كانت هذه المناسبة فترة مميزة في حياة آن، كما قالت ذات مرة، وبلغت إثارتها بهذا الحدث أوْجَهَا. أما ماثيو فقد ارتقى إلى سماء المجد السابعة نتيجة ما اعتلج في نفسه من فخر كبير بذلك الشرف الذي ستحصل عليه صغيرته آن. ولم تكن حال ماريل تختلف كثيرًا عن حاله، على الرغم من أنها كانت تفضِّل الموت على ا عتراف بذلك، واكتفت بالقول إنه ليس من الـ ئق أن ترتاد الفتيات ذلك الفندق بدون صحبة شخص بالغ ومسؤول.

كانت آن وديانا ستقصدان الفندق مع جين أندروز وشقيقها بيلي بعربة آل أندروز ذات المقاعد المزدوجة، والكثير من صبايا أفونليا وشبانها سيرتادون ذلك الحفل أيضًا. توقع الفندق استقبال زوار من المدينة، وتم ا عداد لتقديم العشاء للمساهمين في الحفل بعد انتهاء العرض.

- هل تعتقدين حقًّا أن فستان ا ورجاندي أفضل؟ (**تساءلت آن بقلق**) أنا أراه بجمال فستان الموسلين ا زرق المطبع با زهار، كما أنه ليس عصريًّا.
- لكنه يليق بك أكثر من أي فستان آخر (**قالت ديانا**)، فهو ناعم جدًّا وطري ومكشكش، ويتميز بإبرازه لتفاصيل جسمك وكأنه خُلِق خصيصًا لك، أما فستان الموسلين فهو من القماش المتيبس، كما أنه يجعلك تبدين مفرطة في التأنق.

تنهدت آن باستسـ م، ـن ديانا كانت قد بدأت تكتسب شهرة واسعة فيما يتعلق بذوقها الرفيع في انتقاء المـ بس، ونصائحها بشأن مثل هذه ا مور مطلوبة كثيرًا. بدت جميلة جدًّا في تلك الليلة في فستان من اللون الوردي الفاقع، والذي كان محظورًا على آن. لكنها لم تكن

ستشارك في الحفل، لذلك لم تعطِ لمظهرها أهمية كبيرة، فصبت كل جهودها على آن، كما كانت قد نذرت ا هتمام بملبسها وشعرها وزينتها كما يليق بملكة، من أجل سمعة أفونليا.

- اسحبي هذه الكشاكش قليلًا.. نعم، هكذا، دعيني أربط لك الحزام، وا ن ارتدي حذاءك. سأقوم بتضفير شعرك إلى ضفيرتين سميكتين ثم سأرفعهما وأثبتهما عند منتصف رأسك بشرائط بيضاء كبيرة.. .. تسحبي فوق جبينك أي خصلة مجعدة.. فقط تلك الخصل الملساء. توجد طريقة تناسب تصفيف شعرك أكثر من هذه يا آن، والسيدة آ ن تقول إنك تبدين مثل السيدة العذراء عندما تفرقينه هكذا. سأثبت هذه الوردة البيضاء الصغيرة خلف أذنك، لم يكن هناك غيرها بين أزهار حديقتي، وقد احتفظت بها من أجلك.
- أيمكن أن أتقلد عقدي اللؤلؤي؟ (**سألتها آن**) لقد اشتراه لي ماثيو من المدينة ا سبوع الماضي، وأعلم أن سيكون سعيدًا برؤيته علي.

زمت ديانا شفتيها، أمالت رأسها متفكرة، ثم أعلنت حكمها لصالح العقد، والذي قُلِّد عنق آن النحيل الناصع به.

- هناك شيء أنيق جدًّا فيك يا آن (**قالت ديانا بإعجاب خالٍ من الحسد**)، فطريقة شموخك برأسك تشيع حولك جوًّا خاصًّا، و شك أن هذا عائد لبنيتك الجسدية النحيلة، أما أنا فلست إ بنتًا بدينة، وكثيرًا ما خشيت أن أصبح كذلك، ولكني أستطيع المراوغة و بد لي من ا عتراف بهذه الحقيقة.
- لكن لديك هذه الغمازات الرائعة (**قالت آن وهي تبتسم بمودة في وجهها الجميل والحيوي والذي كان قريبًا من وجهها**). غمازات جميلة كأنها تجاويف صغيرة على سطح شيء قشدي القوام، أما أنا فقد فقدت ا مل في الحصول على أي غمازات، ولن يتحقق حلمي بها مطلقًا، لكن يجدر بي التذمر ا ن بعد تحقق الكثير من أح مي. هل أصبحتُ جاهزة ا ن؟
- جاهزة تمامًا (**أكدت ديانا، بينما ظهرت ماريلا عند الباب، والتي أصبحت بنيتها أكثر هزالًا من السابق، وشعرها أغزر شيبًا، وعظامها أشد نتوءًا، ولكن بوجه أكثر نعومة**). تعالي وتأملي خطيبتنا يا ماريلا ، أ تبدو رائعة؟

أصدرت ماريلا صوتًا ما بين الصفير والزفير، د لة على ا عجاب.

- تبدو مرتبة وأنيقة، وتعجبني تلك الطريقة التي صففت بها شعرها، لكني آمل أ تفسد ذلك الفستان بالغبار والندى وهي في طريقها إلى الفندق، إنه يبدو رقيقًا جدًّا لدرجة

تتناسب مع مثل هذه الليالي الرطبة. إن رقة قماش ا ورجاندي تجعله من أكثر أنواع ا قمشة غير العملية على أي حال، وقد أخبرت ماثيو بهذا عندما اشتراه، مع أنه جدوى من اعتراضي على أي شيء يفعله ماثيو في الوقت الحاضر. لقد ولَّى الوقت الذي كان يطلب فيه نصيحتي، وحان الوقت الذي أصبح يشتري فيه ا شياء ن دون وضع رأيي في الحسبان مطلقًا، ويعرف باعة كارمودي أنهم قادرون على إقناعه بأي سلعة، فقط دعيهم يخبرونه بأن هناك شيئًا جميلًا وعصريًّا، وسيبدد ماثيو أمواله مقابلها. انتبهي يا آن، وحافظي على تنورة فستانك بعيدًا عن ا حتكاك بدو ب العربة، و تنسي ارتداء سترتك للتدفئة.

هبطت ماري الدرج قاصدة الطابق السفلي وهي تفكر بزهو بذلك الجمال الذي بدت عليه آن، وكأنه:

شعاع قمر امتد من الجبين وحتى الهامة[85]

وشعرت با سف نها لن تتمكن من الذهاب إلى ذلك الحفل بنفسها، لتستمع إلى إلقاء صغيرتها.

- أخشى أن يكون الجو رطبًا جدًّا على هذا الفستان (**قالت آن بقلق**).
- إط قًا، يوجد في الجو أدنى قدر من الرطوبة (**قالت ديانا وهي ترفع ستائر النافذة**)، إنها ليلة مثالية، ولن يكون فيها أي ندى. انظري إلى ضوء القمر.
- كم تسعدني إط لة نافذتي على مشرق الشمس (**قالت آن وهي تدنو من ديانا**)، ليس هناك ما هو أروع من رؤية ضوء الصباح وهو يزحف نحو تلك الت ل العالية ويُولد فوق قمم أشجار التنوب مع مطلع كل يوم جديد، أشعر كما لو أني أغسل صميم روحي في حوض أشعة شمسه المبكرة. أوه يا ديانا، أحب هذه الغرفة الصغيرة كثيرًا، و أعرف كيف سأتعايش بدونها عندما أذهب إلى المدينة الشهر المقبل.
- تتحدثي عن رحيلك الليلة (**توسلت ديانا**)، أريد أن أفكر في ا مر، إنه يجعلني بائسة جدًّا، أريد قضاء وقت ممتع هذا المساء. ماذا ستلقين يا آن؟ وهل أنت متوترة ا عصاب؟
- أبدًا، لقد أصبحت معتادة إلقاء الشعر أمام الجماهير، وما عاد ا مر يقلقني. سألقي قصيدة: نذر العذراء[86]، فهي قصيدة شجية جدًّا، وستلقي لورا سبنسر قصيدة هزلية، لكني أفضل إبكاء الناس على إضحكاهم.
- وماذا ستقدمين إذا طلب الجمهور منك المزيد؟

- لن يخطر لهم ولو مجرد خاطر بطلب ذلك (**قالت آن ساخرة، التي لم تكن تخلو آمالها السرية من أن يفعلوا ذلك، بل وإنها تخيلت نفسها وهي تقص على ماثيو تفاصيل ما جرى معها على مائدة إفطار صباح اليوم التالي**). ها قد وصل بيلي وجين، إني أسمع صوت العربة.

أصر بيلي أندروز على أن تركب آن على المقعد ا مامي بجانبه، فوافقت مكرهة نها كانت تفضل الجلوس مع الفتيات في المقعد الخلفي حيث تستطيع الضحك والدردشة معهن كما يحلو لها، ولم تكن مجالسة بيلي تتضمن هذا. كان شابًّا ضخمًا، وسمينًا، وبليدًا في العشرين من عمره، وجهه المستدير خالٍ من أي تعبير، وحسه البليد يفتقر إلى الموهبة في فن المحادثة، لكنه كان معجبًا بآن بشدة، انتفخت أوداجه زهوًا بالفرصة التي سنحت له بقيادة العربة إلى وايت ساندس بصحبة تلك الصبية الحسناء ممشوقة القوام.

حاولت آن التحدث إلى الفتيات بصعوبة من خ ل تمرير الك م من فوق كتفها، وكانت بين فينة وأخرى تمرر بكياسة كلمة مجاملة إلى بيلي، الذي كان يبتسم ويضحك، من غير أن يستطيع إيجاد الرد المناسب إ بعد فوات ا وان. تمكنت آن من ا ستمتاع بالرحلة كما تشتهي وعلى الرغم من كل شيء.

كان الطريق مزدحمًا بالعربات المتجهة نحو الفندق، وأصداء الضحك ذي النقاء الفضي تتردد على طوله. وما كادت العربة تصل بهم، حتى طالعهم الفندق ساطعًا با ضواء الباهرة من قمته إلى قاعدته. استقبلتهم هناك لجنة من السيدات المشرفات على الحفل، وصحبت إحداهن آن إلى غرفة استعداد المشاركين المكتظة بأعضاء نادي شارلوت تاون الموسيقي. شعرت آن بينهم بالخوف والخجل وا رتباك. بدا لها فستانها الذي رأته في غرفتها جميلًا وأنيقًا؛ بسيطًا وعاديًّا جدًّا بالمقارنة مع ما لمع وحفحف حولها من الحرير والساتان، بل ما أهمية عقدها اللؤلؤي مقارنة بماسات تلك السيدة الضخمة ا نيقة بالقرب منها؟ وكم تبدو وردتها الصغيرة البيضاء فقيرة إلى جانب كل تلك الورود التي تتزين بها ا خريات! خلعت آن قبعتها وسترتها، وانكمشت بتعاسة في إحدى الزوايا، وتمنت لو أنها لم تغادر غرفتها البيضاء في المرتفعات الخضراء.

ازداد ا مر سوءًا بالنسبة إليها عندما وجدت نفسها عند مقاعد منصة الصالة المخصصة للحف ت، حيث أزعجت ا ضواء الكهربائية عينيها، وأذهلتها روائع العطور وهمهمات الناس، وتمنت لو أنها كانت بين الجمهور مع ديانا وجين، اللتين بدا أنهما تقضيان وقتًا رائعًا في مؤخرة الصالة. كانت محشورة في مقعدها بين سيدة بدينة ترتدي فستانًا من الحرير الوردي، وفتاة طويلة ذات سيماء متعجرفة ترتدي فستانًا من الساتان ا بيض. وبعد فترة من

الوقت أدارت السيدة البدينة رأسها نصف دورة وتفحصت آن من خ ل نظارتها، حتى شعرت آن، وهي حساسة للغاية من التعرض للتدقيق الشديد، أنها ترغب في الصراخ بصوت عالٍ، وظلت الفتاة ذات الساتان ا بيض تتحدث بصوت مسموع إلى جارتها في المقعد تهزأ فيه من ف حي ا رياف والجمال الريفي الساذج، وأبدت يأسها من توقع ا ستمتاع بأي عرض من عروض المواهب المحلية في البرنامج. شعرت آن شعورًا أكيدًا أنها ستكره تلك الفتاة حتى نهاية الحياة.

لسوء حظ آن، كان يوجد بين نز ء الفندق خطيبة محترفة وافقت على المشاركة بإلقاء الشعر في الحفل. امرأة رشيقة، داكنة العينين ترتدي ثوبًا رائعًا من نسيج رمادي مت لئ كأنه حُبِكَ من أشعة القمر، تزيِّن عنقها وشعرها الداكن با حجار الكريمة، لديها صوت رائع ورخيم، وتميزت بقوة رائعة في التعبير، لدرجة أنها هيجت الجمهور طربًا بمجموعتها الشعرية التي انتقتها. كانت آن قد نسيت كل شيء عن نفسها ومشكـ تها في ذلك الوقت، واستمعت بعينين مشرقتين وسابحتين في عالم آخر. لكنها بعد انتهاء فقرة تلك الخطيبة من إلقائها أخفت وجهها بيديها على نحو مفاجئ. لن تجرؤ على النهوض وا لقاء، هل ظنت يومًا أنها بارعة في هذا المجال؟ أوه، ليتها تستطيع العودة إلى المرتفعات الخضراء.

في نفس تلك اللحظة غير المناسبة نودي على اسمها، وبطريقة ما، نهضت آن التي لم تـ حظ النظرة المذنبة الممزوجة بالدهشة التي ارتسمت في عيني الفتاة المتعجرفة ذات الرداء ا بيض بجوارها، ووقفت على قدميها وتقدمت إلى ا مام مشوشة الذهن. لم تكن لتفهم ا عجاب الخفي الذي تضمنته تلك النظرة لو أنها حظتها، بدت شاحبة جدًّا لدرجة جعلت ديانا وجين، في وسط الجمهور، تشابكان أيدي بعضهما في توتر وتعاطف.

كانت آن ضحية الخوف من خشبة المسرح الذي ينتاب الناس أحيانًا، فعلى الرغم من اعتيادها ا لقاء أمام الجماهير، فإنها لم يسبق لها أن واجهت مثل ذلك الحشد الكبير من الجماهير، وسرعان ما خارت قواها إزاء رؤيتها له. بدا كل شيء حولها غريبًا، ورائعًا، ومربكًا للغاية؛ صفوف السيدات في فساتين السهرة، والوجوه الناقدة، وجو الثراء والجاه. كان يختلف هذا كثيرًا عن المقاعد البسيطة في نادي المناظرات، المليئة بالوجوه الودود العطوفة لـ صدقاء والجيران. أما هؤ ء الناس الذين أمامها، ليسوا إ نقادًا عديمي الرحمة، وربما هم، كما قالت الفتاة ذات الرداء ا بيض، ينشدون منها ومن أمثالها إ ا ستهزاء بأدائها الريفي الساذج. وهكذا وقفت بـ حول و قوة، خجلة وبائسة، ومرتجفة الركبتين، ومضطربة القلب،

يهيمن عليها الضعف الرهيب، والوجوم ا خرس بحيث لم يعد أمامها سوى الهروب من المنصة على الرغم من العار ا بدي الذي سيلحق بها إذا فعلت هذا.

فجأة، بينما كانت عيناها الواسعتان المذعورتان تحدقان إلى الجمهور، وقع نظرها على جيلبرت بليث في مؤخرة القاعة، ينحني لـ مام بابتسامة على وجهه؛ ابتسامة بدت ن على الفور ابتسامة انتصار وسخرية. وفي الحقيقة، كانت ابتسامة جيلبرت مجرد ابتسامة إعجاب بمظاهر الحفل بشكل عام، وبالتأثير الناتج عن مظهر آن الرشيق، ووجهها المـ ئكي على خلفية من أشجار النخيل بشكل خاص. أما جوزي باي التي جاءت إلى الحفل برفقته والتي كانت تجلس إلى جانبه، فـ شك أن وجهها لم يكن يخلو من تلك التعابير الدالة على السخرية وا نتصار، لكنَّ آن لم ترَ جوزي، وما كانت لتكترث كثيرًا لو رأتها، وعندها، سحبت آن نفسًا طويلًا واستشعرت وخز التصميم يسري في جسدها كصدمة كهربية، فاستجمعت قواها وتحلت بالشجاعة، ومن ثمَّ رفعت رأسها بفخر. لن تعلن سقوطها أمام جيلبرت بليث، ولن تترك له الفرصة ليسخر منها أبدًا.. أبدًا! وهكذا بدأ خوفها وتوترها في التـ شي، وباشرت ا لقاء بصوت واضح وعذب يصل إلى مسامع أبعد ركن في القاعة دون ارتجاف أو انقطاع. فاستعادت زمام نفسها بالكامل، وكانت النتيجة أن قدمت أداءً عظيمًا لم يسبق لها أن قدمت مثله، وما كادت تنتهي حتى قوبلت بعاصفة من التصفيق الصادق، وبينما كانت في طريق عودتها إلى مقعدها في شعور من الخجل والسعادة، استوقفتها السيدة البدينة ذات الرداء الوردي وهي تشد على يدها بقوة وانفعال.

- كان أداؤك رائعًا يا عزيزتي (**قالت لها**)، لقد جعلتِني أبكي كطفل صغير، اسمعي.. اسمعي.. إنهم يستزيدونك، يريدون منك العودة إلى المنصة!
- أوه، يمكنني العودة إلى المنصة (**قالت آن بارتباك**)، ولكن، ، يجب أن أعود، وإ سيصاب ماثيو بخيبة أمل. لقد قال لي إنهم سيطلبون سماع إلقائي مرة ثانية.
- إذن تخيبي ظن ماثيو (**قالت السيدة البدينة ضاحكة**).

عادت آن إلى المنصة مبتسمة، ومتوردة، ورائقة العينين، وقدمت مجموعة صغيرة من القصائد اللطيفة التي فتنت جمهورها أكثر من قبل، وكانت بقية ا مسية كأنها انتصار صغير لها.

بعد انتهاء الحفل، قامت السيدة البدينة، التي كانت زوجة مليونير أمريكي، بضم آن تحت جناحها، وقدمتها إلى الجميع هناك، وكان الجميع لطيفًا معها، بل إن السيدة إيفانز؛ الخطيبة المحترفة، وقفت وتحدثت معها وأخبرتها أن صوتها ساحر، وأشادت باختياراتها الشعرية،

حتى ذات الرداء ا بيض وجهت لها مجاملة بسيطة، ثم توجهوا إلى القاعة الكبيرة المخصصة لتناول العشاء، والتي كانت مزينة بشكل رائع، وهناك دُعيَت ديانا وجين للمشاركة نهما كانتا بصحبة آن، أما بيلي الذي تملَّكه الفزع من هذه الدعوة فلم يُعثَر عليه في أي مكان، لكنه كان بانتظارهن مع العربة عندما انتهى كل شيء وغادرت الفتيات الث ثة الفندق بمرح إلى الخارج حيث بهاء وسطوع أشعة القمر البيضاء. وهناك تنفست آن بعمق، ونظرت إلى السماء الصافية فوق أغصان أشجار التنوب المظلمة.

رباه، كم هي رائعة عودتهم مرة أخرى إلى نقاء ذلك الليل وسكينته! كم كان كل شيء عظيمًا، وهادئًا، ورائعًا! تتردد خ له همهمة البحر الرنانة، وتؤنسه دمدمة الجروف الصخرية المظلمة كأنها عمالقة شرسة تتناوب على حراسة السواحل المسحورة.

- ألم يكن وقتًا رائعًا تمامًا؟ (**تنهدت جين، بينما ابتعدت بهم العربة**). أتمنى إ أن أكون ثرية أمريكية تستطيع قضاء الصيف في فندق كهذا، لديها الكثير من المجوهرات وفساتين السهرة، وتتناول المثلجات وسلطة الدجاج في كل يوم من أيام حياتها الرغيدة. شك أن هذا سيكون أكثر متعة من التعليم في مدرسة ما. آن، كان إلقاؤك عظيمًا، على الرغم من أني في البداية ما ظننت أنك ستنطقين بكلمة، لكني أعتقد أنك تفوقتِ على السيدة إيفانز في النهاية.
- أوه، ، تقولي أشياء من هذا القبيل يا جين (**ردت آن بسرعة**)، نها تبدو سخيفة، يمكن أن يكون إلقائي أفضل من إلقاء السيدة إيفانز، وأنت تعرفين ذلك، فهي خطيبة محترفة، وأنا مجرد تلميذة لديها القليل من الموهبة في ا لقاء. وأقصى ما يرضيني هو أن يكون الناس قد استساغوا إلقائي.
- أنا أحمل لك مديحًا يا آن (**قالت ديانا**)، أظنه كان مديحًا بسبب اللهجة التي قيل بها، على ا قل بد أن يكون جزءًا من مديح. كان هناك رجل أمريكي يجلس خلفي أنا وجين، أسود الشعر والعينين، وتبدو عليه سمات الشاعرية. أخبرتنا جوزي باي بأنه فنان مشهور، وأن ابنة عم أمها في بوسطن متزوجة من رجل كان يذهب معه إلى نفس المدرسة. المهم، سمعناه يقول.. أليس كذلك يا جين؟ من هي تلك الفتاة ذات الشعر التيتياني الرائع التي تعتلي المنصة؟ إنها تمتلك وجهًا أرغب في رسمه. وا ن، ما رأيك؟ ولكن ما معنى الشعر التيتياني؟
- إذا أردنا تفسيرها إلى كلمات مفهومة فأظنها تعني الشعر ا حمر (**قالت آن ضاحكة**). كان تيتيان[87] فنانًا مشهورًا يحب رسم النساء ذوات الشعر ا حمر.

- أرأيتما تلك الماسات التي كانت ترتديها السيدات؟ (**تنهدت جين**) كانت بكل بساطة مذهلة. أ تتمنيان معي لو أننا كنا من ا غنياء؟
- نحن أغنياء يا جين (**قالت آن بإخ ص**). لدينا ستة عشر عامًا في رصيدنا من العمر، ونحن سعيدات كالملكات، وجميعنا صاحبات خيال وإن اختلفت درجات خصوبته. تأم هذا البحر يا فتيات، وتفكرا بما يحتويه من خفايا على الرغم من كل شفافيته وصفائه ووضوحه. ترى أكان بمقدورنا ا ستمتاع به أكثر لو كنا نملك م يين الدو رات وعقودًا طويلة من الماس؟ بل من منا تقبل أن تتحول إلى واحدة من تلك النساء إن استطاعت؟ من منا ترضى أن تشبه صاحبة الرداء ا بيض بسيماء وجهها غير الودود والمحتقِر للناس طيلة حياتها، والتي تبدو كما لو أنها خُلقت وأنفها مرفوع على هذا العالم؟ ومن منا تود أن تحل محل السيدة صاحبة الفستان الوردي، التي على الرغم من لطفها وعطفها يكاد المرء يستبين شكلها بسبب قصرها وبدانتها؟ أو حتى السيدة إيفانز، مع تلك النظرة الحزينة في عينيها؟

بد أنها قد مرت بظروف تعيسة في حياتها لتحمل نظرة كهذه. ثقي أنك لن تقبلي أن تكوني أي واحدة منهن يا جين أندروز!

- أعرف على وجه التأكيد (**أجابت جين غير مقتنعة**). أظن أن ا لماس يمكن أن يريح المرء ويعوضه عن أشياء كثيرة.
- حسنًا، أما أنا ف أريد أن أكون أي شخص آخر سوى نفسي، حتى وإن لم أحصل على ا لماس طيلة حياتي (**أعلنت آن**). أنا راضية تمامًا بأن أكون آن المرتفعات الخضراء، مع عقدي اللؤلؤي البسيط هذا، والذي أعلم أن ماثيو قدمه لي بمحبة تفوق كل ما حصلت عليه تلك السيدة البدينة من محبة مع جميع مجوهراتها.

إله الحب عند ا غريق.

مقتبس من الكتاب الرابع للقصيدة الملحمية: Aurora Leigh برز شعراء العصر الفيكتوري، الشاعرة إليزابيث باريت براوننج (١٨٥٦).

قصيدة اسكتلندية قصيرة، للكاتبة كارولينا أوليفانت، تدور حول امرأة تقسم أنها لن تتزوج أبدًا، ن حبها الوحيد مات غرقًا في البحر بطريقة مأساوية جدًّا.

تيتسيانو فيتشيليو رسام إيطالي من البندقية. كان زعيم مدرسة البندقية في الرسم وقد نَعِمَ برعاية عدد كبير من النب ء ا يطاليين المعروفين، وكان لفترة من الزمن امتدت بضع سنوات رسام الب ط لدى ا مبراطور شارل الخامس، ويُعرف اسمه «**تيتيان**» با نجليزية.

(34)

طالبة في معهد كوين

امت ت ا سابيع الث ث التي تلت الحفل بالمشاغل في المرتفعات الخضراء، استعدادًا لذهاب آن إلى معهد كوين. هناك الكثير من الم بس التي يجب خياطتها، والعديد من ا مور التي ينبغي مراجعتها وترتيبها. زُوِّدت آن بالكثير من الحاجيات الوافرة والجميلة ن ماثيو أشرف على ذلك بنفسه، ولم تعترض ماريـ ولو لمرة واحدة على أي شيء اشتراه أو اقترحه، بل إنها قصدت غرفة المرتفعات الشرقية في إحدى ا مسيات حاملة قماشًا رقيقًا من اللون ا خضر الفاتح بين ذراعيها.

- آن، هذا قماش يصلح لخياطة فستان خفيف وجميل لك، و أظنك ستحتاجين إليه فعلًا ن لديك الكثير من الفساتين الجميلة، لكني فكرت أنك قد ترغبين في الحصول على فستان رسمي وأنيق إذا دُعيت إلى مناسبة مسائية في المدينة، كحفلة أو أي شيء من هذا القبيل. سمعت أن جين وروبي وجوزي تجهزن بفساتين للسهرة كما يسمونها ا ن، و أنوي أن تكوني أقل منهن في أي شيء. لقد طلبت من السيدة آ ن مساعدتي في اختيار هذا القماش من المدينة ا سبوع الماضي، وسنطلب من إميلي جيليس أن تخيطه لك، فليس هناك أحد يضاهي إميلي في ذوقها ومهاراتها.
- أوه يا ماريـ ، يا له من قماش جميل! (**قالت آن**) شكرًا جزيلًا. ولكن يستحسن أ تكوني لطيفة معي إلى هذه الدرجة، فهذا يجعلني أستعصب الرحيل أكثر فأكثر.

خُيِّط الفستان ا خضر مع العديد من الزَّمات والثنيات والكشاكش حسب ذوق إميلي. وفي ذات مساء وضعته آن عليها من أجل ماثيو وماريـ ، وألقت أمامهما في المطبخ قصيدة: نذر العذراء.

بينما كانت ماريـ تمعن النظر في ذلك الوجه المشرق والحيوي، وفي إيماءاته الرشيقة، عادت أفكارها إلى تلك ا مسية التي جاءت فيها آن إلى المرتفعات الخضراء، واستدعت ذاكرتها صورة حيَّة للطفلة الغريبة المذعورة في ثوبها البني البالي، وانكسارها الذي ظهر في عينيها الدامعتين. شيء ما في تلك الذكرى جلب الدموع إلى عيني ماريـ .

- أستطيع أن أصرِّح ا ن أنَّ إلقائي جعلك تبكين يا ماريـ (**قالت آن بمرح، وهي تنحني فوق كرسي ماريـ وتطبع على خد تلك المرأة قبلة وديعة بخفة فراشة حطت على زهرة**). أنا أدعو هذا انتصارًا مهمًّا.
- ، لم أكن أبكي من إلقائك (**قالت ماريـ التي أبت أن يُعزى ضعفها إلى أي شيء له ء قة بالشعر.**) ما استطعت ا متناع عن التفكير بتلك الطفلة التي كنتِها يا آن، وتمنيت لو أنك بقيت طفلة مع كل أساليبك الغريبة. لقد كبرت ا ن وسترحلين عنا عما قريب، وهذا الثوب يجعلك تبدين هيفاء وأنيقة ومختلفة كثيرًا.. كثيرًا.. وكأنه لم يكن لك أي ء قة بأفونليا على ا ط ق. مجرد تفكيري با مر، جعلني أشعر بمرارة الوحشة.
- ماريـ ! (**جلست آن في حضن ماريـ الجبهامي، وأخذت وجهها المجعد بين يديها، ونظرت بحنان ورقة في عينيها**) أنا لم أتغير قط، ولن أتغير أبدًا. كل ما في ا مر أني تشذبت وتفتحت، أما آن الحقيقية الموجودة داخلي ما زالت هي نفسها، ولن يُحدِث ذهابي إلى أي مكان تغييرًا من هذا القبيل، ومهما تغير مظهري، سأبقى دومًا صغيرتك آن التي ستظل مع مطلع كل يوم جديد في حياتها تحبك وتحب ماثيو وتحب المرتفعات الخضراء العزيزة أكثر وأعمق من اليوم الذي سبقه.

مالت آن برأسها وبسطت خدها النضر الناعم على خد ماريـ الشاحب، ومدت يدها لتربت على كتف ماثيو. كانت ماريـ في تلك اللحظة على استعداد للتضحية بأي شيء لديها مقابل تمكنها من ترجمة مشاعرها إلى كلمات، لكن طبيعتها والعادات التي نشأت عليها أرادت خ ف ذلك، فاكتفت بلف ذراعيها بقوة حول الصبية وضمها بحنان إلى قلبها، متمنية لو أنها لم تكن مضطرة إلى إف تها أبدًا.

أما ماثيو الذي امت ت عيناه بالدموع، فسرعان ما نهض قبل أن تنهمر وغادر البيت إلى الفناء حيث مشى نحو البوابة بين أشجار الحور تحت نجوم ليلة الصيف الزرقاء.

- حسنًا ا ن، أظن أن الد ل قد أفسدها في النهاية (**تمتم بفخر**)، وأعتقد أن محاو تي قحام مجدافي بين حين وآخر لم تتسبب في أي أذى. إنها ذكية وجميلة، ومُحبة أيضًا، وهذا أفضل من أي شيء آخر. لقد كانت مثل نعمة لنا، ولم يكن هناك خطأ أكثر حظًّا مما ارتكبته السيدة سبنسر، إذا كان يسمى هذا حظًّا، فأنا أعتقد أن ما حدث كان حظًّا أو أي شيء من هذا القبيل؛ لقد كانت العناية ا لهية، ن الله القادر على كل شيء رآنا في حاجة إليها.

وأخيرًا، جاء يوم رحيل آن إلى المدينة. أقلَّها إليها ماثيو في صباح يوم جميل من شهر أيلول، بعد وداع دامع مع ديانا، ووداع عملي مع ماري ، غير دامع من جهة ماري على ا قل، ولكن بعد مغادرة آن جففت ديانا دموعها وذهبت في نزهة شاطئ إلى وايت ساندس مع بعض بنات عمومتها من بلدة كارمودي، حيث سعت للترفيه عن نفسها بكل طريقة محتملة، بينما انغمست ماري بشدة في أعمال منزلية غير ضرورية واستمرت فيها طيلة النهار بأشد أنواع وجع القلب مرارة؛ وجع حارق وقارس تستطيع أي دموع غسله. في تلك الليلة، ذهبت ماري إلى الفراش بائسة، وهي مدركة تمامًا أن غرفة المرتفعات الشرقية الصغيرة في نهاية الرواق لم تكن مأهولة بالحياة الفتيَّة المشرقة، ولم تكن عامرة بعبق أنفاس صاحبتها الرقيقة، وهكذا دفنت وجهها في وسادتها وبكت صغيرتها الغائبة بنشيج مرير، نشيج روَّعها عندما استعادت ما يكفي من الهدوء لتتفكر، مستنكرة ذلك الضعف ا نساني الذي يجعل قلب المرء متعلقًا بمخلوق فانٍ مثله.

وصلت آن وبقية الط ب إلى المدينة في الوقت المناسب للتوجه إلى المعهد، ومرَّ اليوم ا ول على نحو سلس، كانت ا نسة ستايسي قد نصحت آن باختيار صف السنة الثانية، والذي يؤهل الطالب للحصول على ترخيص معلم من الدرجة ا ولى في عام واحد بدلًا من عامين، ولكنه في نفس الوقت يتطلب بذل مجهود أكبر في الدراسة. عملت آن بنصيحة ا نسة ستايسي، وكذلك اختار جيلبرت بليث أن يفعل الشيء نفسه. أما جين، وروبي، وجوزي، وتشارلي، ومودي سبورجون الذين لم يكن لديهم طموح متأجج يحرضهم، فقنعوا با نتساب إلى صف السنة ا ولى الذي يؤهلهم للحصول على ترخيص معلم من الدرجة الثانية، وسرعان ما شعرت آن بالوحشة عندما وجدت نفسها في قاعة مع خمسين طالبًا وطالبة غيرها، تعرف أحدًا منهم سوى ذلك الفتى الطويل ذي الشعر البني الذي يجلس في منتصف القاعة، والذي بكل أسف لن تساعدها معرفتها به كثيرًا والحال بينهما كما هو عليه، ومع ذلك كانت سعيدة بـ شك نهما كانا في نفس الصف، فهذا سيمكنهما من متابعة تنافسهما القديم، بل إنها ما كانت ستعرف كيف ستتدبر أمورها لو لم يعد لهذه المنافسة وجود.

«ما كنت سأشعر بالراحة بدون هذه المنافسة» (فكرت آن). «يبدو جيلبرت عاقد العزم على التفوق، وأعتقد أنه اتخذ قراره، هنا وا ن، للفوز بالميدالية. يا له من ذقن رائع! لم أكن حظت ذلك من قبل. أتمنى لو أن جين وروبي قررتا ا نضمام إلى صف الدرجة ا ولى أيضًا. بد أني لن أستمر في ا حساس وكأني قطة في عليَّة غريبة عليها عندما أتعرف على الط ب هنا، وأنا ا ن أتساءل أي واحدة من تلك البنات ستكون صديقتي. وسيكون التخمين في الحقيقة مثيرًا. طبعًا لقد وعدت ديانا أنه لن تكون أي فتاة من معهد كوين، بغض النظر

عن مدى إعجابي بها، عزيزة عليَّ مثلها، لكن هذا يعني أني أملك الكثير من العواطف الثانوية الجيدة منحها لغيري. يعجبني مظهر تلك الفتاة ذات العينين البنيتين والصديرية القرمزية، تبدو مفعمة بالحيوية وا شراق. وهناك تلك الشاحبة الشقراء التي تحدق من النافذة. لديها شعر جميل وتبدو وكأنها تعرف شيئًا أو اثنين عن ا ح م. أود أن أتعرف على كلتيهما؛ معرفة جيدة تؤهلنا ن نمشي معًا متعانقات، و ن نطلق على بعضنا ألقابًا محببة، لكني ا ن أعرفهما، وهما تعرفاني أيضًا، وقد ترغبان في التعرف عليَّ شخصيًّا. رباه، كم أشعر بالوحشة!»

كان الحال أكثر وحشة عندما وجدت آن نفسها وحيدة في غرفة نومها في وقت الغسق من تلك الليلة. لم تكن تقيم مع بقية البنات، الـ تي تكفل أقرباؤهن في المدينة با هتمام بشؤونهن. كانت ا نسة جوزفين باري على استعداد ستقبالها بكل ترحيب، لكن منطقة بيتشوود تقع بعيدًا جدًّا عن المعهد، مما جعل احتمال إقامتها هناك غير وارد، ولذلك عملت ا نسة باري على تأمين غرفة سكن داخلي ن، مؤكدة لكل من ماثيو وماريـ أنها المكان المناسب لها.

- السيدة التي تدير النُزل السكني سيدة محترمة (**أوضحت ا نسة باري**). كان زوجها ضابطًا بريطانيًّا، وهي حريصة جدًّا في انتقاء الناس الذين تؤجرهم الغرف عندها. ولن تلتقي آن هناك بأي شخص غير مرغوب فيه، كما أن الطعام جيد، والنُزل قريب من المعهد، في حي هادئ.

قد يكون كل هذا صحيحًا تمامًا، وقد ثبت بالفعل أنه كذلك، لكنه في الواقع لم يساعد آن عندما سيطر عليها أول إحساس موجع بالحنين إلى البيت، أخذت تتأمل بحزن تلك الغرفة الضيقة بجدرانها المكسوة با وراق الباهتة، والخالية من أي لوحات، بهيكل سريرها الحديدي الصغير، وبخزانة الكتب الفارغة، وسرعان ما خنقتها غصة رهيبة عندما تذكرت غرفتها البيضاء في المرتفعات الخضراء، ووعيها وهي هناك بوجود الخضرة المحببة الفسيحة في الخارج، وبنمو الباز ء الحلوة في الحديقة، وبسقوط ضوء القمر على البستان، وبالجدول الرقراق عند المنحدر، وبأغصان أشجار التنوب المتمايلة مع نسيم الليل وراء الجدول، وبالسماء الشاسعة المرصَّعة بالنجوم، وبالضوء الساطع من نافذة ديانا خ ل فرجة بين ا شجار، أما هنا، فـ يوجد أي شيء من هذا، فخارج نافذة الغرفة يوجد إ شارع جامد، به شبكة من أس ك الهاتف تسد السماء، ووقع أقدام مستهجَنة، وآ ف من ا ضواء المسلَّطة على وجوه الغرباء. وعندها أدركت آن أنها على وشك البكاء، وقاومت ذلك.

- لن أبكي. هذا تصرف سخيف.. وضعيف.. ها هي الدمعة الثالثة تنحدر قرب أنفي. هناك المزيد من الدموع على وشك ا نهمار! يجب أن أفكر بشيء مضحك منع هذه

الدموع، لكن كل ما هو مسلٍّ وفكاهي له ع قة بأفونليا، وهذا يزيد حالتي سوءًا.. أربعة.. خمسة.. سأعود إلى البيت يوم الجمعة المقبل، ولكن يبدو أن هذا بعد مائة عام. أوه، بد أن ماثيو على وشك العودة إلى البيت ا ن، وماري تقف عند البوابة، تنتظر ظهوره على الدرب.. ستة.. سبعة.. ثمانية.. أوه، فائدة من عدِّ هذه الدموع! إنها تنهمر كالطوفان ا ن. أستطيع الترفيه عن نفسي..

أريد أن أبتهج، من ا فضل لي أن أكون بائسة!

شك في أن طوفان الدموع كان على وشك ا نفجار لو لم تظهر جوزي باي في تلك اللحظة، وفي غمرة فرحتها لرؤية وجه مألوف، نسيت آن أنه كان هناك الكثير من الود المفقود بينها وبين جوزي، فقد جعلها حنينها فونليا ترحب بكل من ينتمي إليها، حتى لو كانت بنتًا من آل باي.

- أنا سعيدة جدًّا بمجيئك (**قالت آن بصدق**).
- يبدو أنك كنتِ تبكين (**علقت جوزي بلهجة رثاء مزعج**). أظنك تشعرين بالحنين إلى البيت.. بعض الناس لديهم القليل من ضبط النفس في هذا الصدد. أما أنا فتأكدي أنه ليس لدي أدنى استعداد للشعور بالحنين. شيء يضاهي حيوية المدينة بعد العيش في أفونليا القديمة الخاملة، حتى إنني أتساءل كيف عشت هناك لفترة طويلة، وأظن أنه يجدر بك البكاء يا آن، فهذا يجعل عينيك وأنفك يصطبغان بالحمرة، وفي النهاية ستبدين كلك حمراء. لقد قضيت وقتًا ممتعًا تمامًا في المعهد اليوم؛ تعرفت على أستاذ اللغة الفرنسية، وهو بكل بساطة مخلوق محبوب، مجرد رؤية شاربيه تجعل قلبك يخفق. أيوجد لديك أي شيء يؤكل يا آن؟ أنا أتضور جوعًا. ها، لقد خمنت أن ماري ستزوِّدك بمؤونة من المخبوزات، وهذا في الحقيقة هو سبب مجيئي إليك، وإ لكنت قصدت المنتزه لسماع عزف الفرقة برفقة فرانك ستوكلي. يقيم فرانك في نفس المكان الذي أُقيم فيه، وهو شاب ودود، وقد حظك في الصف اليوم وسألني عمن تكون تلك الفتاة ذات الشعر ا حمر، فأخبرته بأنك يتيمة تبناها آل كوثبرت، وأنه أحد يعرف الكثير عن ماضيك.

كانت آن تتساءل عما إذا كانت العزلة والدموع، بعد كل شيء، أكثر رحمة لها من رفقة جوزي باي عندما ظهرت جين وروبي وهما تتباهيان بشعار المعهد ذي اللونين ا رجواني والقرمزي المثبت على معطفيهما. ونظرًا ن جوزي كانت على خ ف مع جين في ذلك الوقت، فقد كان عليها التراجع إلى حالة نسبية من كف أذى لسانها عن غيرها.

- حسنًا (**قالت جين وهي تتنهد**). أشعر كما لو أنني عشت عدة أقمار[88] منذ الصباح. ومن المفترض أن أكون في المنزل ا ن منكبة على حفظ شعر: فيرجيل[89]، فقد أعطانا ذلك ا ستاذ العجوز البغيض عشرين سطرًا لنبدأ بها غدًا. لكني أشعر الليلة باستقرار يساعدني على الدراسة. آن، كأني أرى آثار دموع في عينيك، وإن كانت م حظتي صحيحة، يجدر بك ا عتراف بذلك، ن هذا سيعيد لي احترامي لذاتي، فقد كنت أذرف دموعًا سخية قبل مجيء روبي. وأنا أمانع أن أكون ساذجة إلى هذه الدرجة إذا عرفت أن هناك من يجاريني في سذاجتي. كعك؟ أيمكنني الحصول على قطعة صغيرة يا آن؟ شكرًا لك، إن له نكهة أفونليا الحقيقية.

أرادت روبي، بعد أن حظت وجود تقويم معهد كوين على الطاولة، معرفة ما إذا كانت آن قصدت محاولة الفوز بالميدالية الذهبية.

تضرج وجه آن بالحمرة وهي تعترف بأنها تفكر في هذا.

- أوه، هذا يذكرني (**قالت جوزي**). سيحصل معهد كوين أخيرًا على واحدة من منح أفيري، وقد صدر القرار اليوم، وكان من أخبرني بذلك هو فرانك ستوكلي، ن عمه أحد أعضاء مجلس المحافظين، وسيعلن الخبر في المعهد غدًا.

منحة أفيري! شعرت آن بأن قلبها يخفق بسرعة أكبر، وتحولت آفاق طموحها واتسعت كما لو كان ذلك بفعل السحر. قبل تصريح جوزي بهذا الخبر، كان أقصى ما تطمح إليه آن هو الحصول على ترخيص إقليمي للمعلم من الدرجة ا ولى عند نهاية العام، وربما ميدالية! أما ا ن، وفي غضون لحظة واحدة، رأت نفسها تفوز بمنحة أفيري الدراسية، وتلتحق بكلية ا داب في جامعة ريدموند، وتتخرج فيها وهي ترتدي عباءة التخرج وقلنسوتها! رأت كل ذلك قبل أن يت شى صدى كلمات جوزي، ن منحة أفيري كانت مخصصة للغة ا نجليزية وآدابها، المادة التي شعرت آن بأنها الموطن ا صلي الذي تبحث عنه قدماها.

تعود المنحة إلى صاحب مصنع ثري من مواطني نيوبرونزويك، والذي خلَّف بعد موته جزءًا من ثروته لتوزع منحًا على مختلف المدارس الثانوية ومعاهد المقاطعات البحرية، حسب التصنيف الخاص لكل منها. كان هناك الكثير من الشكوك حول ما إذا كانت ستُخصَّص إحدى المنح لمعهد كوين، ولكن سُوِّي ا مر في النهاية لصالح المعهد، وصدر القرار الذي ينص على أن الخريج الحاصل على أعلى ع مة في اللغة ا نجليزية وآدابها في نهاية السنة الدراسية سيفوز بهذه المنحة التي تبلغ مائتان وخمسين دو رًا سنويًّا، ولمدة أربع

سنوات في جامعة ريدموند. و عجب أن ذهبت آن إلى النوم في تلك الليلة مستشعرة وخزًا خفيفًا في خديها!

- سأفوز بتلك المنحة الدراسية إذا كان العمل الجاد سيتيح لي فرصة نيلها (**قررت آن**).

ألن يكون ماثيو فخورًا بي إذا حصلت على الدرجة العلمية في ا داب؟ أوه، من الرائع أن يكون لدى المرء طموحات، وأنا سعيدة جدًّا ن لدي الكثير منها، والتي يبدو أن هناك أي نهاية لها، ولعل هذا أفضل ما في ا مر، نه بمجرد الوصول إلى أحد الطموحات، سرعان ما نرى طموحًا آخر يتألق في ا على. إن هذا يجعل الحياة بالغة ا ثارة.

تعبير حرفي قديم الطراز؛ تشير ا قمار إلى ا شهر (**الشهر مشتق من القمر**)، يعود استخدامه إلى القرن الثامن عشر.

الشاعر الروماني بوبليوس ورغيليوس مارو أو فيرجيل، صاحب الملحمة الشعرية الشهيرة: ا نياذة.

(35)

الشتاء في معهد كوين

أخذ شعور آن بالغربة والحنين إلى البيت يت شى تدريجيًّا، بفضل مداومتها على زيارته عند نهاية كل أسبوع، ما دامت حالة الطقس مستقرة. كان أبناء أفونليا من ط ب المعهد يرتحلون إلى كارمودي بواسطة خط السكة الحديد الفرعي الجديد مساء كل جمعة، حيث يجدون ديانا والعديد من أبناء أفونليا بانتظارهم، ومن هناك يتوجه الجميع إلى أفونليا في مجموعات احتفالية مرحة. وكانت آن ترى أن هذه المسيرات ا سبوعية عبر الت ل الخريفية في ا مسيات المحمَّلة بالنسيم الذهبي العليل، والمشرفة على أنوار منازل أفونليا المت لئة وراءها من بعيد، هي أفضل وأعز الساعات في ا سبوع بأكمله.

يواظب جيلبرت بليث تقريبًا على مرافقة روبي جيليس في هذه المسيرات، حاملًا لها حقيبة كتبها، بينما روبي التي أصبحت صبية رائعة الجمال، ترى أنها قد بلغت مرحلة من النضوج تؤهلها ن تتشبَّه بالبالغين، فأطالت تنانيرها بقدر ما كانت تسمح لها أمها، وداومت على رفع شعرها في المدينة، لكنها كانت تسدله كلما عادت إلى أفونليا، تمتلك عينين زرقاوين واسعتين و معتين، وبشرة نضرة، وجسمًا مكتنزًا فتًا للنظر، صاحبة مزاج مرح، ضحوكة ومقبلة على كل ما تتيحه لها الحياة من مسرات.

- ولكني أعتقد أنها من الفتيات الا تي قد يستلطفهن جيلبرت (**همست جين ن**).

ولم تكن آن نفسها تعتقد ذلك أيضًا، ولكنها لم تستطع تعميم هذا ا عتقاد ليشمل طموح جيلبرت بالحصول على منحة أفيري، وفي نفس الوقت لم تستطع ا متناع عن التفكير بمدى متعة الحصول على رفيق مثل جيلبرت تستطيع ممازحته ومحادثته ومبادلته ا فكار حول الكتب، والدراسات، والطموحات، فهي تعرف أن لجيلبرت طموحه في هذه الحياة، و تبدو روبي جيليس من هذا النوع المناسب الذي يمكن مناقشة مثل هذه ا مور معه بعائد مفيد.

لم تكن آن تضمر لجيلبرت أي مشاعر عاطفية خاصة، بل ورأت أنها لو كانت على وفاق معه فلن تهتم بمن يتحلق حوله من الفتيات أو من يماشي منهن، ن تفكيرها بالشبان، إذا صادف أن فكرت بهم بين حين وآخر، لم يتجاوز حدود ا مل بالحصول على صداقة طيبة معهم. كانت تتميز بمقدرة فريدة على إنشاء الصداقات، لذلك لم تعاني قط من نقص

الرفيقات حولها. ولكن لديها شعور مبهم بأن الصداقة الذكورية قد تكون أيضًا ذات مردود إيجابي يساعد المرء على استكمال تصوراته عن جوهر الصداقة وتزويده بوجهات نظر أوسع للحكم والمقارنة.

طبعًا يعني هذا أنه بإمكان آن في ذلك الحين تعريف مشاعرها بشأن هذه المسألة بوضوح، ومع ذلك كان لديها أحد ا عتقادات بأنها لو استطاعت مرافقة جيلبرت من محطة القطار إلى البيت عبر الحقول اليانعة والدروب المحددة بالسراخس، فقد يتباد ن الكثير من ا حاديث المرحة والممتعة حول العالم الجديد الذي كان ينفتح أمامهما، وعن آمالهما وطموحاتهما فيه.

كان جيلبرت شابًّا ذكيًّا يتمتع بأفكاره الخاصة حول ا شياء، وتصميمه على تحقيق أقصى استفادة من الحياة، ومنحها أفضل ما لديه. أخبرت روبي جيليس رفيقتها جين أندروز ذات مرة، بأنها لم تكن تفهم نصف المواضيع التي يتحدث عنها جيلبرت بليث، وأنه يشبه آن شيرلي عندما تكون منطقية في تفكيرها، ومن جانبها لم تكن تعتقد أنه من الممتع أن تهتم بالكتب وهذا النوع من ا شياء ما دامت غير مجبَرة على ذلك. وعلى الرغم من شعورها أن فرانك ستوكلي أكثر اندفاعًا وانط قًا من جيلبرت، فإنه ليس على نصف وسامة ا خير. وفي النهاية، تعرف حقًّا أيهما تستلطف أكثر!

في المعهد، كوَّنت آن لنفسها حلقة صداقة صغيرة، مفكرة، وطموحة، وخصبة الخيال مثلها. وسرعان ما غدت ء قتها حميمة بكل من ستي ماينارد ذات البشرة المتوردة و بريسي غرانت الفتاة الحالمة، واكتشفت آن أنَّ ا خيرة التي كانت قد انجذبت لشحوبها ووجهها الم ئكي، كانت في الحقيقة مفعمة بالحيوية والطيش والمرح، في حين أن ستي ذات العينين السوداوين والتي ظنتها في البداية مفعمة بالحيوية، كان لديها قلب مليء با ح م الشجية المحلِّقة كأقواس قزح، والتي تشبه أح م وخيا ت آن.

توقف ط ب أفونليا عن العودة إلى بيوتهم عند نهاية ا سبوع بعد عطلة عيد الميـ د، واستقروا في المدينة من أجل ا جتهاد في الدراسة، وبحلول هذا الوقت، كان جميع ط ب معهد كوين قد احتلوا أماكنهم الخاصة طبقًا لرتبهم، كما تميز ط ب الصفوف المختلفة فيما بينهم بظ ل مختلفة من الخصائص الفردية. وأصبحت هناك حقائق معروفة ومعترف بها علنًا، وأهمها أن حلقة المتنافسين على الميدالية قد تقلصت عمليًّا لتشمل ث ثة ط ب: جيلبرت بليث، وآن شيرلي، ولويس ويلسون. وأن الطالب المحتمَل للفوز بمنحة أفيري كان

أكثر غموضًا، إ أنه ينحصر عمومًا في ستة أسماء، وأن المرشح الوحيد للفوز بالميدالية البرونزية للرياضيات هو صبي ريفي بدين، ذو جبهة ناتئة ومعطف مرقع.

فازت روبي جيليس بلقب أجمل فتاة في المعهد لتلك السنة، وفازت ستي ماينارد من صف السنة الثانية بلقب صاحبة الجمال الخفيِّ، مع أقلية صغيرة ولكنها ذات ذوق نقدي رفيع صوتت لصالح آن شيرلي. وأقر الحكام المتخصصون أن إثيل مار كانت صاحبة أكثر ا ساليب أناقة في تصفيف الشعر، وحصلت جين أندروز، الصبية البسيطة، الكادحة، حية الضمير، على وسام الشرف في مادة العلوم المحلية. حتى جوزي باي أقر لها الجميع بأنها صاحبة لسان ذع يضاهيه في س طته لسان أي طالب آخر. وهكذا يمكن القول إن ت ميذ ا نسة ستايسي ظلوا محافظين على مواقعهم البارزة في دورات المعهد.

عكفت آن على الدراسة بجد وثبات، ولم تختلف منافستها مع جيلبرت في شدتها عما كانت عليه في مدرسة أفونليا، على الرغم من أنها لم تكن معروفة على نطاق واسع في الصف، وبطريقة ما، ت شت منها تلك المرارة السابقة، إذ لم تعد ترغب في الفوز من أجل إلحاق الهزيمة بجيلبرت، بل من أجل المفاخرة بتحقيق نصر باهر على خصم قوي يستحق عناء الجهد المبذول من أجل منافسته، وا هم من ذلك أنها ما عادت ترى الحياة غير محتمَلة إذا لم تتفوق عليه.

وجد الط ب فرصًا عديدة لتمضية أوقات ممتعة بين حين وآخر على الرغم من كثافة الدروس. تمضي آن العديد من ساعات فراغها في بيتشوود، وتتناول الغداء يوم ا حد هناك أيضًا، ثم تصحب ا نسة باري إلى الكنيسة. كانت ا خيرة، كما اعترفت، تتقدم في السن، على الرغم من أن عينيها السوداوين لم ينضب منهما البريق، وعلى الرغم من أن حدة لسانها لم يصبه ولو القليل من الفتور، لكنها لم تسلط ذلك اللسان على آن قط، التي استمرت تحتل المكانة ا ولى في نفس تلك المرأة العجوز صعبة المراس.

- يدهشني التطور المستمر لهذه الفتاة (**قالت**)، فأنا سرعان ما يعتريني السأم من الفتيات ا خريات الـ تي يوجد بينهن تشابه مزعج، أما آن فلديها العديد من ألوان قوس قزح، وعندما يشع منها أحد هذه ا لوان يبقى متوهجًا طيلة ظهوره. أعرف إذا كانت ما تزال على نفس القدر من الظرافة التي تميزت بها في طفولتها، لكنها ما زالت تجعلني أحبها، وأنا أقدِّر ا شخاص الذين يجعلونني أحبهم ن هذا يوفر عليَّ الكثير من المتاعب في محاولة استلطافهم.

فجأة، وقبل أن يدرك أي شخص ذلك تقريبًا، أطلَّ الربيع على العالم من جديد، وكانت أزهار أيار في أفونليا تتأرجح باللون الوردي فوق أديم الحقول الجرداء حيث تكومت فيها أكاليل الثلج، وتجللت الغابة والوديان بالسديم ا خضر. أما في مدينة تشارلوت تاون فكان ط ب المعهد المرهقين يفكرون إ با متحانات و يتحدثون إ عنها.

- أصدق أن الفصل الدراسي على وشك ا نتهاء (**قالت آن**)، ففي الخريف الماضي بدت لنا نهاية السنة بعيدة جدًّا. لقد أمضينا شتاءً كاملًا في الصفوف والدراسة، وها نحن أو ء، مع اقتراب موعد ا متحانات ا سبوع المقبل، أشعر أحيانًا كما لو أن تلك ا متحانات هي كل ما يعنيني في الحياة يا فتيات، لكن عندما أنظر إلى البراعم الكبيرة المنتفخة على أشجار الكستناء، وتلك الزرقة الضبابية للسماء عند نهاية الشوارع، فإنها تفقد نصف أهميتها.

لم ترَ جين وروبي وجوزي، الـ تي قصدن آن في زيارة غير متوقَّعة ما رأته، فقد كانت ا متحانات القادمة بالنسبة إليهن مهمة جدًّا بالفعل، بل وأكثر أهمية من براعم الكستناء أو ضباب شهر أيار. كان كل شيء على ما يرام بالنسبة ن التي ظلَّ أمر نجاحها مؤكدًا على ا قل، وكان هذا يسمح لها بقضاء بعض اللحظات في التقليل من شأن ا متحانات، أما بالنسبة إليهن، فقد كن يعتقدن أن مستقبلهن كله متوقف عليها، ولذلك استحال عليهم رؤية ا مر من وجهة نظر فلسفية.

- لقد خسرتُ سبعة أرطال من وزني في ا سبوعين الماضيين (**تنهدت جين**)، و فائدة من نصحي بعدم القلق، سأظل بكل بساطة قلقة، فالقلق يساعد المرء قليلًا، نه يوحي لك بأنك تؤدين عملًا ما، وكم سيكون ا مر مأساويًّا إن فشلت في الحصول على رخصة التدريس بعد ارتيادي للمعهد طيلة فصل الشتاء، وبعد إنفاقي للكثير من المال!
- أنا أهتم (**قالت جوزي باي**)، إذا لم أنجح هذا العام، فسأعود العام القادم، ن أبي قادر على دفع التكاليف. بالمناسبة يا آن، أخبرني فرانك ستوكلي بأن البروفيسور تريمين يؤكد على فوز جيلبرت بليث بالميدالية، وأن إميلي ك ي ستفوز على ا رجح بمنحة أفيري الدراسية.
- سيزعجني هذا الخبر غدًا يا جوزي (**قالت آن ضاحكة**)، أما ا ن، فما دمت أعرف أن البنفسج في أفونليا على وشك التفتح بألوانه ا رجوانية عند الغور أسفل المرتفعات الخضراء، وأن السراخس الصغيرة بدأت تطل برؤوسها على طول درب العشاق، ف يشكل الحصول على منحة أفيري أو عدم الحصول عليها أي فارق. لقد بذلت قصارى

جهدي وبدأت أفهم المقصود بتعبير: ح وة الكفاح، ن أفضل شيء بعد المحاولة والفوز، هو المحاولة والفشل. هيا يا فتيات، تتحدثن عن ا متحانات! وتأملن معي قبة السماء فوق تلك المنازل، وتخيلن كيف يمكن أن تبدو خضرتها الباهتة هذه فوق أشجار الزان ا رجوانية في أفونليا.

- ماذا سترتدين من أجل حفل التخرج يا جين؟ (**سألتها روبي بلهجة عملية**).

أجابت جين وجوزي معًا، وهكذا حاد الحوار بهن إلى دوامة ا زياء. أما آن، التي ارتكز مرفقاها على حافة النافذة وأسندت كفيها إلى خديها الناعمين، فقد أطلقت العنان لرؤاها الخفية بعد أن سافرت عيناها نحو قبة سماء الغروب المجيدة فوق أبنية المدينة وأبراجها. وراح خيالها يحبك أح م الغد المرجوة بخيوط الصبا والتفاؤل الذهبية.

كان كل ما تتطلع إليه، ينتظرها مشرقًا عند أبواب المستقبل القادم، حاملًا معه خيارات كثيرة غامضة، وكل سنة تمر أشبه بوردة تنتظر تحقق الوعد لتُحْبَك في إكليل الخلود.

(36)
المجد والحلم

أخيرًا، أطلَّ الصباح الذي ستُنشَر فيه النتائج النهائية لجميع ا متحانات على لوحة ا ع نات في معهد كوين. توجهت آن وجين معًا إلى المعهد. مشت جين مبتسمة وسعيدة، فا متحانات قد انتهت، وهي متأكدة على أقل تقدير من نجاحها، من غير أن تقلقها أي اعتبارات أخرى على ا ط ق، لم يكن لديها طموحات عالية وبالتالي لم تتأثر بالقلق المصاحب نتظار الفوز بميدالية أو منحة ما. ونظرًا ننا ندفع ثمن كل شيء نحصل عليه أو نأخذه من هذا العالم، وعلى الرغم من أن الطموحات تستحق العناء، فإنه يمكن كسبها بثمن بخس، بل تتطلب مستحقاتها من العمل الشاق وإنكار حاجات الذات، والعيش في دوامات القلق وا حباط. أما آن فكانت تمشي شاحبة وهادئة، ففي غضون عشر دقائق من الوقت ستعرف من فاز بالميدالية ومن فاز بمنحة أفيري، وفي تلك ا ثناء لم تشعر أنه يوجد في هذا العالم ما يستحق أن يُطلق عليه وقتًا غير تلك الدقائق العشرة.

- شك أنك ستفوزين بواحدة منهما في جميع ا حوال (**قالت جين، التي ما كان لها أن تستوعب جَوْر هيئة التدريس في حال وزع المعهد الجوائز بطريقة أخرى**).
- لقد فقدت ا مل في الحصول على منحة أفيري (**قالت آن**)، فالجميع يقول إن إميلي ك ي ستفوز بها، وفي الحقيقة أنا أمتلك أي شجاعة أخ قية تمكنني من التوجه نحو لوحة ا ع نات بحث عن اسمي أمام الجميع، لذلك سأقصد غرفة تبديل الم بس فور وصولنا، وأرجو أن تقرئي النتائج وحدك يا جين ثم تخبريني بها، وأناشدك باسم صداقتنا القديمة أن تقومي بذلك في أسرع وقت ممكن، وإذا لم أحقق أي فوز فقط قولي ذلك بوضوح، دون محاولة كسر حدته بلطف، ومهما حصل تحاولي التعاطف معي. عديني بهذا يا جين.

وعدتها جين بإخ ص، ولكن نظرًا لما جرى بعد ذلك، لم تكن هناك ضرورة لمثل هذا الوعد، نهما ما كادتا ترتقيان درجات ردهة المعهد حتى وجدتا القاعة مكتظة بالشبَّان الذين كانوا يحملون جيلبرت بليث على أكتافهم ويهتفون بأعلى أصواتهم «**مرحى لبليث، الحائز على الميدالية!**»

شعرت آن للحظة بدوار الهزيمة ومرارة خيبة ا مل، ها قد أخفقت إذن، وربح جيلبرت! شك أن ماثيو سيشعر بالحزن! لقد كان متأكدًا من فوزها.

وبعد هُنَيْهة! صاح شخص ما فجأة:

- ڤ ث تحيات لـ نسة شيرلي، الفائزة بمنحة أفيري!

- أوه، آن (**شهقت جين، وهما تفران إلى غرفة م بس الفتيات وسط هتافات شديدة**)، أوه، أنا فخورة بك جدًّا يا آن! أليس هذا حدثًا باهرًا؟

وسرعان ما تحلقت بقية الفتيات حولهما، وأصبحت آن مركز جمع ضاحك مُهَنِّئ. ربتت البنات على كتفيها، وباركن لها، وصافحنها بحرارة، ودفعنها وجذبنها حينًا، وضممنها حينًا آخر، ووسط كل ذلك الصخب استطاعت آن أن تهمس لجين قائلة:

- أوه، ألن يُسَرَّ ماثيو وماريـ بهذا الخبر؟! بد أن أكتب لهما حالًا بشرهما به.

كان حفل التخرج هو الحدث المهم التالي، والذي أُقيم في قاعة ا جتماعات الكبيرة بالمعهد. وفيه أُلقيت الخطب، وقُرِئت المقا ت، وغُنِّيت ا غاني، وتم التوزيع العلني للشهادات والجوائز والميداليات.

كان ماثيو وماريـ هناك، وقد تركزت أعينهما وآذانهما على طالبة واحدة عند المنصة؛ صبية ممشوقة القوام، ترفل بفستان من اللون ا خضر الفاتح، يصطبغ خداها بحمرة باهتة، وتلمع عيناها كأنهما نجمتان، صبية كانت واقفة تقرأ أفضل مقال أُلقي في ذلك الحفل، بينما جرى الهمس بين الحضور بأنها الفائزة بمنحة أفيري.

- أ تشعرين بالسعادة ننا احتفظنا بها يا ماريـ ؟ (**همس ماثيو، وهو يتحدث ول مرة منذ دخوله القاعة، عندما أنهت آن مقالها**).

- إنها ليست المرة ا ولى التي أشعر فيها بالسعادة (**ردت ماريـ**)، ولكنك تحب مناكدتي في هذا ا مر دائمًا يا ماثيو كوثبرت.

انحنت ا نسة باري، التي كانت تجلس خلفهما، إلى ا مام ووكزت ظهر ماريـ بمظلتها الشمسية، ثم قالت:

- ألست فخورة بالفتاة آن؟ أنا بصراحة فخورة بها جدًّا.

عادت آن مع ماثيو وماريـ إلى أفونليا في ذلك المساء نها شعرت أنها لن تحتمل ا نتظار يومًا آخر بعد انقطاعها عن العودة إلى البيت منذ شهر نيسان، وهناك استقبلتها براعم أزهار التفاح المتفتحة، والعالم المنعش الفتيُّ، بينما كانت ديانا بانتظارها في دارة المرتفعات الخضراء، وعندما صعدتا إلى الغرفة الشرقية البيضاء، التي وضعت ماريـ على

حافة نافذتها أصيصًا من الورود المتفتحة، نظرت آن حولها، وسحبت نفسًا طويلًا مفعمًا بالسعادة.

- أوه يا ديانا، ما أروع العودة من جديد! تسعدني رؤية قمم أشجار التنوب وهي تنتصب متفاخرة في السماء الوردية.. وذلك البستان ا بيض.. وملكة الثلج الحبيبة. أليست رائحة النعناع طيبة ومنعشة؟ وزهرة نبتة الشاي تلك.. إنها تبدو وكأنها مزيج من أغنية وأمل وصـ ة في آن واحد، وأنت يا ديانا، ليس هناك ما هو أجمل من رؤيتك ثانية!
- ظننت أنك أصبحتِ تحبين تلك المدعوَّة ستيـ ماينارد أكثر مني (**قالت ديانا معاتبة**). أخبرتني جوزي باي بهذا، وزعمت أنك مفتونة بها.

ضحكت آن، ورشقت ديانا ببعض زنابق حزيران الذابلة من باقة زهورها.

- ستيـ ماينارد هي أغلى فتاة على قلبي في هذا العالم باستثناء فتاة أخرى، وأنت هي تلك الفتاة يا ديانا. أنا أحبك أكثر من أي وقت مضى، ولدي الكثير من ا شياء خبرك بها، لكني ا ن أشعر أنه يكفيني من السعادة ما يجعلني أجلس هنا وأتأملك بصمت. أنا في الحقيقة متعبة؛ متعبة من السعي وراء الطموحات وا جتهاد في تحقيقها، وأنوي غدًا أن أقضي ساعتين على ا قل مستلقية على العشب في البستان، وأ أفكر في أي شيء على ا ط ق.
- لقد حققت إنجازًا عظيمًا يا آن، أظن أنك لن تلتحقي بسلك التدريس ا ن بعد أن فزت بمنحة أفيري، أليس كذلك؟
- ك ، لن أفعل، وسألتحق بجامعة ريدموند في أيلول.
- أ يبدو هذا مدهشًا؟ سيكون لدي مخزون جديد وكافٍ من الطموحات المستقبلية بحلول ذلك الوقت بعد ث ثة أشهر ذهبية مجيدة من ا جازة. أظن أن روبي وجين ستلتحقان بسلك التدريس، أليس من المفرح أن نكون قد نجحنا جميعًا بما في ذلك مودي سبورجون وجوزي باي؟
- لقد عرض أوصياء مدرسة نيوبريدج على جين استـ م التدريس في مدرستهم بالفعل (**قالت ديانا**)، وسيسلك جيلبرت بليث سلك التدريس أيضًا، فهو مضطر إلى ذلك ن والده يستطيع تحمل نفقات إرساله إلى الجامعة العام المقبل. وأتوقع أنه سيحصل على وظيفته في المدرسة هنا إذا قررت ا نسة أيمز المغادرة.

شعرت آن بشعور غريب، وكان ما قالته ديانا للتو كأنه مفاجأة مفزعة لها، فهي لم تكن تعرف شيئًا عن هذا، بل وكانت تعتقد أن جيلبرت سيلتحق بجامعة ريدموند أيضًا. ماذا

ستفعل بدون تنافسهما الملهم؟ ألن يكون العمل، حتى وإن كانت الدراسة تتعلق بمراحل علمية عالية تتضمن رتبًا مستقبلية مهمة، سطحيًّا بدون صديقها العدو؟!

في صباح اليوم التالي عند ا فطار، صُدِمت آن فجأة عندما حظت تدهور حالة ماثيو الصحية، كانت واثقة بأنه بدا أكثر هرمًا مما كان عليه قبل عام.

- ماري (**قالت بنبرة خائفة عندما غادر ماثيو البيت**)، هل ماثيو بخير؟
- ك ، إنه ليس كذلك (**قالت ماري بنبرة مضطربة**)، لقد تعرض إلى نوبات قلبية خطيرة هذا الربيع، وهو يحاول ا هتمام بنفسه أبدًا. لقد كنت قلقة بشأنه حقًّا، لكنه تحسن مؤخرًا، كما أننا استأجرنا عاملًا جديدًا ليساعده، لذلك آمل أن يستريح نوعًا ما ويستعيد قوته. و شك أن وجودك بيننا سيحييه، فأنت تدخلين السرور على قلبه دائمًا.

انحنت آن فوق الطاولة وضمت وجه ماري بين راحتي يديها.

- أنت نفسك تبدين بصحة جيدة يا ماري ، ليس كما أحب أن أراك، تبدين مرهقة، أخشى أنك كنت تنهكين نفسك بالعمل. وا ن بعد أن عدت إلى المنزل، يجب أن تأخذي قسطًا من الراحة. سأخصص هذا اليوم فقط إجازة لي، زور جميع ا ماكن العزيزة على قلبي، و نبش أح مي القديمة، وبعد ذلك سيأتي دورك لترتاحي وتسترخي كما تشائين بينما أتكفل أنا بأداء جميع واجبات المنزل.

ابتسمت ماري بحنان وهي تتأمل وجه صغيرتها.

- إنه ليس العمل.. إنه رأسي. صار الصداع نادرًا ما يفارقني ا ن.. هنا خلف عيني. لقد ظل الطبيب سبنسر يرجع السبب إلى النظارات، لكن النظارات الجديدة لم تفدني بشيء. ويقال إن هناك طبيب أعين متخصصًا ومشهورًا جدًّا سيأتي إلى الجزيرة في نهاية شهر حزيران، وطلب مني الطبيب سبنسر زيارته. أعتقد أني سأضطر إلى ذلك، ني ما عدت أستطيع القراءة أو الخياطة بارتياح. حسنًا يا آن، لقد أبليت بـ ءً حسنًا في معهد كوين، يجب عليَّ قول ذلك، فمَن غيرك استطاع خ ل سنة واحدة فقط الحصول على ترخيص تعليم من الدرجة ا ولى، والفوز بمنحة أفيري؟ إني أراه عملًا عظيمًا.. عظيمًا حقًّا، أما السيدة ليند فتزعم أن بلوغ المجد يتبعه السقوط، وأنها تؤمن بالتعليم العالي للنساء على ا ط ق، فهذا حسب زعمها يتناسب مع مجالهن الحقيقي في الحياة. ولكني أوافقها على كلمة واحدة مما قالت.. أوه، إن الحديث عن ريتشل يذكرني بأمر ما.. هل سمعت أي شيء عن مصرف آبي مؤخرًا يا آن؟
- سمعت أن مركزه متزعزع ومعرض لـ ف س (**أجابت آن**)، لماذا؟

- هذا ما قالته ريتشل. كانت هنا في أحد أيام ا سبوع الماضي وقالت إن هناك بعض الحديث عن ذلك. وسبَّب هذا الخبر لماثيو قلقًا جمًّا ن جميع مدخراتنا مودعة في ذلك المصرف.. كل بنس منها. لقد رغبت منذ البداية أن يضعها ماثيو في مصرف التوفير، لكن السيد آبي العجوز كان صديقًا مقربًا من والدنا، وكان دائمًا يتعامل مع مصرفه، وقال ماثيو إن أي مصرف يديره السيد آبي هو مصرف آمن ي شخص.
- أعتقد أنه لم يعد إ الرئيس الصوري لذلك المصرف منذ عدة سنوات (**قالت آن**)، فقد أصبح طاعنًا في السن، والرؤساء الفعليون لتلك المؤسسة هم أبناء إخوته.
- حسنًا، عندما حذرتنا ريتشل من ذلك، طلبت من ماثيو أن يسحب أموالنا فورًا وقال إنه سيفكر في ا مر، لكن السيد راسل أخبره أمس بأن المصرف على ما يرام.

لن تنسى آن أبدًا ذلك اليوم الرائع الذي أمضته برفقة العالم الخارجي، يومًا ذهبيًّا في إشراقه، معتدلًا في أجوائه، صافيًا في سمائه، وسخيًّا جدًّا في أزهاره. أمضت آن بعضًا من ساعات يومها الثمينة في البستان، ثم قصدت نبع فقاعة الحورية، وبركة الصفصاف، ووادي البنفسج، وزارت منزل القس وقضت وقتًا ممتعًا مع السيدة آ ن. وأخيرًا، عندما حل الغروب الذي أحاط الغابات بهالة من رونقه الدافئ الذي دفقه بين فرجات التـ ل الغربية، صحبت ماثيو أثناء سوقه لـ بقار عبر درب العشاق إلى المرعى الخلفي. تتبَّع ماثيو الطريق بخطى وئيدة ورأسٍ منحنٍ، وكانت آن الهيفاء المنتصبة القامة حريصة على م ءمة خطواتها المندفعة مع خطواته البطيئة.

- لقد أرهقت نفسك بالعمل اليوم يا ماثيو (**قالت بتأنيب**). لماذا تحاول التساهل قليلًا في أداء المهام؟
- هه، يبدو أني قادر على هذا (**أجاب ماثيو، وهو يفتح بوابة الفناء للسماح لـ بقار بالمرور**). كل ما في ا مر أني تقدمت في السن يا آن، هذه هي الحقيقة، لكني دومًا أنساها. لقد دأبت على العمل الشاق، واعتدت الجدية في العمل، وأظنني أفضِّل أن أسقط عندما تحين لحظة مغادرتي لهذه الدنيا وأنا حاملًا عدَّتي.
- لو كنت ذلك الصبي الذي أرسلتما لطلبه (**قالت آن بتوق حزين**)، لكان بإمكاني ا ن مساعدتك بشتى الطرق، ومنحك الفرصة كي ترتاح قليلًا، وقلبي يتمنى لو أني كنت صبيًّا من أجلك فقط.
- ولكني أفضِّلك على كتيبةٍ من الصبيان يا آن (**قال ماثيو وهو يربت على يدها**). انتبهي إلى هذا.. كتيبةٍ من الصبيان. حسنًا، إن الشخص الذي فاز بمنحة أفيري لم يكن صبيًّا،

أليس كذلك؟ كان الفائز بنتًا.. ابنتي أنا.. ابنتي التي أفخر بها كثيرًا.

ابتسم لها ابتسامته الخجول وهو يدخل الفناء، وحملت آن معالم تلك ا بتسامة معها عندما ذهبت إلى غرفتها في تلك الليلة، حيث جلست لفترة طويلة أمام نافذتها المفتوحة، تفكر في الماضي وتحلم بالمستقبل. في الخارج، كانت ملكة الثلج تتحلى ببياض ضبابي تحت ضوء القمر، والضفادع تصدح بالغناء في المستنقعات وراء منحدر البستان. ظلت آن تتذكر دائمًا الجمال الفضي المسالم لتلك الليلة، والسكينة العطرة التي شملتها، فقد كانت آخر ليلة تعيشها قبل أن يلمس الحزن قلبها تاركًا بصماته على حياتها، و حياة تبقى كما كانت عليه في السابق ما إن تلمسها تلك اللمسة الباردة المقدَّسة والمطهَّرة للنفوس في يومٍ ما.

(37)
الحاصدة التي تُدعى الموت

- ماثيو.. ماثيو.. ما ا مر؟ ماثيو.. ما بك؟ أأنت مريض؟

انطلق صياح ماريه المذعور، متشنجًا ومتقطعًا مع كل كلمة نطقت بها، خ ل اللحظة ذاتها التي كانت آن تجتاز فيها الرواق وهي تضم باقة من النرجس ا بيض بين يديها.. ذلك النرجس الذي مضى وقت طويل قبل أن تستطيع التطلع إليه ثانية أو شم عبيره. سمعت آن صراخ ماريه ، ورأت ماثيو واقفًا عند باب المطبخ وهو يحمل بيده ورقة مطوية، بينما كانت قسمات وجهه الذي اصطبغ بالزرقة متقلصة بطريقة غريبة. طرحت آن زهورها أرضًا على الفور، واندفعت نحو ماثيو هي وماريه معًا، لكن كلتيهما كانت متأخرةً جدًّا قبل التمكن من الوصول إليه، وسقط ماثيو عند العتبة.

- لقد أغمي عليه (**شهقت ماريه**). آن، اركضي حالًا واستدعي مارتن.. بسرعة.. بسرعة! إنه في مخزن الحبوب.

لم تكن قد مضت لحظات على عودة العامل ا جير مارتن من مكتب البريد عندما هرع حضار الطبيب، معرجًا في طريقه على السيد والسيدة باري ليطلب منهما التوجه إلى المرتفعات الخضراء، وصحبتهما السيدة ليند التي كانت في بيتهما لمهمة ما في ذلك الوقت، وعندما وصلوا وجدوا آن وماريه الذاهلتَين وهما تحاو ن عبثًا إعادة ماثيو إلى وعيه.

دفعتهما السيدة ليند جانبًا برفق، وانحنت على ماثيو لتجس نبضه، وضعت أذنها على قلبه، ثم نظرت إلى وجهيهما الفزعة بأسى وزحفت الدموع إلى عينيها.

- أنا آسفة يا ماريه (**قالت بصوت أجش**)، أظننا.. نستطيع.. القيام بأي شيء من أجله ا ن.

- سيدة ليند، أنت.. تعنين.. يمكنك أن تعني أن.. أن.. ماثيو... (**تمتمت آن بوجه شاحب وشفتين ممتقعتين من غير أن تجرؤ على التلفظ بتلك الكلمة المروعة**).

- نعم يا صغيرتي، أخشى أن هذا صحيح. انظري إلى وجهه، عندما تألفين رؤية هذا المنظر كثيرًا نتيجة تكراره في حياتك؛ كما حدث معي، ستعرفين فورًا ما الذي يعنيه.

نظرت آن إلى الوجه الهامد وتفرست فيه، كان موسومًا بختم ذلك الحضور الجليل.

عندما جاء الطبيب، أعلن أن الوفاة كانت فورية، وربما غير مؤلمة، وسببها على ا رجح صدمة قلبية مفاجئة. اكتُشِفَ سر تلك الصدمة القاتلة في الورقة التي كان يحملها ماثيو، والتي كان مارتن قد أحضرها صباحًا من مكتب البريد؛ تحتوي على إشعار بإف س مصرف آبي.

انتشر الخبر في أفونليا بسرعة، وتجمع ا صدقاء والجيران في المرتفعات الخضراء طيلة النهار، تزاحموا هناك، وجاؤوا وراحوا وهم يؤدون الخدمات للميت وا حياء، و ول مرة كان ماثيو كوثبرت الخجول والهادئ مركز اهتمام أفونليا بأكملها؛ لقد سقطت عليه ج لة الموت البيضاء وجعلته متوجًا.

هبط الليل برفق على المرتفعات الخضراء، وغرق البيت القديم في بحر السكون الثقيل. رقدَ ماثيو داخل نعشه في الصالة، وشعره الرمادي الطويل يؤطر وجهه الهادئ الذي تعلوه ابتسامة لطيفة كما لو كان نائمًا، ويحلم بأح م سعيدة، تحيطه ا زهار؛ أزهار حلوة وعتيقة زرعتها والدته في حديقة البيت في أيام زفافها.. والتي لطالما كان لماثيو حب خفي وصامت لها، فجمعتها آن وأحضرتها إليه، بوجه امتصت اللوعة لونه، وعينين حزينتين اشتعلت نارهما واستعصى دمعهما.. أحضرتها إليه وهي تعلم أن هذا آخر شيء يمكن أن تفعله من أجله.

وفي تلك الليلة، زم آل باري والسيدة ليند المرتفعات الخضراء، وقصدت ديانا الغرفة الشرقية، وتوجهت صوب آن التي كانت تقف عند نافذتها، وقالت لها بلطف:

- آن عزيزتي، أترغبين في أن أنام عندك الليلة؟

- أشكرك يا ديانا (**نظرت آن برزانة إلى وجه صديقتها**). أعتقد أنك لن تسيئي فهمي إذا قلت لك إني أرغب في البقاء وحدي. أنا لست خائفة، ومنذ أن حلت بنا تلك المصيبة ما استطعت ا ختـ ء بنفسي دقيقة واحدة، وأرغب حقًّا في ا خ د إلى سكينة تامة قد تساعدني على استيعاب ما حدث، ني ما زلت غير مدركة لذلك، يُهيأ لي في لحظة أن ماثيو لم يمت.. ثم يُهيأ لي في لحظة أخرى أنه قد مضى زمن طويل على موته، وأني أعاني هذا ا لم الرهيب منذ ذلك الحين.

كانت ديانا قادرة على استيعاب نحيب ماريـ المشبوب بالعاطفة، وخرقها لجميع قيود التحفظات والعادات التي فُطرت عليها بلوعةٍ حارقة، لكنها لم تستطع فهم ما قالته آن كثيرًا.. لم تستطع فهم ذلك التفجع الصامت الخالي من الدموع، ولم تستوعبه، لكنها رضخت لرغبة آن، وغادرت الغرفة بهدوء تاركة إياها وحدها في أول سهرة لها مع ا حزان.

رجت آن أن تطلق العزلة دمعَها، فقد كان من الرهيب بالنسبة إليها أ تستطيع ذرف دمعة واحدة على ماثيو، ماثيو الذي كانت تحبه كثيرًا والذي كان دائمًا لطيفًا معها، ماثيو الذي

سار معها في الليلة الماضية عند غروب الشمس، ماثيو الذي يرقد ا ن في إحدى الغرف المظلمة في الطابق ا رضي، تجلل جبينه هالة من الس م المقدس. لكن الدمع استمر عصيًّا عليها، ركعت بالقرب من نافذتها وصلت حيث رهبة الظ م.. و دموع، تطلعت إلى النجوم فوق الت ل.. و دموع، شيء سوى ذلك الوجع المروع المفجع الذي ظل ينهش أحشاءها إلى أن غلبها النوم تعبًا من كل آ م اليوم وأحزانه.

استيقظت في الليل، ووجدت نفسها مطوقة بالسكون والعتمة، استرجعت أحداث اليوم مثل موجة من الحزن، رأت وجه ماثيو وهو يبتسم لها، كما ابتسم عندما افترقا عند البوابة مساء ذلك اليوم.. تسمع صوته يقول ابنتي.. ابنتي التي أفخر بها.. وفجأة.. انهمر دمعها، وبكت بكاءً مريرًا من قلبها، وسرعان ما تسللت إليها ماري عندما سمعتها لعلها تحاول التخفيف عنها.

- .. .. تبكِ هكذا يا عزيزتي، إن بكاءك لن يعيده، ليس من الصواب أن نبكي هكذا، كنت أعرف هذا البارحة، غير أني لم أستطع تمالك نفسي حينها. لقد كان دائمًا نعم ا خ الطيب والخلوق ولكن هذه مشيئة الله الذي يعلم ما نعلم.
- أوه، فقط دعيني أبكي يا ماري (**نشجت آن**). الدموع تؤذيني كما فعل ذلك ا لم الذي ظل ينهشني طيلة النهار. أرجوك ابقَي هنا قليلًا معي، وأحيطيني بذراعيك، فهذا الحزن حزننا. ما استطعت السماح لديانا بالبقاء معي، هي رفيقة لطيفة، وطيبة، ورقيقة، لكن هذا الحزن ليس حزنها، و يمكنها أن تكون قريبة مني بما يكفي لتساعدني، نه ع قة لها بهذا الحزن، إنه حزننا وحدنا، أنا وأنت يا ماري .. آه يا ماري .. ماذا سنفعل بدون ماثيو؟
- لدينا بعضنا يا آن، و أعرف ما الذي كان سيصيبني لو أنك لم تكوني هنا، لو أنك لم تحضري إلينا قط. آه يا آن، أعلم أنني كنت صارمة وقاسية معك، لكن إياك أن تظني أني أحبك بقدر ما أحبَّك ماثيو. أريد إخبارك بهذا يا آن ما دمت قادرة على التعبير عن مشاعري، فأنا لم يكن من السهل عليَّ يومًا ما أن أبوح بما يعتمل في قلبي ببساطة، ولكن في أوقات مثل هذه ا وقات، تكون ا مور أكثر سهولة بالنسبة لي. أحبك يا عزيزتي كما لو كنتِ من لحمي ودمي، ولقد كنتِ منذ أن وطئت المرتفعات الخضراء فرحي وسلوتي.

بعد يومين، حُمل ماثيو كوثبرت من فوق عتبة باب بيته، ونُقل بعيدًا عن الحقول التي طالما حرثها، والبساتين التي أحبها، وا شجار التي غرسها، وعادت أفونليا إلى هدوئها

المعتاد، بل حتى المرتفعات الخضراء سرعان ما انجرفت في خضم شؤونها وعاداتها اليومية، فأُنجزِت ا عمال ولُبِّيت الواجبات بانتظام كما كان من قبل، على الرغم من ا حساس المؤلِم بافتقاد ماثيو في كل العادات المألوفة. أدركت آن ـ وهي جديدة على الحزن ـ أن تلك هي طبيعة الوجود، وكذلك يمكن للحياة القديمة التي عاشوها أن تأخذ مجراها وتستمر بدون ماثيو. شعرت بشيء من الخجل والندم عندما اكتشفت أنَّ شروق الشمس خلف أشجار التنوب وتفتُّح البراعم الوردية في الحديقة ما زال يمنحها نفس الشعور القديم بالسعادة، وأنَّ زيارات ديانا ظلَّت تسرُّها، وأن أحاديثها المرحة تحرضها على الضحك وا بتسام. باختصار، لم يفقد عالم الجمال وا زهار والحب والصداقة شيئًا من قدرته على إرضاء خيالها وإثارة قلبها، وما زالت الحياة تناديها بأصوات كثيرة لَجُوجة.

- يبدو لي كأني أخون ماثيو بطريقة ما، عندما أجد متعة في كل هذه ا شياء من حولي على الرغم من عدم وجوده بيننا (**أسرَّت بحزن للسيدة آ ن ذات مساء عندما كانتا معًا في حديقة منزل القس**)، فأنا أفتقده كثيرًا ـ طيلة الوقت ـ ومع ذلك، أرى أن العالم والحياة يا سيدة آ ن ما زا جميلين وممتعين. لقد قالت ديانا اليوم شيئًا مضحكًا، ووجدت نفسي أضحك. عندما مات ماثيو ظننت أني لن أستطيع الضحك مرة أخرى، وبطريقة ما، أشعر أنه يجدر بي الضحك أبدًا.
- عندما كان ماثيو هنا، كان يحب سماع ضحكك، وكان يعرف أنك تجدين متعة في رؤية ا شياء الجميلة من حولك (**قالت السيدة آ ن بلطف**)، وعلى الرغم من رحيله ا ن، شك أنه ما زال يرغب في استمرار ا مور كما كانت عليه. أنا متأكدة من أنه ينبغي لنا أن نغلق قلوبنا في وجه ما تهبه لنا الطبيعة من تعويضات تساعدنا على الشفاء، ولكني أفهم مشاعرك، فنحن جميعًا نختبر الشعور عينه عندما نفقد شخصًا عزيزًا، و نشعر با ستياء من فكرة أن شيئًا ما يمكن أن يرضينا عندما يكون الشخص الذي نحبه موجودًا هنا لمشاركتنا متعته، ونشعر تقريبًا كما لو كنا غير مخلصين لحزننا عندما نجد اهتمامنا بالحياة يعود إلينا.
- قصدت المقبرة هذا ا صيل وزرعت أجمة ورد على قبر ماثيو (**قالت آن بوداعة حالمة**)، انتزعت شتلة من أجمة الورد ا سكتلندي الذي أحضرته والدته من اسكتلندا منذ زمن بعيد، أعرف أن ماثيو كان يخص تلك الورود بحب عميق أكثر من غيرها، كانت تلك البراعم التي غرستها تنبثق صغيرة ورقيقة بين أغصانها الشائكة، وغمرتني سعادة كبيرة ني استطعت غرسها عند قبره.. كما لو أني كنت أقدم له شيئًا يتلهف على وجوده

بالقرب منه. آمل أن يكون لديه ورود مثلها في الجنة. ولعل أرواح جميع تلك الورود البيضاء الصغيرة التي أحبَّها على مدى الكثير من فصول الصيف ستكون بانتظاره هناك لمقابلته. يجب أن أعود للبيت ا ن، ن ماريـ وحدها، وهي تشعر بالكثير من الوحشة مع حلول المساء.

- أخشى أن يشتد شعورها بالوحشة بعد التحاقك بالجامعة (**قالت السيدة آ ن**).

لم تجد آن ما تقوله، وسرعان ما ألقت على السيدة آ ن تحية المساء وعادت أدراجها ببطء إلى المرتفعات الخضراء. كانت ماريـ جالسة على عتبة الباب الرئيسي، عندما وصلت آن وجلست إلى جانبها، بينما كان الباب مفتوحًا خلفهما، تسنده قوقعة صدفية كبيرة وردية اللون، تحتوي ت فيفها الداخلية الناعمة شيئًا من آثار لون غروب الشمس البحري.

جمعت آن بعض ا زهار الرحيقية الصفراء وزينت بها شعرها، مستلطفة ذلك العبير الذي كان يفوح حولها في كل مرة تتحرك فيها كأن الجو يمنحها بركة كاهن أثيرية.

- جاء الطبيب سبنسر إلى هنا أثناء غيابك (**قالت ماريـ**)، وأخبرني بأن اختصاصي ا عين سيكون في المدينة غدًا، وأصرَّ على ضرورة ذهابي لفحص عيني. أعتقد أنه عليَّ الذهاب لوضع حد لهذه المشكلة التي أعانيها. وسأحمد الله كثيرًا إذا تمكن هذا الطبيب من إعطائي النوع المناسب من النظارات لعيني. ألديك مانع في البقاء هنا وحدك أثناء غيابي؟ سيتعين على مارتن أن يصحبني بالعربة، وهناك بعض الم بس التي يجب كيها، وكعك ينبغي خبزه.
- سأكون على ما يرام، وستأتي ديانا لتسليتي. تخافي؛ سأحرص على البقاء متيقظة أثناء إنجازي لمهمتي الكي والخبز، و داعي ن تقلقي بشأن تنشية المناديل أو تنكيه الكعك بالعقار المسكن ل م.

ضحكت ماريـ .

- يا للطفلة التي كنتِها يا آن، مع كل أخطائك في تلك ا يام، كنت تتوقفين عن إقحام نفسك في المآزق، حتى كدت أظنك ممسوسة. أتذكرين يوم صبغت شعرك؟
- وكيف لي أن أنسى ذلك اليوم؟ (**ابتسمت آن، وهي تلمس ضفيرة شعرها السميكة الملتفة حول رأسها المتناسق**) عندما أتذكر ا ن مدى القلق الذي كان يسببه لي شعري، أضحك من نفسي قليلًا، ولكني أسترسل في الضحك، نه كان يمثل لي مشكلة حقيقية وقتها. لقد عانيت بشدة بسبب لون شعري ونمش وجهي، وأحمد الله أن النمش زال نهائيًّا ا ن، كما أن جميع الناس يـ طفونني كثيرًا عندما يزعمون أن لون شعري يبدو أقرب

إلى الكستنائي؛ جميعهم ما عدا جوزي باي؛ أبلغتني با مس بأنها تعتقد حقًّا أنه أكثر احمرارًا من أي وقت مضى، أو على ا قل جعله ثوبي ا سود يبدو كذلك، وسألتني عما إذا كان الناس الذين لديهم شعر أحمر قادرين على ا عتياد عليه. أتعرفين يا ماري ؟ لقد كدت أتخلى عن محاولة استلطاف جوزي باي. قد بذلت ما كنت أسميه ذات مرة جهدًا بطوليًّا ستلطفها، لكن يبدو لي أن جوزي باي ترغب في أن تكون محبوبة.

- جوزي ليست واحدة إ من آل باي (**قالت ماري بنفور**)، ولذلك لن تهتم كثيرًا ببغض الجميع لها، أظن أن هذا النوع من الناس يُخلق في الحياة من أجل هدف معين. لكني أعرف شيئًا عن هذا الهدف أكثر مما أعرفه عن الهدف من وجود ا شواك. هل ستسلك جوزي سلك التدريس؟
- ، إنها ستعود إلى معهد كوين في العام المقبل، وكذلك مودي سبورجون وتشارلي سلون، بينما ستقوم جين وروبي بالتدريس وعثرت كل منهما على مدرسة مناسبة؛ جين في نيوبريدج وروبي في منطقة ما في الغرب.
- أظن أن جيلبرت بليث سيتفرغ للتدريس أيضًا، أليس كذلك؟
- **نعم** (**أجابت آن باختصار**).
- يا له من شاب وسيم! (**قالت ماري وهي شاردة الذهن**) رأيته في الكنيسة يوم ا حد الماضي وأدهشني طوله وما بدا عليه من سمات رجولية، إنه يشبه أباه إلى حد كبير عندما كان في نفس العمر، كان جون بليث شابًّا لطيفًا، وكنا في ذلك الوقت صديقين مقربين جدًّا، بل إن الناس اعتادوا القول بأنه خطيبي.

نظرت إليها آن باهتمام مفاجئ.

- أوه يا ماري .. وماذا حدث؟ لماذا لم..
- تشاجرنا، وعندما طلب مني مسامحته رفضت. كنت في الحقيقة أنوي مصالحته بعد فترة من الوقت، لكني كنت غاضبة وحانقة وأردت معاقبته أولًا، وهكذا، لم يعد قط، فجميع آل بليث يتميزون بكبرياء جبار. تلبسني الندم فيما بعد، وكثيرًا ما تمنيت لو أني سامحته عندما سنحت لي الفرصة.
- إذًا لم تكن حياتك خالية من اللحظات العاطفية أيضًا (**قالت آن بلطف**).
- نعم، أظن أنك تستطيعين تسميتها كذلك. طبعًا، أعتقد أنه كان سيخطر على بالك شيء من هذا بمجرد النظر إليَّ، ن أحدًا يستطيع الحكم على الناس من مظهرهم

الخارجي فقط. على كل حال، لقد نسي الناس مع الوقت أمري وأمر جون، حتى أنا نسيت، لكن ذاكرتي استعادت كل شيء عندما رأيت جيلبرت يوم ا حد الماضي.

(38)

منعطف الطريق

ذهبت ماريه إلى المدينة في اليوم التالي وعادت في المساء. كانت آن مع ديانا في دارة منحدر البستان، وعندما عادت إلى البيت وجدت ماريه جالسة عند طاولة المطبخ وقد ارتكز رأسها المنحني على يدها. شيء ما في وضعها الجسماني موهن العزيمة ضرب قلب آن كموجة صقيعية، فهي لم ترَ ماريه مطلقًا تجلس في ضعف وعجز كهذا.

- هل تشعرين بالتعب يا ماريه ؟
- نعم.. .. أعرف (**أجابت ماريه بصوت مرهق، وهي ترفع نظرها إليها**). نعم، أظنني متعبة، لكني ما كنت أفكر في هذا، لم يكن هذا ما يشغل فكري.
- هل رأيت اختصاصي ا عين؟ ماذا قال؟ (**سألتها آن بقلق**).
- نعم رأيته، وفحص عينيَّ، ثم أخبرني بأني إذا تخليت عن القراءة والخياطة تمامًا وأي نوع من ا عمال التي تجهد العينين، وإذا التزمت جانب الحذر با متناع عن البكاء، وإذا ارتديت النظارات التي أعطاني إياها، عندها، يظن أن حالة عينيَّ قد تزداد سوءًا، وأن صداعي سيزول. لكن إذا لم أنفذ تعليماته فسأفقد بصري بعد ستة أشهر، وسأصبح عمياء.. عمياء يا آن!

لم تستطع آن التفوه بأي كلمة بعد ذلك التساؤل الفزع المتلهف الذي قابلت به ماريه ، وشعرت أن المفاجأة قد عقدت لسانها، ثم استجمعت شجاعتها وقالت بصوت لم تستطع تورية انقباضه:

- تنظري إلى الموضوع بيأس يا ماريه ، تعلمين أنه أعطاك أملًا، وإذا كنت حريصة فلن تفقدي بصرك، وإذا ساعدتك النظارة الجديدة على شفاء صداعك فسيكون هذا تقدمًا عظيمًا.
- أستطيع أن أدعو هذا أملًا (**قالت ماريه بمرارة**)، فأي نوع من ا مل هو الذي يجعلني أعيش من أجله إذا كنت أستطيع القراءة أو الخياطة أو القيام بأي شيء من هذا القبيل؟ ففي الحالتين سأفقد بصري أو سأموت كمدًا. أما البكاء، فكيف أمتنع عنه في أوقات شعوري بالوحدة؟ لكن فائدة من مناقشة هذا الموضوع ا ن، وسأكون شاكرة

لك إذا أحضرت لي فنجان شاي، فأنا على وشك السقوط ضحية لـ رهاق. ومن فضلك يا آن، تخبري أحدًا بهذا ا مر ولو لفترة من الوقت على ا قل، ني لن أستطيع تحمل زيارة الناس لي بتساؤ تهم ومشاركاتهم الوجدانية في التحدث عن مصيبتي.

بعد تناول الغداء، أقنعت آن ماري بالذهاب إلى الفراش للنوم قليلًا، ثم قصدت آن غرفتها وجلست بجوار نافذتها في الظ م وحيدة مع دموعها وثقل قلبها، وفكرت في المسار المحزن الذي اتخذته ا حداث منذ أن جلست في نفس المكان ليلة عودتها من المعهد! فحينها كان قلبها مليئًا با مل والسعادة، والمستقبل يلوح لها بوعوده الوردية. شعرت كما لو أنها عاشت سنوات طويلة منذ تلك الليلة، ولكن قبل أن تخلد للنوم، ارتسمت على شفتيها ابتسامة رضا، وعم الس م قلبها. نعم، شعرت بالرضا والس م نها استطاعت مواجهة الواقع بشجاعة، بعد أن عاينت واجبها بصدق وموضوعية، ووجدت فيه مصلحتها، كما هو حال الواجب دائمًا عندما نواجهه بإخ ص.

بعد بضعة أيام، شاهدت آن ماري ذات مساء وهي تعبر الفناء ببطء بعد أن أنهت حديثها مع زائر عند البوابة، كانت آن تعرف عن ذلك الرجل سوى أنه يُدعى سادلر وأنه من كارمودي، وتساءلت آن بقلق عما حمله من أخبار أضفت تلك التعابير المرتسمة على وجه ماري .

- ماذا يريد السيد سادلر يا ماري ؟

جلست ماري بجوار النافذة ونظرت إلى آن والدموع تترقرق في عينيها متحدية تحذيرات اختصاصي ا عين، وانكسر صوتها وهي تقول:

- سمع برغبتي في.. بيع.. المرتفعات الخضراء.. وجاء يعرض شراءها مني.
- شراؤها؟! شراء المرتفعات الخضراء؟ (**تساءلت آن عما إذا كان ما سمعته أذناها صحيحًا**) أوه يا ماري ، أفهم من كـ مك أنك تنوين بيع المرتفعات الخضراء؟
- ليس عندي حل آخر يا آن، لقد فكرت في كل الحلول الممكنة، ولو كانت عيناي سليمتين، لكان بإمكاني أن أبقى هنا وأن أعتني با مور وأديرها، مع عامل أجير جيد، ولكني أستطيع، وعلى أي حال قد أفقد بصري تمامًا، وحينها لن أتمكن من تولي أي مهمة. أوه، لم أعتقد قط أنني سأعيش رى اليوم الذي سأضطر فيه إلى بيع بيتي، ولكن أحوالنا المعيشية قد تزداد سوءًا على سوء مع مرور الوقت، إلى أن يأتي يوم يرغب فيه مخلوق بشراء المكان. لقد فقدنا كل سنت من مدخراتنا مع إف س المصرف، وعلينا تسديد بعض الديون التي حرر ماثيو سندًا تجاريًّا بها في الخريف

الماضي. نصحتني السيدة ليند ببيع المزرعة وا قامة في بيت ما.. عندها على ما أظن.. و أتوقع أن يأتي هذا المكان بالمال الكثير، فالمزرعة مساحتها صغيرة، والبناء قديم.. ولكن ثمنه قد يكفيني شر الحاجة. كم أنا شاكرة لله لحصولك على تلك المنحة يا آن، ويؤسفني أ يكون لك بيت تقصدينه في أوقات عطلتك، هذا كل شيء، لكني أظن أنك ستتقبلين الوضع فيما بعد.

أنهت ماريـ حديثها، ثم انهارت وبكت بمرارة.

- يجب أ تبيعي المرتفعات الخضراء (**قالت آن بلهجة مصممة**).
- أوه يا آن، أتمنى لو لم أكن مضطرة إلى ذلك، ولكن يمكنك أن تري الوضع بنفسك، أستطيع البقاء هنا وحدي، سأجن حزنًا ووحدة، وقد أفقد بصري، أعرف أن هذا سيحدث يومًا.
- لن تضطري إلى البقاء هنا بمفردك يا ماريـ ، سأبقى معك، ني لن ألتحق بجامعة ريدموند.
- لن تلتحقي بجامعة ريدموند؟! (**نحَّت ماريـ يديها عن وجهها المتعب ورفعته معاينة آن بدهشة**) لماذا؟ ماذا تعنين؟
- أعني ما قلته بالضبط، سأتخلى عن المنحة الدراسية، لقد اتخذت قراري بشأن ذلك في الليلة التي تلت عودتك إلى البيت من المدينة. أكنت تصدقين حقًّا أني أستطيع تركك وحدك وسط كل هذه المشكـ ت يا ماريـ ، بعد كل ما فعلته من أجلي؟ ما زلت منذ تلك الليلة وأنا أفكر وأخطط، دعيني أخبرك بخططي؛ يرغب السيد باري في استئجار مزرعتنا للسنة القادمة، وهذا سيكفيك عناء ا هتمام بها، وأنا سألتحق بسلك التدريس، لقد قدمت طلبًا إلى المدرسة هنا، لكني أظنه سيُقبل، ني فهمت أن ا وصياء عليها قد وعدوا جيلبرت بليث بها، غير أني واثقة من حصولي على مدرسة كارمودي، أخبرني السيد بلير بذلك ليلة أمس في المخزن. بالطبع لن يكون ذلك مثاليًّا كما لو كنت عُيِّنت في مدرسة أفونليا، ولكني أستطيع استئجار مكان للسكن هناك من أجل أيام الشتاء القارسة، وفي أيام الطقس المعتدل سأعود إلى أفونليا بالعربة، بل حتى في الشتاء يمكنني العودة إلى المنزل أيام الجمعة. سنحتفظ بالفرس البنية لذلك. أوه، لقد خططت لكل شيء يا ماريـ ، وسنقضي أوقاتنا معًا؛ أقرأ لك، وأدخل السرور إلى قلبك، ولن أدعك تشعرين بالوحشة أو الكآبة أبدًا. صدقيني يا ماريـ سنكون سعيدتين معًا وحميمتين جدًّا.. أنا وأنت.

أنصتت ماريه ، كامرأة تعيش حلمًا.

- أوه يا آن، أعرف أني سأكون أفضل حالًا إذا بقيت معي، لكني أستطيع السماح لك بالتضحية بمستقبلك من أجلي، سيكون ا مر فظيعًا.
- هراء! (**ضحكت آن ضحكة مرحة**) ليست هناك أي تضحيات، شيء يمكن أن يكون أسوأ من التخلي عن المرتفعات الخضراء، و شيء آخر يمكن أن يؤذيني أكثر، يجب أن نحتفظ بهذا المكان العزيز، لقد حسمت رأيي يا ماريه ، لن أذهب إلى جامعة ريدموند، وسأبقى هنا، وأمتهن التدريس، و داعي ن تقلقي عليَّ أبدًا.
- ولكن.. طموحات.. و..
- ما زلت طَمُوحة كما كنت طيلة عمري، كل ما في ا مر أني غيرت أهدافي. سأعمل كي أكون معلمة قديرة، وا هم من ذلك سأساعدك على إنقاذ عينيك، وع وة على ذلك، أنا عازمة على متابعة دراسة المقرر الجامعي بنفسي في البيت. أوه، لدي عشرات الخطط يا ماريه ، وقد ظللت أتدارسها فيما بيني وبين نفسي سبوع كامل. سأبذل أفضل ما لدي في سبيل الحياة، وأثق أنها ستمنحني أفضل ما لديها في المقابل. عندما تخرجت في معهد كوين، بدا لي المستقبل منبسطًا أمامي كأنه طريق مستقيم، حتى شعرت أني أستطيع رؤية جميع المعالم الموجودة على امتداده. ا ن يوجد في هذا الطريق منعطف، و أعرف ماذا يكمن وراء هذا المنعطف، ولكني سأؤمن أن ما فيه هو ا فضل، واعلمي أن لهذا المنعطف سحرًا غامضًا يا ماريه ، ن يحفز رغبتي في التساؤل لمعرفة كيف سينبسط الطريق بعده.. أي أمجاد خضراء سيتضمنها.. أي ظ ل يختلط فيها السواد بالبياض.. أي بقاع ومعالم جديدة.. أي عطاءات مبهجة.. وأي منحنيات وت ل ووديان.
- أشعر أنه يجدر بي موافقتك في التخلي عنها (**قالت ماريه ، مشيرة بذلك إلى المنحة**).
- ولكنك تستطيعين منعي، فأنا ا ن أبلغ من العمر ستة عشر عامًا ونصف وعنيدة كالبغل، كما قالت لي السيدة لينـد ذات مرة (**أجابت آن ضاحكة**). أوه يا ماريه ، تحاولي أن تنظري إلي بعين الشفقة، تعرفين أني أحب الشفقة، كما أنه ليس هناك من داعٍ لها. أنا سعيدة جدًّا بفكرة البقاء في المرتفعات الخضراء، يستطيع أحد أن يتعهد هذا المكان بالحب والرعاية كما نفعل أنا وأنت، لذلك يجب أن نحتفظ به.
- فليباركك الرب يا فتاة! (**قالت ماريه مستسلمة**) أشعر وكأنك منحتني حياة جديدة، وعلى الرغم من أن واجبي يقتضي ا صرار على تغيير قرارك والعودة لـ لتحاق بالجامعة،

لكني أعرف أني لن أتمكن من إقناعك بذلك، ولهذا لن أحاول، لكني سأعمل على تعويض هذا لك يا آن.

عندما ذاع الخبر في أنحاء أفونليا أنَّ آن شيرلي تخلت عن فكرة الذهاب إلى الجامعة، واعتزمت البقاء في البيت وامتهان التدريس، كان هناك قدر كبير من النقاش حول ذلك، ورأى معظم الناس الطيبين الذين يعرفون شيئًا عن مشكلة ماريلا أن هذا كان تصرفًا أحمق من آن، أما السيدة آلان فلم تجارِ الاعتقاد السائد قط، وباركت قرار آن بكلمات مشجِّعة جلبت دموع الفرح إلى عيني الصبيَّة، وشاركتها السيدة لينده في هذا التقدير عندما قصدت المرتفعات الخضراء ذات مساء، ووجدت آن وماريلا جالستين على عتبة الباب الرئيسي في الغسق الصيفي الدافئ والعطِر. كانتا تحبان الجلوس هناك في تلك الساعة، عندما تبدأ السماء في التلون بظلال الغسق، ويتطاير عث البساتين البيض في أرجاء الحديقة، وتملأ رائحة النعناع الجو النديَّ.

حطت السيدة لينده جسمها الثقيل على المقعد الحجري قرب الباب، والذي نما خلفه صف طويل من نبتة الخطمية[90] المزهرة باللونين الوردي والأصفر، ثم أخذت نفسًا طويلًا يختلط بين الراحة والإجهاد.

- أؤكد لكما أني سعيدة بالجلوس أخيرًا، لقد بقيت واقفة على قدميَّ طيلة النهار، ولا شك أن مائتي رطل هي حمل ثقيل جدًّا على قدمين فقط لتحمُّلها. إنها نعمة عظيمة يا ماريلا أن يكون المرء بدينًا، وأرجو أن تكوني تقدرين نعمة نحولك. حسنًا يا آن، لقد سمعت خبر تخليك عن ارتياد الجامعة، وكم سررت حقًّا بسماع ذلك. لقد حصلتِ الآن على العلم المناسب الكافي للمرأة، وأنا أحبذ ارتياد البنات للجامعات مع الشبان، وحشو رؤوسهن بالأتينية والإغريقية وكل هذا الهراء.
- ولكني سأدرس الأتينية والإغريقية على الرغم من ذلك يا سيدة لينده (**قالت آن ضاحكة**)، سأنتسب إلى كلية الآداب، وسأدرس كل شيء يمكن أن يدرسوه في الجامعة، هنا في المرتفعات الخضراء.

رفعت السيدة لينده يديها معبرة عن تخوفها بورع وقدسية.

- ستهلكين نفسك يا آن شيرلي.
- شيء من ذلك، إن هذا سيجعلني أزدهر، وبالطبع أنا لن أسعى إلى المبالغة في طهو الأشياء، بل سألتزم بالاعتدال، كما تقول زوجة جوسيا ألين[91]، وأضعها على حرارة متوسطة، بالإضافة إلى أنه سيكون لدي الكثير من أوقات الفراغ في أمسيات الشتاء

الطويلة، ني سأقوم بالتدريس في كارمودي كما تعلمين، وأنا أميل عمال التطريز وما يشبهها.

- لم أكن أعلم أنك ستقومين بالتدريس في كارمودي، وأغلب ظني أنك ستستلمين العمل هنا في مدرسة أفونليا. فقد قرر ا وصياء على المدرسة تعيينك فيها.
- سيدة ليند! (**صاحت آن وهي تقفز على قدميها مندهشة**) كيف حدث هذا؟ ظننت أنهم وعدوا جيلبرت بليث بتسليمه إياها!
- نعم، كانوا قد فعلوا هذا، ولكن ما إن سمع جيلبرت أنك تقدمت بطلب للحصول عليها، ذهب إليهم.. كان لديهم كما تعلمين اجتماع عمل في المدرسة الليلة الماضية، وأعلمهم عن رغبته في سحب طلبه، واقترح عليهم قبول طلبك، وقال لهم إنه مضطر إلى التدريس في مدرسة وايت ساندس. بالطبع كان يعرف مدى رغبتك في البقاء مع ماريل ، و بد أن أعترف أنه كان عملًا نبيلًا وشهمًا منه، بل تضحية حقيقة من أجلك، ن عليه ا ن تحمل نفقات إقامته في وايت ساندس، وكلنا نعرف أنه مضطر إلى إعالة نفسه وكسب ما يتيح له فرصة متابعة دراسته الجامعية. وهكذا قرر ا وصياء تعيينك، وكدت أموت غبطة عندما جاء توماس إلى البيت وزفَّ لي البشرى.
- أشعر أنه يجدر بي أن أقبل هذا (**تمتمت آن**). أعني.. أظن أنه من المناسب أن أترك جيلبرت يقدم مثل هذه التضحية من أجل.. من أجلي أنا..
- أعتقد أنك تستطيعين منعه ا ن، لقد وقَّع أوراقه مع أوصياء مدرسة وايت ساندس، لذلك لن ينفعه رفضك في أي شيء ا ن، ولذلك بد أن تستلمي المدرسة هنا، وتأكدي أنك ستكونين مسرورة فيها، وخصوصًا أنه لم يعد هنا المزيد من آل باي؛ كانت جوزي باي آخر تلميذة في العائلة، وحمدًا لله أنها كانت كذلك. لقد ظل العديد من آل باي يرتادون هذه المدرسة على مدار العشرين عامًا الماضية، وأعتقد أن مهمتهم في الحياة كانت تذكير المعلمين دومًا بأن ا رض ليست موطنهم الحقيقي. لكن.. بحق السماء.. ما هذا الذي أراه؟! ما معنى ذلك الغمز واللمز المنبعث من الطابق العلوي في دارة آل باري؟
- إنها ديانا ترسل لي إشارة من أجل الذهاب لرؤيتها (**قالت آن ضاحكة**)، فما زلنا متمسكتين بعاداتنا القديمة. أرجو أن تعذريني قليلًا، سأذهب عرف ما الذي تريده مني.

ركضت آن على طول منحدر حقل البرسيم مثل الغز ن، واختفت بين ظ ل السراخس في الغابة المسكونة. تتبعها عينا السيدة ليند بتعاطف.

- هناك قدر كبير من الطفولة في بعض تصرفاتها.

- هناك قدر أكبر من ا نوثة في معظم تصرفاتها ا خرى (**ردت ماريلا ، مع عودة مؤقتة لحدتها القديمة**).

لكن يبدو أن الحدة لم تعد السمة المميزة لماريلا ، كما أخبرت السيدة ليند زوجها توماس في تلك الليلة.

- صدِّق أو تصدق، لقد أصبحت ماريلا كوثبرت امرأة لينة العريكة.

ذهبت آن إلى مقبرة أفونليا الصغيرة مساء اليوم التالي لوضع الزهور اليانعة على قبر ماثيو، ولسقي أجمة الورود ا سكتلندية. مكثت هناك في ذلك المكان المسالم والهادئ حتى الغسق، متآلفة مع حفيف أوراق أشجار الحور الذي يشبه حديثًا وديًّا، وهسهسة الحشائش التي انبثقت بملء إرادتها بين القبور. وعندما غادرت ذلك المكان أخيرًا توجهت نحو التلة المنحدرة والمطلة على بحيرة المياه الـ معة، كان الوقت قد تجاوز غروب الشمس، وكانت أفونليا بأكملها تبدو أمامها أشبه بالحلم، وكأنها مزار للس م العتيق[92]، والجو يعبق بعبير عذب كما لو أن ريحًا هبت على حقول البرسيم، فحرضتها على نشر أريجها الطيب، أضواء البيوت تومض هنا وهناك بين فرجات ا شجار، وقد انبسط البحر وراءها ضبابيًّا وقرمزيًّا، بزمجرة أمواجه المستمرة، والسماء الغربية تتألق ببهاء ظ ل ا لوان المختلطة فيها بنعومة، والتي بدت أكثر نعومة أثناء انعكاسها على سطح البركة الساكن. كل ذلك الجمال ا خاذ أذهل قلب آن، ففتحت له أبواب روحها بشُكر.

- عزيزي عالمي القديم (**تمتمت**)، أنت بديع الجمال، ويسعدني أني أعيش فيك.

ما كادت تتابع طريقها، حتى رأت عند منتصف طريق منحدر التلة شابًّا طويلًا يخرج من بوابة مزرعة آل بليث وهو يصفِّر. كان ذلك الشاب جيلبرت، وسرعان ما قى الصفير حتفه فوق شفتيه عندما رأى آن. رفع لها قبعته بكياسة لحظة مروره بها، وكان على وشك المضي قدمًا لو لم تقف آن وهي تمد له يدها.

- جيلبرت (**قالت آن بوجنتين ضرجتهما حمرة الحياء**)، أريد أن أشكرك على التخلي عن المدرسة من أجلي؛ لقد كان ذلك تصرفًا نبيلًا منك، وأريدك أن تعرف أني شاكرة لك.

صافح جيلبرت اليد التي امتدت إليه بلهفة.

- في الحقيقة هو ليس كرم أخ ق مني يا آن، لقد كنت سعيدًا بالفرصة التي أتيحت لي من أجل تقديم خدمة صغيرة لك. ترى هل سنصبح صديقين ا ن؟ هل سامحتني أخيرًا على غلطتي القديمة؟

ضحكت آن وهي تحاول سحب يدها من يده دون جدوى.

- لقد سامحتك يا جيلبرت منذ ذلك اليوم عند ضفة البركة، على الرغم من أني لم أكن أعرف ذلك حينها. كم كنت فتاة عنيدة ومغفلة! كنت.. كنت.. حسنًا، يمكنني ا ن ا د ء باعتراف كامل على ما أظن.. كنت منذ ذلك الوقت آسفة ني لم أقبل اعتذارك.
- بأس، سنصبح من ا ن أفضل صديقين (**قال جيلبرت بابتهاج**). لقد خُلقنا لنكون صديقين يا آن، لكنك ظللت تعاندين القَدَر مدة طويلة. أعلم أنه يمكننا مساعدة بعضنا بعدة طرق، ألن تتابعي دراستك وأنت هنا؟ وأنا أيضًا سأفعل هذا. تعالي سأوصلك إلى البيت.

تفحصت ماريـ آن بنظرة فضولية عندما دخلت ا خيرة المطبخ.

- من كان هذا الذي صحبك إلى نهاية الدرب يا آن؟
- جيلبرت بليث (**أجابت آن التي شعرت بالسخط على نفسها نها احمرت خجلًا**). التقيت به عند تلة آل باري.
- لم أكن أعرف أنك وجيلبرت بليث صديقان حميمان لدرجة وقوفكما لمدة نصف ساعة عند البوابة وأنتما تتحدثان (**قالت ماريـ بابتسامة ذابلة**).
- لم نكن كذلك قط، بل كانت بيننا عداوة قوية، ولكننا وجدنا أن ا مر سيكون أكثر منطقية إذا حوَّلنا تلك العداوة إلى صداقة طيبة في المستقبل. أحقًّا وقفنا هناك لمدة نصف ساعة؟ مر الوقت وكأنه بضع دقائق فقط. ولكن، كما ترين يا ماريـ ، لدينا خمس سنوات من المحادثات الضائعة التي علينا تعويضها.

جلست آن طويلًا عند نافذتها في تلك الليلة وهي تشعر بالرضا والسعادة، كان النسيم يحرِّك أغصان الكرز بلطف، وتصاعد عبير النعناع في الجو، وتـ ت النجوم فوق قمم أشجار التنوب عند الغور، وومض ضوء غرفة ديانا من خ ل الفرجة المعهودة بين ا شجار.

نعم، كانت ا فاق التي تفتحت أمام آن قد ضاقت منذ الليلة التي جلست فيها هنا بعد عودتها من معهد كوين، ولكن حتى وإن كان الدرب المقدَّر لها اقتحامه ضيقًا، فهي واثقة أن براعم السعادة ستزهر على امتداده، إنها تمتلك الحق الكامل في الحصول على مسرات

ا خ ص في العمل، والطموح القيِّم، والصداقة المتجانسة روحًا وطبعًا، شيء يمكن أن يسلبها حقها الطبيعي بالتحليق في عالم أح مها المثالي، ودنيا خيالها متعددة ا لوان، ففي هذه الحياة يوجد دائمًا منعطف في الطريق!

- ما دام الله في ملكوته السماوي، فالعالم بألف خير (**همست آن بوداعة**).

الخطمية: هي جنس نباتي صيفي مزهر متعدد ا لوان ينتمي إلى الفصيلة الخبازية، أُدخِلت إلى بيئة أمريكا الشمالية في القرن السابع عشر.

زوجة جوسيا ألين: هو أحد ا سماء المستعارة للكاتبة والروائية ا مريكية ماريتا هولي التي استخدمت السخرية لنقد المجتمع والسياسة ا مريكية.

مزار للس م العتيق- A Haunt of Ancient Peace: مجموعة قصصية للكاتبة إيما مارشال تتكون من عدة قصص من ذكريات الطفولة لكتَّاب مختلفين (**١٨٩٧**).

Table of Contents

(1)دهشة السيدة ريتشل ليند
(2)دهشة ماثيو كوثبرت
(3)دهشة ماريلا كوثبرت
(4)صباح في المرتفعات الخضراء
(5)حكاية آن
(6)قرار ماريلا
(7)آن تتلو صلاتها
(8)الشروع في تربية آن
(9)هلع السيدة ريتشل ليند
(10)اعتذار آن
(11)انطباع آن عن مدرسة الأحد
(12)قَسَم مقدس وتعهد
(13)مسرَّات الترقب
(14)اعتراف آن
(15)زوبعة في إبريق شاي المدرسة
(16)دعوة ديانا إلى الشاي، ونتائج تراجيدية
(17)اهتمام جديد في الحياة
(18)الاستنجاد بآن
(19)حفل موسيقي، كارثة، واعتراف
(20)خيال خصب يحيد عن الصواب
(21)تنوع جديد في النكهات
(22)دعوة آن إلى تناول الشاي
(23)تورط آن في مسألة شرف
(24)إعداد الآنسة ستايسيوتلاميذها لحفل موسيقي
(25)إصرار ماثيو على الأكمام المنفوخة
(26)تأسيس نادي القصة
(27)مأزق الروح المختالة
(28)وصيفة زنبق تعيسة الحظ
(29)حقبة في حياة آن
(30)تأسيس صف التحضير لمعهد كوين
(31)نقطة التقاء الجدول بالنهر
(32)صدور قائمة الناجحين
(33)حفلة الفندق
(34)طالبة في معهد كوين

الشتاء في معهد كوين(35)
المجد والحلم(36)
الحاصدة التي تُدعى الموت(37)
منعطف الطريق(38)